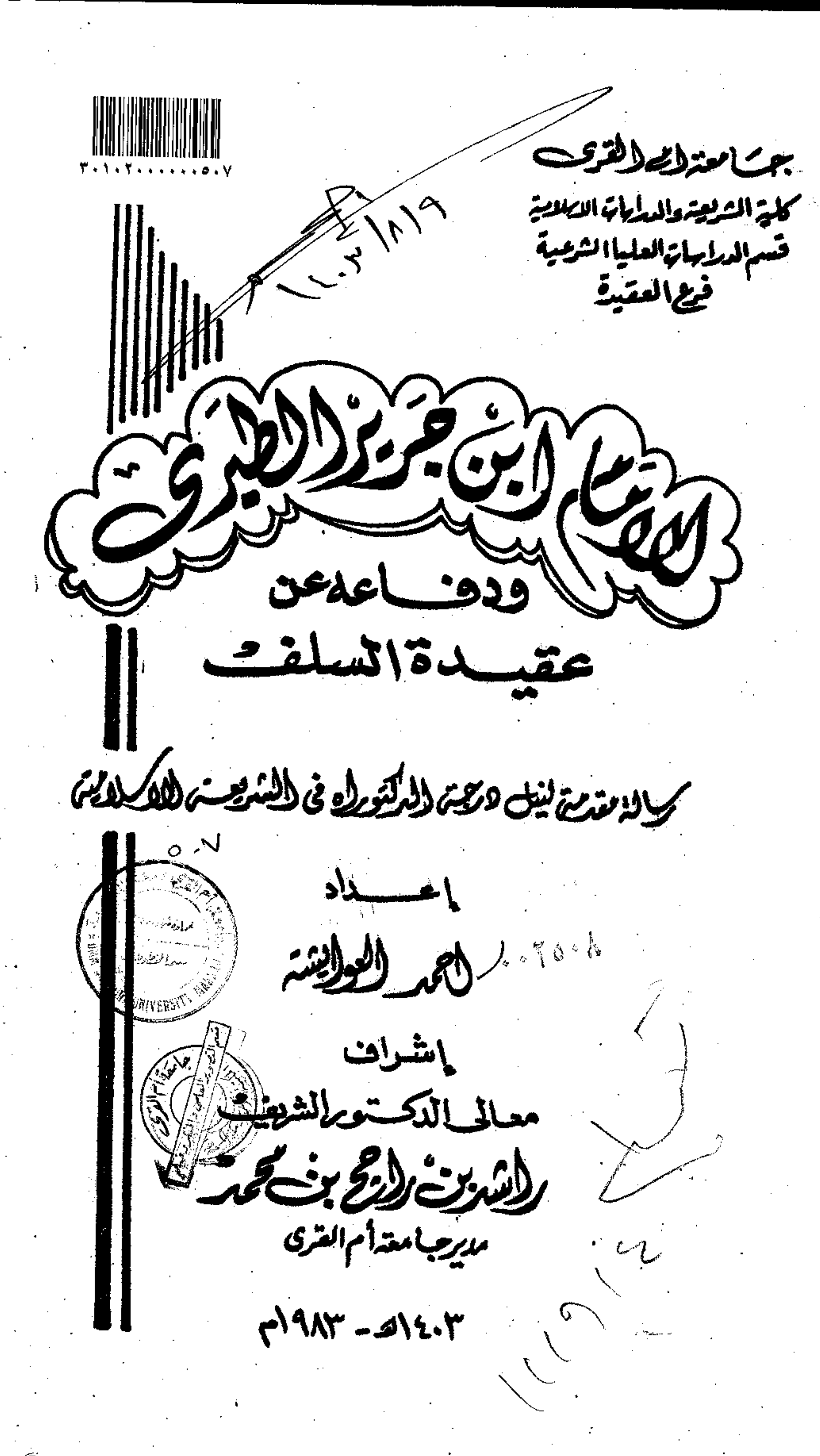


جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإمام ابن جرير الطبري
ودفاعه عن عقيدة السلف

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعداد

أحمد العوايشة

إشراف

معالي الدكتور الشريف

راشد بن راجح بن محمد

مدير جامعة أم القرى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وان الله لمع المحسنين ". سورة العنكبوت آية ٦٩

ان الله يدافع عن الذين امنوا، ان الله لا يحب كل خوان كفور " سورة الحج آية ٣٨

وهدوا الى الطيب من القول. وهدوا الى صراط الحميد "

سورة الحج آية ٢٤

قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين " سورة يوسف آية ١٠٨

فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة. انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون "

سورة الاعراف آية ٣٠

ويل لكل افاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم " سورة الجاثية آية ٧-٨

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء "

سورة ابراهيم آية ٢٧

بسم الله الرحمن الرحيـــــم
==============

شكـــر وتقديـــر
========

أتوجه الى الله سبحانه وتعالى بالحمد على نعمائه ، والشكر على توفيقة وإعانته لي فى اتمام هذا البحث ، فهو سبحانه وتعالى الموفق للصواب فـــى القول ، والمسدد فى العمل ، فله الحمد والمنة ، وله الشكر والثناء الحسن فى كل وقت وحين .

ثم انى لاتوجه بجزيل الشكر والعرفان الى فضيلة استاذى المشرف علـــى هذه الرسالة الدكتور راشد بن راجح الشريف ، على توجيهاته القيمة ، وارائــه السديدة والمفيدة التى أخذت منها كثيرا فى بحثى ، فقد أعطانى حفظـــــه الله تعالى من وقته الثميـن ، وجهده الشيء الكثير على الرغم من كثـــــرة اشغاله واعماله ، فلم يبخل على بنصيحـــة او فائدة علمية ، فقد استقبلنى كثيرا فى مكتبه ، وكان يقرا ما اكتب احيانا فى بيته لضيق الوقت وكثرة الاعمـــــال ، فجزاه الله عنى خير الجزاء ووفقه لما فيه خير الاسلام والمسلمين وخدمة العلم والتعليم انه سميع مجيب،كما اتوجه بالشكر العظيم الى فضيلة استاذنا الكبيـــر الشيخ عبد الرزاق عفيفى على توجيهاته القيمة وارائه النافعة التى افادنى بهـا كثيرا جزاه الله خيرا ومتع الله فى ايامه . كما اتوجه بالشكر الى فضيلة استاذ ى الدكتور عثمان عبد المنعم عيـــش وجميع اساتذتى فى فرع العقيدة علـــى مساعدتهم لي فى حل كثير من اشكالات البحث وبخاصة فيما يتعلق بآراء الفرق .

واتوجه بالشكر الجزيل الى الاخ الكريم الدكتور شرف بن على الشريـــف ، والقائميـن على عمادة كلية الشريعة ، واخص بالذكر منهم سعادة الدكتور على عباس الحكمي عميد كلية الشريعة ، والدكتور حمزة الفعر .

واشكر اخيرا جميع الاخوة والزملاء الذين ساعدونـى بفائدة علمية ، او اعارة مرجع يتعلق ببحثى ، واخص بالذكر منهم الاخوة الدكتور وصـي الله محمد عباس ، والشيخ عبد العزيز الطرف واحمد خالد با بكر ، وعداب الحمش ، جزاهم الله عنى خيـــر الجزاء انه ولي ذلك والقادر عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون " (١) يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا " (٢) " يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " (٣) .

اما بعد :

فقد ارسل الله سبحانه وتعالى نبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة الاسلام ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم باذن الله الى سواء السبيل فقام صلوات الله وسلامه عليه بتبليغ دعوة ربه الى الناس كافة ، حيث دعاهم الى توحيد الله باسمائه وصفاته وافعاله ، وافرادة بالربوبية والالوهيـة ، لانه لا معبود بحق يستحق العبادة الا هو سبحانه وتعالى ، وخاطب صلوات الله وسلامه عليه الناس بما تفهمه عقولهم ، وايقظ فطرهم ، وحرك مشاعرهم ، ولفت انظارهم الى عظيم قدرة الله عز وجل ، وبين لهم ان العبادة الحقة لا تنبغى الا للواحد الاحد ، لا الاوثان العاجزة التى

---

(١) سورة ال عمران ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ١

(٣) سورة الاحزاب ٦٩ ـ ٧٠ .

لا تملك لنفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرا ، وحارب الشرك بشـتى صـورة والخرافة بشـتى انواعها والوانها ، وبين ضرر اتخاذ الالـهة والانـداد ، والشفعاء والوسطاء من دون الله على الانسان فى دنياه واخرته ، وحذرهـم من سوء العاقبة ان تمادوا فى غيهـم وضلالهم وطغيانهم ، فاستجاب لدعوتـه المباركة من شرح الله صدره للايمان ، واعرض عنها من اراد الله غوايتـه ، فما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكمل الدين بفضل الله ورحمتـه ، وانتشر جنود الاسلام ودعاته فى ارض الله الواسعـة يبلغون دعوة الله الـى الناس ، وينشرون العدل والرخاء فى البلاد التى دالت لحكم الله سبحانـه وتعالى ، وعاش الناس فى بداية عهد الدعوة فى ظل الاسلام الحنيف سعداء ، تجمعهم عقيدة التوحيد الخالصة ، ويسوسهم شرع الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وانتشر العدل فى ربوع البلاد الاسلاميـــة ، وسطر المسلمون اروع الامثلة فى شتى المجالات ، ودخل كثير من الناس فـى دين الله طواعية واختيارا بعد ان تحطمت العقبات التى كانت تحول بينهـم وبين دخول الاسلام ، فاعز الله بهم دينه ، واعلى بهم كلمته ، وقويـت شوكة الاسلام فبسط سلطانه على بلاد شتى ، واقاليم متنوعة ، بيد ان هـذه الاقاليم الاسلامية الجديدة ، كانت وكرا للديانات الوضعية والمحرفة ، ومهـدا للمذاهب الوثنية المختلفة ، وكان توسع الاسلام فيها على حساب تلـك الديانات الوضعية والمحرفة والمذاهب الضالة ، فدخل كثير من اتباع هـذه الديانات الوضعية والمحرفة فى الاسلام طـواعية واختيارا ، ودخل غيرهـم فيه ، وهم يحملون فى نفوسهم حقـدا دفينا على الاسلام والمسلمين ، فسعـوا جاهدين سرا وعلانية لتحقيق غايات سيئة ، ومآرب دنيئة تخدم مخططاتهـم الاجرامية الهادفة الى زعزعة عقائد الاسلام فى نفوس اتباعه ، واشاعة العـداوة

والبغضاء والفرقة بين صفوف المسلمين فوقع مع الاسف الشديد ـ بعض المسلمين نتيجة لدسائس اولئك الخبثاء تحت تاثيرهم ، وفى شرك حبائلهم ، واقتنعوا بكثير من آرائهم نتيجة التلبيس والتدليس ، ومكر اتباع ابليس ، فظهرت شتلات الشر بين ظهرانى المسلمين ، وتجمع دعاتها تحت راية التعطيل والتاويل والتخيل والتجهيل ، وبزغ نجم التشبيه والتكييف والتمثيل ، والقول بالجبر ، وانكار عذاب القبر ، ونفى صفات الله عز وجل ، وغير ذلك من المسائل التى كان الكلام فيها بدعة فى الدين واحداثاً فيه ما ليس منه بغير سلطان مبين الا اتباع الظن وما تهوى الانفس .

وارتدى اتباع هذه البدع اقنعة ملونة عليها من البريق والخداع العلمي ما يكفى لتضليل كثير من الناس ، تحت ستار احترام العقل ، وضرورة اخضاع مسائل العقيدة للبحث والمناظرة .

وكان لترجمة كتب الفلسفة والمنطق وغيرها من تراث الحضارة اليونانية وغيرها من الحضارات الوثنية ، اكبر الاثر فى ادخال المفاهيم الغريبة على دراسة العقيدة الاسلامية ، والمتمثلة فى علم الكلام والجدل .

ونتيجة لذلك بدأ الصراع بين الحق والباطل يشق طريقه بين صفوف المسلمين ومع مرور الايام وانقضاء السنوات يزداد شدة ، حتى بلغ ذروته في ايام الامام أحمد ابن حنبل رحمة الله عليه ، حيث قام انصار التعطيل والتأويل من الجهمية والمعتزلة ونحوهم ، يمدهم سلطان الدولة الحاكمة الممثل فى المأمون ، والمعتصم والواثق بامتحان علماء السلف ، وتعريضهم للاذى والهوان لكن علماء السلف صبروا على الاذى احتسابا لوجه الله تعالى وكان الله بهم رحيما ، ففرج عنهم الشدة ورفع عنهم المحنة على يد المتوكل الذى أعز الله به مذهب أهل السنة والجماعة فقمع البدعة وأعلى شأن المحدثين وقربهم اليه ، وأمرهم أن يحدثوا الناس بآيات واحاديث

الصفات والرؤية ، وابتدأ نشاط الدعوة الى مذهب السلف من جديد قبل أن تطغى المفاهيم الفلسفية والمجادلات الكلامية على عقيدة السلف ، وقيض الله سبحانه وتعالى للامة الاسلامية علماء مصلحين حفظوا عقيدة الامة وحرسوها باخلاص وردوا بقوة وحزم على من خالفها أو عارضها معتمدين فى ذلك على الادلة النقلية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاثار المروية عن أهل العلم من الصحابة والتابعين والادلة العقلية المستنبطة من الادلة الشرعية ، فكتب الامام أحمد رحمة الله عليه فى بيان عقيدة السلف كتابيه المعروفين السنة ، والرد على الزنادقة والجهمية وتبعه طائفة كبيرة من علماء السلف الاجلاء كتبوا فى الدفاع عن عقيدة السلف والرد على المبتدعة بعد أن كثرت الفرق وتبلورت افكارها ، وكان الامام محمد بن جرير الطبرى أحد العلماء المخلصين الذين نصر الله بهم عقيدة السلف وحفظها من كيد خصومهم، وكان تفسيره الضخم للقرآن الكريم من أكبر المصادر التى حفظت لنا آثار السلف الصالح وبخاصة فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد ، فقد تعرض فى تفسيره لمعظم مسائل العقيدة وأيد مذهب السلف ومنهجهم فى اثبات مسائل الاعتقاد ودافع عن اعتقادهم دفاعا مجيدا ورد على شبه خصومهم ردا علميا بليغا اعتمد فيه على دلالة الايات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة واساليب استعمالات اللغة العربية ودلالة صريح المعقول الذى لا يخالف صحيح المنقول واقتفى أثر السلف الصالح من الصحابة والتابعين وائمة أهل السنة والمحدثين فى الاثبات ، ولا ريب أن دراسة عقيدة السلف ، ودفاع ائمتهم عنها لها أهمية كبيرة فى وقتنا الحاضر نظرا لان الباحثين المعاصرين لم يعتنوا بدراسة عقائد ائمة السلف دراسة وافية، ولم يتناولوا كتابات السلف من أهل القرن الثالث والرابع الهجرى بالبحث والتحليل وقد اكد هذا المعنى الدكتور على سامى النشار فى مقدمته

القيمة لكتاب " عقائد السلف " حيث يقول : " ان المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالازهر وبقية الجامعات لم تولها اهتماماً ولا اعتبارا في مناهجها ودراساتها . ذلك ان الدارسين اعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الانظار الغربية وآراء عهد انحطاط الحضارة الاسلامية مع ان المنهج العلمي التاريخي الصحيح يقتضي ان ترجع الى الاصول الاولى قبل كل شيء " (١) فاذا قارنا ذلك بعملية احياء تراث المعتزلة والصوفية والفرق الاخرى اتضحت لنا ضرورة العمل على احياء ماكتبه علماء السلف ونشر علومهم ، وبخاصة فيما يتعلق بمسائل العقيدة ، وترجع اهمية ذلك الى اهمية العقيدة السلفية نفسها . وضرورة العمل الجاد المخلص في سبيل العودة بالناس اليها خالصة من ضلالات الفرق ، والمذاهب المنحرفة الباطلة والخرافات والبدع المهلكة . لهذا فقد اخترت لدراستي في العقيدة ، موضوعا لم يطرق من قبل على حد علمي ، وهو دفاع امام من ائمة السلف عن عقيدتهم ، وهداني الله عز وجل بمنه وكرمه لاختيار الامام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف موضوعا لرسالتي في الدكتوراه نظرا للمكانة العلمية العظيمة التي حظي بها الامام ابن جرير بين علماء السلف . وقد اخترت الكتابة في دفاع الإمام ابن جرير عن عقيدة السلف على غيره للاسباب التالية :-

١ - لان الامام ابن جرير احد علماء السلف المهتمين بآثار السلف . وتفسيره للقرآن الكريم مشحون بكثير من الاحاديث النبوية الشريفة والآثار المروية عن اهل العلم من الصحابة والتابعين وبخاصة فيما يتعلق بمسائل العقيدة .

٢ - تعرض الامام ابن جرير للاذى والنيل من عرضه وعقيدته من قبل اعدائه فاردت ان اكشف النقاب عن عقيدته وارد الباطل عن عرضه بعد ان رأيت كثيرا من علماء السلف كابن تيمية وغيرهم يثنون على سلفيته وغيرته على مذهب السلف وموقفه الحازم من اهل البدع واهل الجدل في كثير من المواطن وبخاصة في تفسيره العظيم .

٣ - ذكر بعض المؤرخين في معرض ثنائه على تفسير الامام ابن جرير ان شخصا لو ادعى ان يصنف منه عشرة كتب كل واحد منها يحتوي على علم مفرد عجيب لفعل (٢) .

---

(١) مقدمة كتاب عقائد السلف ص٥ بتحقيق د . النشار والطالبي . واعتبر تحقيق هذه الرسائل اول خطوة في تحقيق هذه الدراسة التي تمثل منهج السلف .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر جـ١٠/ل ٤٧٨ .

وقد رأيت بعض الاخوة والزملاء اخذوا بهذه النصيحة فكتب بعضهم في منهجه في التفسير، وبعضهم في فقهه، وبعضهم في القراءات عنده، فتولدت الرغبة في نفسي ان اكتب في دفاعه عن عقيدة السلف كخطوة اولى اشق بها الطريق في ابراز جهود علماء السلف وائمتهم في الدفاع عن مسائل العقيدة. وتوكلت على الله سبحانه وتعالى وشرعت بقراءة تفسير — الامام ابن جرير من مبدئه حتى منتهاه، مستعينا بقوة الله عز وجل وحوله اولا وآخرا على الفهم، ثم بارشادات فضيلة الاستاذ المشرف على هذه الرسالة الدكتور راشد بن راجح حفظه الله، وتوجيهاته السديدة التي انتفعت منها كثيرا في بحثي، وكذلك توجيهات استاذنا الكبير فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي حفظه الله تعالى. وبحثت هنا وهناك عن كتب للامام ابن جرير سواء اكانت مخطوطة ام مطبوعة لعلي اجد فيها بغيتي، وسافرت الى مصر من اجل ذلك، وقد وجدت مخطوطتين للامام ابن جرير احداهما جزء صغير في العقيدة طبعت في الهند سنة ١٣١١ هـ ونشرها سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمة الله عليه في المجموعة العلمية السعودية، وافدت من كتاب تهذيب الآثار الذي قام بتحقيقه الدكتور ناصر الرشيد والشيخ عبد القيوم عبد رب النبي فيما يتعلق ببحث الايمان. وقد كان جل اعتمادي في بيان دفاعه عن عقيدة السلف على كتابه التفسير لانه اكبر كتاب للامام ابن جرير بين ايدينا فيه ذكر لمسائل الاعتقاد، والرد على شبه الخصوم، وقد اقتصرت على القضايا التي ناقش فيها اصحاب الفرق غير اني واجهت مصاعب كثيرة في هذا البحث منها :—

١ — ضياع معظم كتب الامام ابن جرير وخاصة كتاب التبصير في اصول الدين والذي كتبه في العقيدة .

٢ — غموض الامام ابن جرير في بعض المسائل واغفال اصحاب الآراء المخالفة لمذهب السلف وقد اعانني الله سبحانه وتعالى بمنه وتوفيقه وكان المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث يقوم على الاسس التالية :—

١ — عرض الآراء المخالفة لمذهب السلف التي تعرض لذكرها الامام ابن جرير دون ان ينسبها لاصحابها وعرض ادلتهم كما عرضها .

٢ — نسبة هذه الآراء الى قائليها او الفرق التي تمثلها بقدر الامكان ثم توضيح هذه الآراء من مصادرها الاصلية او الكتب التي

كتبت عن الفرق •

(٣) التاريخ لوفاة بعض العلماء والتعريف بهم حسب ضرورة البحث غير أني اغفلت التعريف ببعضهم نظرا لشهرتهم ولاننا لسنا بصدد تحقيق مخطوط يجب فيه التعريف برجاله •

(٤) خرجت الاحاديث النبوية الشريفة والاثار الواردة في البحث •

(٥) اعتمدت في الدراسة على المصادر الاصلية فاتجهت الى دراسة آراء الفرق التي تعرض لها من خلال ما كتبه رجالها أو العلماء الذين كتبوا في الفرق حين لا اجد في كتبهم المتوفرة لدي بغيتي، كما رجعت الى الكتب التي الفت في معاني القرآن نظرا لان الامام ابن جرير اعتمد عليها كثيرا، وقد أخذ ذلك مني جهدا كبيرا •

(٦) ابرزت دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف وايدته ببعض ردود ومناقشات ائمة وعلماء السلف وادلتهم التي استخدموها في الاثبات والرد •

وقد جاءت الرسالة بحمد الله وتوفيقه على مقدمة وبابين وخاتمه •

أما المقدمة : فقد عقدتها لبيان الدوافع التي حملتني على الكتابة في هذا البحث ومنهجي الذي سرت عليه فيه •

واما الباب الاول فقد عقدته للتعريف بالامام ابن جرير الطبري، وقد جاء في خمسة فصول :

الفصل الاول : عصر الامام ابن جرير الطبري وقد تحدثت فيه عن الحالة السياسية والحالة الاجتماعية والحالة الفكرية وجهود العلماء •

الفصل الثاني : اطوار حياة الامام ابن جرير : وقد تحدثت فيه عن اسمه وكنيته ونسبه ونسبته ومكان ولادته وتاريخها ونشأته واخلاقه وصفاته الجسدية وعاداته وسنة وفاته والخلاف فيها •

الفصل الثالث : حياة الامام ابن جرير العلمية وقد تحدثت فيه عن رحلاته العلمية وشيوخه الذين التقى بهم وترجمت لاهم شيوخه وتلاميذه كما تحدثت عن تأثره بالسابقين عليه وتأثيره باللاحقين له .

الفصل الرابع : ثقافته ومؤلفاته : وقد تحدثت عن الوان ثقافته واشهر مؤلفاته

الفصل الخامس : التحقيق في تهمة التشيع المنسوبة الى الامام ابن جرير وقد تحدثت فيه عن أهم الفئات التى اتهمته بالتشيع والاسباب التى ادت الى اتهامه، وناقشت هذه الاسباب وبينت بطلانها، وعقدت مقارنة بين أرائه وآراء الشيعة فى بعض المباحث وبينت الخلاف الكبير بينه وبينهم، وتحدثت عن قصته مع الحنابلة، وبينت بطلانها والغرض من ايرادها، وتحدثت عن قصة دفنه ليلا وبينت انها غير صحيحة وختمت الفصل بذكر ثناء العلماء عليه .

أما الباب الثاني : فقد عقدته لدفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف وقد جاء فى عشرة فصول :

الفصل الاول : التعريف بعقيدة السلف والمنهج الذى ساروا عليه فى تقرير مسائل العقيدة وقد تحدثت فيه عن منهج السلف فى تقرير العقيدة ، وتدوين مسائلها وأهم ميزاتها .

الفصل الثاني : منهجه فى الدفاع عن عقيدة السلف وقد تحدثت فيه عن منهجه فى تقرير العقيدة ومنهجه فى الرد على شبه المخالفين لمذهب السلف ، وموقفه من عقيدة السلف اجمالا ، وابديت بعض الملاحظات العامة عليه

الفصل الثالث : دفاعه عن عقيدة السلف فى وحدانية الله تعالى وقد تحدثت فيه عن معنى الوحدانية عند المتكلمين والسلف وابرزت دفاعه عن عقيدة السلف فى ذلك وتأييد علماء السلف له، كما تحدثت عن انواع التوحيد واثبات الوحدانية

لله عز وجـل •

الفصل الرابع : دفاعه عن عقيدة السلف في اسماء الله تعالى وقد تحدثت فيه

عن طريقة اثبات اسماء الله الحسنى وعددها وبينت أن الاسم للمسمـى

وتحدثت عن صلة الاسماء بالصفات وابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في ذلك •

الفصل الخامس : دفاعه عن عقيدة السلف في صفات الله تعالى، وقد تحدثت فيه

عن صفة الحياة والكلام واليد والاستواء والاتيان والمجيء والاستهزاء •

والغضب والرضا ومسألة الرؤية،وابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في ذلـك

وموافقته لهم، وتأييده لمذهبهم، وموافقة علماء السلف له، ومناقشتهم لاراء

اصحاب الفرق •

الفصل السادس : دفاعه عن عقيدة السلف في مسألة خلق الله لافعال العباد

وقد تحدثت فيه عن خلق الله لافعال العباد، وبينت ان افعال العباد

مخلوقة لله تعالى، والعباد فاعلون حقيقة لافعالهم، وابرزت دفاع الامام

ابن جرير عن عقيدة السلف في ذلك،وتحدثت عن الاستطاعة والتكليـف

بما لا يطاق، والهدى والاضلال، واللطف،وابرزت دفاعه عن عقيدة السلـف

في ذلك وتأييده لمذهبهم، وايدت مناقشته لاصحاب الفرق بمناقشة السلـف

لهم •

الفصل السابع دفاعه عن عقيدة السلف في الايمان والوعيد وقد تحدثت فيه عن حقيقة

الايمان وزيادة الايمان ونقصه،والاستثناء فيه،وعلاقته بالاسلام، وحكم مرتكـب

الكبيرة،وقد ابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في ذلك •

الفصل الثامن : دفاعه عن عقيدة السلف في النبوات وقد تحدثت فيه عن عصمة الانبياء

وبعض معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفاعه عن عقيدة السلـف

في ذلك •

الفصل التاسع : دفاعه عن عقيدة السلف فى السمعيات وقد تحدثت فيه عـــن دفاعه عن عقيدة السلف فى الميزان •

الفصل العاشر : دفاعه عن عقيدة السلف فى الامامة وقد تحدثت فيه عن أفضـل الصحابة واولاهم بالامامة وبينت رأيه فى ذلك •

الخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها من خلال البحـــث

هذا وان رجائـــى فى الله سبحانه وتعالى كبير فى أن أكون قد وفقت لاتمام هذا البحث بصورة مرضية وأن اكون قد أتيت فيه بجديد فمنه سبحانه وتعالى استمـــد العون والسداد فى اقوالى وافعالى وهو ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

الباب الأول

=====

التعريف بالامام ابن جرير الطبري

ويشتمل على خمسة فصول

====

الفصل الأول : عصر الامام ابن جرير الطبري

الفصل الثاني : أطوار حياة الامام ابن جرير

الفصل الثالث: حياة الامام ابن جرير العلمية

الفصل الرابع: ثقافته ومؤلفاته

الفصل الخامس : التحقيق في تهمة التشيع المنسوبة الى الامام ابن جرير ..

==========

الفصـــل الأول

عصـر الامـام ابن جريـر الطبـــرى

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الاول : الحالـة السياسيـــة .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعيــــة .

المبحث الثالث: الحالة الفكرية وجهود العلماء .

****
_ ********** _
****
*****
***

المبحث الأول

الحالة السياسية

ان كل انسان يتأثر غالبا بالعصر الذى يعيش فيه ، وبالبيئه التى يسكن فيها ، فكان من الضرورى فى هذا البحث ،ولزاما على أن أدرس الفترة التى عاش فيها الامام ابن جرير الطبرى ، وهى الفترة الواقعة ما بين سنة (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) أى من أواخر العصر العباسى الأول ابان حكم المعتصم الى خلافة المقتدر ، فقد كانت ولادة الامام ابن جرير فى أيام المعتصم ، فى أواخر العصر العباسى الأول ، ونشأ وعاش حياته كلها فى العصر العباسى الثانى المعروف بعصر نفوذ الأتراك الذى يبدأ من سنة (٢٣٢هـ) ، وحتى سنة (٣٢٢ هـ) ويعتبر المعتصم أول خليفة عباسى اعتمد على العنصر التركى،وأهمل العرب والفرس ، لأن ثقته بالفرس قد تضعضعت بسبب رغبة الفرس فى جعل الخلافة فى العباس بن المأمون ((ت ٢٢٣هـ)) بدلا من عمه المعتصم تعصبا لأم العباس الفارسية ، والدليل على ذلك ما ذكره الامام ابن جرير فى تاريخه من أن الجند شغبوا لما بويع للمعتصم بالخلافة ، فطلبوا العباس ونادوه باسم الخلافة ، فأرسل المعتصم الى العباس فأحضره ، فبايع عمه ، ثم خرج الى الجند وأخبرهم بأنه بايع عمه بالخلافة ، فسكن الجند وهدأت ثائرتهم (١) ومن جهة ثانية فقد كانت أم المعتصم تركية ، وكان هناك تشابه كبير بين المعتصم والأتراك من حيث الطباع والقوة الجسمية التى كان المعتصم كثيرا ما يتفاخر بها ، جلب المعتصم الأتراك ، وبنى لهم مدينة سر من رأى ،أو سامراء شرقى نهر دجلة ،وكان ذلك فى سنة (٢٢١هـ) ، وأصبحت هذه المدينة هى الحاضرة

---

(١) انظر تاريخ الطبرى جـ ٨ ص ٦٦٧ الفخرى ص ٢٣١

الجديدة للدولة ، حيث أقام المعتصم في حماية الأتراك الذين مكن لهم في الأرض وثبت أقدامهم في الدولة . ويذكر بعض المؤرخين أن سبب بناء هذه المدينة هو أن العرب بدأوا يضيقون ذرعا بالأتراك ، لأنهم زاحموهم في دورهم ، وتعرضوا النسائهم ، وقتلوا بعض رجالهم ، فنصبوا للاتراك العداوة والبغضاء وشكوا للمعتصم عن سوء معاملة الأتراك لهم ، وحدثوه عن فسادهم ، وقالوا له تحول عنا والا قاتلناك ، قال : وكيف تقاتلونني وفي عسكري ثمانون الف دارع ؟ قالوا نقاتلك بسهام الليل ((يعنون الدعاء)) ، فقال : المعتصم : والله مالي بها طاقة ، فبنى مدينة سرمن رأى وسكنها (١) ونتيجة لاهمال المعتصم للعرب فقد ثاروا عليه وعلى قادة الاتراك ، بقيادة القائد العربي عجيف (ت ٢٢٣هـ) وأغرى عجيف العباس بن المأمون على مقاتلة عمه المعتصم ، والمطالبة بالخلافة ، واشترك معهم بعض القادة العرب في هذه المؤامرة ، واتفقوا على قتل المعتصم ، غير أنه علم بما دبروا له من الكيد ، فحبس العباس في السجن ، ومنع عنه الماء حتى مات ، والحق به شريكه في المؤامرة عجيفا . (٢)

كما ثار العرب كذلك على المعتصم في بلاد الشام ، وثار الأكراد في الموصل ، الا أن هذه الثورات باءت جميعها بالفشل في مهدها ، بعد أن تمكن المعتصم من ابادة قادة الجند من العرب ، وفي نفس الوقت فقد أخذت الرغبة تزداد في نفوس القادة الاتراك في انتزاع السلطة من الخليفة يوما بعد يوم ، اذ لم يكونوا جادين في اخلاصهم له ، وقد تم لهم ما رغبوا فيه وأرادوا ، واتضح للناس بجلاء خطر اعتماد الخلفاء العباسيين على الاتراك (٣) .

---

(١) انظر النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٣٣

(٢) انظر تاريخ الطبري حـ ٩ ص ٧٧ ، التاريخ الاسلامي العام ص ٤١٥ ـ ٤١٦

(٣) انظر التاريخ الاسلامي العام ص ٤١٥ ـ ٤١٦

وقد عبر الشاعر دعبل الخزاعي (ت٢٣٦هـ) عن شعور العرب نحو الأتراك فقال يهجو المعتصم :ـ

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم *** وصيف وأشناس وقد عظم الخطب
واني لأرجو أن ترى من مغيبها *** مطالع شمس قد يغص بها الشرب
وهمك تركي عليه مهانة *** فأنت له أم وأنت لـه أب (١)

أدرك المعتصم في نهاية حياته خطر اعتماده على الأتراك ، وندم على تمكينه لهم أشد الندم ، ولكن ندمه جاء متأخرا بعد أن استفحل الخطب ، واستشرى الداء ، وفات الأوان ، واتسع الخرق على الراقع ٠

توفي المعتصم في شهر ربيع الأول سنة (٢٢٧هـ) وبويع بالخلافة لابنه الواثق بالله ، وقد كانت حالة الجيش في عهده زكما كانت في حياة والده الا أن قدم المماليك الذين اصطنعهم المعتصم توطدت ،وصار الأتراك أصحاب نفوذ عظيم ٠(٢) وقد اشتدت شوكة المعتزلة (٣) في عهد الواثق ،واضطهد كثيرا من المحدثين والفقهاء المتمسكين بأهداب السنة النبوية الشريفة ، والملتزمين بمنهج السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ، وأخذت

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٣٣٥

(٢) انظر تاريخ الامم الاسلامية ص ٢٤٩

(٣) المعتزلة :ـ هم اصحاب واصل بن عطاء الغزال ،وعمرو بن عبيد ،ولهم الاصول الخمسة في الاعتقاد وهي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وهم ينكرون صفات الله ، وهم يشاركون القدرية في جعلهم العبد خالقا لافعاله ، ويشاركون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة ،، والمعتزلة فرق متعددة ، انظر حول فرقهم مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٣٥ ، الفرق بين الفرق ص ١١٤ ،تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ١٤٢

فتنة القول بخلق القرآن في عهده شكلا واضحا ، وقد قتل الواثق بسببها أحمد بن نصر الخزاعي • (١)

ويموت الواثق سنة (٢٣٢هـ) فينقضي العصر الذهبي للدولة العباسية، وينتهي العصر العباسي الأول ، الذي شهد عظمة الخلافة الاسلامية ، وما كان يتمتع به الخلفاء من قوة وهيبة ، ليبدأ عهد جديد يصير فيه الخليفة العوبة بيد الأتراك لاحول له ولا قوة •

ويبايع المتوكل بالخلافة سنة (٢٣٢هـ) وفي عهده بدأ الانحلال والضعف يدب في جسم الدولة الاسلامية، فقد قويت شوكة الأتراك وتوطد سلطانهم وزعمتهم الأحداث ، وأصبحوا هم أصحاب الحل والعقد • وقد كان المتوكل معتدلا ، أحب أهل السنة والجماعة وقربهم منه ، وقمع المعتزلة ، ونهى الناس عن القول بخلق القرآن ،فاكتسب بذلك محبة المسلمين حتى قالوا : الخلفاء ثلاثة : ابو بكر الصديق يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز في رده للمظالم، والمتوكل في احياء السنة واماتة التجهم (٢) • (٣)

---

(١) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ،امتحن على يد الواثق في مسألة خلق القرآن وتمسك بمذهب السلف في هذه المسألة وقال بقولهم ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، فقتله الواثق بسبب اصراره على القول بقول السلف سنة ٢٣١هـ ، انظر تاريخ الطبري جـ ٩ ص١٣٩ •

(٢) التجهم : نسبة الى أتباع جهم بن صفوان السمرقندي ،رأس الجهمية الضال المبتدع ، هلك زمن صغار التابعين،تتلمذ على يد الزنديق الجعد بن درهم الذي ابتدع القول بخلق القرآن ،وكان الجهم يزعم أن الله لم يكلم موسى عليه السلام تكليما ،ولم يتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا ،وقد تفرد بالقول بأن الجنة والنار تفنيان ،ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ،وزاد عليهم اشياء كثيرة وزرع في الأرض شرا عظيما ،قتل الجهم سنة ١٢٨هـ ،انظر ميزان الاعتدال جـ ١ ص١٩٧ لسان الميزان جـ ٢ ص١٤٢ ، الرد على الجهمية للدارمي ضمن عقائد السلف ص ٢٥٨•

(٣) انظر تاريخ الخلفاء ص٣٤٦ ، تاريخ الاسلام السياسي جـ ٣ ص٤ ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ص٩٢ •

يقول السيوطى فى شأن المتوكل : " وأظهر الميل الى السنة ، ونصر أهلها ورفع المحنة ،وكتب بذلك الى الآفاق وذلك فى سنة أربع وثلاثين ، واستقدم المحدثين الى سامراء ،وأجزل عطاياهم وأكرمهم ،وأمرهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية) (١)

وحاول المتوكل التخلص من القادة الأتراك ، ولكنه لم يفلح فى ذلك ، فكانت منيته على أيديهم بالتآمر مع ابنه المنتصر الذى لم يدم فى الحكم طويلا ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن الأتراك دسوا له ما يقتله (٢) ، وكان مقتله فى شوال سنة (٢٤٧هـ) ، وخلفه ابنه المنتصر فادعى أن الذى قتل والده هو الفتح بن خاقان ت (٢٤٧هـ) (٣) وقد كان المنتصر فى سلوكه حريصا كل الحرص على توفير أسباب السعادة والرفاهية للناس . ومع مرور الأيام أخذت العلاقات تزداد سوءا بين المنتصر والأتراك ، وكان يسبهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء ، ففكروا فى قتله ، وتمكنوا من اغراء طبيبه ابن طيفور بذلك ،واعطوه ثلاثين الف دينار فقصده بريشة مسمومة فمات فى ربيع الآخر سنة (٢٤٨ هـ) وله من العمر ستة وعشرون عاما ،ولم يلبث فى خلافته سوى ستة أشهر (٤) وبويع بالخلافة بعده للمستعين بالله فى اليوم الذى مات فيه المنتصر ،وكان المستعين بالله ضعيفا ازاء قوة الأتراك ،لا يؤبه لرأيه ولا يلتفت اليه ، وكان كما قال الشاعر :

خليفة فى قفص — بين وصيف وبغا

يقول ما قاله لا — كما تقول الببغا (٥)

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٣٤٦

(٢) انظر الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكريه ص ٦٥

(٣) انظر تاريخ الطبرى حـ ٩ ص ٢٢٨

(٤) انظر المصدر نفسه هـ ٩ ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣

(٥) ابن قتيبة للدكتور محمد زغلول سلام ص ٩

واتسعت شقة الخلاف بين المستعين وبين الأتراك ، ودبروا المؤمرات لقتله ، وانشقوا على أنفسهم ، فهرب منهم الى بغداد. الا أن حزبا في سامراء بقى يطالب بعودة الخليفة اليها ، ولما رفض المستعين بالله الرجوع الى سامراء بايعوا المعتز بالله ابن المتوكل بالخلافة سنة (٢٥٢ هـ) ، فقامت الحرب بين الخليفتين واستمرت عدة شهور ، عمت البلاد اثناءها موجة من الفوضى وسوء الأحوال الاقتصادية، فغلت الأسعار ، وزاد البلاء على الناس . وقد حاول المعتز بالله التخلص من الأتراك ولكنه لم ينجح في تحقيق هدفه ، فهجموا على القصر ، وأخذوا الخليفة ووضعوه في الشمس فوق الرمال الحارة يرفع رجلا ويضع أخرى ، وأخذوا يضربونه بالدبابيس ثم أرغموه على التنازل للمهتدى بن الواثق . وقد مات المعتز بالله في سجنه جوعا وعطشا سنة (٢٥٥هـ) (١) ، وتقلد المهتدى الخلافة بعد موت المعتز بالله ، وكان المهتدى فاضلا ورعا عابدا لله ، يكره اللهو واللعب ، فأبعد المغنيين والموسيقيين والقيان وأخرجهم من القصر ، ومنع الشراب ، وجلس للمظالم ، وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) .

ويقول: انى أستحى أن يكون في بنى أمية مثله ، ولا يكون مثله في بنى العباس ، ولكن الأتراك غلبوه على أمره ، وشلوا نفوذه . فقد حاول أن يوقع بينهم ولكنه لم يفلح ، فتآمروا على قتله ، وكان المهتدى قد قتل بعض الموالى فثاروا عليه على اثر ذلك فأسروه ثم خلعوه وعذبوه حتى مات سنة (٢٥٦هـ) (٢) وبويع بالخلافة بعده ، لأكبر ابناء المتوكل ولقب بالمعتمد ، وكان ماجنا مستهترا عاكفا على الملذات ، والشهوات ، حجر عليه أخوه الموفق ، وقد كان الموفق شجاعا حازما ذا موهبة عسكرية ، وكان هو الحاكم الفعلى للبلاد ، فقد تولى قيادة الجيش واستطاع أن يحد من

---

(١) انظر تاريخ الطبرى حـ ٩ ص ٣٨٩ ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ٧٢ ـ ٧٣ ـ تاريخ الاسلام السياسى حـ ٣ ص ١٠

(٢) انظر تاريخ الخلفاء ص ٣٦١ ، الفخرى ص ٢٤٦

نفوذ الأتراك ، كما تمكن من اخماد ثورة الزنج وقتل زعيمهم (١) فأعاد الخلافة العباسية شيئا غير قليل من هيبتها ، فطامن الترك من غلوائهم ، وكفكفوا من شرهم عندما وجدوا من الموفق قوة وصلابة ، وقد توفي الموفق في صفر سنة (٢٧٨هـ) وبعد أشهر مات المعتمد في رجب من السنة نفسها ، وقد ازدهر عصره بطائفة من العلماء الأعلام . (٢)

وبعد موت المعتمد بويع بالخلافة للمعتضد بالله ، وفي عهده خرج عمرو بن الليث الصفار (ت ٢٨٩هـ) أحد زعماء الصفارية ، واستولى على كثير من بلاد الفرس ، كما ظهر القرامطة (٣) في الكوفة والبحرين ، وظهر ابن حوشب في اليمن حيث نشر الدعوة للمهدي ، وظهر ابو عبد الله الشيعي (ت ٢٩٨هـ) الذي نشر الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب ، وظهر نصر بن أحمد الساماني (٢٧٩ هـ) مؤسس الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر (٤) .

---

(١) قيل ان اسمه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأما نسبه هذا فليس عند النسابين بصحيح ، وهم يعدونه من الادعياء ، وقال بعضهم ان اسمه بهبوذ ، وقد كان رجلا فصيحا بليغا ، استمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها فاجتمع اليه منهم خلق كثير ، وناس آخرون غيرهم ، وعظم شأنه وقويت شوكته ، وخرج اليه الموفق بجيوش كثيرة ، فالتقيا بين البصرة وواسط ، ودامت الحروب بينهما سنين كثيرة قتل بسببها كثير من الناس وانتهت الحرب بقتل زعيم الزنج سنة (٢٧٠هـ) وانتهبت مدينه صاحب الزنج ، انظر الفخري ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، تاريخ الخلفاء ص ٣٦٣

(٢) انظر تاريخ الطبري حـ ١٠ ص ، قرامطة العراق ص ١٢٩ ، تاريخ الاسلام السياسي حـ ٣ ص ١٦ ـ ١٧ الامام الطبري ومنهجه في التفسير ص ٩ .

(٣) القرامطة : فرقة من الفرق الخارجة عن الاسلام ، اسسها رجل اسمه حمدان بن قرمط ، وهي فرق الباطنية الذين يحكمون بأن لكل ظاهر باطنا ، وأن لكل تنزيل تأويلا ، وخطرهم على المسلمين أشد من خطر اليهود والنصارى . انظر الفرق بين الفرق ص ٢٨٢ ـ العصر العباسي الثاني ص ٣٣ .

(٤) انظر تاريخ الاسلام السياسي حـ ٣ ص ١٧ ـ ١٨

وكان المعتضد شهما جلدا صبورا شجاعا ، لقى الحروب ، وعرف فضله فقام بالأمر أحسن قيام ، وهابه الناس ورهبوه ، وسكنت الفتن فى أيامه لفرط هيبته ، وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء ، فقد أسقط المكوس ، ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية ، وكان يسمى السفاح الثانى لأنه جدد ملك بنى العباس بعد أن ضعف وكاد أن يزول ، وفى عهده تضاءل نفوذ الأتراك وضعفت شوكتهم تبعا لما كان عليه من قوة شكيمة وشدة مراس وقد مات سنة (٢٨٩هـ) (١) . وبويع بالخلافة بعده لابنه المكتفى بالله ، وقد انتكست الدولة فى عهده بعد انتعاشها فى خلافة الموفق والمعتضد ، وعاد الأتراك سيرتهم الأولى فى التحكم والسيطرة ، وفى أيامه كان السامانيون هم أصحاب النفوذ المطلق فى بلاد فارس ، كما تفاقم شر القرامطة حول بغداد والبصرة ، وفى سورية واليمن ، وألقوا الرعب فى قلوب الناس ، ودارت معارك طاحنة بينهم وبين المسلمين ، انتهت بهزيمتهم وقتل زعيمهم ، كما قضى على الدولة الطولونية ، وأصبحت مصر خاضعة للخلافة العباسية . وقد كان المكتفى محبوبا عند الناس ، كان كريما عادلا ذا خلق حسن ، رد الحقوق الى أهلها ، وأهتم ببناء المساجد ، وازالة السجون الأرضية التى كان والده قد بناها ، وكانت تسمى حينذاك بالمطامير ، وبنى فوقها مساجد ، كما أرجع البساتين التى اغتصبها أبوه ليبنى قصره عليها . (٢)

وقد مات المكتفى فى ريعان الشباب سنة (٢٩٥هـ) وخلفه أخوه المقتدر وهو صبى فى الثالثة عشرة من عمره ، وعرف عهده بعهد تدخل النساء فى شئون الحكم وشئون الدولة ، مما أدى الى اضعافها وضياع هيبتها بعد أن التقطت أنفاسها واستردت كثيرا من هيبتها على يد سابقيه ، فقد كانت أمه صاحبة الأمر والنهى ، وكان لها قهرمانة تجلس للمظالم والفصل بين المنازعات فى الرصافة

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء ص ٣٦٩

(٢) المصدر نفسه ص ٣٧٦

فـي كل جمعـة،وحولها القضاة والأعيان (١) ،وبذلك ذهبت هيبة الخلافة وازدراها الناس ،وتما كان الخليفة الصوبة في أيدي الوزراء ،فقد خلع المقتدر في المرة الأولى ، وولي مكانه ابن المعتز ، ولقب بالمرتضي بالله (ت ٢٩٦هـ) ،وكان أديبا شاعرا قادرا على تحمل أعباء الخلافة ، اشترط على من جاؤا به ألا يريقوا في سبيل ذلك دما . روى السيوطي أن الامام ابن جرير الطبري – وكان في آخر أيامه – لما بلغه خبر خلع المقتدر ومبايعة ابن المعتز قال : ما الخبر ؟ قالوا بويع ابن المعتز . قال : فمن رشح للوزارة؟ قالوا محمد بن داود (ت ٢٩٦هـ) ، قال فمن ذكر للقضاء ؟ قالوا أبو المثنى (ت ٢٩٦هـ) فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم ، قيل له وكيف؟ قال : كل واحد ممن سميتموهم متقدم في معناه على الرتبة ،والزمان مدبر، والدنيا مولية ،وما أرى هذا الا الى اضمحلال ،وما أرى لمدته طولا .) (٢)

وقد حدث ما توقعه الامام ابن جرير ،فقد قتل ابن المعتز بعد يوم وليلة، وأعيد المقتدر للخلافة ثانية ، وفي سنة (٣١٧هـ) خرج عليه مؤنس (ت ٣٢١هـ) الخادم التركي ومعه أعوانه،ونادوا بخلعه ثانية ،وبايعوا ابن المعتضد ولقبوه بالقاهر بالله (ت ٣٣٩هـ) ، ولكن الجند لم تسكن ثأرتهم حتى أعادوا المقتدر بالله مرة أخرى فأعطاهم أرزاقهم وزاد عليها .

يقول السيوطي : وعزلوا القاهر فأخذ يبكي ويقول : الله الله في نفسي فاستدعاه المقتدر وقبله ، وقال له يا أخي أنت والله لا ذنب لك ، والله لا جرى عليك مني سوء أبدا فطب نفسا .) (٣)

غير أن مؤنس التركي لم تهدأ ثأرته حتى وكل بالخليفة رجلا من أتباعه فذبحه وسلبه ثيابه ،وتركت جثته مكشوفة أياما سترها بعض الناس بالأعشاب . ثم

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٨١

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨٣

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨٤

دفنه بالموضع الذى ذبح فيه بعد حكم فاسد استمر خمسة وعشرين عاما ، وكان ذلك فى شوال سنة (٣٢٠هـ) (١) .

يقول صاحب الفخرى : ((وأعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير، لصغر سنه ، ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم ، وهو مشغول بلذاته ، فخربت الدنيا فى أيامه وخلت بيوت المال ، واختلفت الكلمة فخلع ثم أعيد ثم قتل)) (٢) .

وفى عهد المقتدر توفى الامام ابن جرير الطبرى رحمه الله ، هذا وقد كان للضعف فى بعض الخلفاء العباسيين ، وانغماسهم فى الترف واللهو والمجون ، وسيطرة الأعاجم عليهم ، وما سبقه ورافقه من عوامل الأثر الكبير فى كثرة الانفصالات عن الدولة العباسية ، واستقلال بعض الأسر المشهورة فى كثير من الأقاليم ، فلم يبق للعباسيين فى تلك الأقاليم سوى الدعاء لهم يوم الجمعة والعيدين ونزرا يسيرا من الهدايا .

وفيما يلى بيان لأهم الأسر التى استقلت عن الدولة العباسية :-

(١) الاخشيديون فى مصر من سنة ٢٣٢ هـ ـ ٣٥٨ هـ .

(٢) الأدارسة فى مراكش من سنة ١٧٢ هـ ـ ٣٧٥ هـ .

(٣) الأغالبة فى تونس وما حولها من سنة ١٨٤ هـ ـ ٢٩٦ هـ .

(٤) الطولونيون فى مصر ثم الشام والحجاز من سنة ٢٥٤ هـ ـ ٢٩٢هـ .

(٥) الامارة اليعفرية فى اليمن من سنة ٢٤٧ هـ ـ ٣٤٥ هـ .

(٦) العلويون فى طبرستان من سنة ٢٥٠ هـ ـ ٣١٦ هـ .

(٧) الطاهريون فى خراسان من سنة ٢٠٥ هـ ـ ٢٥٩ هـ .

(٨) الصفاريون فى فارس من سنة ٢٥٤ هـ ـ ٢٩٠ هـ .

(٩) السامانيون فى بلاد ما وراء النهر من سنة ٢٦١ هـ ـ ٣٨٩ هـ .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٣٨٤

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٦٤

(١٠) الحمدانيون فى سوريـا من سنة ٣١٧ هـ ـ ٣٩٤ هـ •

(١١) الفاطميون فى المغرب ثم توسعوا الى مصر من سنة ٢٩٧هـ ـ ٥٦٧هـ (١)

ومما هو جدير بأن الفت الانتباه اليه فى هذا البحث هو الأخطاء التـى وقع فيها الخلفاء العباسيون ، لأن الغرض من عرض الأخطاء هو معرفتها لتجتنب ، ومعرفة الصواب ليعمل به ، ومن أهم هذه الاخطاء ما يلـى :

(١) عدم الرجوع فى أمر الخلافة الى رأى ومشورة أهل الحل والعقد من المسلمين ، حيث صارت الخلافة أشبه ما تكون بالتركـة ، مما أدى الى تنصيب من لايصلح للخلافة من الفسقة وأهل المجـون • وكما هو معلوم أن توريث الخلافة ليس هو الطريق السـوى فـى الوصول اليها ، اذ لم ينتهجه الخلفـاء الراشدون رضى الله عنهم •

(٢) ولاية العهد لأكثر من شخص واحد ، وهذا الخطأ كان له الأثـر الكبيـر فى سقوط الدولة الأموية ، فقد حصل بسببه التناحر والتنافـر بين الأمويين ، ثم وقع فيه الخلفاء العباسيون ، فلم يعتبروا بأخطاء الأمويين فيجتنبوهـا ولكنهـم وقعوا فيها منذ أن آل الأمر اليهم ، حيث عهد السفاح (ت ١٣٦هـ) بولاية العهد فى سنة (١٣٦هـ) الى أخيه أبى جعفـر المنصور (ت١٥٨ هـ) ثم من بعده لعيسى بن موسى (ت ١٦٧هـ) (٢) ، فلما ولى ابو جعفـر المنصور الخلافة حمل عيسى بن موسى على التنازل عن الخلافة لابنه المهـدى (ت١٦٩ هـ) بالتهديد والاكـراه ، ثم عهد المهدى بعد تولية الخلافـة بولاية العهد لابنيه الهادى (ت ١٧٠هـ) والرشيد (ت١٩٣هـ) فلما ولـى الهادى حاول عزل الرشيد فامتنع ، ومات الهادى قبل أن يتم له ذلك، ولكـن الرشيد لم يأخذ العبرة من محاولة قتل الهادى له لاجل ولاية العهد ، فبايـع

---

(١) انظر الخلافه العباسيه فى عصر الفوضى العسكريه ص٢٤٤ ـ ٢٤٥

(٢) انظر محاضرات فى تاريخ الامم الاسلاميه ص٥٢ ـ ٥٣

بولاية العهد لابنه الأمين (ت١٩٨ هـ) وعمره خمس سنوات ، ثم لابنه المأمون (ت٢١٨ هـ) ، ثم بايع لابنه القاسم (الملقب بالمؤتمن ت ٢٠٨هـ) من بعد أخويه ، وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي ٠ (١)

(٣) اعتماد أغلب الخلفاء العباسيين في ولاياتهم على كثير من الأعاجم الذين لم تكن لهم سابقة في الاسلام ، ولا عرف عنهم من حسن التقوى والصلاح ما يحملهم على توليتهم ، وكان الأولى بخلفاء بني العباس أن يسندوا أمر الحكم في الولايات الاسلامية الى الأكفاء من أهل التقوى والصلاح من المسلمين ٠

يقول الامام ابن كثير : ((لما بويع للمأمون بالخلافة ولى الحسن بن سهل (ت٢٣٦هـ) وهو من الأعاجم ـ نيابة العراق ، وفارس ، والأهواز ، والكوفة ، والبصرة ، والحجاز ، واليمن ، وبعث نوابه الى هذه الأقاليم) (٢) فانظر الى كثرة الأقاليم التي تولاها شخص واحد لكونه صاحب حظوة وجاه عند الخليفه (٣) ٠

(٤) الترف وانفاق الأموال من بيت مال المسلمين في غير وجهها الشرعي ، ولغير تأليف قلوب الناس على الدخول في الاسلام ، فقد كان بعض الخلفاء العباسيين لا يجدون حرجا في إعطاء أحد الشعراء لقصيدة مدح قالها في أحدهم مائة ألف دينار ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهي مشهورة ومثبوتة في ثنايا كتب الأدب والتاريخ ، نضرب منها مثلا بموقف المتوكل من الشاعر علي بن الجهم (ت٢٤٩هـ) حين مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

---

(١) انظر دولة بني العباس ج ١ ص ٣٠٨ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٣٢

(٢) البدايه والنهاية جـ ١٠ ص ٢٤٤ ٠

(٣) انظر ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف ص ١٧

بسر من رأى امام عادل — تغرف من بحره البحار

الملك فيه وفي بنيه — ما اختلف الليل والنهار

يرجى ويخشى لكل أمر — كأنه جنة ونار (١)

فأعطاه على هذا المديح درتين نفيستين قيمة كل درة مائة الف درهم . (٢)

غير أن هناك عدة نصوص تعترض الباحث عند دراسته للمصادر التاريخية لتلك الحقبة الزمنية تصور خلفاء بني العباس بأنهم وحوش ضارية ، لا هم لهم الا جمع الأموال بشتى الطرق والوسائل ، وتبذيرها في مجالات اللهو والعبث والترف ، واغداق الهبات والاعطيات على الشعراء وأهل المجون وسفلة الناس من المغنيين والملهين ، ولاهم لهم كذلك الا اقتناء الجواري ، ومعاقرة الخمرة ، وتصورهم كذلك بأنهم يتخبطون في السياسة ، ويفتكون بالمعارضين لمجرد الهوى والشهوة ، ولا يرجعون في أمورهم العامة والخاصة الى الشرع الحنيف .

وتعترض الباحث كذلك نصوص أخرى تصورهم بأنهم اتقياء بررة يعظمون أمر الله ، ويصلون بالناس أئمة ، ويخطبون بهم الجمع والأعياد ، ويقودون الجيوش لمحاربة الكفار والمارقين عن الاسلام لاعلاء كلمة الله ونشر الاسلام بين الناس ، ويكثرون البكاء من خشية الله سبحانه وتعالى ، ويقيمون حدود الله دون مجاملة أحد في ذلك ، ويقدرون العلماء ويجلونهم الى غير ذلك من الصفات الطيبة والاخلاق الحميدة .

ولكن الحق الذي ينبغي أن يقال في هذه النصوص ، والموقف الذي يجب على الباحث المسلم المنصف أن يقفه حيالها هو ما يلي :ـ

---

(١) هذا البيت فيه خطورة على المعتقد ـ ان لم يكن لقائله وجه من التأويل ـ لان الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يرجى ويخشى لكل أمر ، فبدلا من أن يستتاب هذا الشاعر على هذا الكلام السيء يعطى الجوائز النفسية ، نعوذ بالله من غلبة هوى النفس .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٣٦ ، العصر العباسي الثاني ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨

(١) ان تصوير خلفاء بنى العباس بتلك الصورة الهزيلة المزرية أغلبه من وضع الشيعة (١) والشعوبية (٢) الذين يحملون حقدا دفينا على بنى العباس بخاصة وعلى الاسلام وأتباعه بعامة •

يقول الشيخ محب الدين الخطيب (تاريخ بنى أمية وبنى العباس كتبه وأذاع الروايات عن أخباره مؤلفون اكثرهم من الشيعة والشعوبية ، فأفسدوا على هذه الامة تاريخها وشوهوا محاسن ماضيها) (٣) •

كما أن تصويرهم بأنهم أتقياء بررة من صنع حواشيهم وصنائعهم الذين يمدون أيديهم الى الخلفاء وألسنتهم بالمدح الكاذب •

---

(١) الشيعة : هم القائلون بأن الامامة وراثية فى أهل البيت ، ويقدمون على ابن ابى طالب رضى الله عنه على سائر الصحابة رضى الله عنهم ، ويطعنون فى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونهم لم يعطوا الخلافة عليا رضى الله عنه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم على درجات وملل مختلفة ،وبعضهم لهم مذاهب متطرفة تخرجهم عن ملة الاسلام ، انظر حول نحلهم وفرقهم الفرق بين الفرق ص ٢٩ ، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٦٥ ، تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ١٦٤ •

(٢) الشعوبية : دعوة خبيثة اشتدت فى العصر العباسى الثانى، وكان هدف أصحابها التشكيك فى مبادىء الاسلام ، عن طريق الاشادة بامجاد الفرس والروم والهنود وحضارتهم والطعن فى العرب المسلمين بذكر مساوىء العرب فى الجاهلية وطمس الفضائل التى كان يتحلى بها العرب قبل الاسلام وبعده. وانضم الى دعاة الشعوبية كثير من السريان والأرمن ،وقد تصدى لهم كثير من العلماء المسلمين امثال ابن قتيبة رحمه الله تعالى. انظر العصر العباسى الثانى ص ٩٧

(٣) مختصر منهاج السنة للذهبى تحقيق محب الدين الخطيب هامش ص ١٨٢

(٢) لو كان حال الخلفاء العباسيين كحال الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أو قريبا منها ولما امتلأت كتب التاريخ والادب بذكر طرف من فسقهم وفجورهم ، في الوقت الذي لم يذكر فيه شيء من ذلك عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وقد كان في عصره شيعة وكذابون ، وسرد ذلك الى عدله الذي طبق الآفاق وحال دون ذلك ، فلا تقبل عليه الأكاذيب ،فلو كان حال الخلفاء العباسيين كحاله كذلك أو قريبا منها ، لما راجت عليهم هذه الروايات — وان كان فيها مبالغة كبيرة — فان كثرة الأخبار وورودها من طرق مختلفة دليل على أن لبعضها نصيبا من الصحة .

(٣) وعلى الرغم من وجود بعض الانحرافات عند معظم الخلفاء العباسيين الا أن — الصبغة العامة للدولة كانت اسلامية ،فالجهاد في سبيل الله قائم ، وشرع الله مطبق بين الناس ،وولاء المسلمين لبعضهم ، والفضيلة منتشرة بين الناس ، والرذيلة مقموعة غالبا . (١)

وقد عاش الامام ابن جرير رحمه الله تعالى تلك الأحداث السياسية وهو المؤرخ المعاصر — ودافع عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخدمهما خدمة جليلة ، ووقف بقوة وصلابة ضد أفكار المعتزلة،والجهمية ، والرافضة ، التي كانت رائجة في عصره ، فسخر قلمه وعلمه لخدمة كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدفاع عن عقيدة السلف الصالح وتاريخ المسلمين .

---

(١) انظر ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف ص ١١ — ١٢

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية

هذه هي حالة المجتمع السياسية ، اما الحالة الاجتماعية • فقد كان المجتمع ينقسم الى ثلاث طبقات رئيسية هي :ـ

(١) الطبقة المترفة : وتشتمل على الخلفاء والوزراء والقادة والولاة ومن يلحق بهم من الأمراء ، وكبار رجال الدولة ، وكبار التجار، واصحاب الاقطاع، والاعيان، وذوي اليسار والجاه والثراء •

(٢) الطبقة الوسطى : وتشتمل على رجال الجيش ، وموظفي الدواوين، والتجار، والصناع الممتازين •

(٣) الطبقة الدنيا : وتشتمل على العامة من الزراع، وأصحاب الحرف الوضيعة، والخدم، والرقيق •

وقد كانت الطبقة الأولى المترفة تغرق في النعيم ، وتتمتع بالخيرات والنعم ، فكان المال يتدفق عليها ، وينفق أهلها في اسراف هم ونساؤهم وأتباعهم ، بينما يعيش بقية الناس في فقر ومسغبة الا من كان على صلة بالخلفاء والوزراء ورجال الدولة ولم يكن الفقر ناشئا عن فقر الدولة وقلة مواردها ، بل كان نتيجة للاسراف والتبذير وعدم العناية بموارد بيت المال وتنميتها ، فقد كان بيت المال قائما على الجزية والخراج ، وكان ذلك كله تحت تصرف الخلفاء والوزراء ، ينفقون بعض هذا المال على متطلبات الدولة ، وينفقون الجزء الاعظم منه على شهواتهم وملذاتهم ، لهذا اتجهت أنظار الناس الى الخلفاء والحكام ، وخاصة بعض العلماء والشعراء لكي يعيشوا في ظلهم ، ويتمتعوا بجوائزهم ومنحهم (١)• وتظهر لنا صورة الترف

---

(١) انظر العصر العباسي الثاني ص ٥٣ ، ظهر الاسلام جـ ١ ص ١١٤ ـ ١١٥ جـ ٢ ص ١٢ •

واضحة في القصة التي يرويها الامام ابن كثير عن زواج المأمون من بوران (توفيت ٢٧٠ هـ) ابنة وزيره الحسن بن سهل، ومقدار الأموال التي انفقت على وليمة الزواج من قبل الحسن ، ومظاهر الترف التي صاحبته، يقول الامام ابن كثير : (ونثر عليها أبوها يومئذ وعلى الناس بنادق المسك مكتوب في ورقة وسط كل بندقية اسم قرية أو جارية أو غلام أو فرس، فمن وصل اليه شيء ملكه ، ونثر ذلك على عامة الناس ونثر الدنانير ونوا فج المسك وبيض العنبر ،وأنفق على المأمون وعسكره مدة اقامته . تلك الأيام الخمس ألف الف درهم ، فلما ترحل المأمون أطلق له عشرة آلاف درهم وأقطعه فم الصلح ز، وبنى بها في سنة عشر ، فلما جلس المأمون فرشوا له حصيرا من ذهب ،ونثروا على قدميه الف حبة جوهر ، وهناك ثور من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين منا من عنبر ، فقال هذا سرف.) (١)

فاذا كانت هذه الأموال يملكها وزير واحد ، بل يملك أضعافها أضعافا كثيرة ـ لأنه ليس من المعقول أن ينفق أمواله كلها أو نصفها في يوم واحد ،وعلى زواج احدى بناته ـ فكم تكون ثروة الخليفة ؟

ان ثروة الخليفة لا تكاد توصف، فهي كثيرة يصعب حصرها ،وبالقاء نظرة على قصور المتوكل مثلا ، تظهر لنا ضخامة الثروة التي كان يمتلكها الخلفاء، يقول الدكتور شوقي ضيف عن قصور المتوكل : (وكان كلما بنى قصرا أتبعه بآخر حتى بلغت قصوره نحو العشرين وهي : بركوار (دار الهناءة) ، والشاة ، والعروس والبركة ،والجوسق ،والمختار ، والجعفرى ،والغريب ،والبديع ،والصبح ، والمليح والشبداز ، والقصور ، والجامع ، والقلاية ، والبرج ، والمتوكلية ،والبهو ، واللؤلؤة ، وبلغ ما أنفقه على تلك القصور مائتين وأربعة وسبعين مليونا من الدراهم .) (٢) ويصف الدكتور شوقي ضيف قصر البرج بقوله :

---

(١) البداية والنهاية جـ ١١ ص ٤٩ ـ ٥٠

(٢) العصر العباسي الثاني ص ٥٥ نقلا عن الديارات ص ١٤٩

(وكان البرج من أجملها زينة ، اذ جعل فيه صور عظيمة من الذهب والفضة ، وبركة جعل فرشها ظاهرا وباطنا صفائح الفضة ، وشجرة ذهب على أغصانها وفروعها طيور تغرد وتصفر مكللة بالجوهر ، وسميت طوبى (اسم شجرة من أشجار الجنة) واتخذ له سرير كبير من الذهب عليه تمثالا سبعين عظيمين ، ودرج عليه صور السباع والنسور ، والبست حيطان القصر من الداخل والخارج بالفيسفا ء والرخام المذهب ، ويقال ان نفقة هذه القصر وحده بلغت مليونا وسبعمائة الف دينار .) (١)

فاذا كانت هذه قصور الخليفة فكم تكون كنوزه وضياعه ؟ انها بلا شك كثيرة وفيرة يصعب حصرها .

وقد كان من مظاهر الترف ــ فى عصر الامام ابن جرير ــ بالاضافة الى ما سبق كثرة الجوارى والغلمان فى بيوت الطبقة المترفة كثرة مفرطة ، وكانت الجوارى التى ملأت قصور كثير من الخلفاء وبيوت كثير من أعوانهم يمثلن جنسيات متعددة ، فأصبحن بمرور الوقت من أكبر عوامل الفساد فى المجتمع فى ذلك العصر ، وذلك راجع الى عدم احتشامهن ، ومغالاتهن فى التزين ليفتتن الناس بهن ، واحتراف معظمهن مهنة الغناء فكان يجتمع كثير من الناس اليهن ليسمعوا أصواتهن .

كما كثر الحديث عن شرب الخمر ، حتى تغنى بعض الشعراء محبذين شربها ، دون خوف من الله عز وجل ولا وجل ، فقد كانت البساتين حول سامراء وبغداد تمتلئ بحانات الخمر والسماع للشعراء والمغنيين والمغنيات ، وكان معظم العاملين بهذه الحانات من أهل الذمة ، وساعدت الاديرة فى تشجيع اللهو والمجون واستحالت الأديرة فى هذا الجو الماجن الى دور للهو والعبث ، وهيأ لها ذلك أنها كانت تقدم لزوارها الخمور المعتقة ، وكانت الأديرة متناثرة فى ضواحى بغداد وسامراء وغيرهما من مدن العراق ، فتردد عليها كثير من الناس والشعراء

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٥ نقلا عن الديارات ص ١٦٠

وحولت الى مجالس للخمرة والمجون ،واكثروا من التغنى بهذه الأديرة،ووصف متاعهم بخمورها،ونشوتهم بها وسقاتها من الرهبان والراهبات (١) .

ومما هو جدير بالملاحظة أن كثرة مظاهر الترف فى حياة الفئة المترفة، أثرت تأثيرا كبيرا فى تدهور الأخلاق ، والتردى فى حمأة الفساد والرذيلة ، وانتشار الفقر فى اوساط الناس ، مما أدى الى ظهور الكذب ،والحسد والحقد والخديعة والمكر نتيجة للفقر المقابل للترف ،وساهم الفقر مساهمة فعالة فى بروز نزعة التصوف وما صاحبها من خرافة ،وساعد أيضا فى انتشار الدجل والتخريف والشعوذة ، وتعلق الناس بالأسباب الموهومة فى الحصول على الغنى ـ لعجزهم عن تحصيله بالأسباب المعقولة ومن هذه الاسباب الموهومة : التنجيم والاعتقاد فى الطوالع التى تسعد وتشقى ، وانصرافهم الى الكيمياء التى تقلب النحاس والقصدير ـ فى ظنهم ـ ذهبا ،والالتجاء الى دعوات بعض المخرفين الذين يظنون أنهم أولياء لله ـ لعل دعوتهم تتحقق فينقلب فقرهم الى غنى ، وقادهم تواكلهم الى الاعتقاد فى السحر والطلسمات ، والبحث عن الكنوز المخبوءة (٢) ونحو ذلك (٣) .

بيد أن العناصر المفسدة من الفرس وغيرهم استغلت هذا الجو المشحون بالترف والمجون واللهو والعبث ، لبث سمومهم وأفكارهم السيئة ، والطعن والتشكيك فى دين الله عز وجل ، واخذوا على أنفسهم تقويض صرح الاسلام الشامخ ، ونخر أسسه من الداخل ، وهؤلاء الأعداء لا يتحرجون من ابداء بغضهم للاسلام عند خاصتهم ، واذا تمكن أحدهم لدى الخلفاء ،وكان له عندهم منزلة واطمأن بأنه لا يناله منهم مكروه أو عقاب ، أعلن ما يحيك فى صدره من عداوة للدين الاسلامي الحنيف ، كما أعلنها صراحة المتوكلى شاعر المتوكل حيث يقول :ـ

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٩٢ ـ ٩٤

(٢) حارب الاسلام كل مظاهر الدجل والشعوذة والخرافة والتواكل ، ونهى عن التطير وحرم السحر ،ودعا الناس الى التوكل على الله مع الأخذ بالاسباب .

(٣) انظر ظهر الاسلام جـ ١ ص ١٢١

أنا ابن الأكارم من نسل جـم — وحائز ارث ملوك العجـم
وطالب أوتارهم جهـرة — فمن نام عن حقهم لم أنـم
فقل لبنى هاشم أجمعين — هلموا الى الخلع قبل الندم
وعودوا الى أرضكم بالحجاز — لاكل الضباب ورعى الغنم
فانى سأعلو سرير الملوك — بحد الحسام وحرف القلم (١)

فى هذه الأبيات يتضح لنا بغض الشاعر ـ عليه من الله ما يستحق لبنى هاشم ، ومطالبته بأن يعود ملك الوثنيين الذى أزاله الله على يد المسلمين ، فهو ينطلق بشعره هذا من شعوبية حاقدة على العرب المسلمين ، وقد وجد كثيرون من أمثال هذا الشاعر اندسوا بين صفوف المسلمين أيام قوة المسلمين ،وأثروا فى عقيدة كثير من المسلمين تأثيرا بالغا ، وما موجة الشعوبية والزندقة (٢) والتجهم ، والاعتزال ، والرفض الا نتيجة لدسائس هؤلاء الاعداء الخبثاء ، الا أن القائمين على أمر المسلمين أدركوا خطورتهم فى بداية الامر ـ قبل عصر الامام ابن جرير ـ فأخذوا على عاتقهم حماية تعاليم الدين الاسلامى وحماية المسلمين من شرورهم ، فقد عين المهدى رجلا وكل اليه أمر الزنادقة سمى صاحب الزنادقة .

---

(١) معجم الادباء جـ ٢ ص ١٨ ،وانظر العصر العباسى الثانى ص ١٠٠

(٢) الزندقة : دعوة الحادية استمدت تعاليمها من عقيدة الفرس فى النور والظلمة ، ودعت الى التحلل والاباحية المسرفة ،والالحاد بالدين الاسلامى ، والمجاهرة بالاثم والفسوق والعصيان ،والتشكيك بالنبوات والطعن فى القرآن الكريم ، ومن اشهر الزنادقة ابن الراوندى واستاذه ابو عيسى الوراق . انظر العصر العباسى الثانى ص ١٠١ ـ ١٠٣

يقول الامام ابن جرير فى ذلك وهو يتحدث عن حوادث سنة ١٦٧ هـ (وفيها جد المهدى فى طلب الزنادقة والبحث عنهم فى الآفاق وقتلهم) (١) ويقول فى حوادث سنة ١٧٠ هـ " ان الرشيد فى هذه السنة أمن من كان هاربا أو مستخفيا غير نفر من الزنادقة •) (٢)

وقد شارك كثير من العلماء فى عصر الامام ابن جرير فى شن الحرب على الزنادقة ،والشعوبية ،وأرباب الكلام ، وأهل الاهواء والنحل ، وموجات المجون التى كان يذكى نارها الزنادقة ، وكشفوا زيفهم للمسلمين ، وبينوا خطورة أفكارهم على العقيدة ومبادئ الدين ، وكان الامام ابن جرير فى مقدمة هؤلاء العلماء المخلصين لدينهم ، المدافعين عن عقيدة السلف ، حيث سخر قلمه وعلمه للدفاع عن العقيدة السلفية السليمة من التحريف، والتأويل والتشبيه والتعطيل ، ضد شبهات الجهمية والمعتزلة والرافضة ، سوف نأتى على ذكره بالتفصيل فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى •

وأستطيع القول ان جميع الظواهر الاجتماعية التى رأينا من ترف وفجور ولهو عبث ومجون وفساد وفقر مدقع بين أوساط العامة ،وما صاحبه من دجل وخرافة وشعوذة وسحر وطلاسم وتنجيم ، وكذب وحسد وحقد وخبث ، وموجات الحادية يذكى نارها الزنادقة وغيرهم ، كل هذه الظواهر مجتمعة عجلت بنهاية الدولة الاسلامية فى تلك العصور التاريخية ،وأسلمتها للضياع والفناء ، حيث سقطت فريسة سهلة بين التتار عام ٦٥٦ هـ ولكن على الرغم من وجود كثير من مظاهر الترف والفساد السيء ،الا أن الطابع العام للمجتمع الذى عاش فيه الامام ابن جرير هو الطابع الاسلامى ، فقد كان كثير من الناس فى ذلك الوقت متمسكين بالفضيلة ،والاخلاق الحميدة ، بجانب التيارات المنحرفة الأخرى التى أشرنا اليها اعلاه ، فقد كان بين

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٨ ص ١٦٥

(٢) المصدر نفسه جـ ٨ ص ٢٣٤

ظهر انيهم كثير من العلماء الأفاضل والعباد الذين طبقت شهرتهم الآفاق ،وكان الجهاد فى سبيل الله قائما ،وعدد غير قليل من جنود المسلمين يرابطون بالثغور الاسلامية ، يجاهدون أعداء الله ، ويعلون كلمته، ويرفعون راية الحق ، وينشرون لواء العدل ، ولم يكن لتلك الطبقة المترفة شأن يذكر فى توجيه اقتصاد المجتمع،أو تعليمه أو قيمه ، بل كان ينظر لهذه الطبقة نظرة ازدراء واحتقار من قبل كثير من الناس، لانظرة اعجاب واكبار كما كان ينظر الى العلماء المخلصين ، وغيرهم من أهل التقوى والصلاح .

المبحث الثالث

الحالة الفكرية وجهود العلماء

ازدهرت الحركة الفكرية فى العصر العباسى الأول الممتد من سنة (١٣٢ هـ) الى سنة (٢٣٢ هـ) ازدهارا كبيرا ، وتلاقت فى الحواضر الاسلامية شتى الثقافات التى تمثل حضارات الأمم العريقة فى العلم والأدب والثقافة ، وكانت الدولة الاسلامية مزيجا من شعوب كثيرة جمعها الاسلام ، وكانت عقلية هذا الشعب الجديد مشبعة بالثقافات والوراثات، وكان النفوذ فى العصر العباسى الأول للفرس ، الذين نشروا ثقافتهم بين الناس بواسطة الوزراء والكتاب الفارسيين ، ونقل المثقفون من الفرس، والعرب الذين أتقنوا الفارسية الى العربية تراث الفرس القديم فى الثقافة والحضارة (١)

وكان أكثر رجال العلم والثقافة فى هذا العصر من الفرس ، كما دخلت الثقافة اليونانية على الفكر الاسلامى فى هذا العصر ، وحظيت بتشجيع الخلفاء واعوانهم، فترجمت كتب الطب والنجوم والفلسفة من اليونانية الى اللغة العربية ، وكان للخليفة المنصور دور كبير فى هذا المجال ، فقد بعث الى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله أن يمده بما لديه من كتب الفلاسفة ، ويختار لها المهرة من المترجمين (٢) ، بل كان المنصور أول خليفة قرب المنجمين ، وترجمت له الكتب من اللغات المتعددة ، وكذلك فعل الرشيد ، أما المأمون فقد أوفد الرسل الى ملوك الروم لكى ينسخوا علوم اليونانيين بالخط العربى ، وبعث المترجمين لذلك ، وأنشأ فى بغداد مدرسة لتخريج المترجمين ، وألحقها بدار الحكمة التى بناها الرشيد للترجمة، ، كما اتصلت الثقافة الهندية بالفكر الاسلامى مباشرة وبواسطة الفرس أيضا، وأما العنصر التركى فلم تكن لرجاله مدنية ، ولم تتكون عندهم ثقافة ، وحتى بعد

---

(١) انظر الحركة الادبية فى العصر العباسى ص ٢١

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٠ ـ ٤٨١

أن تعلموا العربية لم ينبغ منهم فى ميدان العلم الا القليل ، وذلك مثل الفارابي الفيلسوف (١) (ت ٣٣٩) ، وكانت ثقافة الاسلام الواسعة فى الدين واللغة والأدب والشعر فوق ذلك كله هى المورد الأول للناس جميعا . (٢)

تجمعت هذه الثقافات فى العراق واحدثت آثارها فى العقول والأفكار ، وكان المتكلمون اكبر عامل فى امتزاج هذه الثقافات المختلفة من نواح متعددة ، فقد كانوا بطبيعة موقفهم مضطرين الى الاطلاع على الثقافات الأخرى (٣) .

وفى العصر العباسى الثانى الذى يبدأ من سنة ٢٣٢ هـ ـ سنة ٦٥٦ هـ ، ازداد امتزاج هذه الثقافات وقوى اتصالها بمرور الزمن ، وتلاقح الأفكار وظهور آثار الترجمة ، وتشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والعلماء ، فكان هذا العصر أزهى عصور العلم فى البلاد الاسلامية ، على الرغم من الاضطرابات السياسية واختلاف نظام الحكم وتغلغل الاتراك فى السلطة كما مر بنا سابقا .

وقد غلبت على العصر العباسى الاول نزعة الاعتزال ، التى أيدها المأمون ومكن لها ودعم شوكتها المعتصم والواثق ، ولكن هذه النزعة الاعتزاليه خفت حدتها بحمد الله وتوفيقه فى عصر الامام ابن جرير على يد المتوكل ، الذى أعلى شأن المحدثين وأمرهم بأن يحدثوا الناس بآيات الصفات واحاديثها ، وأمر بترك الجدل ، والكف عن القول بخلق القرآن ، واضطهد رؤساء المعتزلة الا أن الترجمة بلغت أوج قوتها وعظمتها فى عصر الامام ابن جرير ، حيث ترجمت معظم علوم الامم السابقة ـ النافع منها والضار ـ الى اللغة العربية ، وتبنى هذه الترجمة الخلفاء والوزراء ومشاهير رجال الدولة ، وقد كان من بين هذه الكتب المترجمة ما هو نافع ومفيد ، كالكتب العلمية التى تتعلق بالعلوم البحتة النافعة كالطب والصناعات وغيرها ، بينما كان

---

(١) يقال انه من أصل فارسى انظر العصر العباسى الثانى ص ١٤٠

(٢) انظر الحياة الادبية فى العصر العباسى الأول ص ٢٢ ، العصر العباسى الثانى ص ١٣٠

(٣) انظر ضحى الاسلام جـ ١ ص ٣٨٠

أغلب هذه الكتب المترجمة يحمل الضرر الكبير ، والأذى الكثير للمسلمين فى دينهم وعقيداتهم واخلاقهم .

أهم العوامل التى ساعدت على دفع الحركة العلمية

وجدت فى عصر الامام ابن جرير عوامل كثيرة ساعدت على دفع الحركة العلمية دفعة قوية الى الامام ، نذكر منها ما يلى :

(١) تفرغ العلماء :

كان لتفرغ العلماء فى عصر الامام ابن جرير أكبر الأثر فى دفع الحركة العلمية دفعة قوية الى الامام ، اذ خفت حركة الفتوحات الاسلامية فى ذلك العصر ، ولم يعدو الأمر تأديب الروم اذا اعتدوا على حدود الدولة الاسلامية ، ثم عقد المصالحة والمهادنة معهم ، أما ما ينشب من ثورات داخلية فى اكثر الاقاليم فى ذلك العصر ، فلم يكن اكثر العلماء يشتركون فيها ، لأن أغلب أصحابها مسلمون يثورون على الدولة العباسية لظلم يقع عليهم ، أو لطلب منصب أو ولاية ، فقد سئل الامام مالك رحمه الله (ت ١٧٩ هـ) عندما خرج محمد بن عبد الله النفس الزكية (ت ١٤٥ هـ) بالمدينة ، وخرج أخوه ابراهيم (ت ١٤٥ هـ) بالعراق على الدولة العباسية قال : (ان كان الخروج على مثل عمر بن عبد العزيز لا يجوز ، وان لم يكن على مثله ، فدعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ، ثم ينتقم الله من كليهما) (١) وقد أثريت المكتبات الاسلامية بشتى المصنفات نتيجة لتفرغ العلماء لطلب العلم وتعليمه ، ونتيجة للحرية التى كانوا يتمتعون بها كذلك ، الا أن طائفة من الناس الحاقدين على الاسلام وأهله استغلوا هذه الحركة العلمية الهائلة ، وما صاحبها من حرية فكرية لبث سمومهم ، فسخروا أقلامهم والسنتهم لحرب

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٥١

الاسلام ، والتشكيك فى مبادئه العظيمة وبخاصة التشكيك فى العقيدة ، والنيل من الرعيل الأول من المسلمين ، ومن بعدهم من العلماء الصالحين ، فكان لزاما على العلماء المخلصين فى ذلك العصر أن يبطلوا كيدهم ، ويحصنوا عوام المسلمين من شرورهم ، وقد خصص جانب كبير من المكتبة الاسلامية لرد الافتراءات وبيان بطلانها وانتقاد أصحابها ، فكان هذا دفعا كبيرا للحركة العلمية الى الامام (١) ، وقد ساهم الامام ابن جرير رحمه الله فى هذا المجال مساهمة كبيرة وفعالة ، ودافع عن مبادئ الاسلام ، وعقيدة السلف دفاعا كبيرا ضد هجوم الجهمية ، والمعتزلة ، والرافضة ، وغيرهم ممن خالف الطريق المستقيم .

(٢) وكان استخدام الورق فى الكتابه وتصنيف الكتب واستخدامها استخداما عاما منذ عصر الرشيد عاملا مهما فى ازدهار الحركة العلمية حينئذ ، فقد كان العلماء يكتبون فى الجلود والقراطيس المصنوعة بمصر من ورق البردى ، والورق المستورد من الصين ، وكان ثمنه مرتفعا جدا ، فلما أنشأ الرشيد مصنع الورق رخص ثمنه ، وانتشرت الكتابة فيه لخفته ، وسرعان ما كثرت الكتب والمصنفات كما كثر الوراقون الذين يعيشون من نسخها . فاتخذ كثير من العلماء المحاضرين فى المساجد لانفسهم وراقين يقيدون املاءاتهم ويذيعونها فى الناس ، وأنشأ كثير من الناس دكاكين للتجارة بالكتب والمصنفات العلمية . وأقبل عليها الشباب والعلماء ، لا لشراء الكتب واقتنائها فحسب ، بل ليقرأوا فيها ، وينهلوا من مصنفاتها . وكانوا يكترونها لذلك ، ويبيتون فيها يقراؤن على المصابيح ، ويقيدون أو ينسخون ما يشاؤن من الأفكار والصحف والرسائل ، وعمل ذلك على نهضة الحركة العلمية نهضة واسعة ، اذ أصبحت الكتب والمصنفات تحت أعين الطلاب والشباب وبأيديهم يتزودون منها

---

(١) انظر ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف ص ٢٤

أزوادا كانت أيسر وأسهل من التلقى عن الشيوخ والعلماء فى المساجد ، اذ كانت تجمع لهم مسائل العلم الذى يريدونه ، واصوله وفروعه (١) .

(٣) كما كان لوجود المكتبات فى كل مكان أثر كبير فى دفع الحركة العلمية الى الامام ، حيث وفرت الدولة الاسلامية مكتبات عامة فى كل مكان يختلف اليها الناس ، اضافة الى المكتبات الخاصة . أما المكتبات العامة فكان على رأسها مكتبات المساجد ، اذ كان كثير من العلماء يقفون كتبهم عليها ليفيد منها طلاب العلم ، وعنى بعض المثقفين ببناء مكتبات عامة يتزود منها الناس أزوادا علمية مختلفة ، ومن أشهرها مكتبة على بن يحى المنجم (ت ٢٧٥ هـ) نديم الخلفاء ، وسماها خزانة الحكمة ، وكان الناس يؤمونها من كل مكان ، فيقيمون فيها ، ويعكفون على المصنفات العلمية دارسين وباحثين ، فالكتب مبذولة لهم ، والنفقة من مال على بن يحى مشتملة عليهم . (٢) كما كان لجعفر بن محمد بن حمدان الموصلى (ت ٣٢٣ هـ) من أدباء العصر وعلمائه مكتبة ضخمة ملأها بكتب من جميع الفنون ، وقد وقفها على طلبة العلم ، وكان لا يمنع أحدا من دخولها ، فهى مفتوحة للجميع ، واذا ألم بها معسر أو بائس فقير صرف له ورق للكتابة فيه ، وفضة ود راهم لمعاشه ، ولا يكاد يكون هناك عالم أو أديب نابه الا وله مكتبة خاصة تموج بالكتب ، وكانوا يوظفون لها بعض الوراقين ، كما كانوا يجلدونها خوفا من التلف . وكان للامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) مكتبة ضخمة قدرت كتبها باثنى عشر حملا وعدلا . كما كان هناك كثير من العلماء الفوا مكتبات ضخمة لو لم يكن لهم سوى مصنفاتهم لكانت لدى كل واحد منهم مكتبة ضخمة ، ومن أشهرهم الامام ابن جرير ، والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وغيرهما (٣) .

---

(١) انظر العصر العباسى الاول ص ١٠٣ ، العصر العباسى الثانى ص ١٢٣

(٢) انظر معجم الادباء حـ ١٥ ص ١٥٧ ، العصر العباسى الثانى ص ١٢٤

(٣) انظر العصر العباسى الثانى ص ١٢٤ ـ ١٢٦ ، العصر العباسى الاول ص ١٠٣ ـ ١٠٤ طبقات الشافعية حـ ٢ ص ٢٧

(٤) كما كان لمناظرات العلماء فى المساجد، وقصور الخلفاء،والوزراء،فى علم الكلام والفقه، واللغة،والنحو وغيرها من العلوم التى كان يشتد فيها الخلاف والجدل بين العلماء أثر كبير فى اشعال الجذوة العلمية ،وامدادها بوقود جزل لاينفد . فقد كان الشباب يختلفون الى سماع هذه المناظرات ليتعلموا قرع الحجة بالحجة ، وغلبة الخصم بالحق تارة ، وبالباطل تارة أخرى ، وتفيض كتب المتكلمين والفقهاء والنحاة بأخبار هذه المناظرات .(١) وكانت المساجد فى ذلك الوقت أشبه بجامعات حرة ،فالطلاب يختلفون الى من يشاؤن الاستماع اليه بدون أى شرط ، منهم من يأخذ الفقه ،أو الحديث النبوى الشريف أو تفسير القرآن الكريم ،أو علم القراءات،أو علم الكلام ،أو علوم اللغة العربية من آدب ، ونحو،وشعر،ونقد، وبلاغة، وعروض،وغيرها . وكثير من الطلاب كان يأخذ ما عند شيخ ، ثم يتحول عنه الى شيخ آخر أو حلقة أخرى (٢) .

(٥) كما كان لتشجيع الخلفاء والأمراء والوزراء وحكام الأقاليم والولايات للعلم والعلماء أثر كبير كذلك فى ازدهار الحركة العلمية ودفعها الى الامام فى ذلك العصر، فقد عمل الخلفاء وأعوانهم على تنشيط الحركة العلمية، واعطاء الرواتب المجزية للعلماء والقضاة ، وكان بعض أعيان المدن وأثريائها يمدون العلماء بالهبات والمكافآت المجزية ، وربما أمدوا طلبة العلم ببعض الأموال تشجيعا لهم على طلب العلم،والأمثلة على ذلك كثيرة وفيرة ،نذكر منها على سبيل المثال ،ما روى عن ابن زرعة (ت ٣٠٢ هـ) قاضى دمشق أنه كان يهب لمن يحفظ مختصر المزنى فى الفقه الشافعى مائة دينار (٣) .

---

(١) انظر العصر العباسى الثانى ص١٢٢ ــ ١٢٣ العصر العباسى الاول ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .

(٢) انظر العصر العباسى الثانى ص ١١٨

(٣) انظر طبقات الشافعيه حـ ٣ ص١٩٧ ،العصر العباسى الثانى ص١١٩ ــ ١٢١ ، العصر العباسى الاول ص ١٠٢

الرحلات العلمية في ذلك العصر

يحس كل من يتعقب الحركة العلمية في ذلك العصر كأن سباقا نشب بين العلماء والعلم ، فهم يجدون في طلبه وتحصيله ليلا ونهارا ، من غير كلل ولا ملل ، ويصارعونه صراعا متصلا يريدون أن يذللوه ويقهروه في جميع الميادين ، وكان يداخل هذا الصراع شغف شديد بالعلم ، وايمان قوي بأنه لن يخضع لهم الا اذا تجردوا له ، وامضوا فيه سواد الليل وبياض النهار في حب شديد ، هذا الشغف العلمي الشديد هو الذي دفع العلماء الى الرحلة من بلد الى بلد آخر ، بغض النظر عن قربه أو بعده ، طلبا للعلم ، ولا يبالون مهما تجشموا في سبيل ذلك من مشاق وصعوبات ، ومهما أنفقوا من أموال . فكان اللغويون — على سبيل المثال — يرحلون الى البوادي محتملين شظف العيش وخشونته في سبيل جمع اللغة ، وكان الفقهاء يرحلون بدورهم كذلك للتتلمذ على أئمتهم ، ومثلهم كذلك العلماء المختلفون في كل فرع من فروع العلم . واكبر من شغف بالرحلة في ذلك العصر من العلماء كان المحدثون ، وسبب ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تفرقوا في البلدان الاسلامية على اثر الفتحات الاسلامية ، وكانوا يعلمون الناس أمور دينهم في كل بلد يحلون فيه ، فنشأ لهم تلاميذ من التابعين سمعوا منهم الأحاديث التي كانوا يروونها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثون الناس بها ، من أجل ذلك كان في كل بلد اسلامي كثير من الاحاديث النبوية الشريفة التي حفظها الصحابة الكرام ، وحفظها عنهم تلاميذهم من التابعين ، لا تعرفها البلدان الاخرى ، فرحل مصنفوا الحديث وحفاظه في طلبها من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، ورحلة الامام البخاري من خراسان الى مدن ايران والعراق والحجاز والشام ومصر مشهورة ، ومثله كثير من المحدثين (١) كالامام ابن جرير الطبري ، الذي سنأتي على رحلاته في سبيل

(١) انظر العصر العباسي الثاني ص ١٢٦ — ١٢٧

طلب العلم فى مكانها المناسب من البحث بإذن الله تعالى ٠

هذا وقد تنوعت مراكز الحياة العلمية فى ذلك العصر ، فلم تعد مقتصرة على بغداد وحدها ، بل شملت كذلك الحجاز وفارس والشام ومصر والمغرب ،وغيرها من الاقاليم الاسلامية ٠

جهود العلماء

ساهم العلماء المسلمون مساهمة كبيرا فى ازدهار الحركة العلمية فى ذلك العصر ، وخلفوا تراثا ضخما من الكتب والمصنفات فى شتى ميادين العلوم لا يزال وسيبقى المؤلفون يعتمدون عليها فى كثير من أبحاثهم ،ومن أشهر العلوم التى ازدهرت فى ذلك العصر ما يلى :

(١) علوم القراءات :

ازدهرت هذه العلوم فى هذا العصر ازدهارا كبيرا ، فقد اهتم العلماء بعلوم القراءات اهتماما شديدا انطلاقا من حبهم لكتاب الله تبارك وتعالى وتلاوته أناء الليل واطراف النهار ، فقد كان القرآن الكريم يحمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة ومشافهة ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتبة وحى يكتبون القرآن ، كما اشتهر من الصحابة رضوان الله عليهم قراء مشهورون بتلاوة القرآن ، يتقدمهم الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ،وزيد بن ثابت ،وأبى بن كعب وعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن مسعود وغيرهم ،رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ٠ وخلفهم أجيال من التابعين حافظوا على تلاوة القرآن الكريم بجميع حروفه وحركاته كما أثرت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يعدون بالعشرات وأخذ يتبع كل قارئ منهم تلاميذ يلازمونه ،ويأخذون عنه قراءته بأدق صورة ممكنة ،وفى الوقت نفسه بدأ قراء موثوقون يروون قراءات عن على بن أبى طالب ،أو ابن مسعود

أو ابن عباس ،أو أبى بن كعب وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ، فتكاثرت القراءات،حتى انا لنجد أن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) يؤلف كتابا ضخما فى القراءات يحتوى على اكثر من عشرين قراءة ،وتستمر القراءات فى كثرتها، وتبدو الحاجة ملحة الى علماء بالقراءات،يختارون منها طائفة تنتشر بين المسلمين. فقد كان بعض القراء لا يجد حرجا من القراءة بشواذ القراءات ، الا أن بعض العلماء المخلصين تجردوا للنهوض بهذه المهمة الخطيرة ، وكان من أشهرهم فى ذلك الوقت أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي (ت ٣٢٤هـ) الذى أكب على دراسة القراءات وكتبها المصنفة ،واستخلص منها سبعا هى قراءة نافع (ت ١٦٩هـ) فى المدينة ، وعبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ) ، وعاصم (ت ١٢٧هـ) ، وحمزة (ت ١٥٦ هـ) ، والكسائى (ت ١٨٩هـ) فى الكوفة ، وأبى عمرو بن الصلاح (ت ١٥٤ هـ) فى البصرة ، وعبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ) فى دمشق ،وألف فى ذلك كتابه السبعة ، وقد شرحه تلميذه أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) فى كتاب سماه الحجة ، كما ألف ابن مجاهد كتابا آخر فى شواذ القراءات شرحه ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فى كتاب سماه المحتسب ، سار فيه على نهج استاذه الفارسى (١) ، وقد شارك الامام ابن جرير فى التصنيف فى علم القراءات ، والف كتابا ضخما فى ذلك ، سوف نأتى على ذكره فى مكانه المناسب من البحث باذن الله تعالى .

(٢) علوم التفسير :

ازدهرت علوم التفسير فى هذا العصر ازدهارا كبيرا ، ونمت نموا واسعا ، واتضحت فيها اتجاهات أربعة سيطرت على اتجاه علوم التفسير فى العصور التالية ، وهى : التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأى ، أو التفسير الاعتزالى ، والتفسير الشيعى ، والتفسير الصوفى .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ١٦٠ ـ ١٦١

أما التفسير بالمأثور فقد بلغ القمة المرجوة التى كانت تنتظره بظهور تفسير الامام ابن جرير الطبرى ، اذ استطاع أن يجمع فى تفسيره عن طريق الروايات المسندة أكثر الآثار التى رويت عن الصحابة والتابعين فى تفسير الايات القرآنية ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحملون كل ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفسير لكثير من آياته وبعض كلماته .

وأما التفسير بالرأى فقد كان يعتمد على العقل اعتمادا كبيرا ، وقد حمل لواءه المعتزلة الذين حملوا على المفسرين بالأثر حملة شعواء ، وأول تفسير عندهم هو تفسير أبى بكر الأصم (ت ٢٠٠ هـ) ، وأهم منه تفسير أبى على الجبائى (ت ٣٠٣ هـ) وقد انتفع الزمخشرى (ت ٥٢٨ هـ) فى تفسيره من تفسير الجبائى انتفاعا كبيرا .

وأما التفسير الشيعى فقد كان أصحابه يخرجون عن ظاهر القرآن ملتمسين تأويلات بعيدة منحرفة عن الاسلام ، حيث يذهبون الى أن لفظا بعينه يقصد به على بن أبى طالب رضى الله عنه أو غيره ، وأن لفظا آخر يقصد به خصم من خصومهم ، ونسبوا لأئمتهم تفاسير مبكرة ، وفى مقدمتها تفسير نسبوه الى جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ) وآخر الى الحسن العسكرى (ت ٢٦٠ هـ) ، وتفاسيرهم من هذه الناحية تطبع بطابع الرواية عن أئمتهم وآل البيت بعامة .

وأما التفسير الصوفى : فقد كان مأربه أن يوضح بعض الأفكار الصوفية المنحرفة ، وربما كان أقدم تفسير لهم هو تفسير سهل التسترى (ت ٢٨٣ هـ) هذا وقد ظهر كثير من المفسرين فى ذلك العصر أغلبهم من النحاة ، ومن أشهرهم محمد بن موسى الواسطى (ت ٣٢٠ هـ) ، وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٧ هـ) وأبو بكر الادفوى (ت ٣٨٨ هـ) (١) .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ١٦١ ــ ١٦٣ ، ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٣٨ ــ ٤١ ، الطبرى للحوفى ص ٢٢ .

(٣) علـــوم الحديـــث :

بدأ تصنيف الحديث على أبواب الفقه كما فى كتاب الموطأ للامام مالـــك بن أنس ، ثم نشأت طريقة ثانية وزعت فيها الأحاديث على رواتها من الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت تجمع الاحاديث التى رواها ابو هريرة أو ابن عبـــاس أو ابن مسعود ، وغيرهم مثلا ، بدون نظر الى اختلاف موضوعاتها الفقهيـــة، فالاساس فى جمعها وحدة الصحابى لا وحـــدة الموضوع ، وقد مثل هـــذا النوع من التصنيف الامام أحمد فى مسنده ، كما ألف على هذه الطريقـــة الامام ابو عبد الله محمد بن نصر المروزى (ت ٢٨٤ هـ) ،وأخذت تقترن بهذه الطريقة سريعا طريقة ثانية هى امتداد للطريقة الأولى آنفة الذكر،وكأنمـــا رأى أصحاب هذه الطريقة أن الافادة من طريقة المسانيد يكتنفهـــا بعـــض الصعوبات ، اذ لابد لمن يريد الاطلاع على حديث لراو من الصحابة فـــى مسألة من مسائل الفقه قراءة كل ما له من أحاديث ، وكانت دراسة الفقـــه قد نمت حينئذ واحتاج الفقهاء الى الاطلاع سريعا على كثير من الاحاديـــث للاحتجاج بها فى كتبهم ،وضد مجادليهم • وأول مصنف وصلنا على هـــذه الطريقة هو مصنف عبد الله بن محمد بن أبى شيبة (ت ٢٣٥ هـ) • ثـــم ألفت مصنفاتها الستة المشهورة ، وهى : صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ) ، وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ، وسنن ابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ) وسنن أبـــى داود (ت ٢٧٥هـ) ، والجامع للترمذى (ت ٢٧٩ هـ) وسنن النسائـــى (ت ٣٠٣هـ) • وقد كان الاعتماد فى هذه الكتب على الرواية ولقـــاء الرجال ، كما ألفت بجانب هذه الكتب مصنفات أخرى فى الحديث ،وكتـــب أخرى فى الرجال من أشهرها : تاريخ البخارى ،والتاريخ الكبير لأبى بكـــر أحمد بن أبى خيثمة (١) (ت ٢٧٩هـ)، وقد ازدهرت علوم الحديث فـــى

---

(١) انظر العصر العباسى الثانى ص١٦٤ ، ظهر الاسلام جـ ٢ ص٤٦ـ٤٧ الطبرى للحوفى ص٧

ذلك العصر ازدهارا كبيرا ، ونشط رجالها فى التصنيف نشاطا ملحوظـــا ، وأقبل طلبة العلم على دراستها اقبالا منقطع النظيـر ، حتى صارت أكثـــر العلوم شهرة وانتشارا بين المسلمين فى ذلك العصر .

(٤) علـوم الفقـــه :

كان هذا العصر متمما للعصر العباسى الأول فى نشاط الدراســات الفقهية والتشريعية ، فقد تكونت المذاهب الأربعة فى العصر الأول ، وظــل الاجتهاد نشيطا ، فالفقهاء يجتهدون ، ويتناظرون ويختلفون ، ويكثـــرون من التأليـف والمصنفات ، وتظهر بجانب هذه المذاهب مذاهب فقهيـــة أخـرى ، لم يبق منها سوى مذهب الظاهرية ، وقد صار لكل مذهب مجموعـة من أساتذته وشيوخـه وتلاميذه يذيعونه فى جميع أرجاء العالم الاسلامـــى، فظهر من أتباع المذهب الحنفى أبو بكر أحمد بن عمر الشيبانى الخصـــاف (٢٦١ هـ) ، وألف كتاب الوقـف وكتاب الحيل والمخارج فى الفقه ، كما ظهـر أبو جعفر الطحاوى (ت ٣٢١ هـ) واليه انتهت رئاسة أصحاب أبى حنيفة ـ (ت ١٥٠ هـ) فى مصر ، وألف كتبا كثيرة منها: كتاب معانى الآثار ، وكتــاب مشكل الآثار ، كما ظهر ابو الحسن الكرخى (ت ٣٤٠ هـ)، وظهر من أتبـاع الامام مالك علماء كثيرون فى مصر والمغرب والأندلس وبغداد - وكان من أشهرهم سحنون عبد السلام بن حبيب التونخى (ت ٢٤٠ هـ) الذى نشر مذهـــب الامام مالك فى المغرب ، وألف المدونة الكبرى التى تعتبر المرجع الأساســى لتعليم فقه الامام مالك وتدريسه فى المغرب ، كما ظهر من أتباع الامام مالـك اسماعيل بن اسحاق بن حماد (ت ٢٨٢هـ) .

أما فقه الامام الشافعى (ت٢٠٤هـ) فقد انتشر فى البلاد الاسلاميـــة على يد كثيرين من أتباعه مثل البويطى ابو يعقوب يوسف بن يحى (ت ٢٣١ هـ) والربيع المرادى (ت٢٧٠ هـ) ، والمزنى (ت ٢٦٤هـ) ، والكرابيسى (ت ٢٤٥هـ)، والحسن ابن القاسم الطبرى (ت ٣٠٥هـ) الذى ألف كتاب المحرر فى النظـــر

وهو من أول الكتب فى الخلاف بين الفقهاء ، ومحمد بن أعين بن ليث (ت ٢٦٨هـ) وألف كتاب السنن على مذهب الشافعى ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفى (ت ٢٦٤هـ) وألف كتبا كثيرة فى مذهب الشافعى منها الجامع الصغير والجامع الكبير والمختصر ، أما المختصر فهو أصل الكتب المؤلفة فى مذهب الشافعى .

وأما مذهب الامام أحمد الذى كان يعتمد كثيرا على الاحاديث النبوية الشريفة،فقد انتشر فى الاقطار الاسلامية ، وكان من أشهر أتباعه أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى (ت ٣٣٤هـ) وله فى الفقه الحنبلى كتاب المختصر فى الفقه ، وعبد الله بن الامام أحمد (ت ٢٩٠هـ) وأبو اسحاق ابراهيم الحربى (ت ٢٨٥هـ) ، وأبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن داود الأزدى السجستانى (١) (ت ٣١٦هـ) .

(٥) علوم اللغة العربية :-

ازدهرت هذه العلوم فى ذلك العصر ازدهارا ملحوظا ،فقد كان علماء اللغة وتلاميذهم فى ذلك العصر يرحلون الى البوادى ومعهم قوارير المداد ، وأحمال الصحف ليدونوا كلمات اللغة من ينابيعها الأصلية ،وأضافوا الى ذلك ما سمعوه من أساتذتهم كالأصمعى (ت ٢١٥هـ) والمفضل الضبى (ت ١٦٨هـ) ،وأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٤هـ) ،وأخذ تلاميذهم يحملون عنهم رواياتهم ، وسرعان ما تكون عندهم فى ذلك العصر السند ، فقد اهتموا به اهتماما كبيرا نتيجة لتأثرهم برواة الحديث فى تعديل الرواة وتجريحهم ، كما اهتم العلماء فى ذلك العصر بالعلوم الأدبية والبلاغية والنقد ،واشتهر من العلماء فى علوم اللغة العربية كثير من الأدباء والنحويين ،والبلاغيين والنقاد ، نذكر منهم على سبيل المثال : يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٣ هـ)

(١) انظر العصر العباسى الثانى ص ١٦٨ ـ ١٧٠ ،ظهر الاسلام جـ ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٤ ، ٢٢٣ ـ ٢٢٥ الطبرى للحوفى ص ١٢ ـ ١٣

وابن الأعرابى (ت ٢٣١ هـ) وثعلب (ت ٢٩١هـ) ، وابو عثمان المازنـــى (ت٢٤٩هـ) وأبو حاتم السجستانى (ت ٢٥٠هـ) وأبو عبيد القاسم بن ســلام وابن قتيبــة ، والمبرد (ت ٢٨٥هـ) ، وابن دريد (ت ٣٢١هـ) ، وابن جنــى ، والزجاج (ت ٣١٠هـ) ومحمد بن السرى ابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، والأنبارى (ت ٣٢٨هـ) ، وابن كيسان (ت٢٩٩هـ) ، وعبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى (ت ٣٧٧هـ) ، والجاحظ وغيرهم . (١)

(٦) التاريـــــخ :-

نشطت فى ذلك العصر الكتابات التاريخية نشاطا عظيما ، ضمن الكتابــة فى تاريخ السيرة النبوية الى الكتابة فى الاحداث الاسلامية ، والامم والـدول والكتابة فى المدن ، والتراجم والطبقات ، ومن أشهر المصنفين فى السيرة فـى ذلك العصر أبو زرعة (ت ٢٨٢هـ) ، وفى تاريخ الامم والدول اليعقوبـــــى (ت٢٩٢هـ) ، والبلاذرى (ت٢٧٩هـ) وأبو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ) ، والمسعودى (ت ٣٤٥هـ) ، كما نجد بجانب الكتب التاريخية العامة كتبـــا خاصة ببعض المدن مثل أخبار البصرة لابى زيد بن شيبة (ت ٢٦٤هـ) وتاريـخ واسط لأسلم بن زياد (ت٢٨٨هـ) ، وتاريخ أصبهان لابن مندة (ت ٣٠١ هـ) وتاريخ بغداد لاحمد بن طيفور (ت ٢٨٠هـ) ، كما اهتم بعض الكتاب بالأنساب والايام كالقاسم بن محمد الانبارى (ت ٣٠٤هـ) فى المفضليات والزبير بـــن بكار (ت ٢٥٦هـ) فى نسب قريش ، كما كتب فى الرجال والشعراء ، كابـــن قتيبة فى الشعر والشعراء ، وابن المعتز فى طبقات الشعراء ، كما ألفت كتـــب فى الوزراء وكتاب الدواويـــن ، ككتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشيارى (ت ٣٣١هـ) وافردت كتب للعباسيين وأشعارهم مثل كتاب الاوراق لمحمــــــد

---

(١) انظر ظهر الاسلام جـ ١ ص ١٨٥ ، العصر العباسى الثانى ص ١٤٢ ـ ١٥٢ ، الطبرى للحوفى ص ١٣ ـ ١٤ ، ابن قتيبة الناقد الاديب ص ٨٢

ابن يحى الصولى (ت ٣٤٥هـ) كما اهتموا بالسيرة الفردية ، فألف ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٦٢هـ) كتابا فى سيرة عمر بن عبد العزيز(١) هذا وقد أتاحت ترجمة تاريخ الامم القديمة وخصوصا تاريخ الفرس فى العصر العباسى الاول ، والكتابات الكثيرة عن الأنبياء والرسل للامام ابن جرير أن يكتب تاريخه الضخم ، الذى سنأتى على الحديث عنه فى مكانه المناسب من البحث بإذن الله تعالى •

(٧) علوم الجغرافيا والفلك والطب والفلسفة :

ازدهرت هذه العلوم فى ذلك العصر ازدهارا ملحوظا اثر ازدياد حدة حركة النقل والترجمة ، وقد نشطت الكتب والمباحث الجغرافية فى ذلك العصر ، واشتهر من علمائها اليعقوبى ، وابو زيد البلخى (ت ٣٢٢هـ) والهمدانى (ت ٣٣٤هـ) ونهضوا بها نهضة قوية ، وعلى نحو ما نهضوا بعلوم الجغرافيا نهضوا بالرياضيات والفلك ، وأشتهر من العلماء فى هذا المجال أبو معشر البلخى (ت ٢٧٢هـ) •

وبالمثل فقد نهضت العلوم الطبية ، والطبيعية كذلك فى ذلك العصر واشتهر من علماء هذه العلوم سابور بن سهل النصرانى (ت ٢٥٥هـ) وألف كتابا فى التصيدلة وحنسان بن ثابت بن قرة (ت ٣٣١هـ) فى الطب ، ونبغ فى ذلك العصر طبيب المسلمين بلامنازع ابو بكر الرازى (ت ٣٢٠هـ) ، واشتهر من الفلاسفة الكندى (ت ٢٥٠هـ) والفارابى (٢) •

---

(١) انظر العصر العباسى الثانى ص ١٥٧ ــ ١٦٠

(٢) انظر ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٥٠ ، العصر العباسى الثانى ص ١٣٥ ــ ١٣٧ الطبرى للحوفى ص ١١

ولا شك أن عصرا أنجب فطاحل من العلماء لهو من أرقى عصور المعرفة ، يقول العقاد في وصف ذلك العصر : (فالقرن الثالث للهجرة كان أوان النماء للدولة العباسية ، جاء بعيد التمهيد ، وقبيل النضج والذبول ، ففيه نما وأزهر كل ما بذره مؤسسوا الدولة من جراثيم الخير والشر ، وعناصر الصلاح والفساد ، وكانت الدولة في ابانه أشبه شيء بالمرج الاخضر الذي ينمو فيه الحب والفاكهة والشوك والعشب المسموم ، خضرة زاهية نضرة ، ولكنها وسيمة شائهة ، ومصلحة مهلكة ومرجوة مخشية ، ومختلط فيها السم والغذاء ، فهو العصر الذي بلغ فيه كل شيء أقصاه ، وأثمر كل عمل فيه نتاجه المحتوم ، أثمر فيه الخطأ ، كما أثمر فيه التوفيق ، وظهر فيه ما قدموا صالحا أو طالحا على السواء فبدأ فيه بالتمام ، وبدأ بالنقص في حين واحد ، واجتمع الخليط من حضارات العرب والفرس والروم) (١)

وما ذكره العقاد هو عين الحقيقة حيث بلغت علوم الشريعة من دراسات قرآنية ، ودراسات حديثية ، وعلوم فقهية في ذلك العصر أوج عزتها كما ذكرنا ذلك سابقا ، وكذلك بلغت علوم الطب والفلك والآداب والاجتماع وغيرها أوج عظمتها في ذلك العصر ، الا أن بعض شتلات الشر ظهرت في ذلك العصر أمام أعين الناس كالزندقة ، والشعوبية والتشيع ، والقرمطة ، لبست على الناس أمر دينهم باسم العلم والبحث ، وجنى المسلمون ثمار الترجمة لكل ما هب ودب مرآ علقما في شتى مجالات الحياة (٢) .

ولابد لي وأنا اكتب عن الحركة العلمية وجهود العلماء في عصر الامام ابن جرير من الحديث عن الناحية الاعتقادية في ذلك العصر ، فاقول وبالله التوفيق .

---

(١) ابن الرومي ص ١٠

(٢) انظر ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف ص ٢٦

(٨) الناحية الاعتقادية في ذلك العصر .

منذ أواخر عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بدأت تظهر بعض الآراء الاعتقادية المخالفة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ، ومن ذلك آراء عبدالله بن سبأ (١) ، وآراء الخوارج (٢) وبعد ذلك آراء القدرية (٣) ، وقد أنكر الصحابة رضوان الله عليهم هذه الآراء ، وبينوا مخالفتها لعقيدة الاسلام الصافية (٤) .

---

(١) عبدالله بن سبأ كان يهوديا ، اظهر الاسلام ، واضمر الكيد له ، وتتلخص شروره فيما يلي : (أ) هو أول من أحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب. (ب) وأول من أحدث القول برجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدنيا ، ورجعة علي بن أبي طالب . (ج) أول من أحدث القول بأن عليا رضي الله عنه لم يقتل ، وأنه لايزال حيا ، وأنه يسكن السحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأن فيه جزءا الاهيا . انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ١١ ، الفرق بين الفرق ص ٢٢٥

(٢) الخوارج : هم الذين خرجوا على الخليفة الراشد الرابع الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد التحكيم ، وأصول مذهبهم هي تكفير مرتكب الكبيرة ، وقتال الائمة اذا أخطأوا ، والتبرؤ من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وأصحاب الجمل ، ثم يتفرقون الى فرق عديدة لكل فرقة اجتهادات خاصه في الاعتقاد والعمل ، لمزيد من الاطلاع على نحلتهم وفرقهم انظر الفرق بين الفرق ص ٧٢ ، مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ١٦٧ ، تاريخ المذاهب الاسلامية حـ ١ ص ٧١ .

(٣) القدرية : هم الذين يقولون بأن العبد خالق لافعاله ، وأنه لاقدر والامر آنف، بعكس الجبرية الذين يجعلون العبد كالريشة في الهواء ، لافعل له ولا اختيار والقدرية أتباع الجهني وغيلان الدمشقي ، وقال الأوزاعي ، أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له (سوسن) كان نصرانيا فأسلم ، ثم تنصر ، أخذه عبدالملك بن مروان وصلبه ، وقيل ان الحجاج عذبه بأنواع من العذاب وهلك في سنة ٨٠ هـ ، اما غيلان فقد قتله هشام بن عبدالملك ، انظر الفرق بين الفرق ص ١٨-١٩ تاريخ المذاهب الاسلامية حـ ١ ص ١٣٠

(٤) انظر مجموع الفتاوى حـ ١٠ ص ٣٥٨

وتعتبر هذه الآراء المخالفة لما كان عليه الصحابة النواة الأولى للفرق المتعددة التى عرفت فيما بعد ،كالشيعة ،والخوارج والقدرية والجهمية ، والمعتزلة ، وغيرهم ،اذ أمسى لهذه الفرق قبل عصر الامام ابن جرير وفى عصره وبعد عصره آراء وأفكار منظمة تعرف بها ، وتدافع عنها ، وتدعوا لها ، ونستطيع أن نلخص الاسباب التى أدت الى ظهور هذه الاراء الاعتقادية المخالفة لمنهج الاسلام الصحيح فى النقاط التالية : —

(١) وجود بعض الناقمين على الاسلام ،داخل الجماعة الاسلامية ،اذ دخلوا فى الدين الاسلامى ظاهرا ، وأرادوا الكيد له ولأتباعه باطنا ، فأخذوا يشيعون الأكاذيب والخرافات بحجة الغيرة على الاسلام ،أو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان على رأس هؤلاء عبدالله بن سبأ الذى تولى كيد الفتنة ، فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، حيث جاء اليهودى الخبيث بعقائد فاسدة غريبة على الاسلام كعقيدة الرجعة ،وأن عليا وصى النبى صلى الله عليه وسلم (١) ،.

(٢) انتشار الفتوحات الاسلامية فى بقاع كثيرة من العالم ، ودخول أهلها فى الاسلام ، وهم يحملون رواسب كثيرة من رواسب الجاهلية التى كانوا عليها، ولم ينالوا من التربية الاسلامية على العقيدة الصحيحة السليمة ، مثل ما نال الرعيل الاول من الصحابة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لكثرتهم وانشغال الفاتحين بالحروب والفتوحات الجديدة ، فأخذ هؤلاء المسلمون الجدد فى بث ما لديهم من ثقافات ورواسب الجاهلية ظنا منهم أنها لا تتعارض مع الاسلام ،مع العلم أن الثقافة المنبثقة من تصورات جاهلية لا تصلح أن تكون مرتكزا للعقيدة الاسلامية . (٢) .

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ١١ ، الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ ، تاريخ المذاهب الاسلاميه حـ ١ ص ٣١

(٢) انظر تاريخ المذاهب الاسلاميه حـ ١ ص ١٣ ، السنة ومكانتها فى التشريع ص ٨٢ .

(٣) عدم اقتصار المسلمين على ما في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من العقائد ، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ، بل استقت الاجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير الفرس وتصوراتهم ، واسرائيليات اليهود ، ولاهوت النصارى ، وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات ، عندما ترجمت كتب الأمم الأخرى الى اللغة العربية ، وأقبل أكثر الناس على الكتب المترجمة بدون تمييز بين الغث والسمين ، والنافع والضار ، واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ، وعلم العقيدة ، والفقه والاصول ، مما نتج عنه اختلاف الناس في باب العقيدة ، ونشوء الفرق الاعتقادية (١) .

وقد أتى الامام ابن جرير رحمه الله الى الحياة والفرق الاسلامية كالخوارج ، والشيعة ، والمعتزلة ، والجهمية ، والقدرية ، والمرجئة (٢) والكرامية (٣) وغيرهم ،

---

(١) انظر معالم في الطريق ص ١٤

(٢) المرجئة : هم الذين لا يجعلون العمل من الايمان ، ويجعلون ايمان الملائكة والانبياء كايمان الفساق ، لأنه لا تفاضل عندهم في الايمان وهم اتباع جهم ابن صفوان انظر حولهم . مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٢١٣ ، الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ ، تاريخ المذاهب الاسلامية حـ ١ ص ١٣٢ .

(٣) الكرامية : نسبة الى أبي محمد بن كرام السجستاني ، طرده عثمان بن سعيد الدارمي من هراة ، ثم دخل خراسان ، وأكثر الاختلاف الى احمد بن حرب الزاهد ، ثم جاور بمكة خمس سنوات ، ثم ورد نيسابور وانصرف منها الى سجستان وباع ما كان يملكه ، وعاد الى نيسابور وقال بالتجسيم ، وزعم أن الايمان بالقول كاف ، وان لم يكن معه معرفة بالقلب ، قال الذهبي ساقط الحديث على بدعته وقال ابن حبان خذل حتى التقط من المذاهب أرداها ، وقد سجن بنيسابور لاجل بدعته ثمانية اعوام ، ثم سار الى بيت المقدس ، ومات بالشام سنة ٢٥٥ هـ انظر طبقات الشافعيه حـ ٢ ص ٣٠٤ ، ميزان الاعتدال حـ ٤ ص ٢١ الفرق بين الفرق ٢١٥ .

قد انتشرت أفكارها بين الناس ، وقد عرف الناس دعاتها وما يتعلقون به من أدلة ، وقد كان للمعتزلة في بداية عصره جولة وصولة ، اذ تبني الاعتزال في عصره المعتصم والواثق ، وحملوا الناس على اعتناقه بقوة السلطان ، أما الزنادقة فقد كان لهم في عصر الامام ابن جرير نشاط ظاهر ملموس ، وكانوا يلونونه بأشكال مختلفة ، فتارة في شكل ثورات سياسية كثورة الزنج ، وتارة في نشر المجون المفسد للاخلاق ، وتارة في نشر الآراء المتطرفة المفسدة للعقيدة ، وتارة في وضع الاحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى علماء السلف هذا الخطر الداهم على عقيدة الأمة الاسلامية ، فاشهروا ألسنتهم وأقلامهم لتعرية الباطل وكشف زيف الأعداء ، وكان في عصر الامام ابن جرير طائفة من العلماء السلفيين الذين كانت لهم اليد الطولى في بيان الحق والذود عن حياضه ، وقمع الباطل وكشف أهله ودعاته ، فألفوا كثيرا من المصنفات في الرد على أصحاب الأهواء ، وبيان معتقد أهل السنة والجماعة ، وكان من أشهرهم ابن أبي شيبة (١) ، والف كتاب السنة ، والامام احمد بن حنبل (٢) والف كتاب الرد على الزنادقة والجهمية .

---

(١) ابن أبي شيبة : هو الامام الحافظ ابو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان ابن ابي شيبة العبسي الكوفي قال الذهبي في تذكرة الحفاظ هو صاحب المسند والمصنف وغير ذلك ، سمع من شريك بن عبد الله قاضي الكوفه ، وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم ، وروى عنه البخاري ومسلم وابو داود وغيرهم ، وثقه العجلي ، وقال احمد : ابو بكر صاحب المصنف صدوق وهو احب الي من أخيه عثمان ، قال الخطيب وكان متقنا حافظا مكثرا صنف المسند والاحكام والتفسير ، توفي سنة ٢٣٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد حـ ١٠ ص ٦٦ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٤٣٢ مقدمة كتاب المصنف ص ٥ .

(٢) الامام احمد بن محمد بن حنبل ، امام أهل السنة والجماعة أعز الله به السنة وقمع به البدعة ، وهو امام جليل مشهور بالفقه والحديث ونصرة الدين ، وفضائله اكثر من أن تحصر ، توفي سنة (٢٤١ هـ) انظر تاريخ بغداد حـ ٤ ص ٤١٢ ، طبقات الشافعية حـ ٢ ص ٢٧ ، طبقات الحنابلة حـ ١ ص ٤ .

والف البخاري (١) كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية ،كما ألـــف الأثرم (٢) كتاب السنة ، والف عثمان بن سعيد الدارمي (٣) كتاب الـــرد على الجهمية ،وكتاب الرد على بشر المريســـي (٤) .

---

(١) البخاري : هو الامام محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح وشهرته تغني عن التعريف به . توفي سنة (٢٥٦هـ) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص ٤ تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٥٥ .

(٢) الاثـرم : هو احمد بن محمد بن هاني ٔ الطائي ابو بكر الأثرم البغدادي ، روى عن أحمد بن حنبل و تفقه عليه،وسأله عن المسائل والعلل وغيره ، وروى عنـه النسائي وموسى بن هارون البغوى ، قال ابراهيم أرومة الأثرم أحفظ من أبـــي زرعة وأتقن ،وقال الخلال كان معه تيقظ عجيب جدا مات سنة ٢٧٣هـ انظـــر تاريخ بغداد حـ ٥ ص ١١٠ ، تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٧٨ .

(٣) عثمان بن سعيد الدارمي : هو الامام ابو سعيد عثمان بن سعيد الدارمـــي السجزي الحافظ صاحب التصانيف،روى عن سليمان بن حرب وطبقته ،وكان جذعا وقذى في أعين المبتدعة،قيما بالسنة ثقة حجة ثبتا ، قال يعقوب بن اسحـــاق الفروى ما راينا اجمع منه ،أخذ الفقه عن البويطي،والعربية عن ابن الأعـــرج، والحديث عن ابن المديني ، توفي في ذي الحجة سنة ٢٨٠ هـ ،قال الاسنوى هو أحد الحفاظ الاعلام،طاف البلاد في طلب الحديث،وصنف المسند الكبيـــر. انظر شذرات الذهب حـ ٢ ص ١٧٦ .

(٤) بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريســي ،قيل ان أباه يهـــودي اشتغل بالصبـــغ في سوق المراضع وله حكايات منكرة ،قال اكثر العلماء انـــه زنديق ،وانه ينكر علو الله ، وينكر سائر صفات الله عز وجل،وينكر عذاب القبـــر الى غير ذلك من الاقوال المبتدعة ، وكان قد تفقه على أبي يوسف ثم اشتغـــل بالكلام مات سنة ٢١٨ هـ انظر تاريخ بغداد حـ ٧ ص ٦٦

كما ألف الامام ابن خزيمة (١) كتابه التوحيد ، وغير هؤلاء العلماء كثيرون وكلهم شرحوا عقيدة السلف ، وبينوها للناس معتمدين على نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الصحابة والتابعين ، وردوا على المخالفين ، وبينوا للناس شبههم وتأويلاتهم الفاسدة (٢) . ويعتبر عصر الامام ابن جرير من أزهى عصور العلم في شتى المجالات ، وان كان فيه بعض الخطوط السوداء الا أن البياض غالب على السواد باذن الله تعالى (والله متم نوره ولو كره الكافرون) (٣)

---

(١) ابن خزيمة : هو امام الائمة أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الحافظ صاحب التصانيف شيخ الاسلام ، ولد سنة ٢٢٢هـ وروى عن على بن حجر وابن راهويه ومحمود بن غيلان وغيرهم ، وروى عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين رحل الى الشام والحجاز والعراق ومصر ، وتفقه على المزني وغيره ، قال الحافظ ابو على النيسابوري : لم أر مثل ابن خزيمة في حفظ الاسناد والمتن ، وقال الدارقطني كان اماما معدوم النظير ، وقال الاسنوي في طبقاته صار ابن خزيمة امام زمانه بخراسان ، رحلت اليه الطلبة من الآفاق ، وقال شيخه الربيع استفدنا من ابن خزيمة اكثر مما استفاد منا ، من مصنفاته الصحيح والتوحيد ، توفى رحمه الله سنه ٣١١هـ انظر شذرات الذهب حـ ٢ ص ٢٦٢ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧٢٠ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٠٩

(٢) انظر ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف ص ٣٠

(٣) الصف آيه (٨)

الفصـــل الثانـــى

======

أطـوار حياة الامام ابن جريـــــــر

ويشتمل على خمسة مباحث

=====

المبحث الاول : اسمه ، وكنيته ، ونسبته ، ونسبه

المبحث الثاني : ولادتـــه ونشأتـــه

المبحث الثالث : اخلاقـــه

المبحث الرابع : صفاته الجسمية وعاداتـــه

المبحث الخامس : وفاتـــه

يرى سماحة الشيخ ناصر بن حمد الراشد نقل هذا المبحث الى الفصل الثالث

=============

المبحـــــث الأول

اسمـة وكنيته ونسبتــه ونسبــه

أما اسمه فهو " محمد " ، وأما كنيته فهي " أبو جعفر " .

ولم يذكر لنا أحد ممن ترجموا له عن سبب هذه الكنيـه ، فقـــد كان رحمه الله حصورا لا يعرف النساء (١) ، ولم يتزوج ، ولم يكـــن له ولد يكنى به باجماع المؤرخين ، فقد صرح رحمه الله عن نفسه حين حل ضيفا على الربيع بن سليمان في مصر، عندما جاءة أصحاب الربيـــع في مكان سكناه، وقالوا له: تحتاج الى قصرية وزير وحمارين وسده ، فقال لهم : أما القصرية فأنا لا ولد لي ، وما حللت سراويلي على حـــــرام ولا حلال قط. (٢)

وأما نسبتـــه :

فهي الطبري حيث ينتسب الى طبرستان ، فقد ولد، ونشأ، وتفتـــح ذهنه فيها على مبادئ العلوم المختلفة ، وينسبه بعض المؤرخيـــــن الى أمل مكان ولادته فيقولون : " محمد بن جرير بن يزيد بن كثيــــر الآملي الطبري أبو جعفر " (٣) . وبعضهم يزيدون في نسبته الــــى بغداد التي استوطنها وأقام بها حتى توفاه الله عز وجل فيقولــون : " محمد بن جــرير بن يزيد الامام ابو جعفر الطبري الآملي البغدادي "(٤) .

---

(١) انظر لسان الميـــزان جـ ٥ ص ١٠٢ .

(٢) انظر معجم الادباء جـ ١٨ ص ٥٥ .

(٣) انظر طبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ١٠٦ ، الفهرست : غيران ابـن النديم قال : " يزيد بن خالد الطبري الأملي " ص ٢٩١ .

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء جـ ٢ ص ١٠٦ .

وأما نسبـــه :

فقد اتفق المؤرخـــون فى نسبه حتى جده ، فهو عندهم جميعا " أبو جعفر محمد بن جرير ابن يزيد ،" ولكنهم يختلفون فيما بعـــد الجد ، فالاكثرية منهم يذكرون أن " يزيد " هو ابن (كثيـــر بـــن غالب) (١) ، والبقية القليلة الباقية منهم يذكرون أن (يزيد) هـــو ابن (خالد الطبرى) (٢) ، وقد رجحها ابن خلكان ، وطـــاش زاده ، والصفدى ، حيث ذكروا النسبة الأولى بصيغة التضعيـــف فقالوا : وقيل : " يزيد بن كثير بن غالب " (٣) غير أنى لا أستطيـــع الجزم بمن هو والد (يزيد) وذلك لأن الكتب الموجودة بين أيدينـــا للامام ابن جرير المطبوع منها والمخطوط لاتسعفنـــا بشيء مـــا نريد ، لأنها لا تزيد فى نسبه على " محمد بن جرير بن يزيد الطبرى" كما أن الامام ابن جرير نفسه لم يزد فى نسبه على (محمد بـــن

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٢ ، سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ ل ٤١٢ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ ل ٤٧٦ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٠ ، معجم الأدباء حـ ١٧ ص ٤٠ ، انباه الرواة على انباء النحاة ص ٨٩ ، المحمدون من الشعراء حـ ١ ص ٢٢٣ ، الأنساب ص ٣٦٧ ، البدايـــة والنهاية حـ ١١ ص ١٤٥ ، تهذيب الأسماء واللغات حـ ١ ص ٧٨ ، تذكـــرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١٠ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١٠٦ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٠ .

(٢) انظر وفيات الأعيان حـ ٤ ص ١٩١ ، الفهرست ص ٢٩١ الوافى بالوفيـــات حـ ٢ ص ٢٨٥ ، هداية العارفين حـ ٦ ص ٢٦ .

(٣) انظر وفيات الأعيان حـ ٤ ص ١٩١ ، الوافى بالوفيات حـ ٢ ص ٢٨٥ ، مفتاح السعادة حـ ١ ص ٢٥٣ غير أن طاش كبرى زاده لم يزد فى نسبـــه الأول على محمد بن جرير الطبرى ثم قال : وقيل : يزيد بـــن كثيـــر ابن غالـــب ..

جريـــر) . فقد سأله سائل عن نسبه فقال : محمد بن جرير ، فقال لـــه السائل زدنا في النسب ، فأنشده قول رؤبه العجاج (ت ١٤٥)

قد رفع العجاج ذكرى فادعـــنى * باسمى اذا الأنساب طالت يكفنى (١)

ولا خلاف في أن اسمه محمد ، وأن كنيته أبو جعفر ، وأن نسبته الطبرى .

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ ل ٤٧٧ معجـــم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٧ .

المبحث الثانـــي

ولادتــــه ونشأتـــه

تاريخ ولادتـــه :

ولد الامام ابن جرير الطبرى فى نهاية سنة أربع وعشريـــن ومائتيـــن للهجرة (١) ، وقيل انه ولد فى مستهل سنة خمس وعشريـن ومائتيـن (٢) ، وقد بيـن الامام ابن جرير نفسه سبب الخـــلاف فى تاريخ ولادته عندما سأله تلميذه أبو بكر بن كامل (ت ٣٥٠ هـ) قائلا له : كـيـــف وقع لك الشك فى ذلك ؟ فقال : لأن أهـــل بلدتنا يؤرخون بالأحداث دون السنين ، فأرخ مولدى بحدث كـــان فى البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبـرون لى ، فقال بعضهم : كان ذلك فى آخر سنة أربع ، وقال آخـرون : بل كان فى أول سنة خمس وعشرين ومائتيـن .(٣)

---

(١) سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ ل ٤١٣ ، طبقات المفسرين للـداودى ، حـ ٢ ص ١١٤ ، المحمدون من الشعراء حـ١ ص ٢٢٥ ، اللباب فى تهذيب الانساب حـ ٢ ص ٢٧٤ ، وفيات الأعيان حـ ٤ ص ١٩٢ ، الفهرســـت ص ٢٩١ ، الوافـــى بالوفيـــات حـ ٢ ص ٢٨٥ ، الأنساب ص ٣٦٧ ، مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة حـ ١ ص ٢٥٣ ، لسان الميـــــزان حـ ٥ ص ١٠٢ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١١ ، طبقات المفسريـــن للسيوطى ص ٣١ ، شذرات الذهب حـ ٢ ص ٢٦٠ ، طبقات الشافعيـــة حـ ٣ ص ١٢٠ ، تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٦ ، المنتظم حـ ٦ ص ١٧٠ .

(٢) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٦ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٧ ــ ٤٨ ، المنتظـــم حـ ٦ ص ١٧٠ .

(٣) انظر معجـــم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٨ .

مكـان ولادتـــه :

ولد الامام ابن جرير الطبرى فى مدينة آمل قصبة اقليم طبرستان ، وقد خرج من هذه المدينة كثير من العلماء ، وكل منهم ينتسب الـى طبرستان فيقال له الطبرى (١) . وقد سميت طبرستان بهذا الاسـم نسبه الى الطبر الذى يقطع به الخشب ، وهذه النسبة حدثنا بهـا الامام ابن جرير نفسه حين التقى بأبى حاتم السجستانى (ت ٢٤٨هـ) وسأله أبو حاتم من أى بلد أنت ؟ فقال : من طبرستان ، فقال لــه : ولم سميت طبرستان ؟ فقال : لا أدرى . فقال ابو حاتم : لما افتتحـت وابتدئ ببنائها كانت أرضا ذات شجر فالتمسوا ما يقطعون به الشجـر فجاؤهـم بهذا الطبر الذى يقطع به الشجر فسمى الموضع به (٢) .

وقال بعضهم : ان سبب تسميتها طبرستان هو نسبة الى الطبــره لأن أهلها كثيروا الحروب ، وكانت أسلحتهم الأطبار ، حتى انــك قلما تجد غنيا أو فقيرا صغيرا أو كبيرا الا وبيده الطبر ، فكأنها لكثرتها فيهم سميت بذلــك . (٣)

ويشتمل هذا الاقليم على بلدان كثيرة واسعة من أهمها : دهستـان ، وجرجان ، واستراباذ ، وآمل عاصمة الاقليم . وطبيعة اقليم طبرستـان أنه منطقة جبلية تتميز بكثرة الخيرات ، وغزارة المياه ، وانتشــار الاشجار ، وتنوع الفاكهـــة (٤) ،

وفى وصف هذا الاقليم يقول أبو العلاء السروى :

اذا الريح فيها جرت الريح أعجلت ** فواختها (٥) فى الغصن أن تترنمـا

---

(١) النسب الى طبرستان طبرى ، والى طبريه الشام طبرانى وقد اصطلح علـى ذلك ، انظر اللباب جـ ٢ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٢) انظر معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٨ .

(٣) انظر معجم البلدان جـ ٤ ص ١٤ الطبرى للحوفى ص ٢٨ ، الطبرى ومنهجه فـى التفسير ص ٣٢ .

(٤) انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٤ (٥) الفواخت : جمع فاخته وهى نوع من الطيور ..

فكم طيرت فى الجو وردا مدنـــرا ** يقابله فيه وورد ا مدرهمـــــا
وأشجار تفاح كأن ثمارهـــــا ** عوارض أبكار يضاحكن مغرمـــا
فان عقدتها الشمس فيها حسبتها ** خدودا على القضبان فذا وتوأمـا
ترى خطباء الطير فوق غصونهـــا ** تبث على العشاق وجدا مكتمـــا (١)

وكان هذا الاقليم يعرف بالبلاد الحصينة ، وكان ملوك الفرس يقيمـــون عليها حاكما من قبلهم ، ولا يعزلونه عنها حتى يموت ، فان مات أقاموا مكانـه ابنه ان كان له ولد ، والا جاؤا بحاكم آخر . فلما ظهر الاسلام وانتشـــر جنده فى أقطار الأرض يدعون الناس الى توحيد الله وافراده بالعباده، وصلت الدعوة الاسلامية الى حدود هذا الاقليم ، وكان صاحب هذا الاقليم يصالـــح على الشيء اليسير فيقبل منه لصعوبة المنطقة ، ووعورة مسالكها ، فلم يـــزل الأمر على ذلك حتى ولى سعيد بن العاص (٥٩ هـ) الكوفة من قبـــل عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سنة تسع وعشرين، فغزا هذا الاقليـــم ، واستطاع أن يستولى على معظم اجزائه ، وأعطاه أهل الجبال مالا (٢) ، فلما تولى معاوية بن سفيان رضى الله عنه (ت ٦٠ هـ) بعث الى هذا الاقليـــم مصقلة بن هبيـــرة (ت ٥٠ هـ) ومعه عشرون ألف رجل ، فأوغل فيـــه ، ولكن أهل هذا الاقليم ترصدوا للمسلمين فى المضايق ، فقتلوا مصقلة واكثـــر رجاله ، فكان المسلمون بعد ذلك اذا غزوا هذا الاقليم تحفظوا من التوغل فيه ، وحذروا من ذلك أشد الحذر . (٣)

فلما تولى يزيد بن المهلب (ت ١٠٢ هـ) خراسان فى أيام سليمان بـــن عبد الملك (ت ٩٩ هـ) جدد غزو اقليم طبرستان ، وسار حتى وصل اليـه ،

---

(١) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٤ ، الطبرى للحوفى ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢) انظر معجم البلدان جـ ٤ ص ١٤ ، فتوح البلدان جـ ٢ ص ٤١١ .
(٣) انظر معجم البلدان جـ ٤ ص ١٥ ، فتوح البلدان جـ ٢ ص ٤١٥ ، تاريـخ الطبرى جـ ٦ ص ٥٣٢ .

وقاتل أهله فصالحوه على أموال يؤدونها كل عام ، لكن أهل هذا الاقليم كانوا ينقضون بصلحهم تارة ، ويغدرون تارة أخرى ، الى أيام مروان بن محمد (ت ١٣٢هـ) فانهم نقضوا عهدهم ومنعوا جزيتهم ، فلما قامت الدولة العباسية ، وتولى العباس زمام الخلافة وجه اليهم أحد عماله فصالحوه على مال ، ثم غدروا وقتلوا كثير من المسلمين ، فلما تسلم المنصور الأمر وجه اليهم ثلاثة من قواده ، فحاربوا أهل طبرستان ، وانتصروا عليهم بعد بذل الجهد ، واعمال الحيلة (١) ، وكان أبو عمرو بن العلاء جزارا من أهل الرى ، فجمع جمعا كبيرا قاتل به الديلم ، وأبلى فى القتال بلاء حسنا ، ثم وفد على المنصور فكرمه ، وجعله قائدا ، ثم اصبح واليا على اقليم طبرستان ، واستشهد بها فى خلافة المهدى ، يقول بشار بن بسرد (ت ١٦٧ هـ) فى مدح عمرو بن العلاء :

اذا ايقظتك حروب العدا ** فنبه لهما عمرا ثم نم (٢)

فلما أصبح المأمون خليفة وجه جنده الى جبال شروين من طبرستان ـ وهى جبال صعبة وحصينة ـ بقيادة موسى بن حفص بن عمرو بن العلاء ، ومازيار بن قارون (ت ٢٢٥ هـ) وتم لهم فتحها ، فولى المأمون المازيار ابن قارون على بلاد طبرستان وسماه محمدا ، ولم يزل واليا عليها حتى مات المأمون . وآل الأمر الى المعتصم فأقره عليها . وأقام المازيار على الطاعة مدة ست سنوات من خلافة المعتصم ثم غدر بعد ذلك (٣) ، فكتب المعتصم الى عامله على المشرق من خراسان والرى وقومس وجرجان ، واسمه عبد الله بن طاهر (ت ٢٣٠ هـ) يأمره بمحاربة المازيار ، ووجه المعتصم محمد بن ابراهيم ابن مصعب فى جماعة من الجند لقتاله ، فلما رأى المازيار أنه لا طاقة له بجنود المعتصم ، وجنود عامله عبد الله بن طاهر ، استسلم فحمل الى سر من

---

(١) انظر معجم البلدان حـ ٤ ص١٥ ، فتوح البلدان حـ ٢ ص٤١٥ .

(٢) انظر معجم البلدان حـ ٤ ص١٥ ، فتوح البلدان حـ ٢ ص٤١٦ .

(٣) انظر معجم البلدان حـ ٤ ص١٥ ـ ١٦ ، فتوح البلدان حـ ٢ ص٤١٦ .

رأى ، وضرب بين يدى المعتصم بالسياط حتى مات ، ثم صلب ، وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين ومائتيـــن (١) .

ثم ولى عبد الله بن طاهر أمر الاقليم ، وتوارثت ذريته الولاية من بعـــده ، حتى خرج عليهم الحسن بن زيد العلوى (ت ٢٧٠ هـ) فى سنة تسع وأربعيـن ومائتيـــن ، فأخرجهم منها ، وبقى أهل هذا الاقليم يطيعون مرة ، ويعصـــون مرة أخرى ، حتى آل أمره الى خوارزم شاه علاء الدين محمد (ت ٦١٧ هـ) فقـد كانت تحمل أموال هذا الاقليم اليه ، وتقام الخطبة فى جميع نواحيه باسمـــه ، الى أن هرب من التتار هربه الذى أفضى به الى الموت ، وخلفه ابنه جـــلال الديـــن . (٢)

نشأتـــــه :

نشأ الامام ابن جرير فى كنف والده ، فمنحه حبه وعنايته ، وأسبغ عليه عطفه ورعايته ، وكان حريصا على تمهيد الطريق له كى ينهل من ينابيـــع العلوم التى كـانت أبوابها مفتوحة على مصراعيها لطلاب العلم ورواد المعرفة فى عصره ، بعد أن لمس فيه ملامح الذكاء ، ورأى عليه علامات النبوغ . وقد شجعه على انفاذ ما عزم عليه من توجيه ابنه الامام أبى جعفر الـى ولوج باب العلم ، وتفريغه تماما لارتياد ينابيعه ، أنه رأى فى منامـــه فلذة كبده اليافع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخـــلاه فيها حجارة ، وهو يرمى بها بين يديه الشريفتين ، وعندما قص رؤيـــاه على المعبر قال له : ان ابنك ان كبر نصح فى دينه وذب عن شريعته ،

---

(١) انظر معجـــم البلـــدان حـ ٤ ص ١٧ ، فتـــوح البلـــــــدان حـ ٢ ص ١٦ .

(٢) انظر معجم البلدان حـ ١ ص ٥٧ ، الطبرى ومنهجه فى التفسير ص ٣٤ .

قال أبو جعفر : فحرص أبي على معونتي لطلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير (١) . وكأن هذه الرؤيا المبشرة كانت حافزا مشجعا للامام ابن جرير فاندفع الى ميادين العلوم والمعرفة فى نهم وتعطش شديدين ، جعلاه لا يقنع ولا يرتوى مهما نهل من ينابيع العلم والمعرفة ، فجلس الى حلق العلم فى بلاده طبرستان تحفه رعاية الله ، ويوجهه والده الحنون الى الخير ، فحفظ القرآن الكريم بتوفيق الله وهديه وهو ابن سبع سنين ، وصلى بالناس وهو ابن ثماني سنين ، وكتب الحديث وهو فى التاسعة من عمرة . (٢)

قضى الامام ابن جرير السنوات الأولى من مقتبل عمره طالبا للعلم شغوفا به ، متنقلا بين مدن طبرستان ، ينهل من ينابيع العلم والمعرفة على أيدى العلماء الذين عهد لهم به والده ، وقد زادته تلك السنين حبا للعلم ، وشغفا شديدا فى طلبه وتحصيله حيثما كان ، ومهما تحمل فى سبيل ذلك من الصعاب والمشاق ، فترك بلده ، ورحل الى البلدان الاسلامية الواسعة ليلتقى بالعلماء ، ويأخذ العلم عنهم ، وسنفرد مبحثا مستقلا للحديث عن رحلاته لطلب العلم ان شاء الله تعالى ..

---

(١) انظر معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٩ .

(٢) انظر المصدر نفسه جـ ١٨ ص ٤٩ ..

المبحث الثالث

أخلاقه

أخلاقه :

كان الامام ابن جرير أحد العلماء العاملين المخلصين لدينهم ، متخلقا بما ينبغى له أن يتخلق به مثله من العلماء العاملين المخلصين الذين لا يخشون فى الله لومة لائم . فقد رزقه الله شرف النفس ، وحسن الخلق ، ولين الجانب ، وحسن المعاشرة ، والجرأة فى الحق ، والتواضع للـه من غير ذل ، وله فى كل ذلك مواقف مشهورة تنبئ عن قوة وأصالة ، وأخلاق فاضلة عظيمة .

كان أبوه رحمه الله ورعا تقيا ، واشتهر كذلك ابنه الامام أبو جعفر بالتقوى ، والزهادة فى الدنيا ، وليس معنى هذا أنه ورث هذه الصفات النبيلة عن أبيه لأنها لا تورث ، ولكن معناه أن تأثره بأبيه ، ومحاكاته له فى الصغر من الأسباب التى حببت له الورع ، والاستغناء بما يرد اليه من حصته فى مزرعة خلفها له أبوه بطبرستان (١) بعد توفيق الله وهديه أولا وآخرا . وصفه تلميذه عبد العزيز الطبرى بقوله : " وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانه وتصفية الأعمال ، وصدق النية ، وحقائق الأفعال ، ما دل عليه كتابه فى آداب النفوس " . (٢)

---

(١) انظر طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٢٥ ، الطبرى للحوفى ص ٤٧ .

(٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٦٠ .

وعلى الرغم من اشتغاله بالتأليف والتدريس والاملاء ، فانه كان حريصا على أن يقرأ كل ليلة قدرا من القرآن الكريم اعتاد أن يقرأه(١).. وقد كان رحمه الله مجودا في القراءة موصوفا بذلك ، يقصده القراء والبعداء من الناس للصلاة خلفه ليسمعوا قراءته وتجويده، فقد كانت قراءته تجمع بين الترتيل الجيد الممثل للمعاني ، وبين الخشوع المصور للاجلال ، وتنبئ عن ورعه وتقواه ، فهي تؤثر على من يستمع اليها ، وتجذبه لمواصلة الاستماع اليها بشغف واقبال..

حدث أبو علي الطوماري عن قراءة الامام ابن جرير قائلا : " كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد الى المسجد لصلاة التراويح ، فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره ، واجتاز على مسجده فلم يدخله وأنا معه ، وسار حتى انتهى الى آخر سوق العطش ، فوقف بباب مسجد محمد بن جرير ، ومحمد يقرأ سورة الرحمن، فاستمع قراءته طويلا ثم انصرف ، فقلت له : يا أستاذ تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا؟ فقال : يا أبا علي دع هذا عنك ، ما ظننت أن الله تعالى خلق بشرا يحسن قراءة هذه القراءة ." (٢) . وقال ابو بكر بن مجاهد : " ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر ." (٣)

ومن مظاهر ورعه أنه قال : " استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير، وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني " (٤)

ويصفه كثير من تلاميذه ومعاصريه بأنه كان زاهدا عازفا عن الدنيا مترفعا عن التماسها ، خاشعا آمينا تقيا ، ما سمعه أحد يحلف بالله عز وجل، ف يقول تلميذه ابو بكر بن كامل : " وما سمعته قط لا حنا ولا حالفا بالله عز وجل " (٥) .

---

(١) انظر المصدر نفسه ج ١٨ ص ٨٦.

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٤ ، طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ١٠٩ ــ ١١٠ ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٢٤ ، لسان الميزان ج ٥ ص ١٠٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ١٠ ل ٤٨٠ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٦٦ . (٤) المصدر نفسه ج ١٨ ص ٦٢ ..

(٥) المصدر نفسه ج ١٨ ص ٩٠ ..

وقد عاش حياته كلها اعزب عفيفا ، اذ كان كما وصفه مسلمه بن قاسم " حصورا لا يعرف النساء ، ورحل من بلده فى طلب العلم وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، سنة ست وثلاثين فلم يزل طالبا للعلم مولعا به الى أن مات" (١) .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظ الامام ابن جرير عما ابتلى به كثير من العلماء آنذاك من الوقوف على أبواب الخلفاء والامراء والوزراء والاثرياء ، طلبا للمال والتماسا للرزق ، فوهبه الله سبحانه وتعالى ضيعه ورثها عن أبيه كان خراجها يأتيه فينفق منه على نفسه ، ويقضى به متطلبات حياته . يحدثنا الفرغانى عن الامام ابن جرير قائلا " رحل ابن جرير من مدينة آمل لما سمح له أبوه بالسفر ، وكان طول حياته ينفذ اليه بالشيء بعد الشيء الى البلدان ، فسمعته يقول : أبطأت عنى نفقة والدى واضطررت الى أن فتقت كمى القميص فبعتهما ." (٢) . ولقد كان بامكانه أن يقترض من أصحابة ثم يرد القرض بعد أيام قلائل لكنه لم يفعل اباء وآنفه ، وكان بامكانه أن يلجأ الى ما كان يلجأ اليه طلبة العلم الغرباء عن ديارهم فى عصره من الاستعانه بذوى الثراء ، ومحبى العلم ، ولكنه آثر أن يبيع كمى قميصه لينفق من ثمنهما على نفسه حتى تأتيه النفقه من أبيه .

ذكر أن المكتفى الخليفة قال للعباس بن الحسن أريد أن اوقف وقفا تجتمع أقاويل العلماء على صحته ويسلم من الخلاف ، قال فأحضر الامام ابن جرير ، فأملى عليهم كتابا لذلك فأخرجت له جائزة سنية فأبى أن يقبلها ، فقيل له لا بد من جائزة أو قضاء حاجة ، فقال نعم : الحاجة أسأل أمير المؤمنين أن يتقدم الى الشرط أن يمنعوا السؤال من دخول المقصورة يوم

---

(١) سير اعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٩ ، طبقات الشافعية حـ ٣ص ١٢٥ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ص ٧١٣ ــ ٧١٤ ..

الجمعه ، فتقدم بذلك وعظم فى نفوسهم (١) • وقد طلب اليه الوزير العباس ابن الحسن أن يؤلف له مختصرا فى الفقه فألف له كتاب " الخفيف " وأرسله اليه فبعث اليه الوزير بألف دينار فردها فلم يقبلها ، فقيل لـه تصدق بهـا فلم يفعل ، وقال لهم أنتم أولى بأموالكم واعرف بمن تصدقون عليه (٢) • وقد رفض هدايا كثيرة جاءته من بعض الوزراء والكبراء والأثرياء على تشوقهم الكبير الى أن يقبلها ، وذلك لأنه كان لا يقبل الهدايا بغض النظر عن مكانة مهديها الا اذا كان قادرا على المجازاة بمثلها •

فقد رفض عشرة آلاف دينار جاءته هدية من أحد الوزراء ، وقبل منه رمانا فرقه بين جيرانه ، وبعد مدة جاءه مال ضيعته من طبرستان فقال لأصحابه امضيا بهذا الى الوزير واقرءا عليه السلام ، وأوصلا اليه هذه الحزمة والرقعة ، قالا فصرنا اليه ، ولا نعرف ما فيها ، فلما قرأ الرقعة واذا فيها : " انه قد أنفذ اليه شيء من طبرستان فآثر انفاذه اليه " • قال فتقدم الى من فتحه فاذا فيه سمور (٣) حسن ، فقوم له ذلك بأربعين دينارا ، ولم يجد بدا من قبوله ، وكان داعيا الى امتناعه من الاهداء اليه • (٤)

فكما أن الهدية فى نظره يبدا من المهدى لا يتقبلها الا اذا كان قادرا على المجازاة بمثلها ، فانه كان يرى أن الصنيع يد لصانعه وجميل لا بد من عرفانه وتقديره والمكافأة عليه •

قال عبد العزيز بن محمد الطبرى (٥) : أخبرنى غير واحد من أصحابنا

---

(١) انظر سير اعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٤ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٤ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٠ ـ ٣١ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ / ل ٤٧٨ •

(٢) انظر سير اعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٥ ، طبقات الشافعية حـ٣ ص ١٢٤ •

(٣) السمور : حيوان برى يشبه السنور يتخذ من جلده فراء ثمينة

(٤) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٨٧ ، ٨٩ الطبرى للحوفى ص ٥١ ـ ٥٢ •

(٥) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٨٥ ـ ٨٦ ••

أنه رأى عند أبي جعفر شيخا مسنا ، فقام له ابو جعفر وأكرمه ، ثم قال ابو جعفر: ان هذا الرجل ناله فيّ ما قد صار له عليّ به الحق الكثير ، وذلك أني دخلت الى طبرستان ، وقد شاع سب أبي بكر وعمر فيهما ، فسألوني أن أملي في فضائلهما ففعلت ، وكان سلطان البلدة يكره ذلك فاجتمع اليه من عرفه ما أمليته ، فوجه اليّ فبادر .. هذا ، وأرسل اليّ من أخبرني أني قد طلبت ، فخرجت من وقتي عن البلد ، ولم يشعر بي ، وحصل هذا في أيديهم ، فضرب بسببي الفا " (١) .

ولم تكن الصلة الروحية التي تصل التلميذ باستاذه لتصرفه عن التزام خطته التي ارتضاها لنفسه ، فقد كان يختلف اليه ابو الفرج بن أبي العباس الاصبهاني يقرأ عليه كتبه ، فطلب منه الامام ابن جرير حصيرا لصفة صغيرة عنده ، فصنع أبو الفرج الحصير ، وجاء به وهو يريد أن يقدمه الى استاذه هدية صغيرة ، فدفع اليه الامام ابن جرير أربعة دنانير ، فأبى أن يأخذها ، ورفض الامام أبو جعفر أن يأخذ الحصير الا بها ، (٢) .

وقد كان الامام ابن جرير يردد أبياتا من شعره تصور أنفته وعزة نفسه - التي وصفها تلاميذه - ورضاه بالمال القليل ، وسعادته بهذه القلة ، وايثاره ذلك على الغنى المشوب بهوان النفس وذلها .

يقول الامام ابن جرير :

اذا أعسرت لم يعلم (٣) رفيقي (٤) ** واستغني فيستغني صديقي

---

(١) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٨٧ ، الطبري للحوفي ص ٥٤ .

(٣) في معجم الأدباء لم اعلم ، انظر حـ ١٨ ص ٤٣ .

(٤) في الوافي بالوفيات وردت صديقي ، انظر حـ ٢ ص ٢٨٥ ، وفي وفيات الأعيان وردت شقيقي بدلا من رفيقي انظر حـ ٤ ص ١٩٤ ..

حياتي حافظ لي ماء وجهــــي ** ورفقي في مطالبتي رفيقــــي
ولو أني سمحت ببذل (١) وجهــي ** لكنت الى الغنى سهل الطريق (٢)

ويقــول أيضـا :

خلقان لا أرضى طريقهمــا ، ** تيه الغني ومذلـة الفقــر
فاذا غنيت فلا تكـن بطـرا ** واذا افتقرت فته على الدهـر (٣)

وكان الامام ابن جرير رحمة الله جريئـا في الحق لا يخشى فــي الله لومة لائم، لا يهاب أحدا ، ولا يرهب أي انسان مهما علت مكانته، وارتفعت منزلته وعظم شأنه؛ مترفعا عن الصغائر ، وسفاسف الأمور ، وحب الدنيا .
يقول الفرغاني : " كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائـم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد ". (٤)

وقد عرض عليه القضاء ، فأبى أن يقبله ، ولعل سبب رفضه لهــذا المنصب يعود الى جملة أسباب منها : جرأته في الحق . فقد كان الامام ابن جرير جريئـا في الحق ، لا يراعي الا الله سبحانه وتعالى ، ومــن شأن القضاة أن تعرض عليهم منازعات يتصل بعضها بامراء ذلك العصـــر وحكامه ، وهو لا يستطيع أن يمالئ أميرا ، أو يجامل وزيرا أو يحابي كبيـرا ، فمن الخير له أن يكون بعيدا عن هذا المأزق ، وأن يفرغ نفسه للعلــم والتصنيف وتثقيف طلاب العلم ، متنعما بحريته وراحة ضميره ، أضف الى ذلك

---

(١) فـي سير اعلام النبلاء وردت بماء وجهـي بدلا من بذل وجهــي انظر حـ ٩/٣/ل ٤١٨ .
(٢) تاريخ بغداد حـ ٢ص ١٦٥ ، المحمدون من الشعراء ص ٢٢٤ ، سيـر اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ ل ٤١٨ ، الوافي بالوفيات حـ ٢ص ٢٨٥ ، وفيـات الاعيان حـ ٤ ص ١٩٢ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٣ .
(٣) تاريخ بغداد حـ ٢ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ، سير النبلاء حـ ٩/٣/ ل ٤١٨ ، المحمدون من الشعراء ص ٢٢٤ ، ومعجم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٢ .
(٤) طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٥ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١٢ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣١ .

أنه كان يخاف ان استلم القضاء أن يجوز فى حكم من الاحكام التى تعرض عليه ،
وقد تأسى بكثير من الأئمة والعلماء الذين عرض عليهم منصب القضاء فرفضوه
كالامام ابى حنيفة رحمه الله وغيره .
وقد يكون رفضه للقضاء عائدا الى أنفته وعزة نفسه ، لكى لا يكون الحاكم عليه
ولاية أو سلطان .

ويحدثنا بعض الذين ترجموا لحياة الامام ابن جرير عن موقفه حين عرض عليه القضاء بقولهم : لما تقلد الخاقانى (ت ٣١٢ هـ) الوزارة وجه اليه بمال كثير فأبى أن يقبله ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، وقالوا له فى هذا ثواب وتحيى سنة قد درست ، وطمعوا فى أن يقبل ولاية المظالم فانتهرهم وقال : قد كنت أظن أنى لو رغبت فى ذلك لنهيتمونى عنه .(١) .

وقد كان تلاميذه من طبقات مختلفة ، وكان رحمه الله جريئا عادلا فى التسوية بينهم ، لا يميز أحداً منهم على حساب الآخر ، لحسبه ، أو لجاهه أو جاه أهله ،
يقول ابو معبد عثمان بن أحمد الدينورى : " حضرت مجلس الطبرى ، وحضر الفضل ابن جعفر بن الفرات بن الوزير (ت ٣٢٧ هـ) وقد سبقه رجل ، فقال الطبرى للرجل الا تقرأ فأشار الى الوزير : فقال له الطبرى : اذا كانت النوبة لك فلا تكترث بدجلة ولا الفرات ، قلت (٢) : وهذه من لطائفه وبلاغته وعدم التفاته لأبناء الدنيا "(٣) .

---

(١) انظر سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ ل ٤١٨ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٥ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣١ ، الطبرى للحوفى ص ٥٦ ـ ٥٧ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ ل ٤٨٠ .

(٢) يعنى ابن حجر خلافا لما توهمه الدكتور الحوفى من أن المعلق كان الدينورى انظر الطبرى للحوفى ص ٥٧ الطبرى الفقية ص ٤ .

(٣) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ ل ٤٨٠ ، لسان الميزان حـ ٥ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ..

وقد كان الامام ابن جرير متواضعا على الرغم مما أوتيه من غزارة العلم ، وحدة الذهن ونباهة الفكر ، وبعد الصيت ، وكان لا يزهو بعلمه ، ولا يفاخر به ، ولا يتحدث عن انتصاره وتفوقه على غيره من العلماء في المناظرات والمناقشات التى كانت تدور بينه وبين من التقى بهم من علماء عصره . ومما ينبغى ذكره بصدد هذا الأمر هو المناظرة التى دارت بين الامام ابن جرير ، وعبد الله بن حمدان ، حين مر الامام ابن جرير بالدينور فى طريقه الى طبرستان ، ودعاه بعض أهل العلم ، ودارت مناظرات ومناقشات ، زعم بعدها عبد الله بن حمدان أنه أغرب على الامام ابن جرير خمسة وثمانين حديثا ، وأغرب عليه الامام ابن جرير ثمانية عشر حديثا ، قال عبد العزيز الطبرى ، ثم لقيت بعد ذلك أبا بكر بن سهل الدينورى وكان من العلماء والحفاظ للحديث ، فحدثته بذلك فقال : كذب والله الذى لا اله الا هو ، لقد قدم الينا أبو جعفر ، فدعاه المعروف بالكسائى ، ودعا معه أهل العلم ، وكنت حاضرا ، ومعنا ابن حمدان ، فقرأ على أبى جعفر كتاب الجنائز من الاختلاف ، فقال له أبو جعفر ليس يصلح لنا أن نفترق من غير مذاكرة ، وهذا كتاب الجنائز فنتذاكر بمسنده ومقطوعه ، وما اختلف فيه الصحابة والتابعون والعلماء ، فقال ابن حمدان أما المسند فأذاكر به ، وأما سواه فلا أذاكر به ، فأغرب عليه ثلاثة وثمانين حديثا ، وأغرب عليه ابن حمدان ثمانية عشر حديثا وكان ابن حمدان فيما أغرب به على أبى جعفر أقبح مما أغرب به أبو جعفر، لأنه كان اذا أغرب ابن حمدان بحديث قال له أبو جعفر هذا خطأ من جهة كذا ومثلى لا يذاكر به ، فيخجل وينقطع "(١) . وكان الامام ابن جرير يعطف على تلاميذه ، ويتواضع فى معاملتهم لأنه كان يحبهم ويثق فى محبتهم له . فقد ذكر ابن كامل

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٦ ـ ٥٧ .

أن بعض تلاميذ الامام ابن جرير آلمه فى مجلس الاستاذ ، فانقطع ابن كامل عن المجلس مدة ، ثم قابله الامام ابن جرير فجعل يعتذر له ويترضاه ويترفق به ، كأنه هو الذى آذاه ، فرضى ابن كامل وعاد الى مجلس استاذه (١) . وقد كان الامام ابن جرير قريبا الى الناس محبوبا عندهم ، فقد كان يمضى الى الدعوة يدعى اليها ، والى الوليمة يسأل فيها ، ويكون ذلك يوما مشهودا من أجله ، وشريفا بحضوره ، وكان يخرج مع بعضهم الى الصحراء فيأكل معهم . (٢)

وقد شغف الامام ابن جرير بالعلم منذ صغره الى أن لقى ربه ، فقد وهبه والده للعلم ، ووهب نفسه للعلم أيضا ، وأعطى العلم من وقته الشيء الكثير ، فلم يعرف الملل والفتور ، بل كان متأبيا على الفتور والكلال ، متسلحا بالصبر الحافز ، والجد الدائب والنشاط الموصول بعزيمة ماضية وهمة قوية لا تفتر ، بذل جهده ووقته فى سبيل تحصيل العلم ، وتحمل كثيرا من المشاق والصعوبات ، وطوف فى كثير من الأقطار والبلاد ، وسمع من كبار علمائها ، مما جعل حياته كلها حافلة بالبحث والدرس والتصنيف حتى لقى ربه عز وجل ، بهذه العزيمة الصادقة قرأ كثيرا ، وكتب كثيرا ، وحفظ كثيرا ، وكان يستهين بالجهد المضنى ، ويستسهل الصعب المجهد ، وكان يظن أن تلاميذه يقدرون على ما يقدر عليه ، ويستطيعون أن يروضوا نفوسهم على مثل ما يروض عليه نفسه ، فلما تبين له أنهم يستطيلون الشوط ، ويستبعدون الغاية ، صارحهم بأسفه وألمه من ضعف عزائمهم ، وذلك حين قال لهم : أتنشطون لتفسير القرآن قالوا : كم يكون قدره ، قال : ثلاثون الف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى الاعمار قبل تمامه ، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال اتنشطون لكتابة تاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا ، قالوا كم يكون قدره ؟ فذكر

---

(١) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥٤ ـ ٥٥ . الطبرى للحوفى ص ٦٠ .

(٢) انظر معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٨٩ .

نحـــوا مما ذكر فى التفسير فأجابوه• بمثل ذلك • فقال انا لله ماتت الهـــم فاختصره فى نحو مما اختصر التفسير•(١)

وكان رحمه الله يقرأ وهو فى شديد العلة ، فقد ذكر تلميذه ابن كامـل أنه رآه قبل المغرب وهو شديد العلة ، فرأى تحت مصلاه كتاب فردوس الحكمة ، لعلى بن زين الطبرى (ت ٢٤٧ هـ) وكان أبو جعفر قد كتبه سماعا مـــــن مؤلفه (٢) ، وكان بعزيمته القوية نشيطا للقراءة وهو فى الخامسة والثمانين مـن عمره ، وكان يتدبر ما يقرأ ، ويتمعن فيه ، ويخط بقلمه فى كثير من المواضع • يقول ابو القاسم الحسين بن حبيش الوراق " كان قد التمس منى أبو جعفـــــر أن أجمع له كتب الناس فى القياس، فجمعت له نيفا وثلاثين كتابا فاقامت عنده مديدة ، ثم كان من قطعة للحديث قبل موته بشهور ما كان فردها على وفيهـا علامات له بحمرة قد علم عليهـــا "(٣)•

وكانت ثمرات عزيمته القوية ثروة عظيمة من المؤلفات العلمية القيمة ، تركهـا خلفه فأثريت بها المكتبة الاسلامية ، ودهش لها تلاميذه ، فحسبها بعضهم بأنـــه دأب على الكتابه يكتب فى كل يوم أربعين ورقة (٤)• وحسبها بعضهم بأنهـــا لو قسمت على أيام حياته منذ بلغ الحلم الى أن توفاه الله عز وجل لكان حصيلة كتابته فى اليوم أربع عشرة ورقـة (٥)• وهذا لا يتوفر لمخلوق الا بحسن رعاية

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص١٦٣ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص١٢٢ ، الانساب ص ٣٦٧ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص١١٣• الطبرى للحوفى ص ٦١••

(٢) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٨•

(٣) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٨١•

(٤) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص١٦٣ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص١٢٢ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣١ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص٧١١•

(٥) انظر طبقات الشافعية حـ ٣ ص١٢٢ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١١••

الله وتوفيقه ، وقليل من يكـــون كذلـــك من أمثال شيـــخ الاسلام ابن تيميـــة (ت ٧٢٨ هـ) وأمثاله من العلماء الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم ، والقراءة والتأليـــف ..

المبحث الرابع

صفاته الجسمية وعاداته

كان الامام ابن جرير الطبري فصيح اللسان ، نحيف الجسم مليحه ، مديد القامة ، أعين (١) ، أسمر الى الأدمة كبير اللحية ، وكان السواد في شعر رأسه ولحيته كثيرا ، مات ولم يغير شيبه (٢) ، كما كان حسن القيام على نفسه لا يأكل من الخبز الا السميذ ، لأنه من القمح المغسول ، اذ كان من مذهبه ان الشمس والنار والريح لا تطهر نجسا ، وربما أكل من العنب الرازقي والتين الوزيري والرطب ، وربما أخذ له من اللبن الحليب من غنم ترعى فيصفى ، ويجعل في قد على النار حتى يذهب منه جزء ، ثم يثرد في الاناء ، ويصب عليه اللبن الحار ويدعه حتى يبرد ، ويطرح عليه الصعتر ، وحبة السوداء والزيت ، وربما اكل الحصرم في وقته ، وكان لا يأكل الدسم ، وانما يأكل اللحم الأحمر الصرف ، ولا يطبخه الا بالزبيب ، وكان يقول السمين يلطخ المعدة ، وكان يتجنب السمسم والشهد ويقول : انهما يفسدان المعدة ، ويغيران النكهة ، ويقول : ان التمر يلطخ المعدة ، ويضعف البصر ويفسد الأسنان ، ويفعل في اللحم كذا وكذا ، فقال له أبوعلى الصواف : أنا آكله طول عمرى ولا أرى منه الا خيرا ، فقال له الامام ابن جرير ; وما بقي على التمر أن يعمل بك اكثر مما عمل ، قال أبو بكر بن كامل : وكان الصواف قد وقعت اسنانه ، وضعف بصره ، ونحف جسمه وكثر اصفراره (٣) ، ويبدوا أن الامام ابن جرير كان يعاني من مرض في معدته ،

---

(١) الأعين هو الذى عظم سواد عينيه في سعة ،

(٢) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٦ ، سير أعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤٢٢ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٦ ، انباه الرواه حـ ١ ص ٢٢٥ ، طبقات المفسرين للداودي حـ ٢ ص ١١٤ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٤٠ ،،

(٣) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٩٠ ـ ٩٢ ،،

فقد كان يتجنب كل ما ينغص عليها ويؤذيها من الطعام . قال أبو بكر بن مجاهد: كان أبو جعفر ربما خرج الى الصحراء فنخرج معه ، فدعانا يوما أبو الطيب بن المغيرة بن الثلاج ، وكان جارا لأبي جعفر في محلة ببغداد ، فجاء بنا الى قراح باقلى (١) فاكلنا ، وأكل أبو جعفر أكلا فيه افراط ، ورأينا من حسن عشرته وانبساطه أمرا عظيما ، ثم انصرفت قصرت اليه لأعرف خبره من تعبه مما أكله ، فاذا بين يديه أدويه وجوارشنات (٢) يأكل منها ليدفع بها ضرر ما أكله (٣) . وكان الامام ابن جرير مصابا بذات الجنب تعتاده وتنتقض عليه ، ويبدو أن معرفته بالطب واعتلال صحته مرناه على تطبيب نفسه ، فقد وجه اليه على بن عيسى (ت ٣٣٤ هـ) طبيبا ، فسأله عن حاله فعرفه حاله وما استعمل وأخذ لعلته ، وما انتهى اليه في يومه ذاك ، وما رسمه أن يعالج به ، وما عزم على أخذه من العلاج ، فقال له الطبيب ما عندى فوق ما وصفته لنفسك شيء ، والله لو كنت في ملتنا لعددت من الحواريين — وفقك الله — ثم جاء الى على بن عيسى فعرفه ذلك فأعجبه (٤) .

وكان رحمه الله اذا جلس لا يكاد يسمع له تنخم ، ولا تبصق ، ولا يرى له نخامة ، واذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابه منديله ومسح جانبي فيه . قال تلميذه أبو بكر بن كامل : " ولقد حرصت مرارا أن يستوى لي مثل ما يفعله فيتعذر على اعتياده " (٥) ويحدثنا تلميذه ابو بكر بن

---

(١) أي ماء وفول .

(٢) نوع من الأدوية هاضم للطعام عذب الرائحة فارسي معرب ، انظار الطبرى للحوفى ص ٤٥ .

(٣) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٩٠ .

(٤) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٩٤ .

(٥) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٩٠ ..

كامل عن أدبه فى الأكل بقوله : " ما رأيت اظرف اكلا من أبى جعفر ، كان يدخل يده فى الغضارة (١) فيأخذ منها لقمة ، فاذا عاد بأخرى كسح باللقمة ما التطخ من الغضارة باللقمة الأولى ، فكان لا يلتطخ من الغضارة الا جانب واحد ، وكان اذا تناول اللقمة ليأكل سمى ووضع يده اليسرى على لحيته ليوقيها من الزهومة (٢) فاذا حصلت اللقمة فى فيه أزال يده (٣) . وكان اذا اكل نام فى الخيش (٤) ، فى قميص قصير الأكمام مصبوغ بالصندل وماء الورد ، ثم يقوم فيصلى الظهر فى بيته ويكتب فى تصنيفه الى العصر ، ثم يخرج فيصلى العصر ويجلس للناس يقرىء ويقرأ عليه الى المغرب ، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه الى عشاء الآخرة ثم يدخل منزلة ، وقد قسم ليله ونهاره فى مصلحة نفسه ودينه والخلق كما وفقه الله عز وجل . (٥)

وجملة القول فى هذا المقام : ان الامام ابن جرير كان حسن السمت ، حسن العشرة لمجالسيه ، حسن المظهر ، نظيف الملبس ، جميل الأدب فى مأكله وملبسه ، وما يخصه فى أحوال نفسه ، منبسطا مع اخوانه ، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة . (٦)

---

(١) الغضارة : هى القصعة الكبيرة ..
(٢) رائحة اللحم السمين .
(٣) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٨٩ ـ ٩٠ .
(٤) ثياب من مشاقة الكتان .
(٥) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٩٢ .
(٦) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٨٦ .

المبحث الخامس

وفاته

انتقل الامام ابن جرير الطبرى الى رحمة الله عز وجل فى مدينة بغداد على الراجح الصحيح الذى اقتصر عليه جمهور المؤرخين وأكثر المصنفين ، وأما ما ذكر من أنه توفى بمصر ، وأنه مدفون بسفح المقطم فغير صحيح ، ولا يجوز الالتفات اليه كما حققه ابن يونس ، وأقره ابن خلكان والصفدى (١) . ولا خلاف فى أنه توفى فى خلافة المقتدر بالله كما ذكرنا ذلك سابقا : ، وانما الخلاف فى سنة وفاته .

(١) فالذى أجمع عليه الجمهور هو أنه توفى فى شوال من سنة ٣١٠ هـ وذهب بعضهم الى أنه توفى سنة ٣١١ هـ ، وذهب آخرون الى انه توفى سنة ٣١٦ . وقد ذكر هاتين الروايتين ياقوت الحموى ، وعلق عليهما بقوله " والله أعلم وأحكم ، وهذه السنون كلها فى أيام المقتدر بالله) (٢) وتشعر هذه العبارة أن ياقوت لم يرض هاتين الروايتين ، ولم يلتفت اليهما القفطى كذلك، والقول الاول هو المشهور الذى ينبغى الذهاب اليه (٣) .

ثم ان المؤرخين اختلفوا فى اليوم الذى توفى فيه ، واليوم الذى دفن فيه

أ - فمنهم من قال انه توفى يوم السبت بالعشي ، ودفن يوم الاحد بالغداة لاربع بقين من شوال سنة ٣١٠ هـ فى داره ، أو فى حجرة

---

(١) انظر وفيات الاعيان حـ ٤ ص ١٩٢ ، الوافى بالوفيات حـ ٢ ص ٢٨٥

(٢) معجم الادباء حـ ١٨ ص ٩٤ .

(٣) انظر انباه حـ ٣ ص ٩٠ ، الطبرى الفقيه ص ٤٨

بازاء داره برحبة يعقوب فى ناحية باب خراسان (١) .

ب ـ ومنهم من قال انه توفى يوم الاحد ليومين بقيا من شوال ، ودفن يوم الاثنين من غد ذلك اليوم وقد أضحى النهار (٢) .

ج ـ ومنهم من قال انه توفى يوم السبت . ووورى فى قبره يوم الاحد وقت الظهر لسبع بقين من شوال سنة ٣١٠ هـ (٣)

د ـ ومنهم من قال أنه توفى فى الخامس والعشرين من شوال سنة ٣١٠ هـ ، ولم يذكر اليوم الذى مات فيه ، واليوم الذى دفن فيه (٤) .

هـ ـ وقد ذكر ابن عساكر والذهبى رواية عن وفاته ، قالا: انه توفى يوم الاثنين غير أنهما لم يذكرا تاريخ ذلك اليوم ولا الشهر الذى مات فيه ، ولا السنة التى مات فيها كذلك ، وأوردا فى ذلك رواية عن وفاة الامام ابن جرير عن أبى بكر الديغورى أنه قال : (لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الاثنين الذى توفى فى آخره ابن جرير طلب ماء ليجدد وضوءه فقيل له تؤخر الظهر لتجمع بينها وبين العصر فأبى، وصلى الظهر مفردة ، والعصر فى وقتها أتم صلاة واحسنها ، وحضر وقت موته

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٦ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١/ل ٤٨٢ ، المحمدون من الشعراء حـ ١ ص ٢٢٥ ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة حـ ١ ص ٢٥٣ ، انباه الرواة حـ ٣ ص ٩٠ وفيات الاعيان حـ ٤ ص ١٩١ ـ ١٩٢ ، الوافى بالوفيات حـ ٢ ص ٢٨٥ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١١٤ ، الانساب ص ٣٦٧ .

(٢) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٦ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٨٢ ، سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤٢٢ ، طبقات الشافعيه حـ ٣ ص ١٢٦ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١١٤ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١٥ ، المحمدون من الشعراء حـ ١ ص ٢٢٥ ، البداية والنهاية حـ ١١ ص ١٤٥ ، شذرات الذهب حـ ٢ ص ٢٦٠ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣١ ، المنتظم حـ ٦ ص ١٧٢ .

(٣) انظر غاية النهاية حـ ٢ ص ١٠٨ .

(٤) انظر اللباب حـ ٢ ص ٢٧٤

جماعة من أصحابه منهم ابو بكر بن كامل ، فقيل له قبل خروج روحه يا أبا جعفر أنت الحجة فيما بيننا وبين الله تعالى فيما ندين به ، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا وتبينه لنا نرجوا به السلامة في معادنا ؟ فقال الذى أدين الله به ، وأوصيكم هو ما بينت في كتبي فاعملوا به وعليه ، وكلاما هذا معناه ، واكثر من التشهد وذكر الله عز وجل ، ومسح يده على وجهه ، وغمض بصره بيده وبسطها وقد فارقت روحه .(١)

كما أن المؤرخين اختلفوا في الوقت الذى دفن فيه ، فالذى أجمع عليه جمهور المؤرخين ومنهم الخطيب وابن عساكر أنه دفن وقد أضحى النهار، واجتمع عليه من لا يحصيهم عددا الا الله ، ولم يؤذن به أحد (٢) .

وذهب ابن الأثير الى أنه دفن ليلا لان العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارا ، وقد روى ابن الجوزى مسألة دفنه ليلا بصيغة التضعيف فقال : (وقيل بل دفن ليلا . ولم يؤذن به أحد واجتمع من لا يحصيهم الا الله) (٣) .

وقد اختلفوا ايضا في انه توفي عن نحو (٩٠) سنة (٤) أو (٨٧) سنة (٥) أو (٨٦) سنة ، أو (٨٥) سنة (٦) أو (٨٤) سنة (٧) .

---

(١) تاريخ ابن عساكر جـ١٠/ل٤٨١ ، سير اعلام النبلاء جـ٩/٣/ل٤١٨

(٢) انظر تاريخ بغداد جـ٢ ص١٦٦ ،تاريخ ابن عساكر جـ١٠/ل٤٨٢

(٣) المنتظم جـ٢ ص١٧٢ ،وانظر تجارب الامم جـ١ ص١٨٤ الكامل جـ٨ ص١٣٤ البداية والنهاية جـ١١ ص١٤٥

(٤) انظرتجارب الامم جـ٣ ص٨٤ ،الطبرى الفقيه ص٤٨

(٥) انظر الفهرست ص٢٩١

(٦) انظر معجم الادباء جـ١٨ ص٤٤ ، تاريخ ابن عساكر جـ١٠/ل٤٨٢ ، البداية والنهاية جـ١١ ص١٤٥

(٧) انظر الطبرى الفقيه ص٤٨

وهذا كله اختلاف لا أهمية له ، ويمكن التوفيق بين اكثره ، ولما توفى الامـام ابن جرير رحمه الله تعالى اجتمع الناس من سائر انحاء بغداد ، مع انه لم يؤذن أحد بموته ، وصلوا عليه بداره ومكث الناس يترددون الى قبره عدة شهور يصلون عليه ، ويدعون له ، وقد رثاه كثير من أهل الدين والعلم والادب ، نذكر فيما يلي طرفا من قصائدهم التي قالوها في رثائه :-

(١) يقول ابو سعيد بن الاعرابي في رثائه :

حدث مفظع وخطب جليـل .... دق عن مثله اصطبار الصبور

قام ناعي العلـوم أجمع لما .... قام ناعي محمد بن جرير

فهوت أنجم لها زاهـرات .... مؤذنات رسومها بالدثور

وغدا روضها الانيق هشيما .... ثم عادت سهولها كالوعور

يا أبا جعفر مضيت حميدا .... غير وان في الجد والتشمير

بين أجر على اجتهادك موفور ... وسعى الى التقى مشكور

مستحقا به الخلود لدى جنـ ... ـة عدن في غبطة وسرور (١)

(٢) ورثاه ابن دريد بقصيدة منها :

لن تستطيع لأمر الله تعقيبا .... فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحوبا (٢)

وافزع الى كنف التسليم وارض بما .... قضى المهيمن مكروها ومحبوبا

ثم يقول :

أودى ابو جعفر والعلم فاصطحبا ... أعظم بذا صاحبا اذ ذاك مصحوبا

ان المنية لم تتلف به رجـلا ... بل أتلفت علما للدين منصوبا

أهدى الردى للثرى اذ نال مهجته .. نجما على من يعادي الحق مصبوبا

كان الزمان به تصفو مشاربه ... فالان أصبح بالتكدير مقطوبا

---

(١) انظر تاريخ بغداد ج٢ ص١٦٦ـ١٦٧ ، طبقات الشافعيه ج٣ ص١٢٦ ، تاريخ ابن عساكر ج١٠/ل ٤٨٢ ، سير اعلام النبلاء ج٩/٣/ل ٤٢٢ ، الطبري للحوفي ص٨٠

(٢) الحوب : الهلاك .

كلا وأيامه الغر التى جعلت •••• للعلم نورا وللتقوى محاريبا (١)

لا ينسرى الدهر عن شبه له أبدا •• ما استوقف الحج بالانصاب أركوبا (٢)

اذا انتضى الرأى فى ايضاح مشكلة •• اعاد منهجها المطموس ملحوبا (٣)

لا يعزب الحلم فى عتب وفى نزق ••• ولا يجرع ذا الزلات تثريبا

لا يولج اللغو والعوراء مسمعه ••• ولا يقارف ما يغشيه تأنيبا

ان قال قاد زمام الصدق منطقه أو آثر الصمت أولى النفس تهييبا

تجلو مواعظه رين القلوب كما •••• يجلو ضياء سنا الصبح الغيا هيبا (٤)

سيان ظاهره البادى وباطنه •••• فلا تراه على الحالات مجدوبا (٥)

ودت بقاع بلاد الله لو جعلت ••• قبرا له فحباها جسمه طيبا

ثم يقـــول :

======

كنت القوم من زيغ ومن ظلع ••••• وفاك نصحا وتسديدا وتأديبا

وكنت جامع اخلاق مطهرة •••••• مهذبا من قراف الجهل تهذيبا

فان تنلك من الاقدار طالبة •••• لم يثنها المجزعما عز مطلوبا (٦)

رحم الله الامام ابا جعفر محمد بن جرير الطبرى واسكنه فسيح جناته وجـــزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء •

---

(١) ان كان الشاعر يقصد القسم بأيام حياة الامام ابن جرير فهذا غير جائز شرعـــا لان القسم لا يجوز الا بالله سبحانه وتعالى •

(٢) أركوبا : راكبون

(٣) ملحوب : واضح واسع ممهـــد

(٤) رين : غشاوة وكدر • الغياهيب : الظلمات

(٥) مجدوب : معيب مذموم

(٦) انظر ديوان ابن دريد ص ٦٧ ــ ٦٩ ، تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٧ ــ ١٦٨ تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٨٢ ــ ٤٨٣ ، سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤٢١ ــ ٤٢٢ ، الطبرى للحوفى ص ٨٠ ــ ٨٢ ••

الفصـــل الثالـــث

=====

حيـاة الامـام ابن جرير العلميـــة

======

ويشتمل على أربعة مباحـث

=====

المبحث الأول : رحلاتـــه العلميـــة

المبحث الثاني : شيوخــــــــه

المبحث الثالث : تلاميـــــــــذه

المبحث الرابع : تأثـــره وتأثيـــره .

* * * * * * * * * * *
* * * * * * * *
* * * *

المبحث الأول

رحلاته العلمية

قضى الامام ابن جرير الطبري السنوات الأولى من مقتبل عمره متنقلا بين مدن طبرستان ينهل من ينابيع العلم والمعرفة على أيدي العلماء الذين عهد لهم به والده ، الا أن شوقه الشديد . وحبه الكبير ، وظمأه المتزايد لتحصيل اكبر قدر من العلم أينما كان ، ومهما تجشم في سبيله من الصعاب ، دفعه الى الرحيل عن بلده في سن مبكرة جدا ، فقد رحل في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة سنة ست وثلاثين ومائتين على ما قال مسلمة بن قاسم (١) ، أو رحل عنها وله عشرون سنة بعد سنة أربعين ومائتين كما قال الذهبي وابن الجزري,(٢) الا أن القول الأول هو الراجح عندي ، وذلك لأن الامام ابن جرير كانت له رحلة الى الحجاز (٣) التقى خلالها بالزبير بن بكار في مكة المكرمة ، وكتب عنه كتاب نسب قريش ، وقد جاء هذا القول على لسان الامام ابن جرير في معرض حديثه عن قصة الخراساني الذي ضاع هميانه بمكة ، وقد شهد الامام ابن جرير أحداث هذه القصة حين كان في مكة سنة اربعين ومائتين للهجرة,(٤) وكانت أولى رحلاته الى الري وما جاورها ، فقد رحل الى هذه البلاد ليلتقي بالكثيرين من علمائها ، وهيأ الله سبحانه وتعالى له ما أراد ، فالتقى بمحمد بن حميد الرازي ، والمثنى بن ابراهيم الأملي (٥) ، يقول الامام ابن جرير في ذلك : ((كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج الينا في الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ، ويقرؤه علينا ، قال : وكنا نمضي الى أحمد بن حماد الدولابي

---

(١) انظر لسان الميزان حـ ٥ ص ١٠٢

(٢) انظر سير أعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٣ ، غاية النهاية حـ ٢ ص ١٠٧ .

(٣) انظر الانساب ص ٣٦٧ ، انباه الرواة حـ ٣ ص ٨٩ .

(٤) انظر حديث الهميان ل ٢ ، ٤

(٥) ذكر ياقوت ان اسمه المثنى بن ابراهيم الابلي انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٤٩ بينما ذكر الشيخ احمد شاكر انه اسمه المثنى بن ابراهيم الاملي ولم يترجم له ، انظر جامع البيان تحقيق احمد شاكر حـ ١ ص ١٧٦

وكان في قرية من قرى الـري بينها وبين الري قطعة ، ثم نعدو كالمجانين حتـى نصير الى ابن حميد فنلحق مجلسه)) . (١)

وقال ابن كامل : (فأول ما كتب الحديث ببلده ، ثم بالري وما جاورها ، واكثر من الشيوخ حتى حصل كثيرا من العلم ، واكثر من محمد بن حميد الرازي ، ومـن المثنى بن ابراهيم الأبلي وغيرهما) (٢) . ويقال انه كتب عن ابن حميد فـوق مائة ألـف حديث ، وأخـذ عنه التفسير ، ودرس التاريخ في الري على أحمـد ابن حماد الدولابي مع حرصه الشديد على مجالس ابن حميد ، وقد كتب عن الدولابي كتاب المبتدأ ، والمغازي عن سلمة بن الفضـل عن محمد بن اسحاق ، وعليـه بنى تاريخـه (٣) ، وأخـذ فقه العراق عن محمد بن مقاتل الرازي (٤) .

فاذا ما ارتوى من هذه الينابيع أحس بظمأ جديد الى مناهل أخرى ينهل منهـا علما جديدا فالى أين يقصـد ؟ يشخص الى بغداد ليسمع من عالمها امام أهـل السنة والجماعة الامام أحمد بن حنبل الذي ظهر علمه ، وسارت الركبان بأخبـاره ومجالسه . ولكن الله لم يهيء للامام ابن جرير أن يلتقي به ، حيث اختار الامـام أحمد الى جواره قبل أن يصل الامام ابن جرير الى بغداد ، فلما وصلها أقـام بها فترة كتب فيها عن شيوخها (٥) ، ثم اتجـه الى البصرة ، فما ان وصلهـا حتى التقى بمن كان فيها من العلماء في وقتـه ، فقد سمع من محمد بن موسـى الحرشي ، وعمران بن موسى القـزاز ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، وبشـر ابن معاذ ، وأبي الأشعث ، ومحمد بن بشار بندار ، ومحمد بن المثنى وغيرهـم

---

(١) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٩ ــ ٥٠ .

(٢) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٤٩

(٣) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥٠

(٤) انظر الفهرست ص ٢٩١ ، الطبري للحوفي ص ٣٤ ، الطبري ومنهجه في التفسير ص ٤٥ .

(٥) ذكر بعض الكتاب أن الامام ابن جرير لما سمع بنبأ وفاة الامام أحمد رحمه اللـه تعالى لم يدخل بغداد بل اتجه الى البصرة . انظر الطبري للحوفي ص ٣٤ ، والصواب في ذلك انه دخلها وعلى هذا الرأي اجمع معظم المؤرخين الذين ترجموا للامام ابن جرير ..

فأكثر من الكتابة عنهـــم (١) . ثم انتقل الى واسط ، فسمع من بعض علمائهـــا ، وكتب عنهم (٢) ، الا أن المؤرخين الذين ترجموا للامام ابن جريـــر لم يذكـــروا لنا شيئا — على حد علمي — عن أسماء شيوخه الذين التقى بهم في واســـط . ولما ارتوى من العلم في واسط احس بظمأ جديد اليه في مكان آخـــر ، ويدفعه طموحـــه لتحصيل اكبر قدر من العلم — الى الرحيل عن واسط الى الكوفـــة ، ليسمع مـــن علمائها ، ويكتب عنهم ، فوفقه الله تعالى الى ما عقد النية عليه ، وهيأ لـه الالتقـاء بأبي كريب ، وهناد بن السرى ، واسماعيل بن موسى الفزاري وغيرهم . حيث سمـــع منهم وكتب الحديث عنهم ، وأخذ القراءات عن سليمان بن حماد الطلحي (٣) . يقول الامام ابن جرير عن لقائه بأبي كريب : (حضرت باب داره مع أصحاب الحديث ، فأطلع من باب خوخة (٤) له ، وأصحاب الحديث يلتمسون الدخول ويضجـون . فقـــال : أيكم يحفظ ما كتب عني ؟ فالتفت بعضهم الى بعض ثم نظروا الي ، وقالوا أنت تحفـظ ما كتبت عنه ؟ قال : قلت : نعـم ، فقالوا هذا فسله ، فقلت حدثتنا في كـــذا بكذا ، وفي يوم كذا بكذا) (٥) قال ابن كامل : وأخـذ ابو كريـب في مسألتـــه (يعني الامام ابن جرير) الى أن عظم في نفسه ، فقال لـــه ادخـل الـــــى فدخل اليه . وعرف قدره على حداثته ، ومكنه من حديثه ، وكان الناس يسمعـــون به ، فيقال انه سمع من أبي كريب اكثر من مائة الف حديث) (٦) .

---

(١) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٠

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥١

(٣) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥١

(٤) الخوخة : كوة في الحائط ينفذ الضوء منها الى البيت

(٥) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥١

(٦) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥١ — ٥٢

فما أن ارتوى من ينابيع العلم والمعرفة في الكوفة حتى عاوده الحنين في الرجوع الى بغداد – مدينة السلام – فيموفد اليها ، وفي نفسه شوق عظيم للقاء علمائها ،ويحقق الله تعالى له امنيته ، فيلتقي بالحسن بن محمد الزعفراني ، وابي سعيد الاصطخري ، ويدرس عليهما فقه الشافعي ، ويلتقي كذلك بأحمد ابن يوسف التغلبي ويأخذ القراءات عنه .(١) .

ولكن هل يروى الامام ابن جرير من ينابيع العلم والمعرفة التي ارتادها فلا يرحل لارتياد ينابيع أخرى ؟ ان طالب العلم والمعرفة لا يروى مهما نهل من ينابيعهما ، لأنه كلما نهل مرة من ينابيعهما استطاب العلم والمعرفة ،فازداد اليهما ظمأ ،واحتمل في سبيلهما نصبا ، فماذا عساه أن يفعل وقد ترامى الى أسماعه اخبار العلماء في مصر ؟وما الذي يمنعه من الرحيل اليها ، وهو الباحث عن العلم ، الساعي الى المعرفة ، التواق الى لقاء العلماء و مجالستهم والافادة منهم والكتابة عنهم . انه سرعان ما يجهز نفسه لهذه الرحلة الطويلة ، ويشد لها عصا الترحال ، فيمضي اليها على بركة الله ، تحفه في سفره عناية الله . ولكن شوق الامام ابن جرير الى العلم والمعرفة يعرج به الى الشام وهو في طريقه الى مصر ، ليقيم في بيروت مدة يسيرة ، يلتقي خلالها بالعباس بن الوليد البيروتي شيخ الاقراء فيها ، ويقرأ عليه القرآن كله برواية الشاميين . (٢) .

فلما قضى من الشام وطره ، واصل سيره الى مصر ، فوصلها بتوفيق الله سنة ثلاث وخمسين ومائتين (٣) ،وكان بها بقية من الشيوخ ، وأهل العلم ،

---

(١) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥٢ – ٥٣ ،الفهرست ص ٢٩١ ، الطبري للحوفي ص ٣٦

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٦ ، طبقات المفسرين للداودي حـ ٢ ص١٠٧ غاية النهاية في طبقات القراء حـ٢ ص١٠٧ ، معرفة القراء الكبار حـ١ ص ٢١٣ ، الطبري للحوفي ص ٣٧ .

(٣) روى ابن عساكر بسنده عن سعيد بن يونس أنه قال : محمد بن جرير بن يزيد يكنى أبا جعفر طبري من أهل أمل كان فقيها قدم الى مصر قديما سنة ثلاث وستين ومائتين وكتب بها ورجع الى بغداد . تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ /ل ٤٧٧

فأكثر عنهم الكتابة ، ثم رجع الى الشام ، فلما قضى منها اربه العلمى رجع الى مصر سنة ست وخمسين ومائتين ، وقد كانت مصر فى ذلك الوقت ثرية بالعلماء الأفذاذ الذين أفاد منهم الامام ابن جرير فوائد كبيرة ؛ حيث كان فيها ــ فى ذلك الوقت ابو الحسن على بن سراج البصرى ، وكان أديبا فاضلا ، يقصد من دخل الفسطاط من أهل العلم ، فلما تناهت الى سمعه اخبار الامام ابن جرير وشهرته ، وبان فضله وعلمه بالقرآن الكريم ، والحديث والفقه واللغة والنحو والشعر وغير هذه العلوم عزم على لقائه ، وهيأ الله له ما عزم عليه فالتقى به ، ووجده واسع المعرفة ، سديد الجواب فى كل ما سأله عنه ، وسأله عن شعر الطرماح بن حكيم (ت ١٢٥ هـ) ولم يكن فى مصر من يحفظه ــ فوجد الامام ابن جرير يحفظه ز ، وطلب منه أن يمليه عليه ويشرح غريبه ، فأملاه عند بيت المال الجامع . (١)

ويهيىء الله للامام ابن جرير الالتقاء بعلماء مصر ، فالتقى بالربيع ابن سليمان المرادى ، وابى ابراهيم المزنى ، ويدرس عليهما فقه الامام الشافعي ، ويلتقى بأبناء عبدالله بن عبد الحكم ، وابن أخى وهب ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفى ، ويدرس عليهم فقه الامام مالك ، ويأخذ عن يونس أيضا وكان شيخ الاقراء بمصر ــ قراءة حمزة وورش (٢) .

وشاء الله عز وجل أن تجمع الرحلة الى مصر فى ذلك الوقت أربعة من العلماء الوافدين اليها اسم كل واحد منهم محمد ، وهم محمد بن جرير الطبرى ، ومحمد بن اسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزى (ت ٢٣٨ هـ) ، ومحمد بن هارون الروياني (ت ٣٠٧ هـ) فأرملوا وافتقروا ، ولم يبق عندهم ما

---

(١) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٥٣ ، الفهرست ص ٢٩١ طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١٠٧ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٨٢

يمونهم ،وأضر بهم الحال (١) ،فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون اليه ، واتفقوا على أن يستهموا ، فمن خرجت عليه القرعة سأل الناس لأصحابه الطعام فخرجت القرعة على محمد بن اسحاق بن خزيمة ،فقال لأصحابه أمهلوني حتى أتوضأ واصلي صلاة الخيرة ، فاندفع بالصلاة ، فاذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق عليهم فأجابوه ،وفتحوا له الباب، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل هذا وأشار اليه فأخرج صرة فيها خمسون دينارا ودفعها اليه ، وقال : أيكم محمد بن جرير ؟ فأشاروا اليه فدفع اليه خمسين دينارا ، ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقيل هذا ، فدفع اليه مثلها ، ثم قال : وأيكم محمد بن اسحاق

---

(١) زعم الاستاذ أحمد أمين في كتابه ظهر الاسلام حـ ٢ ص ١٧ أن الامام ابن جرير الطبري كان واحدا من المشهورين بالارستقراطية في ذلك العصر حيث قال : (وقد اشتهر في هذا القرن (الرابع) عدد كبير من الاستقراطيين نذكر من بينهم على اختلاف انواع ارستقراطيتهم — وذكر من بينهم — الامام ابن جرير الطبري ٠) وهذا الاتهام من أحمد أمين للامام ابن جرير الطبري رحمه الله لا يقوم على اساس علمي ، وانما هو رجم بالظن الكاذب ، ومخالف للمنهج العلمي ، اذ أن الاساس في بناء حكم ما هو الالمام التام بجميع عناصر الموضوع المراد الحكم عليه ، فلو أن أحمد أمين كان علميا حقا في هذا المقام لدرس ، سيرة الامام ابن جرير كاملة قبل أن يصدر عليه حكما كهذا الحكم الجائر ،ولو أنه درس حياة الامام ابن جرير لما وقع في هذا المأزق العلمي ،ولما تجرأ على اتهامه بالارستقراطية — مع ما في هذه الكلمة من سوء ، وما تنطوي عليه من خبث،ولو جد حقا أن الامام ابن جرير كان بعيدا كل البعد عن الارستقراطية ومظاهرها الكاذبة ، فقد مرت عليه لحظات من حياته مسه خلالها الجوع والاملاق والعدم اكثر من مرة حتى فتق كمي قميصه وباعهما ليقتات بثمنها ، وتشهد هذه القصة التي نحن بصددها على ذلك كذلك، ويدفع عن الامام ابن جرير هذه التهمة الباطلة كذلك انه لم يكن على صلة قوية بحكام عصره ، ولم يقبل كثيرا من هداياهم ،ورفض منصب القضاء وولاية المظالم كما لاحظنا ذلك سابقا ٠ نعوذ بالله من غلبة هوى النفس والميل عن الحق ٠

ابن خزيمة ؟ فقيل هو ذا يصلي ، فلما فرغ من صلاته دفع اليه صرة فيها خمسون دينارا ، ثم قال ان الأمير كان قائلا (١) فرأى في النوم خيالا ، أو طيفا يقول له ان المحامد طووا كشحمهم (٢) ، فبعث بهذه الصرر ، وهو يقسم عليكم اذا نفدت أن تبعثوا اليه ليزيدكم (٣) .

وانقذهم الله بمنه وفضله وكرمه ـ بهذا الرزق الذى جاءهم من حيث لم يحتسبوا ـ من ذل سؤال الناس أموالهم ، واهانة نفوسهم فى سبيل لقمة العيش ، (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (٤) .

أقام الامام ابن جرير بمصر سنوات عديدة ، قضى خلالها مراده ، وحقق أهدافه ، واشبع نهمه العلمى ، وتزود بما كان ينشده من العلم والمعرفة ، رجع بعدها الى بغداد ، لكنه ما لبث حتى اتجه الى طبرستان للمرة الأولى بعد رحلته الطويلة ، وزارها مرة أخرى فى سنة تسعين ومائتين للهجرة ، ثم رجع الى بغداد واستقر به المقام فى رحابها ، وانقطع للعبادة ، والقراءة والتأليف والتدريس ، مبتعدا عن كل ما يحول بينه وبين ذلك من وظائف الدولة ومسئولياتها (٥) .

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير الطبرى تلقى العلم فى رحلته الطويلة ـ على معظم العلماء الأفذاذ فى عصره ، وسمع من الكثيرين من الشيوخ الثقات اصحاب الأسانيد العالية فى وقته ، ودرس الفقه وعلوم اللغة العربية على اشهر علماء هذه العلوم ، مما كان له اكبر الاثر بعد توفيق الله عز وجل له فى

---

(١) قائلا : اى نائما فى القائلة وهى نصف النهار .

(٢) طووا كشحهم : أى خمصت بطونهم من الجوع .

(٣) تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٥ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ ل ٤٧٧ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٦ ـ ٤٧

(٤) الطلاق ٢ ـ ٣

(٥) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٥٦ .

تكوين شخصيته العلمية القوية التى تمكن من خلالها ـ بمشيئة الله أن يصبح امام عصره بلا منازع ،وأن يتصدر مركز الصدارة بين الائمة والعلماء فى وقته • بشهادة كثير من العلماء والمؤرخين • كما سنرى ذلك عند الحديث عن ثناء العلماء عليه باذن الله تعالى •••

المبحث الثاني

شيوخه

التقى الامام ابن جرير الطبرى – فى بلده ، وفى رحلته الطويلة لطلب العلم فى كثير من الاقطار الاسلامية – بالمئين من العلماء ، والشيوخ الثقات من أهل العلم والأدب ، وأئمة التفسير ، والقراءات ، والحديث ، والفقه ، وسمع منهم وأكثر من الكتابة عنهم ، فقد أخذ الحديث عن كثير من شيوخ البخارى ومسلم وغيرهما ، وأخذ القراءة عن شيوخ الاقراء فى عصره ، وأخذ الفقه عن كبار الفقهاء والمجتهدين ، وأخذ علوم اللغة العربية عن كبار علماء عصره فى هذا المضمار ، فأفاد من العلماء الذين التقى بهم فوائد جمة ، واستقى منهم المعلومات التى ضمنها مؤلفاته .

ولا استطيع فى هذا البحث الحديث عن جميع شيوخه الذين التقى بهم ، فهم كثيرون يصعب حصرهم ، ويطول البحث بذكرهم كلهم . غير أنى اقتصر على معظم الذين وردت اسماؤهم فى كتب الذين ترجموا له ممن اكثر من الرواية والكتابة عنهم وفيما يلى ترجمة موجزة لكل واحد منهم :–

(١) ابراهيم بن يعقوب السعدى الحافظ ابو اسحاق الجوزجاني . نزيل دمشق وحدثها ، سمع الحسن بن على الجعفى ، ويزيد بن هارون ، وجعفر بن عون ، وطبقتهم فأكثر ، وتفقه بمذهب الامام أحمد بن حنبل ، حدث عنه أبو داود والنسائي والترمذى وابو زرعة وغيرهم . وثقة النسائي . وقال عنه الدارقطنى : كان من الحفاظ الثقات المصنفين ، وفيه انحراف عن على رضى الله عنه ، الف كتابا فى الضعفاء ، قال الذهبى وغيره : ان الامام ابن جرير حدث عنه ، توفى الجوزجانى فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين ومائتين

على رواية أبي الدحداح وقال غيره مات سنة ست وخمسين ومائتين . (١)

(٢) أحمد بن حماد بن سعد : أو سعيد : بن مسلم ابو محمد الانصاري الرازي الدولابي المحدث الاخباري ، وليس محمد بن أحمد بن حماد الدولابي كما ذكر الحوفي في كتابه عن الامام ابن جرير (٢) . قال عنه مسلمة بن قاسم انه من أهل العلم والأدب ، كتب الامام ابن جرير عنه كتاب المبتدأ ، والمغازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق صاحب السيرة ، وعليه بنى الامام ابن جرير تاريخه (٣) وهو والد الامام الكبير أبي بشر محمد بن أحمد ابن حماد الدولابي ، الحافظ المحدث صاحب كتاب الكنى والاسماء المطبوع بالهند ، وقد توفي محمد بن أحمد الدولابي سنة عشرين وثلاثمائة ، وهو قرين الامام ابن جرير ومعاصره (٤) ولم أعثر على كون أحد منهما تلاقى مع الآخر أو أخذ شيئا عنه ..

(٣) أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي ، مولاهم البصري بحشل أبو عبيد الله ابن أخي عبد الله بن وهب . اكثر الرواية عن عمه ، وروى عن الشافعي ، واسحاق بن الفرات وغيرهم ، روى عنه مسلم وابن خزيمة والساجي وغيرهم . قال ابن أبي حاتم : سألت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عنه فقال : ثقة ما رأينا الا خيرا ، قلت سمعه من عمه قال اى والله ، وقال ابن عدي رأيت شيوخ مصر مجمعين على ضعفه ، ومن كتب عنه من الغرباء لا يمتنعون من الرواية عنه ، ومن ضعفه أنكر عليه أحاديث ، وقال ابن الأخرم : نحن لا نشك في اختلاطه بعد الخمسين ، وانما ابتلى بعد خروج مسلم من مصر

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٤٩ ، تهذيب التهذيب حـ ١ ص ١٨١

(٢) انظر الطبري للحوفي ص ٣٤

(٣) انظر لسان الميزان حـ ٥ ص ٤٢ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٠

(٤) انظر لسان الميزان حـ ٥ ص ٤٢ ـ تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧٥٩ ، الطبري الفقيه ص ٨ ..

وقال الدارقطني تكلموا فيه ، حدث عنه الامام ابن جرير ، وأخذ عنه فقـــه الامام مالك في مصر ، قال سعيد بن يونس : توفى في شهر ربيع الآخـــر سنة أربع وستين ومائتين ولا تقوم بحديثه حجة . (١)

(٤) أحمد بن المقدام بن سليمان بن الأشعث بن أسلم العجلي أبو الأشعـــث البصري . روى عن بشر بن المفضل ، وحماد بن زيد ، ومعتمر بن سليمـــان وغيرهم . روى عنه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة ، وابو زرعـــة وابو حاتم وغيرهـــم ، قال ابو حاتم : صالح الحديث محله الصدق ، وقـــال ابن خزيمة كان كيسا صاحب حديث ، وقال النسائي ليس به بأس ، وقـــال أبو داود كان يعلم المجان المجون فأنا لا أحدث عنه ، قال ابن عـــدي : وهذا لا يؤثر فيه لأنه من أهل الصدق ، وكان ابو عروبة يفتخر بلقيه ويثني عليه ، قال ابن حجر : وثقه مسلمه بن قاسم وابن عبد البر وآخرون ، وذكـــره ابن حبان في الثقات ، قال ياقوت ان الامام ابن جرير سمع منه الحديـــث بالبصرة ، توفى في صفر سنة ثلاث وخمسين ومائتين . (٢)

(٥) أحمد بن منيع ابو جعفر البغوي ثم البغدادي الأصم ، الحافظ الحجـــة صاحب المسند المعروف ، حدث عن هشيم ، وعباد بن العوام ، وعبد العزيـــز ابن أبي حاتم ، وابن المبارك وطبقتهم ، روى عنه الستة لكن البخاري بواسطة ، وسبطه أبو القاسم البغوي ، وابن ماجة وابن صاعد وغيرهم ، وثقه صالح جـــزرة وغيره ، تتلمذ عليه الامام ابن جرير وأخذ الحديث عنه ، توفى البغوي فـــي

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٥٤ ، الفهرست ص ٢٩١ ، سير اعـــلام النبلاء حـ ٩ /٣/ل ٤١٣

(٢) انظر تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٨١ ـ ٨٢ ، تاريخ بغداد حـ ٥ ص ١٦٢ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٥٠ ـ سير اعلام النبلاء حـ ٩ /٣/ل ٤١٣

شوال سنة أربع وأربعين ومائتين ، وعاش أربعا وثمانين سنة . (١)

(٦) أحمد بن يحي بن يزيد الشيباني أبو العباس ثعلب . العلامة المحدث شيخ اللغة العربية ، المقدم في الكوفيين ، ولد سنة مائتين ، وابتدأ بطلب العلم سنة ست عشرة ، سمع محمد بن سلام الجمحي ، وعبيد الله ابن عمر القواريري ، ومحمد ابن الأعرابي وغيرهم ، برع في علم الأدب ، وشرد اليه الطلبة من سنة خمس وعشرين ومائتين ، حدث عنه نفطويه ، ومحمد بن العباس اليزيدي ، والأخفش ، وأحمد بن كامل وغيرهم . قال الخطيب : كان ثعلب حجة دينا صالحا مشهورا بالحفظ ، وقال المبرد أعلم الكوفيين ثعلب ، فذكر له الفراء فقال لا يعشره . قال الذهبي : له تصانيف كثيرة ، ومن أشهر كتبه المجالس والفصيح ، قال ابو العباس ثعلب : قرأ علي ابو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة توفي ثعلب في جمادى الأولى سنة احدى وتسعين ومائتين . (٢)

(٧) أحمد بن يوسف التغلبي ابو عبد الله البغدادي ، روى القراءة عن ابن ذكوان ورواها سماعا عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، حدث عن سليمان بن حرب وعفان بن مسلم ، روى عنه نفطويه النحوي ، ومحمد بن مخلد ، ومكرم بن أحمد القاضي وغيرهم ، وروى عنه القراءة ابن مجاهد ، وموسى بن عبد الله الخاقاني وغيرهما ، وروى الامام ابن جرير عنه القراءة والحروف سماعا ، توفي التغلبي سنة ثلاث وسبعين ومائتين . (٣)

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٨٤ ، تاريخ بغداد حـ ٥ ص ١٦٠ ، الانساب ص ٣٦٧ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢١ ، المنتظم حـ ٦ ص ١٧٠ ، طبقات المفسرين للداودي حـ ٢ ص ١٠٧ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١٠

(٢) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٦٦٦ ، تاريخ بغداد حـ ٥ ص ٢٠٤ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٦٠

(٣) انظر تاريخ بغداد حـ ٥ ص ٢١٨ ، غاية النهاية في طبقات القراء حـ ١ ص ١٥٢ ، حـ ٢ ص ١٠٧ ، طبقات المفسرين للداودي حـ ٢ ص ١١٠

(٨) اسحاق بن أبي اسرائيل أبو يعقوب بن ابراهيم المروزى ، الامام الحافظ الكبير محدث بغداد ، سمع من شريك ، وحماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان وغيرهم ، روى عنه أبو داود ، والبخارى فى الأدب والبغوى وغيرهم ، قال عبدوس النيسابورى : حافظ جدا لم يكن مثله فى الحفظ والورع ، قال : واتهم بالوقف ، قال مصعب الزبيدى : قال لى اسحاق بن أبي اسرائيل أنا لم أقل على الشك يعنى فى القرآن ، ولكنى اسكت كما سكت القوم قبلي وقال أبو القاسم البغوى : كان ثقة مأمونا لكنه كان قليل العقل ، وقال صالح جزرة صدوق الا أنه كان يقول القرآن كلام الله ويقف ، قال شاهين ابن السميدع : سمعت احمد بن حنبل يقول : اسحاق بن أبى اسرائيل واقفى مشهور ، الا أنه صاحب حديث كيس .

سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، وحدث عنه ، توفى فى شعبان سنة خمس وأربعين ومائتين (١) .

(٩) اسماعيل بن ابراهيم أو ـ ابن يحى ـ بن اسماعيل بن عمرو بن اسحاق ابو ابراهيم المزنى ، الامام الجليل صاحب الامام الشافعى ، وناصر مذهبه ، ولد سنة خمس وسبعين ومائة ، حدث عن الامام الشافعى ، ونعيم بن حماد وغيرهما ، روى عنه ابن خزيمة والطحاوى ، وزكريا الساجي ، وابن أبى حاتم وغيرهم ، كان جبل علم مناظرا حجاجا ، قال الامام الشافعى فى وصفه : لو ناظره الشيطان لغلبه ، وكان زاهدا ورعا متقللا من الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان اذا فاتته جماعة صلاها خمسا وعشرين مرة ، وكان يغسل الموتى تعبدا واحتسابا ، ويقول أفعله ليرق قلبي ، تلاقى الامام ابن جرير معه فى مصر ، وأخذ فقه الشافعى عنه ، وتباحثا فى بعض القواعد الأصولية

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٤٨٥ ، ٧١٠ ، تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٢٢٣ ، تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٢ ، الانساب ص ٣٦٧ .

وتناظرا فى بعض المسائل الفقهية ، توفى المزنى لست بقين من شهر رمضان سنة اربع وستين ومائتين (١) .

(١٠) اسماعيل بن موسى الغزارى أبو محمد ، ويقال أبو اسحاق الكوفى نسيب السدي ، روى عن مالك ، وابراهيم بن سعد ، وابن ابى الزناد ، وابن عيينة وغيرهم ، روى عنه البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد ، وأبو داود والترمذى ، وابن ماجة ، وابن خزيمة وغيرهم . قال ابن أبى حاتم سألت أبى عنه فقال : صدوق ، وقال النسائى ليس به بأس ، وقال ابن حبان فى الثقات يخطئ ، وقال عبدان أنكر علينا ابو بكر بن أبي شيبة وهناد بن السرى ذهابنا اليه ، وقال ذاك الفاسق يشتم السلف ، وقال ابن عدى : وصل عن مالك حديثين ، وتفرد عن شريك بأحاديث ، وانما انكروا عليه الغلو فى التشيع ، سمع منه الامام ابن جرير الحديث بالكوفة ورواه عنه ، قال البخارى وغيره مات سنة خمس وأربعين ومائتين (٢) .

(١١) بشر بن معاذ العقدى أبو سهل البصرى الضرير . روى عن أبى عوانه وأبى داود الطيالسى ، وحماد بن زيد وغيرهم ، روى عنه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، وابن خزيمة ، وابو حاتم وغيرهم . قال ابن أبى حاتم : سألت أبى عنه فقال صالح الحديث صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات سمع الامام ابن جرير الحديث منه فى البصرة ورواه عنه ، توفى العقدى سنة خمس وأربعين ومائتين ، أو قبلها بقليل ، أو بعدها بقليل (٣) .

---

(١) انظر طبقات الشافعية حـ ٢ ص ٩٣ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٥٣

(٢) انظر تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٣٣٥ ، تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٢ ، الفهرست ص ٢٩١ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥١ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٤٥٨ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٠ الفهرست ص ٢٩١ . .

(١٢) الحارث بن محمد بن أبي أسامة ، ولد سنة ست وثمانين ومائة ، سمع يزيد بن هارون وعبد الوهاب الخفاف ، وعلى بن عاصم ، وروح بن عبادة وغيرهم ،روى عنه ابو بكر النجاد ،وابن خلاد النصيبي وغيرهما ، وثقه ابراهيم الحربي مع علمه بأنه يأخذ الدراهم على الروايه فقد كان فقيرا كثير البنات ، ضعفه ابن حزم ، وابو الفتح الازدي . بعد عاش سبعا وتسعين سنة ، روى الامام ابن جرير الحديث عنه كما صرح بذلك الذهبي توفي الحارث يوم عرفة سنة اثنتين وثمانين ومائتين (١) .

(١٣) الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار أبو سعيد الاصطخري : قاضي قم ،وأحد الرفعاء ، من أصحاب الوجوه ، ولد سنة اربع وأربعين ومائتين ، سمع أحمد بن منصور الرمادي ، وحنبل بن اسحاق وغيرهما ، روى عنه ابن شاهين والدارقطني وغيرهما ، قال الخطيب : كان أحد الأئمة المذكورين ، ومن شيوخ وفقهاء الشافعيين ، وكان ورعا زاهدا متقللا ، ذكر ياقوت أن الامام ابن جرير درس عليه فقه الشافعي بالعراق ، وكان الاصطخري أصغر سنا منه . توفي ابو سعيد في بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمايسة (٢) .

(١٤) الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمي أبو علي ، ويقال ابو محمد الخالقاني البصري ، روى عن مسلمة بن علقمة وسفيان بن حبيب ، وحصين بن نمير وغيرهم . روى عنه الترمذي ، وابن ماجة ، والنسائي ، وابن خزيمة وابن زرعة وغيرهم .

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٦١٩ ، لسان الميزان حـ ٢ ص ١٥٧

(٢) انظر طبقات الشافعية حـ ٣ ص ٢٣٠ ، تاريخ بغداد حـ ٧ ص ٢٦٨ ،معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٣

قال يعقوب بن شيبة ،وأبو حاتم صدوق ، وقال النسائي لا بأس به ، وقال في موضع آخر صالح ،ذكره ابن حبان في الثقات . سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، ورواه عنه ، توفي الحسن بن قزعة قريبا من سنة خمسين ومائتين (١) .

(١٥) الحسن بن محمد الصباح البغدادي أبو علي الحافظ الفقيه الكبير من درب زعفران ، حدث عن سفيان بن عيينة ، وعبيدة بن حميد ، ومحمد بن أبي عدي ، وتفقه بالشافعي ، وحمل عنه قوله القديم ، روى عنه الجماعة سوى مسلم ،وزكريا الساجي وابن خزيمة وغيرهم ، قال النسائي ثقة، وقال ابن حبان كان أحمد ابن حنبل وأبو ثور يحضران عند الشافعي وكان الحسن الزعفراني هو الذي يتولى القراءة عليه ، التقى به الامام ابن جرير في بغداد ، وأخذ عنه مذهب الشافعي القديم ، توفي الزعفراني في بغداد في شعبان وهو في عشر التسعين سنة ستين ومائتين (٢) .

(١٦) داود بن علي بن خلف أبو سليمان الظاهري الأصباني الاصل ، فقيه أهل الظاهر ، ولد سنة مائتين ، وقيل سنة اثنتين ومائتين ، كما ذكر ابو اسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء . سمع عمرو بن مرزوق ، والقعنبي وسليمان بن حرب ، وتفقه باسحاق بن راهويه ، وصنف التصانيف ، وكان بصيرا بالحديث صحيحه وسقيمه ، قال الخطيب : كان اماما ورعا ناسكا زاهدا ، وفي كتبه حديث كثير ، لكن الرواية عنه عزيزة جدا ، حدث عنه ابنه محمد ،وزكريا بن يحي الساجي ، قال ثعلب : كان عقل داود اكثر من علمه ، ذكره ابن النديم ضمن شيوخ الامام ابن جرير وقال : قرأ الفقه

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ٢ ص ٣١٦ ، طبقات المفسرين للداودي حـ ٢ ص ١٠٧ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٦

(٢) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٢٥ ،تاريخ بغداد حـ ٧ص ٤٠٧ ، طبقات الشافعية حـ١ص١١٤ ، تهذيب التهذيب حـ١ص٣١٨ ،الفهرست ص ٢٩١ .

على داود ، وقد ثبت أن الامام ابن جرير لزم داود مدة ، وكتب من كتبه كثيرا ، وتناظر معه ،ورد عليه ، توفي داود في رمضان سنة سبعين ومائتين (١) .

(١٧) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل أبو محمد ، مولى بني مراد المؤذن الحافظ الامام محدث الديار المصرية ، صاحب الشافعي ، وناقل علمه ، ولد سنة اربع وسبعين ومائة ، سمع ابن وهب ، وشعيب بن الليث وبشر بن بكر وغيرهم ، روى عنه أصحاب السنن لكن الترمذي بواسطة وأبو زرعة ، وابو حاتم ، وابن أبي حاتم ، والطحاوى وغيرهم . وثقه ابن يونس ، وقال ابن النديم ان الامام ابن جرير أخذ عنه فقه الشافعي الجديد بمصر ، توفي الربيع في شوال سنة سبعين ومائتين (٢) .

(١٨) الزبير بن بكار أبو عبد الله بن أبي بكر القرشي الأسدي المكي الامام الحافظ النسابة ، قاضي مكة ، حدث عن سفيان بن عيينة ،وأبي ضمرة وأنس بن عياض ، والنضر بن شميل وغيرهم ، حدث عنه ابن ماجة ، وابن أبي الدنيا واسماعيل الوراق ، وآخرون ، قال الدارقطني : ثقة ، وقال الخطيب : كان ثقة ثبتا عالما بالنسب ، واخبار المتقدمين ، له مصنفات في نسب قريش ، روى الامام ابن جرير الحديث عنه ، توفي في ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين (٣) .

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٧٢ ، تاريخ بغداد حـ٨ ص٣٦٩ ، طبقات الشافعيه حـ٢ ص ٢٨٤ــ لسان الميزان حـ ٢ ص ٤٢٢ ، الفهرست ص ٢٩١ معجم الادباء حـ١٨ ص ٧٨ ، الطبرى الفقيه ص ١١

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٨٦ ، طبقات الشافعية حـ ٢ ص ١٣٢ ، الفهرست ص ٢٩١

(٣) انظر تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٣١٢ ،تاريخ بغداد حـ٨ ص ٤٦٧ ،تاريخ ابن عساكر حـ١٠ /ل٤٧٦ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١٠٧ .

(١٩) سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ابو عمرو ولد سنة احدى وتسعين ومائة روى عن وهب بن راشد ، وعلي بن جعفر بن محمد ، وعبد الملك بن الماجشون ، كان من علماء هذه الطبقة وهو أصغر أخوته ، روى عنه ابن أبي حاتم ، وابن خزيمة ، وعمر بن حفص بن غالب وغيرهم ، قال أبو حاتم هو صدوق ، وقال ابن خزيمة : كان أعبدهم (يعني اخوته) واكثرهم اجتهادا وصلاة ، قال ابن النديم ان الامام ابن جرير أخذ عنه فقه الامام مالك بمصر ، توفي سعد في رجب سنة ثمان وستين ومائتين في السنة التي توفي فيها أخوه محمد ، وقال النسائي سعد أقدم موتا من أخيه محمد (١) .

(٢٠) سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط ، ابو أيوب البغدادي ، ساكن سامراء ، روى عن علي بن قادم ، ويونس بن محمد المؤدب ، وأبي عاصم وغيرهم ، روى عنه الترمذي ، وابو بكر بن عاصم ، وابو العباس السراج ، وابن صاعد وغيرهم ، قال ابن أبي حاتم : كتب عنه أبي وسئل عنه فقال صدوق . ذكره ابن حبان في الثقات ، سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، ورواه عنه (٢) ولم اعثر على تاريخ وفاته .

(٢١) سليمان بن عبد الرحمن بن حماد بن عمران بن موسى الطلحي أبو داود التمار الكوفي صاحب خلاد ، روى عن أبيه ، وعمرو بن حماد بن طلحة القناد ، والعلاء بن الحنفي وغيرهم ، روى عنه أبو داود ، وابو زرعة ، وابن عاصم وغيرهم ، اخذ الامام ابن جرير القراءة عنه ، قال ابو قاسم : مات

---

(١) انظر ترتيب المدارك حـ ٣ ص ٧١ ، الفهرست ص ٢٩١

(٢) انظر تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٢٠٥ ، تاريخ بغداد حـ ٩ ص ٥٢ ، طبقات المفسرين للداودي حـ ٢ ص ١٠٧ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٦

في مستهل ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، قال ابن حجر :
كذا أرخه محمد بن عبدالله الحضرمي وقال ثقة (١) .

(٢٢) سهل بن محمد بن محمد بن القاسم أبو حاتم السجستاني ،من ساكني البصرة ، كان اماما في علوم القرآن ، واللغة ، والشعر ، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين ، روى عن أبي عبيدة ، وأبي زيد ،والاصمعي وغيرهم . روى عنه ابن دريد ، والنسائي في سننه ، والبزار في مسنده ،وكان أعلم الناس بالعروض واستخراج المعمى ، وكان يعد من الشعراء المتوسطين ذكره ابن حبان في الثقات ، صنف اعراب القرآن ، وكتاب ما تلحن فيه العامة ، تتلمذ عليه الامام ابن جرير ، وأفاد منه فوائد لغوية كثيرة . منها:سبب تسمية طبرستان بهذا الاسم ، وقد كان عنده حديث في القياس عن الاصمعي عن أبي زائدة عن الشعبي ، فسأله عنه الامام ابن جرير فحدثه به ، توفي في محرم ، وقيل في رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين بالبصرة (٢) .

(٢٣) عباد بن يعقوب الرواجني الاسدي ابو سعيد الكوفي ، روى عن شريك النخعي وعباد بن العوام ، واسماعيل بن عياش والحسين بن زيد بن علي والوليد بن أبي ثور وغيرهم . روى عنه البخاري حديثا واحدا مقرونا والترمذي وابن ماجة ، وابو حاتم ، وابو بكر البزار ، وابن خزيمة وابن صاعد وغيرهم ،قال الحاكم كان ابن خزيمة يقول : حدثنا الثقة في روايته ، المتهم في دينه عباد بن يعقوب ، وقال ابو حاتم : شيخ ثقة ، قال ابن عدي عباد فيه غلو في التشيع ، وروى أحاديث أنكرت عليه في الفضائل والمثالب ،

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ٤ ص ٢٠٦ ، معرفة القراء الكبار حـ ١ ص ٢١٢ ، غاية النهاية حـ ٢ ص ١٠٧ .

(٢) انظر طبقات المفسرين للداودي حـ ٢ ص ٢١٠ ، معرفة القراء الكبار حـ ١ ص ١٧٩ ، الفهرست ص ٦٤ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٤٨ ، الطبري الفقيه ص ١١ .

وقال صالح بن محمد : كان يشتم عثمان ، قال وسمعته يقول : الله أعدل من أن يدخل طلحة والزبير الجنة لأنهما بايعا عليا ثم قاتلاه ، قال ابن حجر : ذكر الخطيب أن ابن خزيمة ترك الرواية عنه أخيرا ، وقال ابراهيم بن أبى بكر بن أبى شيبة : لولا رجلان من الشيعة ما صح لهم حديث ، عباد بن يعقوب ، وابراهيم بن محمد بن ميمون . وقال الدارقطني شيعي صدوق ، وقال ابن حبان : كان رافضيا داعية ، ومع ذلك يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، ذكر ابن النديم أن الامام ابن جرير روى الحديث عنه ، قال البخارى مات عباد في شوال ، وقال محمد بن عبد الله الحضرمى مات في ذى القعدة سنة خمسين ومائتين (١) .

(٢٤) العباس بن الوليد بن مزيد العذرى أبو الفضل البيروتي . ولد في رجب سنة تسع وستين ومائة ، روى عن أبيه ، وعقبة بن علقمة البيروتي ، وعبد الرحمن ابن بكار ، وقرأ عليه القرآن . روى عنه أبو داود ، وابو حاتم ، وابنه عبد الرحمن ، وابو زرعة وغيرهم . قال ابن أبى حاتم : سمعت منه وهو صدوق ثقة ، سئل أبى عنه فقال صدوق وقال أبو داود كان صاحب ليل كان يقول : سمعت من أبى وعرضت عليه ، والعرض أصح ، وقال النسائى ليس به بأس ، وقال في مشيخته ثقة ، وقال مسلمة كان يفتى برأى الأوزاعى هو وأبوه ، وكان ثقة مأمونا فقيها ، ذكره ابن حبان في الثقات .

قرأ الامام ابن جرير عليه القرآن في بيروت ، توفى العباس يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الاخر سنة سبعين ومائتين ، وقال خيثمة : مات سنة احدى وسبعين ومائتين ، وقال أبو الحسن بن المنادى : مات سنة تسع وستين ومائتين ، وكان أسن من جدى بسنة . ولد جدى في نصف

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١٠٩ ، الفهرست ص ٢٩١

جمادى الاول سنة واحد وسبعين ومائة ، قال ابن حجر : الاول أثبت وبه جزم ابن اسحاق القراب (١) .

(٢٥) عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدى الكوفي . روى عن الحسن بن عطية ، وثابت بن محمد الزاهد ،وأبي نعيم وغيرهم ، روى عنه الترمذى والنسائي ،وأبو حاتم وغيرهم ، وثقة النسائي ،وقال عنه ابو حاتم صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر : قال الحاكم عن الدارقطني ثقة ، روى عنه الامام ابن جرير الحديث ، قال مطين مات سنة سبع وأربعين ومائتين (٢) .

(٢٦) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ابو القاسم . روى عن أبيه ،وعن ابن الماجشون ، وابن بكير القعنبي ، وعن جماعة من أصحاب مالك . روى عنه النسائي وابو حاتم ووثقه . صنف كتاب فتوح مصر ، قال ابن النديم : ان الامام ابن جرير اخذ عنه فقه الامام مالك بمصر ، توفي سنة سبع وخمسين ومائتين (٣)

(٢٧) عبد الله بن سعيد بن حصين الكندى الكوفي ، شيخ الاسلام أبو سعيد الاشج ، الحافظ محدث الكوفة ، صاحب التفسير والتصانيف، روى عن اسماعيل بن علية ، وعبد الرحمن ابن محمد المحاربي ، ووكيع وغيرهم، روى عنه الجماعة وابو زرعة ، وابو حاتم ،وابن خزيمة وغيرهم ،قال ابو حاتم :

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١٣١ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل/٤٧٦، غاية النهاية حـ ١ ص ٣٥٥ ، حـ ٢ ص ١٠٧ ،معرفة القراء الكبار حـ ١ ص ٢١٣ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١٠٧ .

(٢) انظر تهذيب التهذيب حـ ٦ ص ١٠١ ، طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١٠٧ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ / ل ٤٧٦

(٣) انظر ترتيب المدارك حـ ٣ ص ٧٠ ،حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٤٦ ، الاعلام حـ ٤ ص ٨٥ ، الفهرست ص ٢٩١

هو امام أهل زمانه ، وقال النسائي صدوق ، سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، ورواه عنه ، توفي أبو سعيد في ربيع الاول سنة سبع وخمسين ومائتين وقد زاد التسعين ٠ (١)

(٢٨) عبيد بن اسماعيل القرشي الهباري أبو محمد الكوفي ، ويقال ان اسمه عبيد الله ، وعبيد لقب ،روى عنه ابن عيينه ،وعيسى بن يونس والمحاربي وغيرهم، روى عنه البخاري ،وابو حاتم ،واحمد بن علي الخراز ، ومحمد بن العباس الأخرم وغيرهم ، وثقه مطين ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحاكم عن الدارقطني ثقة ، قال ابن حجر : جزم الشيرازي في الالقاب بأن لقبه عبيد ،وأن اسمه عبدالله ، وقال ابن النديم : ان اسمه عبيدالله وأن الامام ابن جرير حدث عنه ، قال ابن حبان مات قبل الخمسين ، وقال البخاري مات يوم الجمعة آخر ربيع الاول سنة خمسين ومائتين ٠ (٢)

(٢٩) عمران بن موسى بن حيان القزاز الليثي أبو عمرو البصري ، روى عن حماد ابن زيد ، وعبد الواحد بن زياد ، ومحمد بن سواء السدوسي وغيرهم، روى عنه عمرو بن رباح العبدي ، وقاسم المطرز وآخرون ، قال ابو حاتم صدوق ،وثقه النسائي ، وقال في موضع آخر لا بأس به ٠ وذكره ابن حبان في الثقات ٠ قال ابن حجر : وثقه مسلم بن قاسم والدارقطني ،وقد ذكر ابن النديم وياقوت أن الامام ابن جرير سمع الحديث منه في البصرة ورواه عنه ، غير أنه ورد في معجم الادباء باسم عماد بن موسى القزاز، والظاهر أنه تصحيف عن عمران ، توفي عمران بعد الأربعين ومائتين (٣) ٠

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٠١ ، تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ٢٣٦ ،تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٢ ،الانساب ص ٣٦٧ ،تهذيب الاسماء واللغات حـ ١ ص ٧٨ ،المنتظم حـ ٦ ص ١٧٠

(٢) انظر تهذيب التهذيب حـ ٧ ص ٥٩ ، الفهرست ص ٢٩١

(٣) انظر تهذيب التهذيب حـ ٨ ص ١٤١ ،معجم الادباء ص ٥٠ ، الفهرست ص ٢٩١ ٠٠

(٣٠) عمرو بن علي بن بحر بن كنيز أبو حفص الباهلي البصري الصيرفي الفلاس ، الحافظ الامام الثبت ، أحد الائمة الاعلام ، وصاحب التفسير الذي رواه عنه علي بن حماد بن اسماعيل البزار ، ولد بعيد الستين ومائة سمع يزيد بن زريع ،ويحى بن سعيد القطان ، وسفيان بن عيينة وغيرهم روى عنه الجماعة وأبو زرعة ، وابو حاتم ، وعبدالله بن أحمد وغيرهم قال أبو زرعة كان من فرسان الحديث ، وقال النسائي ثقة صاحب حديث حافظ ، وقد تردد الى أصبهان مرات ، روى الامام ابن جرير الحديث عنه ، توفي الفلاس بسامراء في ذي القعدة سنة تسع واربعين ومائتين (١)

(٣١) محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري النساج الامام الحافظ الكبير ابو بكر الشهير ببندار ،كان عالما بحديث البصرة ، متقنا مجودا ، لم يرحل برا بامه ، ثم رحل بعدها ، روى عن يحى بن القطان ، وابن المهدي ،وأبي داود الطيالسي وغيرهم . روى عنه الجماعة ، وأبو زرعة وابو حاتم ،وابن خزيمة وغيرهم ، قال أبو حاتم : صدوق ،وقال العجلي ثقة كثير الحديث حائك ، وقال أبو داود كتبت عن بندار خمسين الف حديث ،وأبو موسى أثبت منه ،ولولا سلامة في بندار لترك حديثه . وقال ابن خزيمة سمعت بندارا يقول : ما جلست مجلسي هذا حتى حفظت جميع ما خرجته ، قال الذهبي ،ولا عبرة بقول من ضعفه ، سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، ورواه عنه ، توفي بندار في رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين .(٢) الا أن النووي أورد في تهذيبه اسم محمد بن يسار ضمن شيوخ الامام ابن جرير (٣) ولم يذكر هذا الاسم غيره ممن أرخ للامام

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ٢ ص ٤٨٧ ،تهذيب التهذيب حـ٨ ص٨٠ تاريخ بغداد حـ٢ ص ١٦٢ ،الانساب ص ٣٦٧ ، لسان الميزان حـ ٥ ص ١٠١

(٢) انظر تذكرة الحفاظ حـ٢ ص٥١١ ، تهذيب التهذيب حـ٩ ص٧٠ تاريخ بغداد حـ٢ ص ١٦٢ ـ الانساب ص٣٦٧ ،لسان الميزان حـ٥ ص١٠١ ، اللباب حـ١ ص٢٧٤

(٣) انظر تهذيب الاسماء واللغات حـ ١ ص ٧٨ .

ابن جرير — على حد علمى — ويؤكد ذلك أن النووى اعتمد فى ترجمته للامام ابن جرير على الخطيب ، ولم يذكر الخطيب محمد بن يسار الذى انفرد النووى بذكره ، بل ذكر الخطيب محمد بن بشار ، فدل على أنه تصحيف فى الطبع ، بيد أن محمد بن يسار الخراسانى ، هو ابو عبدالله ابن يسار المروزى بصرى الاصل محدث ثقة تلميذ قتادة ، وشيخ ابن المبارك ، وهو متقدم كثيرا على الامام ابن جرير ، فلا يعقل أن يكون شيخا له .(١)

(٣٢) محمد بن حميد بن حيان أبو عبدالله الرازى الحافظ : روى عن يعقوب القمى ، وابن المبارك ، وجرير وغيرهم ، روى عنه أبو داود وأحمد بن حنبل والترمذى وابن ماجة ، والبغوى وغيرهم ، وهو من بحور العلم لكنه غير معتمد يأتى بمناكير كثيرة . قال عبدالله بن أحمد : سمعت أبى يقول : لا يزال بالرى علم مادام محمد بن حميد حيا ، وقال ابو زرعة : من فاته ابن حميد يحتاج فى أن ينزل فى عشرة آلاف حديث ، وقال البخارى فى حديثه نظر ، وقال صالح جزرة كنا نتهمه ، وقال ابن خزيمة : لو عرفه الامام أحمد لما اثنى عليه وقال النسائى ليس ثقة ، سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، ورواه عنه وقد صرح الامام ابن جرير بأنه كان يكتب عند محمد بن حميد الرازى ، ويسأله عما كتبه ويقرؤه عليه . كما كان الامام ابن جرير يقرأ عليه التفسير كذلك ، وقد ذكر ابن كامل أن الامام ابن جرير اكثر من الكتابة عنه ، ويقال انه كتب عنه مائة الف حديث : قال البخارى وغيره مات ابن حميد الرازى سنة ثمان وأربعين ومائتين (٢) .

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٥٣٢ ، الطبرى الفقيه ص ١٢

(٢) انظر تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ١٢٩ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٤٩٠ ، الفهرست ص ٢٩١ ، الانساب ص ٣٦٧ ، تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٢ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٤٩ — ٥٠

(٣٣) محمد بن عبد الاعلى الصنعانى أبو عبدالله البصرى : روى عن مروان بن معاوية ، وسفيان بن عيينة ،وعبدالرحمن بن مهدى وغيرهم • روى عنه مسلم ، وابو داود فى كتاب القدر ، والترمذى والنسائى وابن ماجة وأبو حاتم وابن خزيمة وغيرهم ، وثقه أبو حاتم وابو زرعة ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، ذكر ياقوت أن الامام ابن جرير سمع الحديث منه بالبصرة توفى الصنعانى سنة خمس واربعين ومائتين • وكذا قال البخارى (١)

(٣٤) محمد بن عبدالله بن عبد الحكم ابو عبدالله المصرى ، الامام الحافظ فقيه عصره ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، روى عن ابن وهب ، والشافعى واسحاق بن الفرات وغيرهم وتفقه بأبيه وبالشافعى ، روى عنه النسائى ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، وابن أبى حاتم ، وغيرهم ، وثقه النسائى وقال مرة لا بأس به ، وقال ابن خزيمة ما رأيت فى الفقهاء والتابعين أعلم باقاويل الصحابة والتابعين منه ، وقال ابن أبى حاتم ثقة صدوق أحد فقهاء مصر من أصحاب مالك ، قال ابن النديم ان الامام ابن جرير اخذ عنه فقه الامام مالك بمصر ، توفى محمد فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ومائتين (٢)•

(٣٥) محمد بن العلاء الهمدانى الكوفى الحافظ الثقة ، محدث الكوفة أبو كريب سمع ابن عيينة ، وابن المبارك ، وعمرو بن عبيد ، وحاتم بن اسماعيل وطبقتهم ، روى عنه الجماعة ، وعبد الله بن أحمد ، والفريابى ، وابن خزيمة وغيرهم ،قال ابو حاتم : صدوق ، وقال ابو عمرو والنيسابورى الخفاف: ما رأيت فى المشايخ بعد ابن راهويه احفظ من أبى كريب ، حضر الامام ابن جرير الى بيته لسماع الحديث منه • فامتحنه ابو كريب فى حفظه ، فاعجب

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٢٨٩ ، معجم الادباء ص ٥٠

(٢) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٤٦ ، تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٢٦٠ ، — طبقات الشافعية حـ ٢ ص ٦٧ الفهرست ص ٢٩١

به ، وعظم في نفسه ، وعرف قدره على حداثة سنه ، فمكنه من حديثه ، ويقال ان الامام ابن جرير سمع منه اكثر من مائة الف حديث ، توفي ابو كريب في جمادى الاخرة سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وله سبع وثمانون سنة (١)

(٣٦) محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزي ابو موسى البصري الحافظ المعروف بالزمن ، سمع يزيد بن زريع ، وسفيان بن عيينة ، وروى عنه الجماعة والنسائي ، وابن صاعد ، وابن خزيمة وغيرهم ، قال صالح جزرة كنت اقدمه على بندار ، وكان في عقله شيء ، قال ابو عروبة الحراني ، ما رأيت بالبصرة أثبت من أبي موسى ، ويحي بن حكيم . سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، ورواه عنه ، توفي الزمن سنة اثنين وخمسين ومائتين ، وقيل في ذي القعدة سنة احدى وخمسين ، وقيل سنة خمسين . (٢) .

ومحمد بن المثنى الزمن غير محمد بن المعنى الذي ذكره ياقوت في معجم الادباء ، وقال انه من شيوخ الامام ابن جرير في البصرة وهو غير محمد بن المعلى الذي زعم محقق المعجم أنه الصواب ، والذي أراه وأطمئن اليه والله أعلم ــ أن محمد بن المعنى مصحف عن محمد بن المثنى المتقدم ذكره ، واما محمد بن المعلى فهو محمد بن المعلى بن الحسن بن يعقوب ابن طالب بن عبدالله ابو عبدالله البغدادي المعروف بالشونيزي ، فهو متأخر عن الامام ابن جرير اذ توفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، فيبعد أن يكون شيخا له ، ويتوقف الذهاب الى ذلك على تصريح صحيح به كما تقدم بالنسبة الى أبي سعيد الاصطخري شيخه في الفقه (٣) .

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٤٩٧ ، تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٣٨٥ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥١ ــ ٥٢ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥١٢ ، تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٤٢٥ ، تاريخ بغداد حـ ٣ ص ٢٨٣ ، حـ ٢ ص ١٦٢ ، الانساب ص ٣٦٧ .

(٣) انظر غاية النهاية حـ ٢ ص ٢٦٤ ، الطبري الفقيه ص ١٦

(٣٧) محمد بن مقاتل الرازى ، لا المروزى ، ذكره الخطيب فى المتفق والمفترق وذكره أنه روى عن جرير ، ووكيع ، وأبى معاوية وطبقتهم ، روى عنه عيسى بن محمد المروزى ، وأحمد بن على الاسعدى ، وغيرهم ، وسمع منه البخـــارى ولم يحدث عنه ، روى الخليلى فى الارشاد من طريق صهيب بن سليـــم سمعت البخارى يقول : حدثنا محمد بن مقاتل : فقيل له الرازى ، فقال لأن أخر من السماء أحب الى من أن أحدث عن محمد بن مقاتل الرازى ، وقال الذهبى محمد بن مقاتل الرازى لا المروزى حدث عن وكيع وطبقته ، تكلـــم فيه ولم يترك . صرح الحافظ ابن حجر فى اللسان بان الامام ابن جريـــر روى الحديث عنه ، وقال ابن النديم : ان الامام ابن جرير أخذ عن أبـــى مقاتل فقه أهل العراق بالرى ، والظاهر أنه محمد بن مقاتل الـــرازى وأنه اشتهر بكنيته ، فاقتصـــر ابن النديم على ذكرها ، واكتفى بذلـــك عن التصريح باسمه ، أو يكون لفظ (أبى مقاتل) تصحيفا عن ابن مقاتـــل، ولا يتوهم أنه ابو مقاتل حفص بن سليم السمرقندى صاحب أبى حنيفة المتوفى سنة ثمان ومائتين ، اذ لا يعقل أن يكون شيخا له ، وقد توفى قبـــل ولادته بنحو ست عشرة سنة أو اكثر ، توفى محمد بن مقاتل الرازى سنة ثمان واربعين ومائتين وقيل فى التى بعدها . (١)

(٣٨) محمد بن موسى الحرشى ابو جعفر شاباص الحافظ ، روى عن خليفة بـــن خياط وأبى مالك كثير بن يحى ، ويزيد المدائنى ، وروى عنه المحاملى ، وابن مخلد والصفار ، ذكره الخطيب فى تاريخه وقال : كان ثقة حافظا قال ابـــن حجر : وهذا متأخر عنه ، ذكر ياقوت ان الامام ابن جرير سمع منه الحديث بالبصرة . توفى الحرشى سنة ثمان واربعين ومائتين (٢).

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٤٦٩ ، ميزان الاعتدال حـ ٤ ص ٤٧ ، لسان الميزان حـ ٥ ص ٣٨٨ ، الفهرست ص ٢٩١ ، الطبرى الفقيه ص ١٧

(٢) انظر تهذيب التهذيب حـ ٩ ص ٤٨٢ ، تاريخ بغداد حـ ٣ ص ٢٤٠ ، ميزان الاعتدال حـ ٤ ص ٥١ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٠ ..

(٣٩) هناد بن السرى بن مصعب السرى التميمى الدارمى الحافظ القدوة الزاهد شيخ الكوفة حدث عن أبي الاحوص سلام ، وشريك بن عبد الله ، واسماعيل بن عياش وغيرهم ، روى عنه الجماعة سوى البخارى ، سئل احمد بن حنبل عمن نكتب بالكوفة قال : عليكم بهناد ، قال قتيبة : ما رأيت وكيعا يعظم احدا تعظيمه هنادا ، ثم يسأله عن الأهل ، وثقه النسائي ، له مصنف كبير في الزهد ، ذكر ابن النديم وياقوت أن الامام ابن جرير سمع الحديث منه بالكوفة ورواه عنه ، توفي هناد في ربيع الاخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين عن احدى وتسعين سنة (١) . وهو غير هناد بن السرى الصغير الكوفى المتوفى بالكوفة سنة احدى وعشرين وثلاثماية لانه متأخر عن الامام ابن جرير ، ولم يتلاق معه ، أو يتتلمذ عليه فضلا أن يكون شيخا له . (٢)

(٤٠) الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس السكونى ابو همام الكندى ابن أبي بدر الكوفى نزيل بغداد ، روى عن ابن عيينة ، وابن ابي زائدة ، والوليد بن مسلم ، وابن وهب وغيرهم ، روى عنه مسلم وابو داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، وابراهيم الحربي وغيرهم . قال أحمد بن محمد بن صدقة : سمعت أحمد يسأل عنه فقال اكتبوا عنه ، وقال ابن محرز سألت ابن معين فقال لابأس به ليس هو ممن يكذب ، وسئل عنه ابن معين أيضا : فقال : ليس له بخت مثل أبيه ، وقال صالح جزرة تكلموا فيه وقال ابو حاتم شيخ صدوق يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، وهو أحب الي من أبي هشام الرافعي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، سمع الامام ابن جرير الحديث منه ، ورواه عنه قال البخارى مات في ربيع الاول سنة ثلاث واربعين ومائتين ، وفيها أرخه غير واحد ، وقيل سنة اثنتين واربعين ، وقيل سنة تسع وثلاثين . ورجح

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٠٧ ، تهذيب التهذيب حـ ١١ ص ٧٠ ، الفهرست ص ٢٩١ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥١

(٢) انظر الطبرى الفقيه ص ١٨

ابن حجر الاول ، وقال والاول أصح (١) .

(٤١) يعقوب بن ابراهيم الدورقي ابو يوسف العبدى الامام الحافظ الكبير المعمر محدث العراق ، رأى الليث بن سعد ببغداد ، وسمع ابراهيم بن سعيد وعيسى بن يونس ، روى عنه الجماعة والنسائي أيضا بواسطة ،وثقه النسائي وغيره ،قال الخطيب كان حافظا متقنا صنف المسند ،ذكر ياقوت أن الامام ابن جرير كتب مسنده ، سمع الامام ابن جرير منه الحديث ورواه عنه ، توفي يعقوب سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقد ناطح التسعين (٢) .

(٤٢) يونس بن عبد الاعلى ابو موسى الصدفي المصرى ، عالم الديار المصرية الامام الحافظ المقرئ ، ولد في أخر سنة سبعين ومائه ، قرأ القرآن على ورش وغيره ، وسمع من سفيان بن عيينة ، والوليد بن مسلم ، وابن وهب والشافعي ، تفقه بالشافعي ، أخذ عنه القراءة ابن خزيمة ، وحدث عنه النسائي ومسلم وابن ماجة وابن أبي حاتم وغيرهم ، روى عن الشافعي أنه قال : ما رأيت بمصر أحدا اعقل من يونس ، وقال يحي بن حسان ، هو ركن من أركان الاسلام ، وثقه النسائي وغيره . وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يوثق يونس ويرفع من شأنه ، ذكر ابن النديم أن الامام ابن جرير أخذ عنه فقه الامام مالك بمصر ، وقال ياقوت ، وابن الجوزى والداودى وابن حجر انه اخذ القراءة عن يونس سماعا بمصر كذلك.توفي يونس في ربيع الاول سنة اربع وستين ومائتين (٣) .

---

(١) انظر تهذيب التهذيب حـ ١١ ص ١٣٥ ، تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١٠ ، المنتظم حـ ٦ ص ١٧٠ ، تاريخ بغداد حـ ١٣ ص ٤٤٣

(٢) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٠٥ ، تاريخ بغداد حـ ١٤ ص ٢٧٧ ، حـ ٢ ص ١٦٢ ، تهذيب التهذيب حـ ١١ ص ٣٨١ ، الانساب ص ٣٦٧ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٣ .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٥٢٧ ، تهذيب التهذيب حـ ١١ ص ٤٤٠ ، معرفة القراء الكبار حـ ١ ص ١٥٦ ، الفهرست ص ٢٩١ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٦٦ غاية النهاية حـ ٢ ص ١٠٧ ، طبقات المفسرين حـ ٢ ص ١٠٧ ..

المبحث الثالــث

تلاميـــــــــذه

من طبيعة المنهل العذب أن يكثر رواده ، ويتتابع قصاده ، ثم لا يـزداد على مر الأيام الا كثرة رواد وقصاد ، وقد كان الامام ابن جرير الطبري رحمه اللـه منهلا عذبا ثرا للعلوم الدينية ، والأدبية ، والتاريخية ، فقد اكثر رحمه الله مـن التطواف والترحال بين شرق البلاد الاسلامية وغربها ، وحل في كل موطن عـرف أنه مظنة لادراك غايته التي من أجلها رحل وهي طلب العلم . وقد كانت رحلاتـه تلك آخذا وعطاء . وليس غريبا على الامام ابن جرير أن يتحلق حول مجلسه في كـل مكان حل فيه مجموعة من طلبة العلم ، ينهلون ما يشاؤن من علومه الغزيرة ، ويقتبسون من أخلاقه الفاضلة . وهذا ما قد كان ، فقد أصبح له كثير من التلاميذ الذيـن نهلوا من نبعه ، واستناروا بعلمه ، وحرصوا على ملازمتـه ومناقشته والسماع منـه والكتابة عنه ، فنشروا مذهبه ، وانتصروا له ، وقد كان هؤلاء التلاميذ يحبون استاذهم ويجلونه لعلمه وسمو أخلاقه ، وحرصه على تزويدهم بالعلم والمعرفة ، وثقتهم بأنـه يعطف عليهم عطف الأب الشفيق ، وكان رحمه الله يحبهم لانهم ورثة علمه ، وحملة مذهبه ، ونقلة آثاره ، فقد كان لا يرضى أن يخص أحدا منهم بشيء من علمـه فاذا قرأ عليه جماعة كتابا وتخلف أحدهم يوما أجل القراءة حتى يحضره واذا سألـه أحدهم أن يقرأ عليه كتاب ثم غاب يوما لم يقرئ الحاضرين حتى يعود الغائـب ولم يكن يجد غضاضة في أن يعامل كبار تلاميذه معاملة الاخوة ، فقد ذكر ابن كامـل أن بعض أصحاب الامام ابن جرير جفاه في مجلس الامام ابن جرير ، فانقطع ابن كامـل زمانا عن المجلس ، ثم لقيه الامام ابن جرير فاعتذر اليه كأنه جنى الجناية ، ولم يـزل في ترفقه معه حتى أرضاه فعاد الى المجلس (١) .

---

(١) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٥٤ ـ ٥٥ ، ٦٧ ـ ٦٨ ، الطبري للحوفـي ص ٨٣ ـ ٨٤ ، والعلماء العزاب ص ٤٢ ـ ٤٣ . .

والذى يتتبع تاريخ تلاميذه ، يجد أن بعضهم قد سلكوا طريق شيخهم في التأليف ، وفي كثرة الانتاج ، ويجد بعضهم قد نصبوا أنفسهم للدفاع عن مذهبه والملاحاة عن آرائه ، وآخرون منهم أرخوا حياة شيخهم في تفصيل تارة ، وفي اجمال مرة أخرى ، وبهذا كله وفوا لاستاذهم بعد مماته، كما اصفوه ودهم في حياته ، الا أن احصاء تلاميذ الامام ابن جرير ليس بالسهل اليسير لأنهم كثيرون، لا يبلغهم الحصر، ولا يأتى عليهم الذكر ، فقد اغفل المؤرخون كثيرا منهم، لذلك فانى سأكتفى بالتعريف لطائفة من أشهرهم ، وأبرزهم ، وأخلصهم له ، فأقول وبالله التوفيق :ـ

(١) ابراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز بن المهاجر ابو مسلم البصرى المعروف بالكجي ، وبالكشى ، سمع محمد بن عبد الله الانصارى ، وعبد الرحمن ابن حماد الشعبي ، وأبا عاصم النبيل ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم . روى عنه ابو القاسم البغوى ، واسماعيل بن محمد الصفار ، وأبو عمرو بن السماك ، وغيرهم ، وثقه الدارقطني وموسى بن هارون . وقال عبد الغنى بن سعيد ثقة نبيل ، الف كتاب السنن وكتاب المسند ، ذكر ابن النديم نقلا عن المعافى بن زكريا النهروانى أنه كان ينتمى الى الامام ابن جرير في الفقه مع أنه كان في سنه . بل أكبر منه سنا ، فقد توفى الكجي لسبع خلون من المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين (١) .

(٢) احمد بن أبي طالب الكاتب واسمه على بن محمد بن أحمد بن الجهم بن أنبوس ، ويكنى أحمد أبا جعفر ، ولد سنة احدى وتسعين ومائتين ، سمع احمد بن خالد بن أبي الاخيل الحمصى ، والحسين بن محمد بن عفير وعبد الله بن محمد البغوى وغيرهم ، روى عنه الأزهرى ، وأبو محمد الخلال ، وأبو القاسم التونخي وغيرهم ، وثقه الازهرى ، ذكر الخطيب وابن حجر والذهبى انه سمع الحديث من الامام ابن جرير ورواه عنه .

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ٦ ص ١٢٠ ، الفهرست ص ٢٩٢

قال الأزهري توفي الكاتب سنة تسع وسبعين وثلاثمائة (١) .

(٣) أحمد بن كامل بن شجرة بن منصور بن كعب بن يزيد القاضي البغدادي ويكنى أبا بكر . ولد سنة ستين ومائتين ، حدث عن محمد بن سعد العوفي ، وعبد الله بن روح المدائني وغيرهم ، روى عنه الدارقطني ، والمرزباني وجماعة من القدماء ، قال الخطيب : كان من العلماء بأيام الناس ، والاحكام وعلوم القرآن ، والنحو ، والشعر ، وتواريخ أصحاب الحديث ، وقال ابن زرقويه : لم تر عيناي مثله ، وقال حمزة عن الدارقطني كان متساهلا ربما حدث من حفظه بما ليس في كتابه وأهلكه العجب فانه كان يختار ولا يضع لاحد من العلماء أصلا ، تقلد قضاء الكوفة من قبل أبي عمرو محمد بن يوسف ، ذكر الخطيب والنووي والذهبي أنه حدث عن الامام ابن جرير في بداية أمره ، وقد كان أحد كبار تلاميذه وأصحابه الذين تأثروا به ، وتفقهوا على مذهبه ، واكثروا من الكتابة عنه كما صرح به الخطيب وغيره ، وأخذ عنه التفسير بعضه املاء ، ثم جميعه قراءة كما ذكر ذلك ياقوت ، وقد صرح هو بأنه كان يتفقه على مذهب الامام ابن جرير وذكره ابن النديم في جملة أصحابه المتفقهين على مذهبه والمؤلفين في فقهه ، وقد صنف في ذلك كثيرا من الكتب الفقهيه مثل كتاب المختصر في الفقه ، وجامع الفقه ، وكتاب الحيض ، وكتاب الشروط الكبير ، والشروط الصغير ، وقد ذكر ياقوت بأنه قد اختار لنفسه مذهبا ، كما ذكر الدارقطني حينما سئل عنه أكان جريري المذهب ؟ فقال : بل خالفه واختار مذهبا لنفسه ، ولعل ذلك كان في آخر أمره جمعا بينه وبين ما صرح هو وغيره من أنه كان جريري المذهب ، توفي ابن كامل في المحرم سنة خمسين

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ٤ ص ٣١٥ ، حـ ٢ ص ١٦٢ ، لسان الميزان حـ ٥ ص ١٠١ ، سير اعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٤ ..

وثلاثمايـــة (١) ٠

(٤) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أبو بكر المقرئ ٠ كان شيخ القــراء في وقته ، والمقدم منهم على أهل عصره ، حدث عن عبدالله بن أيـــوب المخرمي ، ومحمد بن عبدالله الزهيري ، ومحمد بن سعد العوفي وغيرهـم روى عنه أبو الحسن الدارقطني ، وابو بكر بن شاذان ، وابو طاهر ابــن هاشم وغيرهم ، وكان ثقة مأمونا ، سمع قراءة الامام ابن جرير فاعجب بهـــا ٠ وقال ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر ، وسمع منه حديث أبي هريرة في البسملة ، كما سمع من الامام ابن جرير قوله : اني أعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته ؟ وقد حرص ابن مجاهد على أن يسمـع من الامام ابن جرير رواية ورش عن نافع من طريق يونس بن عبد الأعلى عنـــه منفردا فأبى الامام ابن جرير الا أن يسمعها منه مع الناس ، وكان ابن مجاهد كثيرا ما يترحم على الامام ابن جرير ويثني عليه ٠ ولا يجرى ذكره الا فضله ويعتبره من كبار الشيوخ والأئمة ، وقد روى عن الامام ابن جرير في اسنـاد قراءة نافع الا انه دلس اسمه فعبر عنه ، بمحمد بن عبدالله ، توفي ابــن مجاهد لتسع بقين من شعبان سنة اربع وعشرين وثلاثماية (٢) ٠

(٥) أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول ، الامام المحدث ، شيخ ابـــي القاسم التونخي كان داعية الى الاعتزال ، ولكنه كان متقنا صحيح السمــاع ذكر الحافظ ابن حجر انه حدث عن الامام ابن جرير وطبقته ، توفـــــي

---

(١) انظر لسان الميزان حـ ١ ص ٢٤٩ ، معجم الادباء حـ ٤ ص ١٠٢ ، حـ ١٨ ص ٥٤ ، ٦٢ ، تاريخ بغداد حـ ٤ ص ٣٥٧ ، حـ ٢ ص ١٦٢ ، انباه الرواة حـ ١ ص ٩٧ ، الفهرست ص ٢٩٢ ، سير أعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٣

(٢) انظر تاريخ بغداد حـ ٥ ص ١٤٤ ، لسان الميزان حـ ٥ ص ١٠٢ ، غايـــة النهاية حـ ٢ ص ١٠٧ ، ١٣٩ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٦

سنة ست وسبعين وثلاثماية على الصحيح ، ويقال سنة ثمان وسبعين وثلاثماية . (١)

(٦) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني اللخمي الشافعي ، امام دهره ، وحافظ عصره ، العالم الحجة . ولد سنة ستين ومائتين بطبرية وقال الذهبي : ولد بعكا وأمه عكاوية ، رحل في طلب الحديث ، وسكن أصبهان الى أن مات بها ، سمع اسحاق بن ابراهيم الصنعاني وغيره ، وعدد شيوخه الف شيخ أو يزيدون . قال الذهبي : له مصنفات كثيرة : منها المعاجم الثلاثة ، الكبير ، والأوسط ، والصغير ، كان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والامانة ، ذكر الذهبي وغيره أنه سمع الحديث من الامام ابن جرير ورواه عنه توفي الطبراني سنة ٣٦٠هـ (٢)

(٧) عبدالله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب ـ واسم أبي شعيب عبدالله ابن الحسن ـ ابو شعيب الحراني المؤدب ، سمع جده أحمد بن أبي شعيب ، وأباه أبا مسلم ، وأحمد بن عبدالملك بن واقد الحراني وابا خيثمة زهير بن حرب ، والبابلتي وغيرهم . روى عنه القاضي المحاملي ومحمد بن مخلد الدوري ، وأبو بكر الشافعي وغيرهم . قال عنه الدارقطني ثقة مأمون ، وقال أبو بكر بن كامل : كان مسندا غير متهم في روايته وكان يأخذ الدراهم على الحديث ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطيء ويهم . وقال مسلمة ثقة فصيحا . سمع الحديث من الامام ابن جرير ورواه عنه ، على الرغم من أنه كان متقدما على الامام ابن جرير واكبر سنا وسندا منه ، توفي ابو شعيب الحراني في ذي الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين (٣) .

---

(١) انظر لسان الميزان جـ ١ ص ٣٢٨

(٢) انظرتذكرة الحفاظ جـ٣ ص٩١٢ ، جـ٢ ص٧١١ ، اللباب جـ٢ ص٢٧٣ ، غاية النهاية جـ ٢ ص ١٠٧

(٣) انظر تاريخ بغداد جـ٩ ص ٤٣٥ ، لسان الميزان جـ٣ ص٢٧١ ، سير أعلام النبلاء جـ٩ /٣/ل٤١٣ ، طبقات الشافعية جـ٣ ص ١٢١

(٨) عثمان بن سعيد بن بشار أبو القاسم الأحول الانماطي ، كان أحد الفقهاء على مذهب الامام الشافعي ، حدث عن أبي ابراهيم المزني والربيع بن سليمان المرادي ، روى عنه ابو بكر الشافعي ، تلقى فقه الامام الشافعي عن الامام ابن جرير في بغداد على ما أخبر به الامام ابن جرير نفسه مع أن أبا القاسم الاحول اكبر سنا منه فقد ذكر أن الامام ابن جرير قال : أظهرت فقه الشافعي ،وأفتيت به في بغداد عشر سنين وتلقنه من ابن بشار الاحول أستاذ أبي العباس بن سريج ، توفي ابن بشار في شوال سنة ثمان وثمانين ومائتين . (١)

(٩) على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم أبو الفرج الاموي الكاتب والمؤرخ الناقد والمؤلف الجامع ، المعروف بالاصبهاني (بالباء والفاء) ولد سنة أربع وثمانين ومائتين ، حدث عن محمد بن عبدالله الحضرمي ومحمد بن جعفر القتات والحسين بن عمر بن أبي الأحوص وغيرهم ، روى عنه الدارقطني ، وابو اسحاق الطبري وابراهيم بن مخلد وغيرهم . كان عالما بأيام الناس والانساب والسيرة ، وكان شاعرا محسنا ، والغالب عليه رواية الاخبار ، صنف كتبا كثيرة منها : الاغاني الكبير وآداب الغرباء ،ومقاتل الطالبين والحانات وغيرها . خلط قبل أن يموت ، وكان أمويا يتشيع ، كان يختلف الى الامام ابن جرير ،ويحضر مجلسه ، ويقرأ كتبه ، كما كان يضمن كتبه ــ وبخاصة الأغاني ــ كثيرا من الروايات الموجودة في تاريخ الامام ابن جرير عن طريق الامام ابن جرير مباشرة . توفي ابو الفرج لاربع عشرة خلون من ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثماية على الصحيح ،وقيل في سنة سبع وخمسين وثلاثمايـة (٢) .

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ١١ص٢٩٢ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٨٠ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٣

(٢) انظر تاريخ بغداد حـ ١١ ص ٣٩٨ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨٧

(١٠) علي بن سراج بن عبد الله ابو الحسن المصري أو البصري الاديب اللغوي حدث عن سعيد بن عمرو السكوني ، ونصار بن حرب ، وعبد الله بن محمد ابن زياد المديني وغيرهم ، روى عنه أبو سهل زياد القطان ، والعباس بن أحمد بن الفرات ، وابو بكر ابن اسماعيل الوراق وغيرهم ، وكان حافظا عارفا بأيام الناس وأحوالهم ، قال الدارقطني : هو صالح ، وقيل انه ربما شرب السكر وسكر ، سمع من الامام ابن جرير شعر الطرماح اثناء مقابلته له في مصر ، توفي أبو الحسن سنة ثمان وثلاثمائة (١) .

(١١) محمد بن علي بن اسماعيل أبو بكر القفال الشاشي الفقيه الشافعي ، من أهل الشاش ، أمام عصره بلا مدافعة ، سمع أبا بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة وابا العباس السراج ، وابا القاسم البغوي ، وعبد الله المدائني وغيرهم روى عنه الحاكم ، وابو عبد الله ابن مندة ، وابو عبد الرحمن السلمي وغيرهم ، كان فقيها اصوليا لغويا محدثا شاعرا . سار ذكره في الشرق والغرب ، وله تصانيف مشهورة ، ورحل الى خراسان ، والعراق والشام والحجاز ، والثغور . كان معتزليا في بداية أمره ، ثم صار أشعريا ، سمع الحديث من الامام ابن جرير ورواه عنه ، توفي القفال في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة (٢) .

(١٢) مخلد بن جعفر بن مخلد بن سهيل بن حمران أبو علي الدقاق الفارسي البغدادي المعروف بالباقرحي صاحب المشيخة . سمع يوسف القاضي ومحمد بن يحي المروزي ، وجعفر الفريابي ، (وأحمد بن الحلواني وغيرهم ، روى عنه أبو نعيم ، ومحمد بن العلاف ، وعلي بن عبد العزيز الظاهري

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ١١ ص ٤٣١ ، معجم الادباء حـ ١٨ ص ٥٣

(٢) انظر اللباب حـ ٣ ص ٥٠ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ٢٠٠ ، سير أعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٣ .

قال أحمد بن علي الساوي : ثقة صحيح السماع الا أنه لم يكن يعـــرف شيئا من الحديث ، وقال ابو نعيم ، بلغنا أنه خلط بعد خروجنا مـــن بغداد ،وقال الخطيب : حدثت عن أبي الحسن بن الفرات أنه قـــال : كان مخلد بن جعفر أصوله صحيحه ،ثم ان ابنه حمله في آخر عمـــره على ادعاء أشياء منها المغازي عن المروزي ، والمبتدأ عن ابن علوية القطان وتاريخ الطبري الكبير ، والطهارة لابي عبيد ، فشرهت نفسه وقبل منـــه واشترى هذه الكتب وحدث بها فانهتك ، سمع من الامام ابن جريـــر الحديث ورواه عنه ، توفى الباقرحي سنة تسع وستين وثلاثماية وقد قـــارب التسعين (١) .

(١) انظر تاريخ بغداد حـ١٣ ص ١٧٦ ،لسان الميزان حـ ٦ ص ٧ ، سيـــر اعلام النبلاء حـ ٩ /٣/ل ٤١٣ تهذيب الاسماء واللغات حـ١ ص٧٨ ، الانساب ص ٣٦٧ ..

المبحث الرابع

تأثره ، وتأثيره

١ ـ تأثره بالسابقين : ـ

عاش الامام ابن جرير الطبرى فى عصر زاخر بالثقافات ، والعلوم ، والمعارف المتنوعه ، وقد سبقه فى ميدان العلوم التى ألف فيها جماعة من العلماء تركوا وراءهم مصنفات كثيرة كانت للامام ابن جرير نبراسا أضاء له الطريق ، وزادا اعتمد عليه فى مسيرته فى مجال التصنيف فى مختلف العلوم التى صنف فيها ، بعد توفيق الله عز وجل أولا وأخرا . ونلمس أثر اولئك العلماء واضحا جليا فى مؤلفات الامام ابن جرير التى بين أيدينا . وقد ذكر الامام ابن جرير فى كثير من المواطن عن الفوائد التى أفادها من مصنفاتهم ، وسكت عن ذلك فى مواطن اخرى . وكتاب جامع البيان فى تأويل اى القرآن للامام ابن جرير ـ هو عمدة ما وصل الينا من مصنفاته ـ يحوى بين دفاته أنواعا كثيرة من العلوم المختلفة ، ففيه الحديث ، والسير ، والفقه ، واصوله ، واللغة والنحو والشعر ، والتاريخ ، وغير ذلك ولعل أشمل وصف له هو ما قاله أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغانى فيما رواه ابن عساكر بسنده عنه أنه قال : " فتم من كتبه كتاب تفسير القرآن ، وجوده ، وبين فيه احكامه ، وناسخه ومنسوخه ومشكله وغريبه ، واختلاف أهل التأويل والعلماء فى أحكامه وتأويله ، والصحيح لديه من ذلك ، واعراب حروفه ، والكلام على الملحدين فيه ، والقصص وأخبار الامم والقيامة ، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب كلمة كلمة ، وآية آية من الاستعاذة الى أبى جاد . فلو ادعى عالم أن يصنف منه

.. عشرة كتب ، كل كتاب منها يحوى على علم مفرد عجيب مستقصى لفمل "(١).

وقد جمع الامام ابن جرير تلك الحصيلة العلمية من طريقين اثنين :ـ

الطريقة الأولى :ـ
==============

السماع والتلقى من شيوخه الذين تتلمذ عليهم فى رحلته العلمية الطويلة التى بدأها ـ وهو فتى فى مقتبل عمره ـ فى بلده طبرستان ، وتابعها الى العراق ، والحجاز ، والشام ومصر ، الى أن القى عصا الترحال ، واستقر به المقام للتأليف والتدريس فى بغداد مدينة السلام.

الطريقة الثانية :ـ
==============

اطلاعه على مصنفات من سبقوه فى مجالات العلوم التى ألف فيها واستيعابه لها ، وقد كان أثر تلك المصنفات واضحا ملموسا فيما خلف لنا الامام ابن جرير من كتب فى العلوم المختلفة..

ففى مجال التفسير مثلا :

أفاد الامام ابن جرير من تفسير مجاهد بن جبر (٢) فائدة كبيرة ضمنها فى تفسيره ، حيث أخذ من تفسير مجاهد حوالى سبعمائة مرة وذلك بالرواية التالية : " حدثنا محمد بن عمرو الباهلى ، قال حدثنا ابو عاصم ، قال حدثنا عيسى بن ميمون ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد "(٣).

---

(١) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ /ل ٤٧٨ ، وانظر طبقات المفسرين للداودى حـ ٢ ص ١١١.

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى ، من أئمة التفسير ، قرأ على عبد الله بن السائب ، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، اخذ القراءة عنه عرضا عبد الله بن كثير ، اختلف فى تاريخ وفاته بين عامى ١٠٢هـ ، ١٠٤ هـ. وقد ناهز الثمانين ، وقد قيل انه مات وهو ساجد . انظر غاية النهاية حـ ٢ ص٤١.

(٣) انظر تاريخ التراث العربى حـ ١ ص ٤٩..

كما أفاد الامام ابن جرير كذلك من تفسير أبي محمد عطاء بن أبي رباح (١) ، وقد استخدمه (استعمله) في مواضع متعددة من تفسيره بالرواية التالية :

" عن القاسم بن الحسن الهمداني ، عن الحسن بن داود المصيصي ، عن حجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريج " (٢) .

وأفاد الامام ابن جرير ايضا من تفسير قتادة بن دعامة السدوسي (٣) ، وقد استخدم هذا التفسير في اكثر من ثلاثة الأف موضع . وذلك بالرواية التالية :

" حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ." (٤)

كما كان لتفسير الربيع بن أنس (٥) اثر واضح في تفسير الامام ابن جرير ، وقد ~~استخدمه~~ (استعمل) بروايته عن عمار بن الحسن ، عن عبد الله ابن أبي جعفر ، عن أبيه عن الربيع بن أنس . (٦)

---

(١) هو ابو محمد عطاء بن أبي رباح ، ولد باليمن سنة ٢٧ هـ وادرك عددا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابي هريرة رضى الله عنهم ، وروى عنه الزهرى . توفى عطاء في سنة (١١٥ هـ) انظر تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٩٨ ، تهذيب التهذيب حـ ٧ ص ١٩٩ .

(٢) انظر تاريخ التراث العربي حـ ١ ص ٥١ .

(٣) هو قتادة بن دعامة السدوسي ابو الخطاب البصري الاعمى المفسر ، احد الأئمة في حروف القرآن روى القراءة عن أبي العالية . توفى سنة ١١٠ هـ . انظر غاية النهاية حـ ٢ ص ٢٥ .

(٤) انظر تاريخ التراث العربي حـ ١ ص ٥٢ .

(٥) هو الربيع بن أنس البكرى البصري الخراساني . روى عن أبي العالية والحسن البصري توفى سنة (١٣٩ هـ) انظر الجرح والتعديل حـ ٣ ص ٤٥٤ ، تهذيب التهذيب حـ ٣ ص ٢٣٨

(٦) انظر تاريخ التراث العربي حـ ١ ص ٥٦ .

وافاد كذلك من تفسير عن الرحمن بن سالم العدوى (١) ، ويبدو أن هذا التفسير كان احد المصادر المهمة لتفسير الامام ابن جرير فقد أفاد منه حوالى ١٨٠٠ ، مرة ، بالرواية التالية :

" حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب عبد الله ، قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم " (٢) .

وافاد أيضا من تفسير مقاتل بن حيان البلخى(٣) ، فى تفسيره وفى تاريخه ، وربما افاد الامام ابن جرير من كتاب لمقاتل بعنوان الفتوح برواية مصعب بن حيان . (٤)

كما افاد من تفسير ابى معاوية هشيم بن بشير (٥) ، وقد استخدمه برواية يعقوب من ابراهيم الدورقى (٦) .

وقد أورد الامام ابن جرير فى تفسيره كثيرا من النصوص من تفسير ابى خالد يزيد بن هارون الواسطى (٧) من رواية مجاهد بن موسى . (٨)

من هؤلاء وغيرهم من المفسرين الذين سبقوه افاد الامام ابن جرير منهم فوائد كثيرة فى تصنيف كتاب جامع البيان عن تأويل اى القرآن .

---

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى مولاهم المدينى ، قال ابن الجوزى اجمعوا على ضعفه ، توفى سنة ١٨٢هـ . انظر تهذيب التهذيب حـ ٦ص١٧٧ .

(٢) انظر تاريخ التراث العربى حـ ١ ص٦٣ .

(٣) هو ابو بسام مقاتل بن حيان النبطى البلخى ، المفسر المؤرخ توفى سنة ١٥٠ هـ . انظر تهذيب التهذيب حـ ١٠ ص٢٧٧ .

(٤) انظر تاريخ التراث العربى حـ ١ ص٦٠ .

(٥) هو هشيم بن بشير بن قاسم السلمى المفسر ، المؤرخ المحدث ، شيخ الامام احمد بن حنبل توفى هشيم سنة ١٨٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ حـ ١ص٢٤٨ ، تهذيب التهذيب حـ ١١ ص٥٩ .

(٦) انظر تاريخ التراث العربى حـ ١ ص٦٤ .

(٧) هو ابو خالد يزيد بن هارون السلمى الواسطى شيخ الاسلام ، ولد سنة ١١٨ هـ وسمع من عاصم ، ويحيى بن سعيد ، روى عنه الامام احمد ، وابن المدينى وابن أبى شيبة وغيرهم ، توفى سنة ٢٠٦هـ . انظر تهذيب التهذيب حـ ١١ ص ٥٩ ، تذكرة الحفاظ حـ ١ ص٢٤٨ .

(٨) انظر تاريخ التراث العربى حـ ١ ص٦٧ .

أما فى مجال اللغة والنحو ، فان الامام ابن جرير قد تأثر بجهود مجموعة من العلماء الذين سبقوه ممن كان لهم باع طويل فى مجال الدراسات اللغوية والنحوية . من أمثال ابان بن ثعلب (ت ١٤١ هـ) وعلى ابن حمزة الكسائى (ت ١٨٢ هـ) والنضر بن شميل (ت ١٨٢ هـ) وابى عمرو ابن العلاء (ت ١٨٢ هـ) ، وقطرب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ) وابى زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) . وابى عبيده معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) ، وأبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٠ هـ) وأبى عبد الله بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) . فقد كانت آراء ومصنفات هؤلاء العلماء وغيرهم من علماء اللغة والنحو من المصادر المهمة ، التى استعان بها الامام ابن جرير فى دراساته اللغوية والنحوية التى ضمنها تفسيره ، والتى تكاد أن تكون فنا قائما بذاته فى داخله .

قال ياقوت الحموى : " وذكر فيه مجموع الكلام والمعانى من كتاب على ابن حمزة الكسائى ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء ، ومن كتاب ابى الحسن الأخفش ، ومن كتاب ابى على قطرب وغيرهم مما يقتضية الكلام عند حاجته اليه ، اذ كان هؤلاء هم المتكلمون فى المعانى ، وعنهم يؤخذ معانيه واعرابه ، وربما لم يسمهم اذا ذكر شيئا من كلامهم .

وهذا كتاب يشتمل على عشرة الأف ورقة أو دونها حسب سعة الخط أو ضيقة " (١) .

والحق أن الامام ابن جرير قد اعتمد فى مناقشاته لكثير من قضايا اللغة والنحو فى تفسيره على كتاب ابى عبيده ، وكتاب الأخفش الاوسط ، وكتاب الفراء ونقل عنهم نقولا وروايات متعددة ، استدل بها على المعانى التى كان يختارها ،

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٦٥ .

ولكنه لم يكن مجرد ناقل للآراء فحسب بل كان أحيانا يرد على هذه الأراء ، ويرفضها باسلوب قوى متين ، وكانت تلين مناقشته لهم احيانا ، وتعنف وتشتد أحيانا أخرى ، وبخاصة اذا كانت المناقشة تدور حول آيات العقيدة . وكان احيانا يقف من أرائهم موقف الناقد الموجه .

وقد وجدت من خلال البحث أن الدكتور أحمد مكى الانصارى خرج بفكرة عن افادة الامام ابن جرير من كتاب معانى القرآن للفراء خلاصتها ، أن الامام ابن جرير قد اعتمد فى تفسيره على معانى القرآن للفراء اعتمادا واضحا ، وكثيرا ما يأخذ نص الفاظه وشواهده ، وقليلا ما ينسبها اليه ، ودعا الى النظر من جديد فى جهود من يسمونه شيخ المفسرين على حد تعبيره . وذكر أن الامام ابن جرير كان يتحامل على الفراء ، ووجد أن السبب فى ذلك يعود الى اختلاف الهوى بين الرجلين فى العقيدة ، لأن الامام ابن جرير كان سلفيا متزمتا ، والفراء سلفيا متحررا يميل الى الاعتزال ـ على حد قوله ـ وأنه يلمس من قول الامام ابن جرير حين كان يذكر رأى الفراء بقوله ، وزعم بعض نحويى الكوفة وما شابهها من الاصطلاحات التى كان يستعملها الامام ابن جرير رائحة الجحود لصاحب الفضل عليه ، وأن الله اقتص منه للفراء بان سلط عليه الحنابلة فى حلقة الدرس ، ورموه بقارس القول وضربوه بالمحابر التى كانت بأيديهم (١) ، الى غير ذلك من العبارات والالفاظ التى ما كان ينبغى للدكتور الفاضل أن ينساق ورائها ويحشرها فى بحثه . ورائها

وقد وجدت من خلال البحث أن الامام ابن جرير قد درج على نسبة الكثير من الاراء الى علماء الامصار تارة دون تحديد فرد منهم ، وتارة يحدد اسمائهم حسب ما يقتضيه السياق ، وهو بهذا الصنيع يدفع عن نفسه شبهة ادعاء تلك الاراء ونسبتها الى نفسه ، كما وجدت أنه يذكر اسمائهم صراحة فى اسمائهم

---

(١) انظر ابو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو ص ٣٢١ ـ ٣٢٣ .

المواطن التي كان يستحسن فيها آراءهم ، ولا يخالفهم فيما ذهبوا اليه (١) ،
ويبدو أنه يقصد من ذلك أن يعرف الخاصة والعامة آراء هؤلاء العلماء ،
ويقفوا على مقدرتهم العلمية ، ودقة اسلوبهم في التعبير ، وكان يغفل اسماءهم
اذا استقبح آراءهم ويكتفي بالاشارة اليهم كقوله ، قال بعض نحويي الكوفة ،
وقال بعض نحويي البصرة .

ويبدو أنه كان لا يحب ان يجرحهم بذكر اسمائهم ، فلا يعرف آراءهم
حين يشير اليهم اشارة — على وجه التحديد الا الخاصة ، وهو بهذا
الصنيع يكون شاكرا لجميلهم وفضلهم عليه لا جاحدا لهم كما وهم الدكتور ، وقد
وفقني الله عز وجل الى هذه الملاحظة ، لأني قرأت التفسير كاملا ولله الحمد
والمنة ، وقد فاتت هذه الملاحظة على الدكتور الانصاري لأنه لم يقرأ التفسير
كاملا ، ويقف بنفسه على مدى دقة الامام ابن جرير في النقل والامانة العلمية
التي كان يتحلى بها ، والأدب الرفيع الذي كان يسلكه مع العلماء ، وقد وجدت
من خلال البحث أن ما سماه الدكتور تحاملا ، كان دفاعا عن عقيدة السلف
ومنهجهم في الاثبات .
ضد تأويلات الفراء وغيره من المنحرفين عن مذهب السلف ، وكان دفاعه
نتيجة لاتباع الحق ، والاقتداء بالسلف الصالح ، والتمسك بعقيدتهم المباركة
السليمة من التحريف والتكييف والتشبيه والتعطيل والتأويل ، لا لأنه كان
متزمتا كما يقول الدكتور الانصاري — هداه الله — ولم يتخذ موقف الشدة

---

(١) انظر فيما يتعلق بذكر اسم الفراء — جامع البيان جـ ٦ ص ٢٩٤ ، جـ ٦ ص ١٨٨ ، جـ ٣٠ ص ٤٨ ، ٧٢ ، ١٤٢ ، وفيما يتعلق بأبي عبيدة انظر جـ ٧ ص ١٧١ ، جـ ١٢ ص ٢٠٢ ، وفيما يتعلق بأبي عبيد القاسم بن سلام جـ ١٢ ص ٢٠٢ ، وفيما يتعلق بالأخفش جـ ٧ ص ١٧١ .

مع الفراء فحسب ، بل سلكه مع أبى عبيدة (١) ، والأخفش الأوسط حين وجد منهم مخالفة للحق. وأحب أن أنبه الى أن هذه الفكرة التى طرحها الدكتور الانصارى ، وهى أن الامام ابن جرير اعتمد اعتمادا واضحا على معانى القرآن وكثيرا ما يأخذ نص الفاظة ونفس شواهده وقليلا ما ينسبها اليه ". ليست وليدة بنات افكاره ــ ان كان يظن ذلك ــ بل سبقه اليها الاستاذ المحقق الشيخ سيد أحمد صقر حيث يقول فى مقدمة تحقيق كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبه : " ومما يستلفت النظر أن أبا جعفر الطبرى قد انتفع بكتاب الغريب هذا انتفاعا كبيرا ، ونقل الفاظة فى بعض المواطن نقلا حرفيا دون أن يشير الى ابن قتيبة بأيه اشارة واضحة ، أو مبهمة كالواضحة ، مثل ما فعل مع الفراء وأبى عبيدة. وكثير من المواطن التى لم ينقل فيها الفاظ ابن قتيبة ، وعبر فيها بالفاظة واسلوبه يجد فيها القارئ الحصيف ريح كلام ابن قتيبة ، وما أشبههما الا ببحر كبير عارم الموج مر بجدول صغير فاستاق ماءه ومضى ". (٢)

وهذا الحكم الذى أبداه استاذنا المحقق قابل للأخذ والرد ، وذلك لأن الامام ابن جرير كان معاصرا لابن قتيبة ، وكانت مراجعهما تقريبا واحدة ، وهى الكتب التى الفت فى المعانى ، ككتاب الفراء ، وابى عبيدة والأخفش وغيرهم ، وقد اعتمد ابن قتيبة على كتاب أبى عبيدة والفراء اعتمادا كبيرا باعتراف استاذنا نفسه حيث يقول : " وقد اعتمد ابن قتيبه على كتاب

---

(١) يقول الامام ابن جرير فى شأن أبى عبيدة : " وزعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى قوله " ومصدقا بكلمة من الله " سورة آل عمران ٣٩. بكتاب من الله ، من قول العرب انشدنى فلان كلمة كذا يراد به قصيدة كذا جهلا منه بتأويل الكلمة ، واجترا ء منه على ترجمة القران برأيه " جامع البيان حـ ٣ ص ٢٥٤ ، وانظر للمقارنه مجاز القرآن حـ ١ ص ٩١ لترى مدى الأمانه العلمية التى كان يتحلى بها الامام ابن جرير فى النقل.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب تفسير غريب القرآن ص د

مجاز القرآن لابى عبيدة ، ومعانى القرآن للفراء اكبر اعتماد ، وانتفع بهمـــا انتفاعا عظيما ، حتى انه فى بعض المواطن كان ينقل لفظهما بنصه وفصـــه ، ولم يكن ابن قتيبة مجرد ناقل لكلامهما ، ولكلام غيرهما ، بل انه اخذ مـن الجميع أخذ العالم البصير الذى يعرف ما يأخذ وما يذر ، وتظهر شخصيتـه فى كتابه قوية ، واضحة المعالم بينة القسمات ، وكثيرا ما نقد رأى أبى عبيدة والفراء نقدا جريئا لا ذعا حينا ، وهادئا أحيا " (١) . وبما أن المصادر التى رجع اليها كلا العالمين واحدة ، فالاتفاق فى النقل أمر ضرورى لا مناص منه . وزيادة فى توضيح الأمر أسوق بعض الأمثله التى تظهر لنا مدى الاتفاق فـى النقل بين الامام ابن جرير وابن قتيبة ، وذلك من خلال مصدرين اثنيـــن استعان بهما كلا الامامين ، وهما مجاز القرآن لأبى عبيدة ، ومعانى القران للفـــراء .

(١) يقول أبو عبيدة فى معنى قوله تعالى : " ثم نبتهل فنجعل لعنـة الله على الكاذبين " (٢) اى نلتعن فيقال ما له بهلـه الله ، ويقـال عليه بهلة الله ، والناقة باهل ، وباهلة اذا كانت بغير صرار والرجـل باهل ، اذا لم يكن معه عصا . ويقال أبهلت ناقتى تركتها بغير صرار"(٣) ويقول ابن قتيبة : " ثم نبتهل " أى نتداعى باللعن ، يقال عليـه بهلة الله ، وبهلته أى لعنته " (٤) .

ويقول الامام ابن جرير فى تفسيرها " ثم نبتهل ، يقول ثم نلتعـــن ، يقال فى الكلام ما له بهله الله ، أى لعنه الله ، وما له عليه بهلة اللـه يريد اللعن ، وقال لبيد وذكر قوما هلكوا فقال :

---

(١) المصدر نفسه ص ج ـ د .

(٢) سورة آل عمران ٦١ .

(٣) مجاز القرآن حـ ١ ص ٩٦ .

(٤) تفسير غريب القرآن ص ١٠٦ .

نظر الدهر اليهم فابتهـــل (١) * يعنى دعا عليهم بالهــلاك (٢)

(٢) يقول الفراء فى معنى قوله تعالى : " وقاتلوا فى سبيل اللـــه او ادفعوا "(٣) كثـروا فانكم اذا كثرتم دافعتم القوم بكثرتكم "(٤) وقـد نقل ابن قتيبة كلام الفراء بنصه فقال فى معنى الاية : " يقول كثـروا فانكم اذا كثرتم دافعتم القوم بكثرتكم "(٥) أما الامام ابن جرير فقـد قال فيها " واختلفوا فى تأويل قوله " أو ادفعوا " فقال بعضهـم أو كثروا فانكم اذا كثرتم دفعتم القوم "(٦) • ثم روى بسنده عن السدى فى معنى " أو ادفعوا "(٧) يقول كثروا " وروى بسنده ايضا عـن ابن جريج " أو ادفعوا " بكثرتكم • العدو ان لم يكن قتال "(٨) •

والامثلة على ذلك كثيرة وفيرة ، لهذا استطيع القول ان القول بأن الامام ابن جرير نقل الفاظ ابن قتيبة نقلا حرفيا وافرغ كتابه فى تفسيره لا يمكـن قبوله على اطلاقه ، نظرا للاعتبارات السابقة التى قدمتها ، ولا شك أن الامـام ابن جرير انتفع من ابن قتيبة ، ولكن انتفاعه لم يصل الى درجة افراغ كـل كتابه فى تفسيرة ، واذا كان لكلا الرجلين اسلوبه وطابعه المميز فى النقـل فان الامام ابن جرير أرحب أفقا وأوسع مدى ، واكثر تمكنا واحاطة بعلـوم اللغة وأساليبها من ابن قتيبة (٩) • والله سبحانه وتعالى اعلم • وقد أفـاد

---

(١) وصدر البيت : فى قروم سادة من قومه • نظر الدهر اليهم فابتهـل شرح ديوان لبيد ص ١٩٧ •
(٢) جامع البيان حـ ٣ ص ٢٩٨ •
(٣) سورة ال عمران ١٦٧ •
(٤) معانى القران حـ ١ ص ٢٤٦ •
(٥) تفسير غريب القران ص ١١٥ •
(٦) جامع البيان حـ ٤ ص ١٦٨ •
(٧) المصدر نفسه حـ ٦ ص ١٦٨ •
(٨) المصدر نفسه حـ ٦ ص ١٦٨ •
(٩) انظر الطبرى ومنهجـه فى التفسير ص ٢٧٠ •

الامام ابن جرير فوائد كثيرة من جهود العلماء الذين سبقوه غير الذين ذكرناهم ، لا حاجة بنا الى ذكرهم ، لأن البحث يطول بذلك ، غير أن الامام ابن جرير لم يكن مجرد ناقل لارائهم فحسب ، بل كان يقف منها موقف الناقد الموجه احيانا ، وموقف الرافض المعارض احيانا أخرى ، فقد أوتي من المزايا والمؤهلات العلمية التى تمكنه من ذلك .

(٢) تأثيره في اللاحقين : ـ

كانت مصنفات الامام ابن جرير فى التفسير والقراءات والتاريخ معينا ثرا للعلماء الذين ارتادوا مجال التصنيف فى علوم التفسير ، والقراءات ، والتاريخ ، فقد كان تفسيره مصدرا أساسيا لمن تلا عصره من رجال التفسير ، فنهجوا نهجه ، واعتمدوا كثيرا فى مؤلفاتهم عليه . وقد تجلى اثر الامام ابن جرير واضحا فى مصنفات اصحاب التفاسير الشهيرة كالقرطبى ت ٦٧١ هـ ، وابن كثير ت ٧٤٤ ، والشوكانى ١٢٥٠ هـ وغيرهم .

(١) فالقرطبى مثلا ينقل فى تفسيره عن تفسير الامام ابن جرير فى مواضع متعددة ، ومن ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله عز وجل " ولا الضالين "(١) من حديث الامام ابن جرير عن معنى لا فى هذا الموضع "(٢) وما جاء فى تفسيره لقول الله عز وجل " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة "(٣) . وما جاء فى تفسيره لقول الله عز وجل " فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون "(٤) .

---

(١) سورة الفاتحة ٧ .

(٢) انظر تفسير القرطبى حـ ١ ص ١٥١ .

(٣) سورة البقرة ٣ . وانظر المصدر نفسه حـ ١ ص ١٦٦ .

(٤) سورة البقرة ١٠ ، وانظر المصدر نفسه حـ ١ ص ٢٠٠ .

الى غير ذلك من الاراء المثبوته فى ثنايا تفسيره.

(٢) اما ابن كثير فقد اكثر النقل فى تفسيره من تفسير الامام ابن جرير الا انه لم يكن مجرد ناقل للاراء فقط ، بل كان أحيانا يناقش اراء الامام ابن جرير ، ويرفضها احيانا أخرى.

وقد خرج كثيرا من الاحاديث التى رواها الامام ابن جرير فى تفسيره ، ومن الاراء التى نقلها ابن كثير عن الامام ابن جرير – على سبيل المثال لا الحصر – ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى " الحمد لله رب العالمين " (١) . وما جاء فى تفسيره لقوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " (٢) وما جاء فى تفسيره لقوله تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " (٣) . وما جاء فى تفسير قوله تعالى : " الله يستهزئ بهم " . (٤)

اما الأمثله التى خالفه فيها فاكتفى بنقل رأيه فى قصة ابراهيم الخليل عليه السلام حين حاجه قومه ، وقد رد ابن كثير على الامام ابن جرير حين فسر موقف ابراهيم عليه السلام بأنه كان فى هذا الموقف ناظرا لا مناظرا (٥) ، وذلك فى معرض تفسير الامام ابن جرير لقوله تعالى : " وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما آفل قال لا احب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما

---

(١) سورة الفاتحة ٢ ، وانظر تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٢٢.
(٢) سورة الفاتحة ٦ ، وانظر المصدر نفسه حـ ١ ص ٢٧ – ٢٨.
(٣) سورة البقرة ٧ ، وانظر المصدر نفسه حـ ١ ص ٤٦.
(٤) سورة البقرة ١٥ ، وانظر المصدر نفسه حـ ١ ص ١ ٥ – ٥٢.
(٥) انظر جامع البيان حـ ٧ ص ٢٤٨.

أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ، فلما أفلت قال ياقوم انى بـرى" مما تشركون " (١)

يقول ابن كثير : " وكيف يجوز أن يكون ابراهيم ناظرا فى هذا المقام وهو الذى قال الله فى حقه ، " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين ، اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون " (٢) وقال تعالى : " ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين ، شاكرا لأنعمه أجتباه وهداه الى صراط مستقيم ، وأتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الأخرة لمن الصالحين ، ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (٣) وقال تعالى : " قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين " (٤) .

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة ... (٥)

" فاذا كان هذا فى حق سائر الخليقة ، فكيف يكون ابراهيم الخليل الذى جعله الله امة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين ناظرا فى هذا المقام ؟ بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة ، والسجية المستقيمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب ، ومما

---

(١) سورة الانعام ٧٥ ـ ٧٨ .
(٢) سورة الانبياء ٥١ ـ ٥٢ .
(٣) سورة النحل ١٢٠ ـ ١٢٣ .
(٤) سورة الانعام ١٦١ .
(٥) متفق عليه ، صحيح البخارى حـ ٦ ص ٢٠ ، صحيح مسلم حـ ١٦ ص ٢٠٧ ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ..

يؤيد أنه كان فى هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشـــرك لا ناظرا قوله تعالى : " وحاجه قومه ، قال اتحاجونى فى اللــــه وقد هدان ، ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربـــى كل شيء علما أفلا تتذكرون "(١) .

يقول تعالى مخبرا عن خليله ابراهيم حين جادله قومه فيما ذهب اليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول أنه قال اتجادلوننى فى أمر الله ، وأنه لا اله الا هو ، وقد بصرنى وهدانى الى الحق ، وأنا على بينـــة منه ، فكيف التفـــت الى أقوالكم الفاسدة وشبهـــكم الباطلة ... ومـــن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم اليه أن هذه الآلهة الـــــتى تعبدونها لا تؤثر شيئا ، وأنا آخافها ولا أباليها ، فان كان لهـــا كيد فكيدونى بها ولا تنظرون بل عاجلونى بذلك "(٢) .

(٣) الشوكانـــى : نقل الشوكانى فى تفسيره نصوصا كثيرة كاملة من تفسيـر الامام ابن جرير ومن ذلك ما جاء فى تفسيره لقول الله عز وجل : " خـــتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم "(٣) وما جاء فى تفسيره لقوله تعالـــى : " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض "(٤) الى غير ذلك وقلمــــا نجد حديثا عن أية فى تفسير الشوكانى الا ومن تفسير الامام ابـــن جرير فيه نقول وآراء .

اما فى مجال القراءات فانا نلمس اثر الامام ابن جرير واضحـــــا فى بعض مؤلفات من صنفوا فيها ، فأبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى

---

(١) سورة الانعام ٨٠
(٢) تفسير ابن كثير حـ ٢ ص ١٥١ ـــ ١٥٢ .
(٣) سورة البقرة ٧ ، وانظر فتح القدير حـ ١ ص ٤٠ .
(٤) سورة البقرة ١١ ، وانظر المصدر نفسه حـ ١ ص ٤٣ .

يذكر فى كتابه (الابانه عن معانى القراءات) بعض آراء الامام ابـــن جرير ، ومن ذلك مـا جاء فى حديثه عن الاحرف السبعة ومعناها(١) .

كما نجد أثر الامام ابن جرير واضحا عند " أبى زرعة بن زنجلـــة " الذى عاش بين القرنين الرابع والخامس ــ فى كتابه " حجة القراءات " ومن ذلـــك ما أورده ابو زرعة فى توجيهه للقراءات فى قول الله عز وجل : " انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، ولا تسأل عـــن أصحـــاب الجحيـم " (٢) . وما جاء فى توجيهه لاختلاف القراءات فى قول الله تعالى : " وقالت هيت لك " (٣) . فابن زنجلة يورد نصوصا كاملـــة من تفسير الامام ابن جرير مع شواهدها .

اما فى مجال اعراب القرآن ، فانا نجد اثر الامام ابن جريـــر عند ابى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) فى كتابه " اعراب القـــران " ومن ذلك ما جاء فى حديثه عن اعراب قول الله عز وجل " ان اللـــه لا يغفر أن يشـرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (٤)

وما جاء فى حديثه عن اعراب قول الله تعالى : " فاقـم وجهـــك للدين القيـم فطرت الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلـــق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمـــون " (٥) الى غير ذلك مما أورده النحاس من آراء الامام ابن جرير ونصوص حديثه .

---

(١) انظر الابانه عن معانى القراءات ص ٣٢ ــ ٣٣ ، ٤٠ .

(٢) سورة البقـــرة ١١٩ ، انظر حجة القراءات ص ١١١ ، جامع البيـــان حـ ١ ص ٥١٥ ــ ٥١٦ .

(٣) سورة يوسف ٢٣ ، وانظر حجة القراءات ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨ ، جامـــع البيان حـ ١٢ ص ١٧٩ ــ ١٨١ .

(٤) سورة النساء ٤٨ ، انظر اعراب القرآن حـ ١ ص ٤٢٣ ، جامع البيـــان حـ ٥ ص ١٢٥ .

(٥) سورة الروم ٣٠ ، وانظر اعراب القرآن حـ ٢ ص ٥٨٨ ، جامع البيان حـ ٢١ ص ٤٠ .

وفى ذلك يقول السيد غازى زاهد فى مقدمة تحقيقة لكتاب اعـــراب القرآن للنحاس " كان تفسير الطبرى " جامع البيان عن تأويـــــل آى القرآن " من مصادر ابن النحاس فى اعراب القرآن ، فقد تـــردد ذكر الطبرى فى نحو ثمانية عشر موضعا ، كان ينقل فيها نصوصا تطـول أو تقصر ، وفق ما يقتضيه الموضع ، واطول نص نقله فى اعرابـه للآيـــه " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (١) .

اما فى مجال التاريخ ، فقد كان كتاب الامام ابن جرير فى التاريخ . مصدرا اساسيا لمن جاء بعد عصره من المؤرخين حتى انك قلمــــا تجد أحداً منهم فى أجيالهم المتعاقبة الا وللامام ابن جرير فضل عليه .

وفى ختام هذا المبحث عن تأثير الامام ابن جرير وتأثيره لا أزعم أنى قـــد أحصيت جميع تأثره بالسابقين عليه ، ولا كل أثره فى كل من استفاد منه مـــن الخالفين له ، بل أردت بذلك ايراد نماذج متعددة تلقى الضوء على هـــذا الجانب المهم من شخصية الامام ابن جرير العظيمة ، والله الموفق للصواب .

---

(١) سورة القيامة ٢٢ ـ ٢٣ ، مقدمة محقق كتاب اعراب القرآن جـ ١ ص ٥٧ .

الفصـــل الرابـــــع

===

ثقافتـــه ومؤلفاتـــه

=====

ويشتمل على مبحثين

==

المحبث الاول : ثقافتـــــــه

المحبث الثانى : مؤلفاتــــــه

= =

المبحث الأول

ثقافته

كان الامام ابن جرير شديد الكلف بالمعرفة ، دائم الظمأ اليها ، لا يرتوى مهما نهل من ينابيعها ، فقد كان يجد فى كل لون من ألوان المعرفة كشفا جديد كان يجهله ، ولذة مستحدثة لا تغنى عنها لذة سابقة ، وقد أوتى رحمه الله من المواهب والمزايا والظروف المواتية التى قل أن تتوافر لأحد سواه ، ما مكنه أن يضرب بسهمه فى كل فن ، ويأخذ بقسط كبير من كل علم ، حتى أصبح امام عصره غير منازع فى ذلك ولا مدافع ، وكانت شهرته مدعاة لكى يسأله الناس ، وباعثا له على الاطلاع والاستزادة ، وكان لا يرضيه أن يجهل علما يستطيع الاحاطة به ، ولا يرضيه أن يسأله أحد عن علم موصول بثقافته وهو لا يعرفه . يحدثنا الامام ابن جرير عن نفسه قائلا :

" لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم الا لقينى وامتحننى فى العلم الذى يتحقق به .

فجاءنى يوما رجل فسألنى عن شيء من العروض ، ولم أكن نشطت له قبل ذلك ، فقلت له على قول الا أتكلم اليوم فى شيء من العروض ، فاذا كان فى غد فصر الى . وطلبت من صديق لى العروض للخليل بن أحمد فجاء به ، فنظرت فيه ليلتى فأمسيت غير عروضى ، وأصبحت عروضيا ".(١)

ونستطيع أن نجمع ألوان ثقافته بما يلى :-

(١) التفسير :-

ذاع نبوغ الامام ابن جرير وظهرت شهرته فى تفسير القرآن

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٦ ..

الكريم فقد أودعه فى كتابه جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، وقد تحدث الامام ابن جرير عن التفسير بقوله : " حدثتنى نفسى به وأنا صبى ، قال عبد العزيز بن محمد الطبرى كان ابو عمر الزاهد يميش زمانا طويلا بمقابلة الكتب مع الناس، قال أبو عمر : فسألت أبا جعفر عن تفسير آيه فقال : قابلت هذا الكتاب من أوله الى آخره فما وجدت فيه حرفا واحدا خطأ فى نحو ولالغة ، قال ابو جعفر: استخرت الله تعالى فى عمل كتاب التفسير ، وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني "(١) . وقد اثنى على تفسيره كثير من العلماء أذكر بعضا منهم . قال الخطيب البغدادى فى الثناء على تفسير الامام ابن جرير : " لم يصنف أحد مثله "(٢) . وشهد له الامام ابن خزيمه بعد أن قرأه من أوله الى آخره بأنه لا يعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير (٣) ، وقال ابن خلكان : ان الامام ابن جرير كان اماما فى فنون كثيره منها التفسير والحديث، والفقه والتاريخ ، وغير ذلك (٤) ، ثم جاء السيوطى فوضعه فى مقدمة المفسرين على الاطلاق ، ووصف تفسيره بأنه أجل التفاسير لم يؤلف مثله ، كما ذكره العلماء قاطبة ، منهم النووى فى تهذيبه ، لأنه جمع بين الرواية والدراية ، ولم يشاركه فى ذلك أحد لا قبله ولا بعده(٥) .

---

(١) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ / ل ٤٧٩ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٦٢ .

(٢) تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٣ .

(٣) انظر المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٦٤ ، تاريخ ابن عساكر ١٠/ ل ٤٧٨ .

(٤) وفيات الأعيان حـ ٤ ص ١٩١ .

(٥) انظر طبقات المفسرين ص ٣٠ .

كما وصف شيخ الاسلام ابن تيمية تفسير الامام ابن جرير بأنه واحد من كتب التفسير التى يحرر فيها النقل ، فهو ينقل فى تفسيره كلام السلف بالاسناد .(١)

(٢) الحديث :-

كما ذاعت شهرة الامام ابن جرير ، وظهر نبوغه فى الحديث النبوى الشريف ، فقد درس الحديث الشريف ، وسمعه من شيوخه المختصين به ، وأكثر من الرواية عن كبار الحفاظ والمحدثين من شيوخ البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن ، فسمع من أبى كريب مثلا مائة ألف حديث . وقد شهد له الخطيب البغدادى بأنه من علماء الحديث يقول فى ذلك :-

" كان حافظا لكتاب الله ، عارفا بالقراءات ، بصيرا بالمعانى ، فقيها فى أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها ، وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها " .(٢)

وقد اعتبره الذهبى من رجال الطبقة السادسة حيث يقول :
" وابن جرير ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم من رجال الطبقة السادسة "(٣) ، وجعله النووى فى طبقة النسائى والترمذى .(٤)

وقال عنه ابن خلكان : انه كان اماما فى الحديث (٥)، وله كتاب تهذيب الآثار ، سوف اتحدث عنه عند الحديث عن مؤلفاته

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ٣٨٩ .
(٢) تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٣ .
(٣) تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١٥ .
(٤) انظر تهذيب الاسماء واللغات حـ ١ ص ٧٨ .
(٥) انظر وفيات الاعيان حـ ٢ ص ١٩١ .

بـــاذن الله تعالـــى .

(٣) علـــوم القـــراءات : ــ

كان للامام ابن جرير باع طويل ، ودراسة مستفيضة فى علـــوم القراءات . فقد تلقى القراءات عن شيوخها ببغداد ، والكوفة والشـــام ومصر ، وتخير لنفسه قراءة منها لم تخرج عن المشهور. حيث أعتمـــد فى القراءة التى أختارها لنفسه على الأسانيد ، وعلى بصره باللغـــه والنحو والذوق الاسلوبى العام ، كما يتبين من تفسيره وأودع ذلـــك كتابا كبيرا فى القراءات مكونا من ثمانية عشر جزءا سنأتى للحديث عنـــه . عند الحديث عن مؤلفاته باذن الله تعالى ..

(٤) الفقـــــه : ــ

اهتم الامام ابن جرير اهتماما كبيرا بعلوم الفقه ، حيث اهتـــم بطلب هذا العلم المفيد منذ الصغر ، وقام بالرحلة الى البلـــدان النائية والأطـــراف المترامية من الدولة الاسلامية فى سبيل أخذه عـن كبار أهله ، وعنى بمعرفة أقوال الفقهاء والمجتهدين ، وأحكام القضـــاة والمفتيـــن ، وآراء المفسرين والمحدثيـــن من معاصريه ، والمتقدميـــن عليه ، حتى أصبح ذا ثروة فقهية عظيمة ، عالما بمواطن الاجمـــــاع ، ومراتب الاتفاق ، ملما بأدق الآراء فى المسائل الخلافية المختلفـــة ، فصار اعظـم عالم يرحل اليه فى عصره . وأجل فقيه يعول عليه. فقـــد درس الامام ابن جرير الفقه على المذاهب كلها كما يقول ابن النديـم ، حيث درس فقه الظاهرية على يد داود الظاهرى ، وفقه الامام الشافعـــى على الحسن بن محمد الزعفرانى ببغداد ، والربيع بن سليمان بمصـــر، وفقه الامام مالك على يونس بن عبد الأعلى ، وبـــنى عبد الحكـــم

وابن أخي وهب ، وفقه أهل العراق على محمد بن مقاتل الرازي بالري.(١)

الا انه اعتنى بفقه الامام الشافعي ، وتعمق فيه وافتى به . يقول الامام ابن جرير : " أظهرت فقه الشافعي ، وأفتيت به ببغداد عشر سنين ، وتلقنه مني ابن بشار الأحول استاذ أبي العباس بن سريج "(٢).

ثم فتح الله عليه وأهله للنظر المطلق ، ووفقه الى الاجتهاد المستقل ، فاختار من مذاهب الفقهاء ، وآراء الأئمة قولا اجتهد فيه ، وأصبح صاحب مذهب خاص به ، واماما له أتباع ، وقد ألف الكتب التي اشتملت على بيان مذهبه ، كما اشتملت على ما احتج به واستند اليه . يقول ياقوت: " وكان أبو جعفر قد اختار من مذاهب الفقهاء قولا ، اجتهد فيه بعد أن كان ابتدأ بالفقه في مدينة السلام على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وكتب كتابه عن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني عنه (٣) ، ودرسه في العراق على جماعه منهم أبو سعيد الإصطخري وغيره ، ـ وهو حدث قبل خروجه الى الفسطاط (٤) ـ يقول الامام السيوطي عنه : " وكان أولا شافعيا ثم انفرد بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات ، وله أتباع ومقلدون ، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة "(٥).

---

(١) انظر الفهرست ص ٢٩١.

(٢) تاريخ ابن عساكر جـ ١٠ / ل ٤٨٠ ، طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٢٣.

(٣) يعني الشافعي .

(٤) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٣.

(٥) طبقات المفسرين ص ٣٠.

وقد انتشر مذهب الامام ابن جرير فى بغداد ، وكان له انصار واتباع ، ودرس مذهبه فى الفقه كثير من العلماء ، وألفوا فيه الكتب ، ومن أشهرهم ابو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى ، وعرف بالجريرى نسبة اليه ، وهو الذى نشر مذهبه ، وحفظ كتبه وشرح كتابه الخفيف ، ومنهم ابو الحسن أحمد بن يحيى المنجم وله كتاب المدخل الى مذهب الطبرى ، وابو بكر أحمد بن كامل وغيرهم .(١)
غير أن اتباع الامام ابن جرير لم يكثروا ، ولم تطل مدتهم ، وانتهوا بعد القرن الخامس الهجرى .(٢)

وقد ترك الامام ابن جرير موسوعات ضخمة من المصنفات فى العلوم الفقهية تدل على غزاره علمه ، وطول باعه فى هذا المضماره سنأتى للحديث عنها عند الحديث عن مؤلفاته ـ ان شاء الله تعالى ـ ..

(٥) التاريخ :ـ

اما الامام ابن جرير المؤرخ فان كتابه المسمى تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الامم والملوك ، يعد أو فى عمل تاريخى بين مصنفات العرب ، أقامه على منهج مرسوم ، وساقه فى طريق استقرائى شامل ، بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والاتقان ، اكمل ما قام به المؤرخون قبله كاليعقوبى ، والبلاذرى ، والواقدى ، وابن سعد ،

---

(١) انظر الفهرست ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ ..

(٢) انظر الديباج المذهب حـ ١ ص ٦٢ ..

ومهد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن الأثير ، وابن مسكويه وابن خلدون وغيرهم (١) ، ويظهر أن الامام ابن جرير ألف كتاب التاريخ بعد التفسير ، ويؤكد ذلك قوله في التاريخ عند حديثه عن خلق آدم عليه السلام حيث يقول : " وقيل أقوال كثيرة في ذلك قد حكينا منها جملا في كتابنا المسمى جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، ... فكرهنا اطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع " (٢) . وقد لقى كتاب التاريخ اهتماما كبيرا وعناية فائقة ، وتقديرا كبيرا من العلماء والباحثين في مختلف العصور ، فقد ذكر ياقوت أن أبا الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه ، وكان فاضلا ذا فهم وعناية ، بالعلم ودراسة له كان يقول : " ما عمل أحد في تاريخ الزمان وحصر الكلام فيه مثل ما عمله ابو جعفر ... وقال : والله انى لأظن أبا جعفر الطبرى قد نسى مما حفظ الى أن مات اكثر مما حفظه فلان طول عمره ، وذكر رجلا كبيرا من أهل العلم ." (٣)

واشار ابن خلكان بعلم الامام ابن جرير في التاريخ وقال : انه كان اماما في فنون كثيرة وذكر منها علم التاريخ . واثنى كذلك على تاريخه بقوله : " وتاريخه اصح التواريخ ، وأثبتها " . (٤)

(٦) العلوم الأدبية :-

كان الامام ابن جرير بارعا في علوم اللغة العربية ، فقد كانت له دراسات واسعة في علوم النحو والصرف ، والبلاغة والأدب ، والشعر والعروض ..

---

(١) مقدمة كتاب تاريخ الطبرى للاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم حـ ١ ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه حـ ١ ص ٨٩ ..

(٣) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٦٨ ـ ٦٩ ..

يشهد لذلك ما حفى به تفسيره من المباحث اللغوية ، والنحوية ، والصرفية والبلاغية ، وله فيها مناقشات عظيمة تدل على تمكن وتذوق واحاطه • وقد كان رحمه الله يحفظ من الشعر الجاهلى ، والاسلامى الشيء الكثير ، طالما استشهد به فى تفسيره ، وكثيرا ما ذكر فى تاريخه أبياتا ومقتطفات ، وقصائد ورسائل وخطبا ومحاورات ، وقد كان الامام ابن جرير شاعرا • ذكره القفطى فى كتابه " المحمدون من الشعراء " وأورد أبياتا من شعره ذكرت بعضها عند الحديث عن اخلاقه وأضيف هنا بعض الأبيات الجميلة المنسوبة اليه وجدتها فى تاريخ ابن عساكر : قالها الامام ابن جرير فى الثناء على أهل الحديث وذم أصحاب البدع : يقول فى ذلك :

عليك باصحاب الحديث فانهم * على منهج للدين لازال معلما

وما الدين الا فى الحديث وأهله * اذا ما دجى الليل البهيم وأظلما

وأعلى البرايا من الى السنن اقتدى * وأخزى البرايا من الى البدع انتما

ومن يترك الآثار ضلل سعيه * وهل يترك الآثار من كان مسلما ؟(١)

قال عبد العزيز الطبرى فى وصف حفظ الامام ابن جرير للشعر: " وكان يحفظ من الشعر للجاهليه والاسلام ما لايجهله الا جاهل به "(٢) وقال ابو عمرو محمد بن عبد الواحد الزاهد : " سمعت ثعلبا يقول : قرأ على ابو جعفر الطبرى شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندى بمدة طويلة "•(٣)

---

(١) تاريخ ابن عساكر ﺣ ١٠/ ل ٤٨٠ •
(٢) معجم الأدباء ﺣ ١٨ ص ٦٠•
(٣) المصدر نفسه ﺣ ١٨ ص ٦٠••

وقال ابو بكر بن مجاهد : " قال ابو العباس يوما : من بقى عندكم؟ يعنى فى الجانب الشرقى ببغداد من النحويين ؟ فقلت : ما بقى أحد ، مات الشيوخ ، فقال : حتى خلا جانبكم : قلت نعم. الا أن يكون الطبرى الفقيه ، فقال لى ابن جرير : قلت نعم، قال : ذاك من حذاق الكوفيين قال ابوبكر : " وهذا من أبى العباس كثير ، لأنه كان شديد النفس شرس الأخلاق ، وكان قليل الشهادة لأحد بالحذق فى علمه ." (١)

(٧) علم الفلسفة ، والمنطق ، والجدل ، والحساب ، والجبر ، والطب:

درس الامام ابن جرير هذه العلوم ، ولكنه لم يتعمق فيها ، ولم يشتهر بالتفوق بها كما اشتهر فى العلوم السابقه. لأن ذلك فوق طاقته ، وحسبه أنه كان اماما فى بعض الوان المعرفه فى عصره ، وأنه كان على صلة بمعارف عصره أيضا . فمقدرته فى علم الكلام والجدل ، تظهر لنا بوضوح تام فى مناقضاته لمعارضيه على مخالفيه ، ونقض الآراء التى لا يقرها ، يدل على ذلك ما جاء فى كتابيه التفسير ، واختلاف الفقهاء . (٢)

---

(١) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٦٠ .

(٢) يرى الاستاذ أحمد أمين فى كتابه ضحى الاسلام حـ ٢ ص ١٥٠ أن الامام ابن جرير لم يتعرض فى تفسيره لأقوال المتكلمين فى عصره ، وخاصة المعتزلة ، ولم ينغمر فى تيارهم لأن ثقافته دينيه ولغوية وتاريخيه ، والمباحث الكلامية التى ذكرها فى تفسيره جاءته عرضا من تاثره بالمحدثين .

كما ذكر أن السلف كانوا يقتصرون على النقل . أقول وبالله استعين ، ان كلام الاستاذ احمد أمين يحمل فيه طياته حقا وباطلا يحتاج الى توضيح وزيادة بيان ، فأقول : ان كان يقصد بقوله ان الامام ابن جرير لم =

يقول عبد العزيز الطبرى فى ذلك : " وكان له قدم فى علم الجدل ، يدل على ذلك مناقضاته فى كتبه على المعارضين لمعانى ما أتى به ".(١)

= يكن على منهج المتكلمين فى العقيدة ، ولم ينضمر فى تياراتهم المنحرفة فهذا أحق ولا ريب فيه والحمد لله الذى عافاه من ذلك ، وان كان يقصد بقوله ان الامام ابن جرير لم يتعرض للمتكلمين ولم ينضمر فى تيارهم ـ بمعنى أنه لم يناقش المتكلمين ، ولم يرد على تأويلاتهم المنحرفة ، لأنه لم تكن لديه المقدرة الكافية فى علم الكلام والجدل ـ وهو الظاهر من كلامه ـ فهذا باطل ، لأن الامام ابن جرير ناقش آراء المتكلمين ، ورد على تأويلاتهم المنحرفة عن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ردا قويا بالاسلوب نفسه الذى كان المتكلمون به يناظرون ويجادلون ، كما سيتضح لنا ذلك فى الباب الثانى من هذا البحث ان شاء الله تعالى .

وقد استخدم الامام ابن جرير معرفته بعلم الكلام ، بجوار الأدلة النقلية التى كانت فى نظره هى الاساس الأول الذى ينبغى الاعتماد عليه فى تقرير مسائل العقيدة ، وفى الرد على انحرافات أهل الأهواء والجدل . الا أن تمكنه من علم الكلام لم يؤثر على عقيدته السلفية . ولله الحمد والمنة .

واما قول الاستاذ احمد امين ان السلف كانوا يقتصرون على النقل ، فهذا باطل كذلك ، لأن السلف لم يهملوا العقل ، وفى الوقت نفسه كانوا لا يقدمونه على النقل ، وقاعدتهم فى ذلك ان العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح ، وقد كتب شيخ الاسلام ابن تيمية فى ذلك كتابه الضخم موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .

ولكن تلاميذ المدرسة العقلانية قديما وحديثا لا لحظة عن الغمز فى منهج السلف ، اعاذنا الله من كيدهم ومكرهم ، وهو المستعان على شرهم وخبثهم .

(١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٦٠ .

والم الامام ابن جرير كذلك بالفلسفة ، فقد ذكر تلميذه ابـــن كامل انه رأى عنده كتاب فردوس الحكمة لعلى بن زين الطبرى فى ستة أجزاء ، وكان قد كتبه ، وأخذه عن مصنفه سماعا (١) . أما الحساب والجبر ، فقد نظر فى هذه العلوم وكان بارعا فيها ، وقد عرف قسطـا وافرا من علم الطب ، يدل عليه كلامه فى الوصايا ، وقد ذكرت سابقـا انه كان يطبب نفسه . يقول عبد العزيز الطبرى : " وكان أبو جعفـــر قد نظر فى المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبـــواب الحساب ، وفى الطب ، وأخذ منه قسطا وافرا ، يدل عليه كلامه فـى الوصايـــا " (٢) .

ويظهر لنا من وصف عبد العزيز الطبرى له أنه كان يجيد كثيـــرا من العلوم ، حتى ليخيل الينا من براعته فى كل علم أنه لا يجيـــد غيره ، يقول فى ذلك : " وكان كالقارئ الذى لا يعرف الا القـــرآن او كالمحدث الذى لا يعرف الا الحديث ، وكالفقيه الذى لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوى الذى لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذى لا يعـرف الا الحساب . وكان عالما بالعبادات ، جامعا للعلوم . واذا جمعـت بين كتبه وكتب غيره ، وجدت لكتبه فضلا على غيرها " . (٣)

---

(١) انظر المصدر نفسه جـ ١٨ ص ٩٢ .

(٢) المصدر نفسه جـ ١٨ ص ٦١ .

(٣) المصدر نفسه جـ ١٨ ص ٦١ .

المبحث الثاني

مؤلفاته

اشتهر الامام ابن جرير الطبري بقوة الحافظة ، ونفاذ البصيرة ، والانقطاع للعلم . وقد وضح ذلك من خلال دراسة حياته ، وثقافته ، فقد شغف بالعلم والمعرفة منذ صغره الى نهاية عمره في حياة كانت بدايتها الى نهايتها ستا وثمانين سنة ، تخفف فيها من تبعات الزوجية والذرية ، وانقطع للعلم والتأليف والتدريس . ولقد كان رحمه الله ذا ثقافة متنوعة ، وذكاء خارق ، وعقل ناضج ، وصبر دائب على البحث والدرس والتأليف ، وكان ذا علم غزير ، ومطالعات كثيرة في شتى مجالات العلوم المختلفة ، مما أدى الى تعمقه في بعض انواع العلوم ، وتمكنه منها ، لذلك فلا غرابة أن تصدر عنه المؤلفات العديدة ، التي كانت ولا تزال مصدرا هاما من مصادر العلم والمعرفة في مختلف العلوم ، فأثمرت جهوده المباركة في مجال التأليف مجموعة من الموسوعات ، والكتب والرسائل في مجالات العلوم المختلفة من عقيدة ، وقراءات ، وتفسير ، وحديث ، وفقه ، وتاريخ ، وقد رصد الذين ترجموا للامام ابن جرير وأرخوا لحياته هذه المؤلفات ، وأحصوها فوصلوا بها الى بضع وعشرين مؤلفا ، الا أن عوادي الزمن قد سطت على كثير منها ، فلم يصل الى أيدينا منها الا النذر اليسير ، وقد طبع بعض ما وجد منها ، وما تزال البقيه منها محفوظة ، واكثرها مفقودة ، أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ، أن يوفق الباحثين المنقبين عن المخطوطات في العثور عليها واحيائها ليفيد الناس منها ، لأن فيها كنوزا تعد فتحا في ميادينها ككتاب القراءات ، والخفيف ، والتبصير في معالم الدين وغيرها . ومن هذه المؤلفات ما يلي :

(١) آداب المناسك :ـ

وهو كتاب عمله لما يحتاج اليه الحاج من يوم خروجه ، وما يحتاج اليه من الاتمام لابتداء سفره ، وما يدعو اليه ربه عند ركوبه ، ونزوله ومعاينته المنازل والمشاهد الى انقضاء حجه ، وقد ذكره ياقوت باسم مختصر مناسك الحج ، ولم يصفه ، ولم يعرف به ، كما ذكره الصفدى باسم مناسك الحج ولم يذكر عنه شيئا ٠(١)

(٢) آدب النفوس :ـ

وهو من جياد كتب الامام ابن جرير كما وصفه ابن عساكر وياقوت وربما سماه ياقوت بآداب النفوس الجيدة والاخلاق النفيسة ، أو أدب النفوس الشريفة والاخلاق الحميدة وربما سماه المترجمون بكتاب الأداب الحميدة والأخلاق النفيسة ، وقد عمل الامام ابن جرير هذا الكتاب على ما ينوب الانسان من الفرائض فى جميع اجزاء جسده ، فبدأ فيه بما ينوب القلب واللسان والبصر والسمع ، الى أن يأتى على جميع الاعضاء ، وما روى عن رسول الله صلى عليه وسلم فى ذلك ، وعن الصحابة والتابعين ، وذكر كلام المتصوفة وما حكى من أفعالهم وأوضح الصواب فى ذلك ، وتناول فيه أحوال النفوس المتأدبة من الورع ، والشكر والاخلاص والكبر ، والرياء ، والخشوع والصبر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك ما يزين النفس او يشينها ، وذكر فيه شيئا من الدعاء ، فضل القرآن ، وأوقات الاجابة ، ودلائلها ، وما روى من السنن وأقوال

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ ل ٤٧٩ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٨١ ، الوافى بالوافيات حـ ٢ ص ٢٨٦ ٠

الصحابة والتابعين فى ذلك ، وكان قد عمل منه أربعة اجزاء ، وكان مجموع ما خرج منه نحو خمسمائة ورقة ، ووقع ذلك الى أبي سعيد عمر بن أحمد الدينورى الوراق ، وخرج به الى الشام فقطع عليه ، ولم يبق معه الاجزاء ان فى حقوق الله الواجبة على الانسان فى بصره ، والحقوق الواجبة فى سمعه ، وكان ابتدأ فى سنة عشر وثلثمائة ، ومات بعد مديدة من قطعة الاملاء ، وكان يقول ان خرج هذا الكتاب كان فيه جمال ، لأنه كان يزيد أن يخرج بعد الكلام فى الحقوق اللازمة للانسان ، الى ما يعيدنا الله منه من أهوال القيامة وشروطها وأحوال الآخرة ، وما ورد فيها ، وذكر الجنة والنار (١) .

وقد ذكر الذهبى فى سير نبلائه نصا من هذا الكتاب المفيد قال فيه : " القول فى البيان عن الحال الذى يجب على العبد مراعاة حالة فيما يصدر من عمله لله عن نفسه ، لاحالة من أحوال المؤمن يغفل عدوه الموكل به عن دعاية الى سبيله ، والقعود له رصدا بطرق ربه المستقيمة ، صادا له عنها كما قال لربه عز ذكره اذ جعله من المنظرين الأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم " (٢) . طمعا منه فى تصديق ظنه عليه اذ قال لربه : " لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا " (٣) . فحق على كل ذى حجى أن يجهد نفسه فى تكذيب ظنه وتخييبه من أمله وسعيه فيما أرغمه ، ولا شيء من فعل العبد أبلغ فى مكروهه من طاعته ربه ، وعصيانه أمره ، ولاشيء أسر اليه من عصيانه

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ /ل ٤٧٩ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٧٦ ـ ٧٧ ، طبقات المفسرين حـ ٢ ص ١١٢ ، تاريخ الأدب العربى حـ ٣ ص ٥٠ ، هداية العارفين حـ ٦ ص ٢٧ .

(٢) سورة الاعراف ١٦ ـ ١٧ .

(٣) سورة الاسراء ٦٢ .

ربــــه واتباعه أمره "(١) وعلق الذهبي على هذا الكلام النفيسبقوله :
" فكلام ابي جعفر من هذا النمط ، وهو كثير مفيد ".(٢)

(٣) اختـــلاف الفقهــــاء : ـ

وقد سماه ياقوت اختلاف علماء الامصار في أحكام شرائع الاسلام ، وقصد به الامام ابن جرير الى ذكر أقوال الفقهاء ، وهم مالك بن أنـــس وسفيان الثوري ، وابو حنيفة ، وابو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وابراهيم ابن خالد ابو نصر الكلبي ، وسماه الذهبي والسبكي والسيوطي باختلاف العلماء ، وسماه ابن عساكر والصفدي باسم علماء الأمصـــــار ، وقد ذكر أن الامام ابن جرير ألف هذا الكتاب ليتذكر به أقوال مـــن يناظره ، ثم انتشر ، وطلب منه فقرأه على أصحابه ، وكان الامــــــام ابن جرير يفضل كتاب الاختـــــلاف ، لأنه أول ما صنف من كتبـــــه ، وكان كثيرا ما يقول : لي كتابان لا يستغـــنى عنهما فقيه الاختـــــلا ف واللطيـــــف ، وكتاب الاختلاف في حدود ثلاثة آلاف ورقة ، ولـــــم يستقص في هذا الكتاب اختياره لأنه قد جود ذلك في كتابه اللطيف ، ولا يحـــب أن يتكرر كلامه في ذلك . وقد جمل لكتاب الاختلاف رسالـــة بدأ بها ثم قطعها ، ذكر فيها عند الكلام في الاجماع ، واخبـــــار العدول ، وزيادات ليست في اللطيف ، وشيئا من الكلام في المراسيـــل ، والناسخ والــمنســـوخ .

وقد نشر المستشرق (فريدريك كرن) الالماني جزءا منـــه ، وقال هذا هو الجزء الذي تحتويه المكتبة الخديوية من كتاب اختــــلاف

---

(١) سير اعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ /ل ٤١٩ .
(٢) المصدر نفسه حـ ٩/٣ / ل ٤١٩ ..

الفقهــــاء ، وكان ذلك فى سنة ١٣٢٠ هـ بمصر فى مطبعة الترقى ، ثم اعيد طبعة فى دار الكتب العلمية بلبنان بدون تاريخ ، غيـــر ان الاستاذ جمال المياشى ذكر فى كتـابه (ابو جعفر الطبرى)أن الكتاب ما زال أبـــترا يحتاج الى بوارق التحقيق والتدقيق ، والوقوف علـــى النسخة الكاملة الموجودة بالمكتبة الوطنية بالمغرب الأقصى ، حـــتى يظهر هذا الكتاب متكاملا فى وجهه الحقيقى ".(١)

(٤) الأيـــمان : ـ

ذكر الامام ابن جرير هذا الكتاب فى تفسيره عند تفسيره لقولـــه تعالى : " للذين يؤلـــون من نسائهم تربص أربعة اشهر " (٢) حيث يقول : " وهذا التأويل الثانى هو الصحيح عندنا فى ذلـــك لما قد بينا من العلل فى كتابنا " كتاب الايمان " من أن الحنـــث موجب الكفارة فى كل ما ابتدئ فيه الحـنث من الايمان بعـــد الحلف على معصيـة كانت اليمين أو على طاعة "(٣) غير ان المؤرخـين لم يذكروا اسم هذا الكتاب ، والذى يظهر لى أنه جزء من أحـــد كتبه الضخمة ، كالبسيط ، او اللطيف ،

(٥) بسيط القول فى احكام شرائع الاسلام : ـ

قدم له كتابا سماه مراتب العلماء ، وهو كتاب حسن فى معنـاه ذكر فيه خطبة الكتاب ، وحض فيه على طلب العلم ، والتفقه ، وغمز فيه

---

(١) انظر معجم الادباء جـ ١٨ ص ٧٢ ـ ٧٣ ، اختلاف الفقهاء ص ١ ، أبـو جعفر الطبرى ص ٥٥ ، طبقات المفسرين ص ٣٠ ، تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٧١٢ ، طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٢١ ، تاريخ ابن عساكر جـ ١٠ /ل ٤٧٨ ، الوافى بالوفيات جـ ٢ ص ٢٨٦ ..

(٢) سورة البقرة ٢٢٦.

(٣) جامع البيان جـ ٢ ص ٤٢٧ ..

على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه ، ثم تحدث عن الفقهاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن تفقه منهم على مذهب اختاره ، ومن أخذ عنهم بالتسلسل حتى وصل الى الحديث عن فقهاء الأمصار فبدأ بالمدينه ، ثم مكة ، ثم الكوفة والبصرة ، والشام وخراسان ، وقد خرج من هذا الكتاب كتاب الطهارة فى نحو ألف وخمسمائة ورقة ، وخرج منه اكثر كتاب الصلاة وكتاب الزكاة ، وكتاب الشروط وكتاب القضاة ، والمحاضر والسجلات وكتاب الوصايا ، وكتاب آداب الحكام ، وكتاب أداب الحكام واحد من الكتب المعدودة المشهورة بالتجويد والتنسيق والتفصيل ، فقد ذكر فيه بعد خطبة الكتاب الكلام فى مدح القضاة ، وكتابهم ، وما ينبغى للقاضى ان يتحلى به من الصفات اذا ولى القضاء ، وتكلم فيه عن المساجلات ، والشهادات ، والدعاوى والبينات ، وهو فى الف ورقة.(١)

(٦) البصير فى معالم الدين :ـ

وهى رسالة صغيرة كتبها الى أهل طبرستان فيما وقع بينهم من الخلاف فى الاسم والمسمى ، وفى مذاهب أهل البدع. وتقع فى نحو ثلاثين ورقة.(٢) ، وقد ذكر ابن القيم هذا الكتاب باسم التبيين فى معالم الدين . ونقل منه نصا فى مختصر الصواعق المرسله حيث يقول ابن القيم : " قال امام عصره محمد بن جرير فى كتاب التبيين

---

(١) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص٧٥ ـ ٧٦ ، تاريخ ابن عساكر حـ١٠/ل٤٧٩ ، سير اعلام النبلاء حـ ٩ /٣/ل ٤١٧ ، طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٢.

(٢) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص٨٠..

فى معالم الدين : القول فيما ادرك علمه من الصفات خبرا ، وذلك مثل اخباره أنه سميع بصير ، وأن له وجها ، وأن له قدما ، وأنه يضحك ، وأنه يهبط الى سماء الدنيا ." (١) وقد سماه الذهبى التصبير فى معالم الدين ، ونقل منه نصا قريبا من نص الامام ابن القيم . نقلا عن كتاب القاضى أبى يعلى الحنبلى (٢) ، بينما سماه ابن عساكره التبصير (٣) ،

وقد ورد من بين كتب الامام ابن جرير كتاب اسمه تبصير أولى النهى فى معالم الهدى فى اختلاف العلماء . ويوجد منه قسم فى مكتبة الاسكوريال بالأندلس .

وهو نسخة كتبت سنة ٦٣١ هـ ، بخط اندلسى واضح ، بها خرم من اخرها ، وتنتهى باثناء الكلام على الاختلاف فى رؤيه الله عز وجل (٤) . ولعل هذا الكتاب هو التبصير فى معالم الدين السالف الذكر ، أو أنه جزء من كتاب اختلاف الفقهاء . وذكر اسماعيل باشا البغدادى أن من بين كتب الامام ابن جرير التبصير فى الاصول (٥) ، ولعله كتاب التبصير فى معالم الدين ، وسماه الصفدى التصير فى معالم الدين ، وذكر أيضا من كتبه التبصير فى أصول الدين (٦) ، ولعلها كتاب واحد هو التبصير فى معالم الدين .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) انظر مختصر العلو ص ٢٤٠ ، سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤٢٠ .

(٣) انظر تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٩ ..

(٤) انظر هداية العارفين حـ ٦ ص ٢٧ .

(٥) انظر فهرس المخطوطات المصورة حـ ١ ص ٢٣٠ ، تاريخ الأدب العربى حـ ٣ ص ٤٩ ــ ٥٠ ، هداية العارفين حـ ٦ ص ٢٦ ، تاريخ التراث العربى حـ ١ ص ٥٢٦ ــ ٥٢٧ .

(٦) انظر الوافى بالوفيات حـ ٢ ص ٢٨٦ ..

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، أو تاريخ الامم والملوك :ـ

سماه ياقوت تاريخ الرسل والأنبياء والملوك ، وهو تاريخ للعالم منذ بدء الخليقة حتى أواخر أيام الامام ابن جرير ، طبع للمرة الأولى فى ليدن بتحقيق (دى غويه) وآخرين فى الفترة من سنة ١٨٧٩ ـ ١٨٩٨ هـ ثم اعيد طبعه عدة مرات ، وقد قام الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم بتحقيق هذا الكتاب ، واعيد طبعه محققا فى دار المعارف بمصر سنة ١٣٨٧ هـ(١) .

وقد قسم الامام ابن جرير كتابه الى قسمين :ـ

القسم الأول :

تحدث فيه عن بدء الخليقة ، وعن حقيقة ابليس ـ لعنه الله تعالى ـ وتحدث فيه عن سيدنا آدم عليه السلام ، ومن جاء من الانبياء والرسل عليهم السلام ، وقد ذكر فيه أخبارهم ، وما جاء فى قصصهم من القرآن الكريم ، وفصل القول فى تاريخ العرب ، واليهود ، والروم والفرس . كما تحدث عن أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر طرفا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ،

القسم الثانى :

وقد رتبه على حسب السنين ، وذلك من عام الهجرة حتى نهاية تأليفه وقد ذكر فى كل سنة ما وقع فيها من أحداث مهمة . وكان

---

(١) انظر معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٤ ، الطبرى للحوفى هامش ص ١٨٣ ، مقدمة محقق تاريخ الطبرى جـ ١ ص ٢٨ .

فراغه من تأليف الكتاب فى بدايه سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة ، وذلك بعد فراغه من املاء التفسير .

أما المنهج الذى سار عليه فى كتاب التاريخ فهو المنهج نفسه الذى سار عليه فى التفسير تقريبا ، من ذكر الحوادث بأسانيدها ، الا أنه نقل ـ عن محمد بن السائب الكلبى ومقاتل بن سليمان ، ومحمد ابن عمر الواقدى ، وهشام بن الكلبى وغيرهم فيما يتعلق بالتاريخ والسير واخبار العرب ، فيما يفتقر اليه ، ولا يؤخذ الا عنهم ، بخلاف صنيعه فى التفسير فانه تحرى أن تكون التفاسير التى ينقل منها مما يثق به ، فلم يدخل فى كتابه شيئا عن هؤلاء الذين ذكرناهم لأنهم فى رأيه متهمون (١) .

يقول الامام ابن جرير عن منهجه فى التاريخ : " وليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما احضرت ذكره هو على ما رويت من الأخبار ، والتى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها الى رواتها فيه ، دون ما ادرك بحجج القول ، واستنبط بفكر النفوس الا القليل اليسير منه ، فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما ينكره قارئه . او يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا ، وانما أدينا ، ذلك على نحو ما أدى الينا " (٢) .

وقد وجهت الى الامام ابن جرير بعض الملاحظات على تاريخه الا أنها

---

(١) انظر مقدمة محقق تاريخ الطبرى حـ ١ ص

(٢) تاريخ الطبرى حـ ١ ص ٧ ـ ٨ .

لا تحط من قيمة الكتاب العلمية ، ومن جهد صاحبه الكبير ،
فقد أدى الامام ابن جرير للتاريخ عملا جليلا اذ حفظ هذه الروايات من الضياع ، فلو لم يجمعها هذا الجمع ، وينسقها هذا التنسيق لتبددت ، وعفى عليها الزمان. وترجع قيمة تاريخ الامام ابن جرير الى أنه استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة فى كتب التفسير، والحديث، واللغة والأدب ، والسير والمغازى ، وتاريخ الاحداث والرجال ، ونصوص الشعر والخطب والعهود ، ونسق بينها تنسيقا مناسبا ، وعرضها عرضا رائعا، ناسبا كل رواية الى صاحبها ، وكل رأى الى قائله.

كما أنه أودع هذا الكتاب فصولا صالحة، ونتفا متنوعة من فنون الكتب التى أتت عليها عوادى الأيام ، واورد من أقوال العلماء ما لا نجده الا فى هذا الكتاب ، وايا ما كان فان تاريخ الامام ابن جرير سيظل بما اشتمل عليه من الروايات الأصيلة ، والنصوص الواردة فى اسلوبه الرائع الرصين اشمل كتاب للتاريخ عند المسلمين .

(٨) تهذيب الآثار ، وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار

وهو من عجائب كتبه ، ابتدأه بما رواه ابو بكر الصديق رضى الله عنه بسنده ، وتكلم على كل حديث ، وعلله وطرقه ، وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعانى والغريب ، فتم منه مسند العشرة ، وأهل البيت والموالى ، ومن مسند ابن عباس ، ومات قبل أن يتممه.(٢)

---

(١) انظر مقدمة محقق تاريخ الطبرى جـ ١ ص ٢٤ ، ٢٦.

(٢) انظر طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٢١ ، تاريخ ابن عساكر ١٠/ ل ٤٧٩ ، سير اعلام النبلاء جـ ٩/٣/ل ٤١٦.

وصفه ياقوت بقوله وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله ، ويصعب عليهم تتمته (١) ، وقال ابوبكر بن كامل : " لم ار بعد أبى جعفر أجمع للعلوم ،وكتب العلماء ، ومعرفة اختلاف الفقهاء . وتمكنه من العلوم منه ، الأنى كنت أروض نفسى فى عمل مسند عبد الله بن مسعود فى حديث منه نظير ما عمل ابو جعفر فما أحسن عمله ولا يستوى لى " (٢) .

وقد سماه السمعانى بمذهب الآثار ، وذكر أنه لم يرسواه فى معناه ، وسماه القفطى شرح الآثار ، وذكر أن الامام ابن جرير لم يتمه ، وهو كتاب أعيا العلماء اتمامه ، وذكر الخطيب أنه لم يرسواه فى معناه ، ولكنه لم يتمه (٣) . وهيأ الله عز وجل لاستاذنا الدكتور ناصر بن سعد الرشيد حفظه الله تعالى ، والأخ عبد القيوم عبد رب النبى اخراج جزء من هذا الكتاب القيم محقق فى مجلدين كبيرين عن مخطوطة مكتبة كوبرلى ، وهى مصدرة بعبارة تقول : " الجزء الأخير من مسند على رضى الله عنه ، من كتاب تهذيب الآثار لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وقد صدر المجلدان بحمد الله عز وجل وتوفيقة ، وبقى مما وجداه جزءان تحت الطبع ، أسأل الله أن يعجل باخراجه ليفيد منه طلبه العلم .

(٩) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ـ

وقد أملاه الامام ابن جرير على تلاميذه ببغداد من سنة ثلاث وثمانين الى سنة تسعين (٤) .

(١) معجم الادباء حـ ١٨ ص ٧٥

(٢) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٧٥

(٣) انظر الانساب ص ٣٦٧ ، انباه الرواة حـ ٣ ص ٩٠ ، تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٣ .

(٤) انظر تاريخ بغداد حـ ٢/ ١٦٤ ، طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٢٤ .

وذكر ابو بكر بن كامل أنه قرأه على تلاميذه سنة سبعين ومائتيــن (١) ، وقد اختصره جماعة منهم ، ابو بكر بن الاخشيد وغيره ، وترجم الـــى الفارسية بأمر منصور بن يحيى الساماني ، كما ترجم الى التركية كذلك .

وقال عنه بروكلمان : وهو كتاب متعمق عظيم الاستيفاء ، وقد ترجـم للفارسية بأمر منصور بن نوح الساماني " وتوجد هذه الترجمة في المتحف البريطاني ، وله ترجمه في درسـة أيا صوفيا (٢) . ويقول المستشــــرق جولد تسيهـر : " وفي الحكم على هذا الكتاب يسود اجماع تام بيـــن الباحثين في المشرق والمغرب .

وكتب نولدكه في سنة ١٨٦٠ ـ وقد كان الكتاب مفقودا آنذاك ـ صادرا في حكمه عن قطع وجدها منه ، ونصوص نقلها من كتب أخرى ، بقولـه : " ولو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغني عن كل كتـــب التفسير المتأخرة عليه ، ولكنه يبدو ـ للأسف ـ مفقودا بالكلية . ولقـــد كان مثل كتب التاريخ الكبير ، لنفس المؤلف نبعا لا ينضب استمد منـــه المتأخرون حكمتهم " (٣) .

وقد اثـــنى على هذا التفسير طائفة من علماء السلف ، وشهـدوا له بالفضل على كثير من الكتب ، لأنه ينقل كلام السلف بالاسناد ، وفيمـا يلي بيان ذلـــك .

(١) يقول الامام ابن خزيمة في معرض ثنائه على تفسير الامام ابـــن جرير : " نظرت فيه من أوله الى آخره ، وما أعلم على أديـــم

---

(١) انظر معجــم الأدباء حـ ١٨ ص ٦٢ ..

(٢) تاريخ الأدب العربي حـ ٣ ص ٤٩ .

(٣) مذاهب التفسير الاسلامي ص ١٠٨ ..

الأرض أعلم من أبن جرير ولقد ظلمته الحنابلة ."(١)

(٢)ويقول ابو حامد الاسفرايني : " لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا ."(٢)

(٣) ويقول الخطيب البغدادى : " وله الكتاب المشهور فى تاريخ الامم والملوك وكتاب فى تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله"(٣) .

(٤) وقال الذهبى : " وهذا تفسير هذا الامام مشحون فى ايات الصفات على الاثبات لها لا على النفى والتأويل ، وانها لا تشبه صفات المخلوقين أبدا "(٤) .

(٥) وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : " ... فلابد من تصحيح النقل فليراجع "كتب التفسير" التى يحرر فيها النقل ، مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى ، الذى ينقل فيه كلام السلف بالاسناد "(٥)

وقد طبع هذا الكتاب طبعات مختلفة ، اولاها فى المطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٢١ هـ ، وبهامشه تفسير غريب القرآن للنيسابورى ثم طبع فى مطبعة مصطفى البابى الحلبى منفردا بعناية سنة ١٣٦٨ هـ . وقد حقق الاستاذان الفاضلان الشيخ أحمد شاكر ومحمود شاكر جزءا منه يبدأ من أوله ، وينتهى بالايه رقم " ٢٨ "من سورة ابراهيم ، ويقع هذا الجزء المحقق فى ستة عشر مجلدا ، وقد طبعته دار المعارف بمصر سنة ١٣٨٨ هـ ..

---

(١) تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٢ .
(٢) المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٦٣ .
(٣) المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٦٣ .
(٤) سير اعلام النبلاء حـ ٩ /٣/ل ٤٢١ .
(٥) مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ٣٨٩ ..

(١٠) الجــــراح :ــ

وقد ورد اسم هذا الكتاب فى تفسيره عند تفسيره لقوله تعالـــى " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انــه كان منصورا "(١) . حيث يقول فى ذلك " وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك . تأويل من تأول ذلك السلطان الذى ذكره الله تعالى فــى هذا الموضــع ما قاله ابن عباس ، من أن لولى القتيل القتل ان شاء ، وان شاء أخذ الدية ، وان شاء العفو لصحة الخبر عن رســول اللــه صلى الله عليه وسلم فى ذلك ...

وقد بينت الحكم فى ذلك فى كتابنا كتاب الجراح "(٢) . الا ان ــ المؤرخيــن لم يذكروا هذا الكتاب ضمن مؤلفات الامام ابن جريــر ، ولعله جزء من كتبه الضخمــة كاللطيف ، أو البسيط ، والله سبحانه وتعالى أعلــم .

(١١) حديــث الطيــــر :ــ

قال ابن كثيــر : " رأيت مجلدا فى جمع طرقه وألفاظه لأبــى جعفر محمد بن جريــر الطبرى ، المفسر صاحب التاريــخ "(٣) ، والحديث روى من طريق أنس بن مالــك رضى الله عنه " أنه كــان عند رسول الله صلى الله عليه وسلــم طيــرا ، فقــال اللهـــم

---

(١) الاســراء ٣٣ .

(٢) جامع البيان جـ ١٥ ص ٨١ .

(٣) البدايــة والنهايــة جـ ٧ ص ٣٥٤ ..

ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي هذا الطير ، فجاء علي فأكله معه . " (١)

(١٢) حديث الهميان : ـ

وهو مخطوط في دار الكتب القومية برقم ٢٥٥٤٧ ب وقد تم نسخه في يوم الأربعاء الموافق ٣ من شهر رجب سنة ١٣٥١ هـ نقلا عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت نمرة ١٥٥٨حديث، وقد اطلعت بحمد الله على هذه المخطوطة ، وصورتها ، وهي موجودة عندي ، والمخطوطة عبارة عن ثماني ورقات من الخط الجيد ، وتتكون الورقة من واحد وعشرين سطرا ..

ويتلخص مضمونها في أن الامام ابن جرير رحمه الله كان بمكة سنة اربعين ومائتين ، فرأى خراسانيا ينادي على الحجاج ، من وجد هميانا فيه الف دينار يرده على أضعف الله له الثواب ، فنهض اليه شيخ كبير السن فقير الحال ـ من فقراء مكة ـ وطلب من صاحب الهميان أن يجعل شيئا منه لو اجد هميانه ، فأبى الخراساني . وبقي الشيخ يفاوضه على ذلك عدة أيام ، ولما رأى الشيخ أن لافائدة في

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي حـ ٥ ص٦٣٦ ، وقال عنه حديث غريب لا نعرفه من حديث السدي الا من هذا الوجه . وقد روى الحديث من طرق مختلفة علق عليها الحافظ ابن كثير بقوله : " ثم وقفت على مجلد كبير في رد ، وتضعيفه سندا ومتنا للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم . وبالجمله ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وان كثرت طرقه والله اعلم . " البداية والنهاية حـ ٧ ص٣٥٤ ، وقد اورده الشوكاني في الموضوعات ، وقال ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، انظر الفوائد المجموعه ص٣٤٦ ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : " حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل ... وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال لا يصح مع أن الحاكم منسوب الى التشيع . " منهاج السنة حـ ٤ ص٩٩ ، والمنتقى من منهاج =

ذلك ، اعطاه الهميان دون أن يأخذ شيئا ، ثم أخذ الخراساني هميانه ونظر فيه وقلبه ، ثم قال للشيخ مات أبي رحمة الله تعالى ، وترك من هذه ثلاثة الأف دينـــار فقال لي اخرج ثلثها ففرقه على احق الناس عنـــدك له ، وبع رحلي واجعله نفقه لحجك ففعلت ذلك ، واخرجت ثلثها الــف دينار وسددتها في هذا الهميان ، وما رأيت منذ خرجت من خراسان الى هاهنا رجلا أحق به منك ، خذه بارك الله لك فيه ، قال ثم ولـــى وتركـــه .

وكان الامام ابن جرير يراقب احداث هذه القصة ، قال الامام ابن جرير : فوليت خلف الخراساني ، فقدا الشيخ خلفي وردني بحديثه ، وكـــان شيخا مسنا ذكر ان له ستا وثمانين سنة وأن الفقر والجوع انهكه ، فقال لـــي اجلس فقد رأيتك تتبعني في أول يوم ، وعرفت خبرنا في الامـــس واليوم ، سمعت أحمد بن يونس اليربوعي ، يقول سمعت مالكا يقول : سمعت نافعا يقول عن عبد الله بن عمر " ان النبي صلى الله عليه وسلـــم قال لعمر وعلي رضي الله عنهما اذا أتاكما الله بهدية بلا مسألـــة ولا استشراف نفس فاقبلاها ولا ترداها ، فترداها على الله عـــز وجل " فهي هدية من الله عز وجل ، والهدية لمن حضر كما روى فـي المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك يافـــتى ..

= الاعتـــدال ص ٤٧٢ .

الا أن الحاكم في مستدركه قال : " هذا حديث صحيح على شـــرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة علـــى ثلاثين نفسا ، ثم صحت الرواية عن علي ، وأبي سعيد الخدري وسفينة " جـ ٣ ص ١٣٠ ــ ١٣١ ، ولعل الرواية التي ذكرها ابن تيمية عن الحاكـــم في موضع آخره ، أو أن شيـــخ الاســلام كان واهمـا . واللــــه سبحانه وتعالى اعلـــم ..

ثم قسم ما فى الهميان على أهل بيته وأنا جالس معهم ـ وكنا عشرة ـ فنالنى من الهميان مائة دينار كتبت بها العلم سنين ، اتقوت بها واشترى منها الورق ، واسافر ، واعطى الاجرة ، وقد ذكر الخطيب أنه لم يسمع من ابن المحاملى (ت ٤١٥ هـ " الا خبر محمد بن جرير عن قصة الخراسانى الذى ضاع هميانة بمكة (١) ، كما ذكر هذا الكتاب سزكين فى تاريخ التراث من ضمن مؤلفات الامام ابن جرير (٢) ولم يذكره أحد ممن ترجم للامام ابن جرير ـ على حد علمى ـ والله أعلم بالصواب ، ومما يقوى الظن عندى أن هذه المخطوطة صحيحة نسبتها الى الامام ابن جرير ـ اضافة الى كلام الخطيب السابق ـ أن الامام ابن جرير كانت له رحلة الى الحجاز كما بينت ذلك سابقا ، والتقى بالزبير بن بكار ، وكتب عنه كتابه نسب قريش ، وقد ذكره المؤرخون فى جملة شيوخه ..

(١٣) الخفيف فى احكام شرائع الاسلام : ـ

وهو مختصر من كتاب اللطيف ، وقد قام الامام ابن جرير باختصاره إستجابة لرغبة أبداها (ابو احمد العباس بن الحسن) ليقرب متناوله ، وهو فى نحو الاربعمائة ورقة . وهو من جياد كتبه . وهو كتاب قريب على النظار فيه كثير المسائل ، يصلح لتذكر العالم والمبتدئ المتعلم (٣) .

---

(١) انظر تاريخ بغداد حـ ٤ ص ٣٧٣ .

(٢) تاريخ التراث العربى حـ ١ ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

(٣) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٧٤ .

(١٤) ذيـل المذيـل :ـ

وهـو فى نحـو الف ورقـة ، ويشتمل على تاريخ من قتل أومات من اصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتـه ، أوبعد وفاته حسب ترتيب الأقرب منه أو من قريش أو من القبائل ، ثم ذكر من مات من التابعين والسلف بعدهم ، ثم الخالفين الى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم ، وذكر جملا من أخبارهم ومذاهبهم ، وتكلم فى الـذ ب عمن رمى منهم بمذهب هو منه برئ مثل الحسن البصرى ، وعكرمة ، وقتادة ، وذكر تاريخ النساء اللواتى اسلمن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن مات منهن قبل الهجرة ، وبعدها ، وفى آخر الكتاب ابواب فيمن حدث عنه من الأخوة ، او الرجل وابنه ، ومن اشتهروا بكناهم دون اسمائهم من رجال ونساء ، وكثيرا ما تناول فى تاريخ الرجال طرائف من اخبارهم ، ومذاهبهم ، وهو من محاسن كتبه ، وافاضلها ، يرغب فيه طلاب الحديث ، وأهل التواريخ ، وكان قد خرج املاءه بعد سنة ثلاثمائة . وطبع المختار منه مع كتاب التاريخ فى جزء مستقل هو الجزء الثالث عشر بعنوان " المنتخب من كتاب ذيل المذيل " . وقد سماه الذهبى والـداودى والصفدى باسم تاريخ الرجال .(١)

---

(١) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٧٠ ـ ٧١ ، تذكرة الحفاظ ٢ ص ٧١١ ، طبقات المفسرين حـ ٢ ص ١١١ ، الـوافى بالوفيات حـ ٢ ص ٢٨٥ ، مقدمة محقق تاريخ الطبرى حـ ١ ص ١٧ ـ ١٨ .

(١٥) الرد على ابن عبد الحكم على مالـــك : ـ

ذكر ياقوت هذا الكتاب ضمن مؤلفات الامام ابن جرير . وقـــال انه لم يقع الى أصحابـــه .(١)

(١٦) الرد على ذى الأسفـــار : ـ

رد فيه الامام ابن جرير على داود بن على الاصبهانى وكان التأليف هذا الكتاب سبب وهو أن الامام ابن جرير كان قد لزم داود على مدة ، وكتب عنه كثيرا ، وجرت مناقشة بين الامام ابن جرير وبين داود فى يوم من الأيام ، فوقف الكلام على داود ، فشق ذلك على أصحابـــه ، وكلم أحدهم الامام ابن جرير بكلمة مؤلمة ، فقام من المجلس ، وعمـــل هذا الكتاب ، وأخرج منه شيئا بعد شيء ، الى أن خرج منه مائـــه ورقه ،

وكان ابتدأ الكلام فيه بخطبة من غير املاء وهو من جيد ما عملـــه ، ومن أحسنه كلاما فيه حملا على اللفظ عليه ، ثم قطع ذلك بعد مـــا مات داود بن على ، فلم يحصل فى أيدى اصحابه من ذلك الا مـــا كتبه منه فتقدموا أصحابه ، ولم ينقل .(٢)

---

(١) انظـــر معجـــم الادباء جـ ١٨ ص ٨١ .

(٢) انظر المصدر نفســـه جـ ١٨ ص ٧٩ ..

(١٧) كتاب الشروط وهو المسمى أمثلة العدول : ـ

وهو من جيد كتبه التي يعول عليها أهل مدينة السلام ، وكان الامام ابن جرير مقدما في علم الشروط قيما به ،
وذكر ياقوت أن هذا الكتاب جزء من كتاب اللطيف ، حيث يقول :
" وفيه كتاب جيد في الشروط يسمى امثلة العدول من اللطيف" (١) •
وسماه الصفدي امثلة العدول في الشروط (٢) •

(١٨) صريح السنة : ـ

وهي الرسالة التي ذكر فيها مذهبه وما يدين به ويعتقده ، والجزء الاخير منها في الاعتقاد ، وقد طبع هذا الجزء في بومباي سنة ١٣١١هـ بعنوان الاعتقاد ، وجاء في بداية الكتاب هذا جزء في الاعتقاد لامام المفسرين فخر المحدثين تاج المؤرخين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير الشهير ، والتاريخ الكبير رضي الله عنه ، ثم طبع في مصر ، وسماه الطابعون شرح السنة ، وبهذا الاسم ذكره ابن عساكر وقال عنه : وهو لطيف بين مذهبه وما يدين الله به على ما مضى عليه الصحابة والتابعون وفقهاء الامصار (٣) • وقد نشره سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله تعالى ضمن المجموعة العلمية السعودية سنة ١٣٩١هـ • وقد وقعت لي نسخة من الجزء الخاص بالعقيدة في هذه الرسالة ، صورتها عن الأصل المحفوظ في

---

(١) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٧٣ •
(٢) الوافي بالوفيات حـ ٢ ص ٢٨٦ •
(٣) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٩ ••

دار الكتب القومية بالقاهرة تحت رقم ٤/١٠٦ مجاميع ، وتبدأ من صفحة ١٦١ وتنتهى بصفحة ١٦٨ ، وقد عرفها ناسخها بقوله : هذه العقيدة المفيدة للشيخ الامام والحبر الهمام المفسر أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه أمين . وتقع هذه المخطوطة فى ثمانى ورقات من القطع المتوسط ، تحوى الورقة اربعة وعشرين سطرا ، ويوجد بعض الخلافات اليسيرة بين النسخة المخطوطة ، والمطبوعة ، وقد ذكر جزءاً منها اللالكائى فى اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١) وذكر شيخ الاسلام طرفا من هذا الجزء فى فتاواه عند حديثه عن الاسم والمسمى فقال : " وكما ذكره ابو جعفر الطبرى فى الجزء الذى سماه صريح السنة وذكر مذهب أهل السنة المشهور فى القرآن والرؤية ، والايمان ، والقدر ، والصحابة وغير ذلك " (٢) كما ذكر الذهبى جزءا منها يتعلق بالاستواء (٣) . وكانت عقيدته فى جميع المسائل التى ذكرها فى هذه العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة .

(١٩) طرق الحديث :ـ

وقد تحدث عنه الذهبى بقوله : " رأيت مجلدا من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق (٤) ، وقال ابن كثير :

---

(١) انظر اعتقاد أهل السنة والجماعة حـ ١ ص ١٨١ ـ ١٨٤ .
(٢) مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ١٨٧ ..
(٣) انظر سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ١٢١ .
(٤) تذكرة الحفاظ حـ ٢ ص ٧١٣ ..

"ورايت له كتابا جمع فيه احاديث غديرخم فى مجلدين ضخمين ، وكتابا جمع فيه طرق الحديث "(١)

(٢٠) عبارة الرؤيا ،

ذكره ياقوت وقال عنه : " جمع فيه أحاديث ومات ولم يعمله "(٢)

(٢١) العدد والتنزيل :ــ

ذكره ابن عساكر باسم التنزيل والعدد وذكر انه من كتبه التى تمت (٣) ، وذكره السبكى باسم العدد والتنزيل (٤)، ولم يعرف المؤرخون الذين ذكروا هذا الكتاب به .

(٢٢) الغرائب :ــ

ذكره الداودى ، وقال انه واحد من كتبه التى تمت ، الا انه لم يصفه ولم يعرف به .(٥)

(٢٣) الفضائل :ــ

ويذكر أن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو : انه لما بلغه أن ابا بكر بن أبى داود السجستانى وبعض الشيوخ فى بغداد تكلموا فى حديث غديرخم عمل كتاب الفضائل ، فبدأ بفضل أبى بكر وعمر

---

(١) البداية والنهاية حـ ١١ ص ١٤٦ .

(٢) معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨١ .

(٣) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ / ل ٤٧٨ .

(٤) طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢١ .

(٥) انظر طبقات المفسرين حـ ٢ ص ١١١ .

وعثمان وعلى رضوان الله عليهم ، وتكلم على تصحيح غديرخم واجتج لتصحيحه ، وأتى من فضائل على بن أبي طالب بما انتهى اليه (١) ، وذكر ياقوت أنه ابتدأ الكلام فى فضائل على رضى الله عنه ، وذكر طرق حديث غديرخم ، فكثر الناس لاستماع ذلك ، واجتمع قوم من الروافض ممن بسط لسانه بمالا يصلح فى الصحابه رضوان الله عليهم فابتدأ بفضل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم سأله العباسيون فى فضائل العباس فابتدأ بخطبه حسنة ، وأملى بعضه ، وقطع جميع الاملاء قبل موته ، وذكر ابن كامل أنه رجع الى طبرستان ، فوجد الرفض قد ظهر ، وسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر . فاملى فضائل ابى بكر وعمر ، حتى خاف أن يجرى عليه ما يكرهه ، فخرج منها من أجل ذلك (٢) . وقال الذهبى " جمع طرق حديث غديرخم فى أربعة أجزاء رأيت شطره فبهرنى سعة رواياته ، وجزمت بوقوع ذلك (٣) وقال ابن كثير : " ورأيت له كتابا جمع فيه احاديث غديرخم فى مجلدين ضخمين " (٤) .

(٢٤) القــــراءات : ـ

ذكره الامام ابن جرير فى تفسيرة وبهذا الاسم عند تفسيره لقوله عز وجل (مالك يوم الدين " (٥) حيث يقول : " وقد استقصينا حكاية

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر ١٠/ل ٤٧٩ . سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٧ .
(٢) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨٥ .
(٣) سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٩ .
(٤) البداية والنهاية حـ ١١ص ١٤٦ .
(٥) سورة الفاتحة اية ٤ .

الرواية عمن روى عنه فى ذلك قراءة فى كتاب القراءات ، واخبرنا من الذى نختار من القراءة فيه ، والعله الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه ، نكر هنا اعادة ذلك فى هذا الموضع " (١) . وسماه ياقوت بكتاب الفصل بين القراءة (٢) ، وسماه فى موطن آخر القراءات وتنزيل القرآن (٣) ، وقد ذكر فى هذا الكتاب اختلاف القراء فى حروف القرآن ، وفصل فيه اسماء القراء فى مكة والمدينة ، والكوفة والبصرة ، والشام وغيرها ، وفصل فيه بين كل قراءة فكان يذكر وجه كل قراءة ، وتأويلها ، والدلالة على ما ذهب اليه كل قارئ لها ، ويختار الصواب منها ، ويبرهن على صحة ما يختاره ، مستظهرا ذلك بقوته على التفسير والاعراب الذى لم يشتمل على حفظ احد مثله من القراء وان كان لهم ـ رحمهم الله ـ من الفضل والسعة ما لا يدفع ذو بصيرة . وقد صدر كتابه بخطبة تليق به على عادته فى التأليف ، وهذا الكتاب من جيد كتبه (٤) ، فقد أثنى عليه كثير من المختصين فى علم القراءات كابن مجاهد ، وابى على الاهوازى . قال ابو بكر كامل : " قال لنا ابو بكر بن مجاهد : وقد ذكر فضل كتابه (يعنى الامام ابن جرير) فى القراءات . وقال : الا أنى وجدت فيه غلطا وذكره لى ، وعجبت من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده لها ، ثم قال : والعلة فى ذلك ابو عبيد القاسم بن سلام ، لأنه بنى كتابه على كتاب ابى عبيد ، فأغفل ابو عبيد هذا الحرف ، فنقله ابو جعفر على ذلك . " (٥) .

---

(١) جامع البيان جـ ١ ص ٦٥ .

(٢) معجم الادباء ص ٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥ .

(٤) انظر المصدر نفسه جـ ١٨ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٥) المصدر نفسه جـ ١٨ ص ٦٧ . .

كما تحدث عنه ابوعلى الحسن بن على الأهوازى فقال : " وله فى القراءات كتاب جليل كبير رأيته فى ثمانى عشرة مجلدة ، الا أنه كان بخطوط كبار ، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشاذ ، وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور ".(١)

وقد ذكر مكى بن ابى طالب القيس (ت ٤٣٧ هـ) كتاب الامام ابن جرير " القراءات (٢) ، ونقل عنه بعض النصوص ، ونقل نصوصا أخرى فى القراءات من كتاب نسبه للامام ابن جرير سماه " البيان " (٣) .

وسماه بعض المؤرخين الجامع فى القراءات (٤) . وسماه بعض المعاصرين ممن ترجموا للامام ابن جرير بالقراءات وتنزيل القرآن (٥) . وما يزال هذا الكتاب مفقودا ـ على حد علمى ـ ولعله فقد تماما ، لأنى لم اعثر ـ على حد علمى كذلك ـ على من نقل عنه بعد مكى بن أبى طالب .

وقد ذكر بعض المعاصرين ممن ترجموا للامام ابن جرير أن من الكتاب نسخة خطية فى مكتبة الجامع الازهر (٦) ، وهذا الكلام مخالف للحقيقة ،

---

(١) المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٤٥ .

(٢) انظر الابانة عن معانى القراءات ص ٢٧ ، ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٢ ، ٤٠ .

ولعل هذا الكتاب هو كتاب جامع البيان ، لأن النصوص التى نقلها عن (البيان) موجودة حرفيا فى جامع البيان انظر حـ ١ ص ٢٨ ، اضافة الى انه ذكر بجانب هذا الكتاب ، كتاب القراءات ، وبعيد جدا أن يكون الأمام ابن جرير قد الف كتابين فى ذلك ، أو أن البيان هو نفسه كتاب القراءات فعبر عنه مكى بهذا الاسم والله اعلم ..

(٤) انظر تاريخ الأدب العربى حـ ٣ ص ٥٠ ، هداية العارفين حـ ٦ ص ٢٧ .

(٥) انظر الطبرى للحوفى ص ٩٤ . ابو جعفر الطبرى للمياشى ص ٤٢ .

(٦) انظر الطبرى للحوفى هامش ص ٩٤ ، مقدمة تحقيق تاريخ الطبرى حـ ١ ص ١٧ ، ابو جعفر الطبرى ص ٤٣ ..

وغير صحيح ، لأن منشأ ذلك وهم وقع فيه كاتب المجلد الأول من فهارس المخطوطات الموجودة فى مكتبة الأزهر ، وهو المجلد الخاص بمخطوطات القرآن الكريم ، والقراءات وعلوم القرآن ، فقد جاء فى ذلك المجلد الجامع فى القراءات لابى معشر الطبرى ، والغالب أنه الجامع فى القراءات لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى المولود فى آمل المتوفى سنة ٣١٠ هـ. ويظهر لى أنه غاب عن كاتب الفهرس أن مؤلف كتاب الجامع فى القراءات ، والذى هو بصدد التعريف به هو ابو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى شيخ قراء مكة المكرمة فى القرن الخامس الهجرى ، والمتوفى سنة ثمان وسبعين واربعمائة وليس الامام محمد ابن جرير الطبرى ، وقد رجعت الى مكتبة الأزهر فوجدت النسخة الخطية عبارة عن كتيب صغير ، وليس عليها تاريخ ، وقد كتب على الورقة الأولى مختصر الجامع فى القراءات العشر لأبى معشر الطبرى ، وقد قارنت بين هذا الكتاب وبين بعض آراء الامام ابن جرير فى القراءات من خلال حديثه عن بعضها فى تفسيره ، فتبين لى أنه لا صلة بين الامام ابن جرير وبين ذلك المخطوط ، ثم بحثت عن أبى معشر الطبرى فى كتب التراجم فوجدت له ترجمة وافيه فى كتاب غاية النهاية لابن الجزرى ، وجاء فى ترجمته أنه : " شيخ أهل مكة ، عارف محقق استاذ ثقة صالح روى القراءات بالاجازة عن أبى على الأهوازى " (١) .

هذا والنسخة الخطية مخالفة شكلا وموضوعا لكتاب الامام ابن جرير ، فالنسخة الخطية عبارة عن رسالة صغيرة . تتحدث بايجاز عن القراءات العشر ، بينما كتاب الامام ابن جرير يقع فى ثماني عشرة مجلدة كما ذكر المؤرخون .

---

(١) حـ ١ ص ٤٠١ ، وانظر هداية العارفين حـ ٥ ص ٦٠٨ .

وقد تحدث فيه عن جميع القراءات الصحيحة ، والشاذة ، مع اختياره قراءة لنفسه لم تخرجه عن المشهور كما بينا سابقا ، وقد وصلت بحمد الله الى يقين قاطع أن النسخة الخطية ليست للامام ابن جرير ، وأنها لأبى معشر الطبرى المقرئ المكى ، حيث ذكر المؤرخون أن من بين كتبه كتاب ملخص القراءات الثمانية (١) ، ولعله كتاب مختصر الجامع فى القراءات العشر ، والله أعلم ..

(٢٥) لطيف القول فى احكام شرائع الاسلام :ـ

وهو مجموع مذهبه الذى يعول عليه جميع أصحابه ، وهو من أنفس كتبه ، وكتب الفقهاء ، وأفضل امهات المذاهب واسدها تصنيفا ، وكان أبو بكر بن راميك يقول : " ما عمل كتاب فى مذهب أجود من كتاب اللطيف لأبى جعفر " (٢) وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف فى القدر ثلاثة كتب ، كتاب اللباس ، وكتاب امهات الأولاد ، وكتاب الشرب . وسمى اللطيف لدقة معانيه ، وكثرة ما فيه من النظر والتعليلات ، ويقع فى نحو الفين وخمسمائة ورقة .

ولم يقصد به صغره ، وخفة وزنه ، وقد طلب منه العباس بن الحسن أن يختصر له كتابا فى الفقه ، فاختصر له اللطيف ، وسماه الخفيف فى احكام شرائع الاسلام (٣) . وقد سماه الصفدى بكتاب لطف القول (٤) ،

---

(١) انظر غاية النهاية حـ ١ ص ٤٠١ ، هداية العارفين حـ ٥ ص ٦٠٨ .

(٢) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٧٣ .

(٣) انظر المصدر نفسه حـ ١٨ ص ٧٤ .

(٤) انظر الوافى بالوفيات حـ ٢ ص ٢٨٥ .

ولعله تحريف عن اللطيف ، وذكر ابن عساكر ان هذا الكتاب يقع في ثلاثة وثمانين كتابا منها ، كتاب البيان عن أصول الاحكام(١) ، وقد ورد ذكر كتاب الرسالة من لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام في تفسير الامام ابن جرير بهذا الاسم تارة ، وباسم البيان عن أصول الاحكام تارة أخرى (٢) ، ولعلهما جزء من كتاب اللطيف والله اعلم .

(٢٦) مختصر الفرائض : ـ

ذكره ياقوت والصفدي ، ولكنهما لم يصفاه ، ولم يعرفا به (٣) ،

(٢٧) المسند المجرد : ـ

ذكر ياقوت : أنه ذكر فيه ما قرأه على الناس من حديث شيوخه (٤) ، وذكره ابن عساكر باسم المسند المخرج ، وقال انه كان " يأتي على جميع ما رواه الصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحيح وسقيم ولم يتمه (٥) .

(٢٨) الموجز في علم الأصول : ـ

ذكره ياقوت ، والصفدي ، وقال ياقوت انه ابتدأ فيه برسالة الاخلاق ، ثم قطع . (٦) .

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ / ل ٤٧٩ .

(٢) جامع البيان حـ ١ ص٣٤٨ ، ١٠ ٥حـ ٦ ص٢٤٦ .

(٣) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨١ ، الوافي بالوفيات حـ ٢ ص٢٨٦ .

(٤) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٧٧ .

(٥) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٩ .

(٦) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٨١ . الوافي بالوفيات حـ ٢ ص٢٨٦ . .

هذا وقد وعد ان يعمل كتابا فى القياس ولم يعمله ، كما وعد أن يعمل كتاب الادر فى الاصول ولم يخرج منه شيئا (١) ، ووعد كذلك أن يعمل كتابا فى الايمان يرد فيه على أهل الجدل ولكنه لم يكتبه (٢) ، كما وعد أيضا أن يكتب فى دلائل النبوة ولكنه لم يفعل (٣) .

الكتب المنسوبة اليه :ـ

أ ـ بشارة المصطفى :

ينسب هذا الكتاب الى الامام ابن جرير ، وهو كتاب فى منزلة التشيع ودرجات الشيعة وكرامات الاولياء ، ويقع فى ١٧ جزءًا كما صرح بذلك صاحب كتاب آمل الأمل . والصواب أنه لأبى جعفر محمد بن على بن مسلم الطبرى الأملى . (٤)

ب ـ تاريخ صنعاء :

وينسب اليه أيضا هذا الكتاب ، وقد ذكر بروكلمان أنه يوجد كتاب له باسم تاريخ صنعاء . والصواب أنه من تأليف ابى العباس احمد ابن عبد الله الرازى الصنعانى المتوفى سنة ٤٦٠ هـ . واصله من الطبريين الذين وفدوا الى اليمن ، وأقاموا بها ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب . (٥) .

---

(١) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨١ .

(٢) انظر تهذيب الآثار حـ ٢ ص ١٩٩ .

(٣) انظر تاريخ الطبرى حـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٤) انظر مقدمة محقق تاريخ الطبرى حـ ١ ص ٢٠ نقلا عن الذريعة الى مصنفات الشيعة حـ ٣ ص ١١٧ .

(٥) مقدمة محقق تاريخ الطبرى حـ ١ ص ٢٠ .

جـ ـ الرمى بالنشـــاب :

وينسب هذا الكتاب كذلك اليـه ، فقد ذكر عبد العزيـــــز الطبرى أنه قد وقع اليه كتاب صغير فى الرمى بالنشاب منسوب اليـه ، وذكر أنه لم يعلم احدا قـرأه عليه ، ولا ضابطا ضبط عنه ، ولا نسبـه اليه ، وخشى أن يكون منحـولا اليه (١) . والصواب هو ما قالــــه عبد العزيز الطبرى من أنه منحـول اليه ، ويظهر أنه من تأليـــف عبد الرحمن بن أحمد الطبرى .

واسمه الواضح فى علم الرمى . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصريـه عن نسخة مخطوطة سنة ٨٥٣هـ (٢) .

د ـ المسترشـــــد :

نسبه اليه ابن النديم (٣) ، والصواب أنه لمحمد بن جريـــر ابن رســـتم الطبرى الامامى ، كما ذكر ذلك الامام الذهبى فـــى ترجمته لمحمد بن جرير بن رستم نقلا عن عبد العزيز الكتانى الـــذى قال : " هو من الروافض صنف كتبا كثيرة فى ضلالتهم ، له كتـــاب الرواة عن أهل البيت ، وكتاب المسترشد فى الامامة " (٤) .

وذكره كذلك مؤلف كتاب روضات الجنات الشيعى ونسبه الى الرستمـــى كذلـــك . (٥) .

---

(١) انظر معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٨١ .

(٢) انظر مقدمة محقق تاريخ الطبرى ص ٢٠

(٣) انظر الفهرست ص ٢٩١ .

(٤) سير اعلام النبلاء جـ ٩ / ٣/ ل ٤٢٢ .

(٥) انظر روضات الجنات جـ ٧ ص ٢٩٣ .

كتب أشك في نسبتها اليه :

(١) الرد على الحرقوصية :

ذكره مؤلف كتاب روضات الجنات (١) ، وذكره بروكلمان . الا أن بروكلمان قال ان الحرقوصية هم الحنابلة ، وقال ان الامام ابن جرير الف هذا الكتاب في الرد عليهم (٢) ، وتسمية بروكلمان للحنابلة بالحرقوصية تسمية غير صحيحة ، لأن حرقوص بن زهير كان صحابيا . أمد به عمر بن الخطاب رضى الله عنه المسلمين الذين نازلوا الأهواز ، فساعدهم حرقوص في فتح سوق الأهواز ، وكان له اثر كبير في قتل الهرمزان ، ثم كان مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه بصفين ، ثم صار من الخوارج ، وكان من أشدهم على علي رضى الله عنه ، وقد قتل حرقوص سنة سبع وثلاثين مع الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه (٣) . ولم يذكر هذا الكتاب مؤرخ واحد من أهل السنة ممن ترجم للامام ابن جرير ــ فيما اعلم ــ ولعل الامام ابن جرير الف هذا الكتاب ــ ان صحت نسبته اليه ــ للرد على الخوارج ــ لان تسمية الحرقوصية بالخوارج اسلم تفسير للكتاب ، وقد يكون هذا الكتاب من تأليف محمد بن جرير بن رستم ، وهذا الذى يغلب على الظن (٤) ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

---

(١) انظر المصدر نفسه حـ ٧ ص ٢٩٤ نقلا من كتاب الرجال الكبير لابي علي الحائري

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي حـ ٣ ص ٥٠

(٣) انظر تاريخ الطبري حـ ٤ ص ٧٦ ، أسد الغابة حـ ١ ص ٤٧٤ ، تاج العروس حـ ٤ ص ٣٧٩ .

(٤) انظر تاريخ التراث العربي حـ ١ ص ٥٢٧ .

(٢) الشـــذور :

ذكره اسماعيل باشا البغدادى (١) ضمن مؤلفات الامام ابن جرير وذكره كذلك حاجى خليفة (٢) ، ولم يصفاه ولم يعرفا به ، ولم يذكـره فيما اعلم ـ غيرهما من المؤرخيـن الذين ترجموا للامام ابن جريـــر ، ويغلب على ظنى أنه تصحيف عن كتاب الامام ابن جرير الشـــــروط، واللـــه سبحانه وتعالى أعلـــم ..

---

(١) انظر هداية العارفين حـ ٦ ص ٢٧.

(٢) انظر كشاف الظنون حـ ٢ ص ١٤٢٩..

الفصل الخامـــــــــس

التحقيق في تهمة التشيع المنسوبة الى الامام ابن جرير

ويشتمل على خمسة مباحث

المبحث الاول : أهم الفئات التي اتهمت الامام ابن جرير بالتشيع

المبحث الثاني : أهم الاسباب التي ادت الى اتهامه بالتشيع ومناقشتها

المبحث الثالث: مقارنة بين آراء الشيعة وآراء الامام ابن جريـــــر

المبحث الرابع : قصة الامام ابن جرير مع الحنابلـــة .

المبحث الخامس: ثناء العلمــــاء عليــــه

تمهيـــــد : ـ

ابتلى الامام ابن جرير بما ابتلى به غيره من العلماء فى عصره ، أو ممـــن سبقوه من تلفيق التهم الباطلة اليهم فى عقيدتهم ، ونسبتهم الى أمور لا صلـــة لهـم بها ، تعصبا وحقدا وانسياقا وراء الأهـــواء الباطلة . فقد وردت بعض الاشارات فى بعض المراجع تشير الى اتهام الامام ابن جرير بالتشيع اليسيـــــر والموالاة التى لا تضر ، وزادت بعض المراجع فى اتهامه ، حيث نسبته الــــى الالحاد ، وتلفيق الاحاديث النبوية الشريفـة لخدمة اغراض الشيعة (١) . الا أنه من الصعب جدا العثور على مصادر اتهام الامام ابن جرير بالتشيع ، وتحديدهـا بدقة كاملة ، اذ كان الاتهام بالبدعة عملا شائعا فى ذلك العصر وخاصــــــة بين العلماء الذين كانت تختلف وجهات نظرهم فى البحث الدينى ، ولمــــا كانت الدولة العباسية كثيرا ماتتعرض لثورات العلويين السياسية ، الذيــــن كانوا يحاولون نقض الامر عليها ، فان سرعة الاتهام بالتشيع طمعا فى التقـــرب الى الدولة كان أمرا يسيـــرا .

وهدفى من هذا البحـــث هو تمحيص علاقة الامام ابن جرير بالتشيع . الا أنـــنى قبل ان اشرع فى مناقشـــة هذه التهمـــة أحـــب أن أبيـــن ما يلـــــى : ـ

(١) أهم الفئـــات التى اتهمت الامام ابن جرير بالتشيـــع .

(٢) اهم الاسباب التى أدت الى اتهامة بالتشيع ، ومناقشتها .

---

(١) انظـــر لسان الميـــزان حـ ٥ ص ١٠٠ ، سير اعلام النبـــــــــــلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٩ ، البدايـــة والنهايـــة حـ ١١ ص ١٤٦ ..

المبحث الأول : أهم الفئات التى اتهمت الامام ابن جرير بالتشيع .

لقد ساهمت عدة فئات من الناس فى اتهام الامام ابن جرير بالتشيع قديما وحديثا ، وكان من أبرز هذه الفئات ما يلى : ـ

(١) الحنابلة : ـ

كان لتعصب بعض الحنابلة على الامام ابن جرير الأثر الفعال فى اتهامه بالتشيع ، فقد واجه الامام ابن جرير هجوما عنيفا من بعض الحنابلة ، وقد حاول جاهدا اقناعهم بآرائه ، ولكنه لم يفلح ، لأنهم أبو الا نفورا منه وظلما له ، وقد جاء التصريح بظلم الحنابلة له على لسان الامام ابن خزيمة حيث يقول : " وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة " (١)

ويقول الذهبى : " وقد وقع بين ابن جرير وبين ابن أبى داود ، وكان كل منهما لا ينصف الآخر ، وكانت الحنابلة حزب أبى بكر بن أبى داود ، فكثروا وشغبوا على ابن جرير وناله أذى ، ولزم بيته " (٢)

وكان ابو بكر بن أبى داود قد استعدى عليه السلطة الحاكمة المتمثلة فى نصر الحاجب لمنعه من تعليم أرائه . (٣) .

(٢) الظاهرية : ـ

ساهمت الظاهرية مساهمة فعالة فى اتهام الامام ابن جرير بالتشيع نتيجة للصراع الذى نشب بين الامام ابن جرير وبين زعيم هذه المدرسة

---

(١) تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٤ .

(٢) سير اعلام النبلاء حـ ٩ / ٣ / ل ٤١٩ .

(٣) انظر المنتظم حـ ٦ ص ١٧٢ ..

داود بن علي وابنه محمد ، فقد ألف الامام ابن جرير كتابا رد فيه على داود سماه الرد على ذى الاسفار (١) . فما كان من ابن داود الا أن انتصر لوالده ، وألف كتابا سماه الانتصار من محمد ابن جرير (٢) ، وتكلم على الامام ابن جرير ورماه بالرفض وبالعظائم ، وتقلد العامة عنه ذلك .

يقول الامام ابن كثيرا في ذلك : " ونسبوه الى الرفض ، ومن الجهلة من رماه بالالحاد ، وحاشاه من ذلك كله ، بل كان أحد أئمة الاسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله ، وانما تقلدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقية الظاهرى ، حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم ، وبالرفض " (٣) .

(٣) الشيعة :ـ

كان الشيعة من ابرز الفئات التى اتهمت الامام ابن جرير بالتشيع . وذلك من أجل تحقيق الهدف الذى يسعون اليه ، وهو تشويه سمعة علماء أهل السنة ، لأنهم يعلمون أن الاتهام بالتشيع تهمة قادحة فى عدالة الرجل عند أهل السنة ، وبالتالى فانها قدح فى أثار المتهم ، وهم حريصون جدا على تشويه سمعة علماء أهل السنة ، وبخاصة العلماء الذين حفظوا لنا أثار السلف . ومن بينهم الامام ابن جرير . فقد ذكروه فى جملة علمائهم الذين كانوا يبطنون التشيع خوفا من الحكام الظلمة فى ذلك العصر .

---

(١) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٧٨ .

(٢) انظر الفهرست ص ٢٧٢ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٣) البداية والنهاية حـ ١١ ص ١٤٦ . .

يقول الخوانسارى فى ذلك : " ولكن عندى مع ذلك كله شبهة عظيمة فى أمر مذهب أبى جعفر الطبرى المؤرخ المفسر الذى هو صاحب الترجمة • بل ظنى يذهب الى كونه ايضا من جملة أهل مذهب الحق •••

الى أن يقول : فلا داعى الى ذلك الا كونه من هذه الطائفة فى الباطن والحقيقة ، وان كان لا يظهر من جهة معروفيته عند خلفاء الجور وعظماء دولة الباطل ، كما هو شأن كثير من العلماء المشتبهة امورهم " (١) •

(٤) الجماعة التى تسمى نفسها بجماعة أهل القرآن فى باكستان : ـ

ذهبت هذه الجماعة الى اتهام الامام ابن جرير بالتشيع كذلك ، لتحقيق هدفها الذى قامت من أجله وهو انكار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الطعن فى علماء أهل السنة الذين حرصوا على تدوين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واثار السلف الصالح ، فقد وجهوا الى الامام ابن جرير تهمة التشيع من أجل الطعن فى تفسيره ، لأنه فى نظرهم التفسير الجامع لتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن ، وهم يعلمون أن الاتهام بالتشيع قدح فى عدالة المتهم به ، لذلك رتبوا نتيجة على اتهام الامام ابن جرير بالتشيع هى ، ما دام أنه متشيع اذا فتفسيره غير مقبول من الناحية العلمية ـ على حد زعمهم ـ وكل التفاسير التى جاءت بعده واعتمدت عليه غير مقبولة لأنها بنيت على أساس غير سليم • يقول تمنا

---

(١) روضات الجنات حـ ٧ ص ٢٩٥ •

المصادى فى ذلك : " كان ابن جرير من بلدة أمل من طبرستان ، ولد وتربى فيها ، وارتحل الى طلب العلم وتجول فى البلاد الاسلامية قرابة (٤٤) سنة . كان من الشيعة، ولكنه كان يظهر نفسه سنيا على وجه التقية ، وكان اسم جده رستما وسمى بعد اسلامه بيزيد ، وكان ابن جرير يسمى نفسه محمد بن جرير بن رستم فى الكتب التى كان يكتبها للشيعة ، وكان يسمى نفسه محمد بن جرير ابن يزيد حيث يكتب لسائر المسلمين ".(١)

(٥) المستشرقون :ـ

وقد أدلى المستشرقون بدلوهم فى هذه التهمة ، لأنهم حريصون جدا على تشويه الاسلام أولا ، وتشويه علمائه ثانيا ،

فقد استنتج H.Lurost من تأليف الامام ابن جرير لحديث غديرخم أنه كان متعاطفا سريا مع حركة التشيع.(٢)

---

(١) عمر الفاروق ليبرويز (شاهكار رسالت عمر فاروق) ص٥٠٤ نقلا عن مجلة طلوع الاسلام عدد اغسطس سنة ١٩٦٨م ص ٦١.

(٢) انظر الاقوال فى اتهام الطبرى بالتشيع ص ٣٥ نقلا عن :

D.Soundol-R.E.I.XXXVI:177

المبحث الثانـــــــي

أهم الاسباب التى أدت الى اتهامه بالتشيع ومناقشتها

لم يكن الامام ابن جرير أول شخص من علماء المسلمين اتهم بالتشيـــع، ولا آخر شخص الصقت به مثل هذه التهمة . فقد اتهم كثير مـــن العلمـــاء بهذه التهمة الباطلة كالدارقطـــنى والحاكم وغيرهما . لذلك ينبغى علينـــا أن ننظـــر الى هذه التهمة من خلال نظرتنا الى عصره الذى عاش فيـــه والذى كان متميـــزا بوجود بعض القلاقل الدينية والاضطرابات السياسيـــة على الرغم من خصوبته العلمية ، وقد كان الاتهام بالبدعة فى ذلك العصـــر عملا سائغا مقبولا كما ذكرنا سابقا .

وقد وجدت من خلال البحث مجموعة من الاسباب التى أدت الى اتهـــام الامام ابن جرير بالتشيع . تعلـــق اعداؤه بها وجعلوها ركيزة لهم فـــى بسط لسانهم فيه بما يريدون ، وقذفه بالتهم التى يرغبون فى الصاقهـــا به . ونحـــن بدورنا سنعرض هذه الاسباب على شريحة البحث العلمى لنرى مدى علاقـــة الامام ابن جرير بالمذهب الشيعى ، وبيان مدى هذه التهمة التى الصقـــت به من الصحة أو البطلان ، وفيما يلى بيان لأهم الأسباب التى أدت الـــى اتهامة بالتشيـــع : ـ

(١) تصحيـــح حديـــث غديـــر خـــم :

كان لتصحيح الامام ابن جرير لحديث غديـــر خـــم الأثـــر الاكبر فى اتهامه بالتشيع قديما وحديثا (١) ، فقد استغل اعـــداؤه

---

(١) انظر روضات الجنات جـ ٧ ص ٢٩٥ ، الاقوال فى اتهام الطبرى بالتشيع ص ٣٥ ، لسان الميزان جـ ٥ ص ١٠٠ ، سير اعلام النبلاء جـ ٩/٣/ ل ٤١٩ ..

تصحيحه للحديث ، وراحوا يقذفونه بالتهم من كل جانب ، وكـــان تصحيحه للحديث سلاحا بيدهم استخدموه للتشهير بالامام ابن جرير، والنيل من عقيدته باتهامه زورا وبهتانــا بالتشيع ، أو على الأقـل بالتعاطف مع حركة التشيــع.

يقول الحافظ ابن حجر فى بيان اسباب اتهام الامام ابـــن جرير بالتشيــع : " وانما نبز بالتشيع لأنه صحح حديـــث غدير خُم " (١).

المناقشـــــة :ـ
=============

ينبغى على قبل أن أخوض فى مناقشة هذا السبب أن أذكـــر نص الحديث وكلام العلماء فى طرقه ليظهر لنا موقف الامام ابن جريــر بوضوح تام من هذا الحديث : وحاصل الحديث أن البراء بـــن عازب رضى الله عنه قال : " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فى سفر ، فنزلنا بغدير خُم (٢) ، فنودى فينا الصلاة جامعـــة وكســح (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتيــن ، فصلــى

---

(١) لســان الميــزان جـ ٥ ص ١٠٠.

(٢) غدير خُم : ذكر ياقوت فى معجـم البلدان : خُم بئـر كلاب بـــن مرة من خممت البيت اذا كسـنته ، ويقال فلان مخموم القلب أى نقيــه ، فكأنها سميت بذلك لنقائها ، قال الزمخشرى : خُم اســم رجل صبـا غ اضيف اليه الغدير الذى بين مكة والمدينة بالجحفة ، وقيل هو على ثلاثة أميال من الجحفــه وذكر غير ذلك من الأقوال.
انظر معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٨٩ ، جـ ٤ ص ١٨٨.

(٣) كســح بمعنى كنس يقال كسحت البيت كنسته ، فكأنه أمر بتنظيـــف ما تحت الشجرتيـــن. انظر المصباح المنيــر جـ ٢ ص ١٩٣.

الظهر ، وأخذ بيد على رضى الله عنه ، فقال الستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى ، قال : الستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا بلى . فأخذ بيد على فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئا يا ابن أبى طالب اصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن مؤمنة "

هذا الحديث أخرجه الامام أحمد فى المسند ، وفضائل الصحابة وابن ماجة ، وعبد الله بن أحمد فى زيادات فضائل الصحابة ، وابن أبى عاصم فى السنة ، وابن ماجة فى المقدمة (١) . وفى اسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف واخرجه الامام أحمد فى المسند ، وابن حبان ، والترمذى والحاكم من عدة طرق عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه (٢) ، واسناده صحيح .

وأخرجه الامام أحمد فى المسند والفضائل ، والنسائى فى الخصائص عن بريدة (٣) وأخرجه أحمد فى المسند ، والنسائى فى الخصائص ، والحاكم ، والترمذى والدولابى فى الكنى عن

---

(١) مسند أحمد حـ ٤ ص٢٨١ ، فضائل الصحابة رقم ١٠١٦ ، ١٠٤٢ ، سنن ابن ماجة حـ ١ ص٤٣ السنة لابن أبى عاصم ل ١٣٤ أ وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم المستدرك حـ ٣ ص١١٠ . وقد ضعفه ابن حزم فى رسالته المفاضلة بين الصحابة ص٢٦٤ ولم يأت بدليل ..

(٢) مسند أحمد حـ ١ ص٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ ، حـ ٥ ص ٣٦٦ ، ٤١٩ ، موارد الظمآن ص٥٤٤ سنن الترمذى حـ ٥ ص٦٣٥ ، المستدرك حـ ٣ ص١١٠ .

(٣) مسند أحمد حـ ٥ ص٣٥ ، ٣٤٧ ، فضائل الصحابة رقم ٩٤٧ ، الخصائص ص ٢١ ..

زيـــد بـــن أرقـــم (١) • واسناده صحيـــح •

وأخرجه أحمد فى المسند والفضائل عن أبى الطفيل عامر بـــن واثلـــة (٢) ، واسناده صحيح ، واخرجه الترمذى عن أبى سريحـة أو زيد بـــن ارقـــم" بالشـــك "

والشك فى الصحابى لا يضر ، وقال هذا حديث حسن صحيح (٣) ، وابو سريحة هو حذيفة بن اسيد الغفارى صاحب رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، وأخرجه ابو بكر بن ابى شيبة عن بريدة وجابر وابـــى هريـــرة (٤) ، وعقد الهيثمى فى مجمعه باب قوله صلى الله عليـــه وسلم " من كنت مولاه فعلى مولاه " وذكر فيه طرقا كثيرة جـــدا سوى التى ذكرتها هنا (٥) ، وقال ابن حجر " وأما حديـــث من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقد أخرجه الترمذى والنسائى ، وهـــو كثير الطرق جدا وقد استوعبها ابن عقده فى كتاب مفرد ، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان " (٦) •

وقال الذهبى : " جمع " يعنى ابن جرير " طرق حديـــث

---

(١) مسند أحمد حـ ٤ ص٣٦٨ ، خصائص على ص ٢١ ، المستـــدرك حـ ٣ ص١١٠ ، سنن الترمذى حـ ٥ ص ٦٣ ، كنى الدولابى حـ٢ ص٦١ •

(٢) مسند أحمد حـ ٤ ص ٣٧٠ ، فضائل الصحابة رقم ١١٦٧ •

(٣) سنـــن الترمذى ٥ص ٦٣٥ •

(٤) انظر المطالب العالية حـ ٤ ص٥٩ ، ٦٠ •

(٥) انظـــر مجمـــع الزوائـــد حـ ٩ ص ١٠٣ وما بعدها •

(٦) فتـــح البارى حـ ٧ ص ٧٤ •

غديـــرخم فى أربعة أجزاء رأيت شطره فبهرنى سعه رواياته، وجزمـــت بوقـــوع ذلك ." (١)

وقال المحدث الالبانى : " حديث صحيح أخرجه أحمد ، وابـن ماجه عن البراء ، وأحمد عن بريدة ، والنسائى فى الفضائل، والضيا ء المقدسى فى المختارة عن زيد بن أرقم وأحمد والنسائى والحاكـــــم عن بريدة بلفظ من كنت وليه فعلي وليه " (٢) .

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير لم ينفرد بتصحيـــح الحديث ، وبناء على هذا الاساس فان اتهامة بالتشيع لأنه صحـــح هذا الحديث غير مقبول من الناحية العلمية ، وقد يكون اتهامه بالتشيع مقبولا الى حد ما لو أنه انفرد وحده بتصحيح الحديث ، لكنه لـــم ينفرد بذلك ، بل سبقه ائمة اجلاء كالامام احمد وغيره فى تصحيـــح هذا الحديث ، فلاحجة اذا فى تصحيحه لهذا الحديث تصلـــح لاتهامه بالتشيع ، ومما يؤكد بطلان هذه التهمة المبنية على هـــذا السبب بالاضافة الى ما سبق ذكره أن الامام ابن جرير خالف الشيعـــة فيما ذهبوا اليه من أن هذا الحديث هو الاساس فى تعيين علـــى ابن أبى طالب رضى الله عنه اماما للمسلمين من قبل رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، يقول محمد رضا المظفر : " ونعتقد أن النبـــى صلى الله عليه وسلم نص على خليفته والامام فى البرية من بعـــــده ، فعين ابن عمه على بـــن أبى طالب اميـــرا للمؤمنين ، وأمينا للوحـى ،

---

(١) سيـــر اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ ل ٤١٩ .

(٢) صحيح الجامع الصغيـــر حـ ٥ ص ٣٥٣ ..

واماما للخلق فى عدة مواطن ، ونصبه وأخذ البيعة له بامرة المؤمنين يوم الغدير "(١) وذهب بعضهم الى أن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم انتهت بعد أن عين عليا رضى الله عنه اماما فى حديث الغدير ، ومنذ ذلك اليوم فصاعدا يجب أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم تابعا للقائد الجديد ، يقول القمى فى معرض حديثه عن القرامطة : " وزعموا أن النبى عليه السلام انقطعت عنه الرسالة فى حياته فى اليوم الذى أمر فيه بنصب على بن ابى طالب للناس بغدير خم ، فصارت الرسالة فى ذلك اليوم الى أمير المؤمنين وفيه ، واعتلوا لذلك بخبر تأولوه وهو قول رسول الله " من كنت مولاه فعلي مولاه " وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة ، وتسليم منه لعلى بن أبى طالب بأمر الله وأن النبى صلى الله عليه وسلم وآله بعد ذلك صار تابعا لعلي محجوجا به "(٢)

وذكروا أن تعيين على بن أبى طالب كان من تمام الدين ، ورتبوا على هذا الاساس نتيجة هى أن تعيين على بن أبى طالب كان من تمام الدين ، يقول الحلى : " روى ابو نعيم باسناده عن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى غدير خم ، وأمرنا بحت الشجر عن الشوك ، فقام فأخذ بضبعى على فرفعهما حتى نظر الناس الى باطن ابطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يتفرقوا حتى نزلت " اليوم اكملت لكم دينكم "(٣) فقال رسول الله صلى الله

---

(١) عقائد الامامية ص٦٠ ــ ٦١ ، وانظر اصل الشيعة ص ١٠٢ ــ ١٠٣.

(٢) المقالات والفرق ص ٨٣.

(٣) سورة المائدة ٣ .

عليه وسلم الله اكبر على كمال الدين ، ورضا الرب برسالتى ، وبالولاية لعلي من بعدى . ثم قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وانصر من نصره واخذل من خذله " (١) ، (٢) .

---

(١) منهاج الكرامة ص ١٥٠ .

(٢) لم أجد هذا الحديث في الحلية . وقال السيوطى فى الدر المنثور أخرج ابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن أبى سعيد الخدرى قال لما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يوم غدير خم فنادى له بالولاية ، هبط جبريل عليه بهذه الأية " اليوم اكملت لكم دينكم " . واخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بسند ضعيف عن أبى هريرة قال : لما كان يوم غدير خم ، وهو يوم ثمانى عشر من ذى الحجة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه ، فأنزل الله " اليوم اكملت لكم دينكم " الدر المنثور جـ ٢ ص ٢٥٩ والحديث الذى رواه أبو هريرة اخرجه الخطيب فى تاريخه جـ ٨ ص ٢٩٠ ، وفيه بعد قوله " فأنزل الله اليوم اكملت لكم دينكم " " ومن صام سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا ثم قال : اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون " وكان يقال قد تفرد به ، واسناد الحديث عند الخطيب ثنا حبشون ثنا على بن سعيد الرملى ثنا ضمرة بن ربيعة القرشى عن أبى شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة ، قال وتابعه عليه أحمد بن عبد الله بن النيرى ، ثنا على بن سعيد الشامى ثنا ضمرة عن شهر ... الخ به مثله . أما حبشون فقال عنه الخطيب ثقة كان يسكن البصرة ٨/٢٩٢ ، واما عبد الله بن شوذب فهو صدوق عابد . التقريب ١/٤٢٣ ، واما مطر الوراق فقال ابن حجر ضعيف التقريب ٢/٢٥٢ ، واما شهر بن حوشب فقال ابن حجر صدوق كثير الارسال والأوهام التقريب ١/٣٥٥ ، وأما على بن سعيد الرملى الشامى عن ضمرة بن ربيعة فيتثبت فى أمره كأنه صدوق الميزان للذهبى ٣/١٣١ ، وأما ضمرة فقد قال الذهبى مشهور ما فيه مغمز الميزان ٢/٣٣٠ ، وخلاصة القول ان الاسناد الأول فيه مطر الوراق وهو ضعيف ، وسىء الحفظ ، وان كان قد أخرج لهمسلم على ما قال ابن حجر التقريب ٢/٢٥٦ ، الميزان ٤/١٥٦ كما أن فيه شهر بن حوشب . أما الاسناد الثانى ففيه =

اما الامام ابن جرير فقد خالف الشيعة في النتائج التي رتبوها على هذا الحديث مخالفة جذرية يمكننا أن نلخصها في الأمور التالية :-

أ - أثبت الامام ابن جرير أن احق الناس بالخلافة وأولاهم بالأمامة ، أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الامامة (١) ، ولا شك أن هذا العمل من الامام ابن جرير لا يرضي الشيعة لأنه يخالف ما ذهبوا اليه من أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو احق الناس بالامامة ، وافضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب - يكفر الامام ابن جرير كل من كفر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروافض والخوارج ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم ، وذكر ذلك في كتابه الشهادات ، وفي الرسالة ، وفي أول ذيل المذيل (٢) . وكان يرى قتل من يقول ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ليسا بامامي عدل وهدى " (٣) .

كما كان يرفض رواية المتهم بالتشيع ويعتبرها طعنا في عدالته ، وسببا اكيدا لرفض حديثه ، حيث يقول في ترجمة بعض العلماء " سالم

= شهر بن حوشب وهو كثير الوهم والارسال ، وهو مختلف بروايته اختلافا كبيرا الميزان ٢/ ٢٨٥ . الا أن أحدا من رواة الاسنادين لا يتهم بكذب ، غير أن فيهما من لا يحتج بانفراده ، وقد انفردوا بهذه الزيادة في هذا الحديث ، ثم ان زيادتهم هذه لو لم يكن فيها الا مخالفة الحفاظ لا يعتد بها ، فكيف وقد خالفوا فيها الاحاديث الصحاح التي تثبت أن الاية نزلت في الحج .

(١) انظر عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٦ .

(٢) انظر معجم الادباء ج ١٨ ص ٨٣ .

(٣) انظر تاريخ ابن عساكر ج ١٠/ ل ٤٨٠ .

ابـــن أبي حفصة يكنى ابا يونس ، وكان يتشيع تشيعا شديدا " (١) وقال في ترجمة مسلمة بن نذير السعدى " وكان ايضا من الشيعة " (٢) . وقال في ترجمة جابر بن يزيد الجعفي " وكان متشيعا " (٣) وقال فـــي ترجمة جعفر بن زياد الأحمــــر " كان كثير الحديث شيعيا " (٤) .

جـ ـ لـم يكن هدف الامام ابن جرير من تصحيح حديث الغدير الاحتجاج بـه على اثبات الخلافه لعلي رضى الله عنه ، بل عمله في بيان فضائلـــــــه رضى الله عنه ، هذا من جهه ، ومن جهة أخرى عـملة ردا على ابـــي بكر ابن أبي داود الذى تكلم في الحديث (٥) . أضف الى ذلك أنـــه لم يقتصر على ذكر فضائل على بن أبي طالب وحده بل كتب في فضائـل أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فبدأ بفضائل أبي بكر ثم عمـــر ثم عثمان ثم علي رضى الله عنهم اجمعين ، ولما رجع الى طبرستان وجد الرفض وسب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منتشرا بين أهلهـــا ، فأملـــى فضائل أبي بكر وعمر حتى خاف أن يجرى عليه ما يكرهـــــه ، فخرج منهـــا من أجل ذلك ، ثم سأله العباسيون أن يملى فـــــي فضائل العباس رضى الله عنه ففعل (٦) ، فلو كان الامام ابن جريــر متشيعـــا لما كتب في فضائل هؤلاء الصحابة ، وهم الهدف الـذى يوجه اليه الشيعة سهامهم المسمومة ، ومطاعنهم الباطلة .

---

(١) ذيل المذيل ص ١١٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٦ .

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٩ ، سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٩ .

(٦) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٨٥ ، تاريخ ابن عساكر حـ ١٠/ل ٤٧٩ ، سيـــر اعـــلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٧ ..

د ـ لم يتعرض الامام ابن جرير لحديث الغدير ، ولا للامامة عند تفسيره لآية كمال الدين ، لا من قريب ولا من بعيد ، بل خالف الشيعة فى تفسير هذه الاية مخالفة جذرية ، حيث أثبت أن هذه الأية نزلت فى يوم عرفة ، بعرفة ، خلافا للشيعة الذين زعموا أنها نزلت فى غدير خم ، وقد روى حديث نزول هذه الأية عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واعتبر قوله أولى الاقوال بالصواب حيث يقول فى ذلك : " وأولى الأقوال فى وقت نزول الأية القول الذى روى عن عمر بن الخطاب أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة لصحة سنده ووهى اسانيد غيره " (١) .

كما خالفهم فى المقصود من هذه الاية حيث بين أنها نزلت لتبين للناس أن الله سبحانة وتعالى اكمل لهم دينهم بافرادهم بالبلد الحرام ، واجلاء المشركين عنه ، خلافا للشيعة الذين زعموا أنها نزلت لتبين للناس أن الدين قد كمل بوصاية النبى صلى الله عليه وسلم بالامامة من بعده لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، يقول الامام ابن جرير فى تفسير هذه الاية : " ان الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به أنه اكمل لهم يوم أنزل هذه الأية على نبيه دينهم بافرادهم بالبلد الحرام ، واجلائه عنه المشركين ، حتى حجه المسلمون دونهم لا يخالطونهم المشركون " (٢) .

وبناء على ما تقدم نقول : ان اتهام الامام ابن جرير بالتشيع بناء على هذا السبب (وهو تصحيحه لحديث غدير خم) باطل من اساسه ، وساقط من وجهة النظر العلمية ، ولا يصلح أن يكون حجة

---

(١) جامع البيان حـ ٦ ص ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه حـ ٦ ص ٨٠ .

لمـــن تمسك به فى اتهام الامام ابن جرير بالتشيع نظراً لموقف الامــام ابن جرير المخالف لوجهة نظر الشيعة فى هذا الحديث •

(٢) نسبته الى القول بجواز مســح القدميـــن فى الوضوء ، وعدم وجــوب غسلهمـــا •

كـــان هذا السبب من بين الاسباب المباشرة التي أدت الى اتهـــام الامام ابن جرير بالتشيع ، يقول ابن الجوزى : " كان ابن جريـــر يرى جواز المسح على القدمين ولا يوجب غسلهما ، فلهذا انسب الــى الرفض " (١) •

وقـــد استغل اعداؤه رأيه فى الوضـــوء ـ بدون تمحيص ـ ونسبوه الى الرافضة ظلما وعدوانا ، واشاعوا بين الناس أن الامام ابن جريـــر يقول بقول الروافض فى المسح على الرجليـن ، فالشيعة يوجبون المســح على القدميـــن ، ولا يجيـــزون غسلهما الا فى حالة التقيـة •

فقد عقد الحر العاملي فى كتابه وسائل الشيعة فصلا بعنوان وجـــوب المسح على القدميـن وعدم اجزاء غسلهما ، واستدل على ذلك بأدلـــة كثيـــرة (٢) لا حاجة بنا الى ذكرها أو التعرض لها ، لأنها خارجـــة عن نطاق البحث ، وقال الشيخ الحلى فى بيان مذهب الشيعة فى المسح على الرجليـــن : " والخامس مسح الرجلين الى الكعبيـن وهما قبتـــا القدم ، ويجوز منكوسا ، ولا يجوز على حائل من خف وغيره الا للضرورة "(٣)

---

(١) المنتظـــم حـ ٦ ص ١٧٢ ، وانظـــر البداية والنهاية حـ ١١ ص ١٤٦ •

(٢) انظـــر وسائـــل الشيعـــة حـ ١ ص ٢٩٤ وما بعدهـــا •

(٣) المختصـــر النافع فى فقه الامامية ص ٣١ •

ويقول القاضى ابوحنيفة النعمان بن محمد التميمى نقلا عن آل البيت : " ولا يجزئ الغسل وحده ، وذلك أن يصب الماء عليهما حتى يمسح بيده عليهما ... وأجمعوا عليهم السلام أن المسح على الخفين لا يجزئ فى الوضوء الواجب ، ولا يجزئ فيه الا ما قال الله تعالى من المسح على الرجلين لا على الخفين ... وقال جعفر ابن محمد : التقية دينى ودين آبائى الا فى ثلاث : فى شرب المسكر ، والمسح على الخفين ، وترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ... وقالوا لا تجوز الصلاة خلف من يرى المسح على الخفين لأنه صلى على غير طهارة . ومن ترك عضوا من اعضاء الوضوء لم تكمل طهارته ، واذا لم تكمل طهارته لم تجز صلاته ، ولا صلاة لمن صلى بصلاته " (١) .

هذا خلاصة مذهب الشيعة فى الوضوء ، وحتى تتضح لنا الصورة كاملة لا بد من عرض رأى الامام ابن جرير فى هذه المسألة . لنرى الفارق الكبير بين رأى الامام ابن جرير ورأى الشيعة فى قضية المسح على الرجلين والمسح على الخفين .

يقول الامام ابن جرير فى تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين " (٢) . بعد أن عرض آراء الذين قالوا بغسل الرجلين بناء على قراءة النصب ، وآراء الذين قالوا بالمسح بناء على قراءة الخفض : " والصواب من القول عندنا فى ذلك أن الله عز ذكره أمر بعموم مسح الرجلين بالماء فى الوضوء كما

---

(١) دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام جـ ١ ص١٠٩ ـ ١١٠ .

(٢) سورة المائدة ٦ .

أمر بعموم مسح الوجه بالتيمم ، وأذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقا اسم " ماسح غاسل " لأن غسلهما امرار الماء عليهما أو اصابتهما بالماء ، ومسحهما امرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما ، فاذا فعل ذلك بهما فاعل فهو " غاسل ماسح " ولذلك من احتمال المسح المعنين اللذين وصفت من العموم والخصوص اللذين أحدهما مسح ببعض ، والآخر مسح بالجميع ـ اختلفت قراءة القراء في قوله " وارجلكم " فنصبها بعضهم توجيها منه الى أن الفرض فيهما الغسل ، وانكارا منه المسح عليهما مع تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم مسحهما بالماء ، وخفضها بعضهم توجيها منه الى أن الفرض فيهما المسح ، ولما قلنا في تأويل ذلك أنه معنى به عموم مسح الرجلين بالماء كره من كره للمتوضئ الاجتزاء بادخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده أو ما قام مقام اليد ، توجيها منه قوله " وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين " الى مسح جميعهما عاما باليد ، أو بما قام مقام اليد دون بعضهما مع غسلهما بالماء ...

" فاذا كان في " المسح " المعنيان اللذان وصفنا من عموم الرجلين بالماء وخصوص بعضهما به ، وكان صحيحا بالأدلة التي سنذكرها بعد أن مراد الله من مسحهما العموم ، وكان لعمومهما بذلك معنى الغسل والمسح فبين صواب القراءتين جميعا ـ أعني النصب في الأرجل والخفض لأن في عموم الرجلين بمسحهما بالماء غسلهما ، وفي امرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما مسحهما ـ غير أن ذلك وان كان كذلك ، وكانت القراءتان كلتاهما حسنا صوابا ، فاعجب القراءتين الى أن اقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضا لما وصفت من جمع المسح

الممنيين اللذين وصفت ، ولأنه بعد قوله " وامسحوا برؤوسكم " فالعطف به على الرؤوس مع قربه منه أولى من العطف به على الأيدى ، وقد حيل بينهما وبينه بقوله " وامسحوا برؤوسكم " (١) .

هذا ملخصا لما قاله الامام ابن جرير فى هذه المسألة ، وان كان فى كلامة بعض الغموض والاضطراب ، الا أنه كما رأينا بوجب الفسل والمسح ، لأنه يرى أن المسح يلزم منه الفسل ، ولذلك اختار قراءة الخفض على أساس أن غسل الرجلين امرار الماء عليهما أو اصابتهما به ، ومسحها امرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما ، فاذا فعل ذلك المتوضىء فهو (غاسل ماسح) كما كرر ذلك مرارا ، وقد رأى بعض العلماء أن الأمام ابن جرير يجيز المسح والفسل وممن قال بهذا القول ابو بكر بن العربى حيث يقول " واختار الطبرى التخيير بين الفسل والمسح ، وجعل القراءتين كالروايتين فى الخبر يعمل بهما اذا لم يتعارضا " (٢) . والصواب فى ذلك أن الأمام ابن جرير لم يصرح بالتخيير بين المسح والفسل ، وما قاله ابن العربى وغيره انما هو استنتاج من كلام الامام ابن جرير وهو يكرر دائما ــ كما رأينا ــ أن المسح يلزمه الفسل وأنه لا بد أن يكون مترتبا عليه ، وناشئا عنه . ويرى الدكتور سيد أحمد خليل أن الامام ابن جرير " يرى أن المسح مدلول عليه بالاية ، اما الفسل فانما يأتى بنص آخر من الحديث والسنة " (٣) . وهذا قول

---

(١) جامع البيان حـ ٦ ص ١٣٠ ــ ١٣١ .

(٢) احكام القرآن حـ ٢ ص ٥٧٥ .

(٣) الطبرى المفسر ص ٢٨٤ .

لا دليل عليه من كلام الامام ابن جرير كذلك ٠(١)٠

من خلال ما تقدم نلاحظ في كلام الامام ابن جرير في المسح على القدمين ما يلي :ـ

أ ـ يرى الامام ابن جرير عموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء ، ولا يجيز مسح بعضهما ٠

ب ـ يرى أن الغسل هو امرار الماء على الرجلين أو اصابتهما به ، والمسح هو امرار اليد أو ما قام مقامها على الرجلين واذا فعل المتوضئ ذلك استحق اسم ماسح غاسل ٠

جـ ـ لا يقصد الامام ابن جرير من قوله بالمسح على الرجلين في الوضوء المسح الذي هو قسيم الغسل ، بل يقصد المسح الذي يكون الغسل قسما منه ٠

د ـ عبر الامام ابن جرير عن الدلك بالمسح ، وهذا هو الظاهر من كلامه ولذلك لم يفهم كثير من الناس مراده ، وقد أزال الحافظ ابن كثير هذا الغموض عن رأى الامام ابن جرير في المسح حيث يقول : " والذى عول عليه كلامه في التفسير أنه يوجب غسل القدمين ، ويوجب مع الغسل دلكهما ، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح فلم يفهم كثير من الناس مراده ، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح وهو الدلك ٠ والله أعلم " (٢)٠

وبناء على ما تقدم اقول : ان اتهام الأمام ابن جرير بالتشيع بناء على الفهم الخاطئ لرأيه في المسح على الرجلين في الوضوء ،

---

(١) انظر الطبرى ومنهجه في التفسير ص ١٦٨٠

(٢) البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٤٦ ـ ١٤٧٠٠

بعيد عن الحق ، ومجانب للصواب ، ومخالف للمنهج العلمى ، لأن الامام ابن جرير خالف الشيعة فى هذه المسألة ، فهم يرون وجـــوب المسح على الرجليـــن ، وعدم جواز غسلهما .

وهو يرى وجوب غسلهما ، ويوجب مع غسلهما دلكهما الذى عبر عنـــه بالمسح ، أضف الى ذلك أن بعض العلماء ذكروا أن الذى ينســـب اليه القول بالمسح على الرجلين هو محمد بن جرير بن رستم الطبرى الشيعى المذهب ، ونزهوا الامام ابن جرير عن ذلك .(١)

ولو سلمنا جدلا أن الامام ابن جرير وافق الشيعة فى هـــذه المسألة الفرعية ، فانه لا يثبت بها ميله للتشيع ، لأنه يختلف معهـم فى معتقدات جوهريـــة ، كما سنرى ذلك من خلال هذا الفصـــل ان شاء الله تعالى . وحتى فى مجال دائرة الوضوء اختلف الامـــام ابن جرير مع الشيعة حيث قال بجواز المسح على الخفيـن وان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك .(٢) واقل ما يمكن أن نقول فـــى رأى الامام ابن جرير فى المسح على القدميـــن جدلا ـ انه دليـــل قابل للاحتمال ، فمن المحتمل أن الامام ابن جرير عبر عن الدلـــك بالمسح ، وهو الأظهر ، ومن المحتمل أنه عنى جواز مسح الرجليـــن اجتهادا لا تشيعـــا ، وعلى كل حال فالدليل تطرق اليه الاحتمال ، وما دام تطرق للدليل الاحتمال فانه يسقط به الاستدلال . وعلى هـــذا الاساس فلا يصلح هذا السبب دليلا لاتهام الأمام ابن جرير بالتشيع .

---

(١) انظـــر المصدر نفســـه حـ ١١ ص ١٤٦ .

(٢) جامع البيان حـ ٦ ص ١٣٥ .

(٣) انفراده بمذهب مستقل ، وعدم اتباعه لمذهب من المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة •

كان هذا السبب من وجهة نظر اعدائه من الأدلة التى استدلوا بها على تشيع الامام ابن جرير ، أو موالاته للشيعة •

وقد ذهب الى هذا الرأى الخوانسارى حيث يقول : " بل ظنى يذهب الى كونه أيضا من جملة أهل مذهب الحق من جهة كونه أولا من أهل بلدة كانوا قديمى التشيع ، بل متصلبين فى هذا الأمر ، وخصوصا فى زمن سلاطين آل بويه الاماميين المتعظمين ، وثانيا من جهة تأليفه فى حديث الغدير بخصوصه كما عرفته ••• وثالثا عدم قبوله أحدا من المذاهب الأربعة التى انحصر فيها أهل السنة"(١) •

أما عدم قبول الامام ابن جرير مذهبا من المذاهب الأربعة المعروفة التى انحصر فيها أهل السنة ـ على حد تعبير هذا الكاتب الشيعى ـ فلا يصلح أن يكون دليلا علميا على اتهام الامام ابن جرير بالتشيع وذلك لأنه يخالف الحقائق التالية :

أ ـ درس الامام ابن جرير الفقه على المذاهب كلها كما يقول ابن النديم • وكما وضحنا ذلك سابقا (٢) ، الا أنه اعتنى بفقه الامام الشافعى عناية خاصة وتعمق فيه كثيرا ، وأفتى به ببغداد عشر سنين • ثم فتح الله عز وجل عليه ، وأهله للاجتهاد المطلق وكون مذهبا خاصا به عرف بالمذهب الجريرى ، وكان له اتباع وتلاميذ ، دافعوا عن مذهبه ، وألفوا فيه المصنفات العديدة •

---

(١) روضات الجنات جـ ٧ ص ٢٩٥ •

(٢) انظر الفصل الرابع ص ١٣٥ـ ١٣٦

ب ـ لا يلزم من عدم اتباعه مذهبا من المذاهب الأربعة ان يكون منتميا الى مذهب الشيعة ، لأنه لا يوجد نص فى الاسلام يلزم المسلم باتباع مذهب من المذاهب الأربعة ، ويحرم على العلماء المجتهدين الذين لديهم الاهلية الكافية للاجتهاد الخروج عليهم وتكوين مذهب مستقل بهم ، اضف الى ذلك أنه لا يوجد نص فى الاسلام يمنع المسلم من الاجتهاد المطلق اذا توفرت لديه الأهليه الكاملة التى تمكنه من ذلك .

وقد حارب علماء السلف التعصب المذهبي فى كل وقت . بكل الوسائل الممكنة لديهم ، دفاعا عن دين الله عز وجل ، وحماية للمسلمين من شر المصائب التى جرها عليهم التعصب المذهبى الأعمى .

وعلى هذا فان القول بان أهل السنه انحصروا فى المذاهب الأربعة مغالطة واضحة يهدف الشيعة من ورائها الطعن فى علماء أهل السنة ، والواقع أن أهل السنة لا ينحصرون فى هذه المذاهب الأربعة ، وان كانت هى المقدمة عندهم . بل هناك مذاهب معتبرة بجوارها كالمذهب الظاهرى ، وهناك دعوة متجددة فى كل حين لفتح باب الاجتهاد المطلق لمن تتوفر فيه الشروط الكافية لذلك .

وبناء على ما سبق فان اتهام الامام ابن جرير بالتشيع لأنه لم يتبع مذهبا من المذاهب الأربعة كذب وافتراء ، ولا يستند الى اساس علمى صحيح .

(٤) كونه من أهل بلدة قديمى التشيع ، وقد اعتبر هذا السبب من بين الاسباب التى ترجح اتهامه بالتشيع ، عند الخوانسارى كما رأينا ذلك فى كلامه السابق . وهذا السبب لا يصلح أن يكون دليلا علميا

علــى صحة اتهام الامام ابن جرير بالتشيع ، لأنه لا يلزم من كون معظم أهل بلدته من الشيعة أن يكون شيعيا ، لأن ذلك مخالف للواقــع، فنحن نجد أن بلدا من البلدان معظم أهلها كفرة ، لكننا نجد فيــه بينهم طائفة من المسلمين ، وبلدا أكثر أهله من السنة ويوجد بينهــم شيعة ، وبالعكس، ومن جهة أخرى فان الامام ابن جرير رحل عــن بلده في سن مبكرة جدا ، ولما رجع اليها ووجد الرفض منتشرا بيــن أهلها وسب الصحابة وخاصة سب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما شائعــا بينهم ، كتب في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما • فلو كان شيعيــا أو متعاطفا معهم ، لما فعل ذلك ، ورد على الشيعة من أهل بلده •

(٥) كونه درس على شيوخ اتهــم بعضهم بالرفض •

يعتبــر هذا السبب من الاسباب التي تمسك بها اعداؤه في دعــم رأيهم بأنه كان شيعيا ، أو على الاقل متعاطفا مع الشيعة ، فقــد درس الحديث في الري مثلا على محمد بن حميد الرازي الذي اتهــم بالتشيع ، ويعتبر الرازي في نظر خصوم الامام ابن جرير احد القنــوات الرئيسيــة لمعلومات الامام ابن جرير عن الشيعة • (١)

وهذا سبب لا يعتد به من الناحية العلمية ، وذلك لأن ابن حميــد كان متهما من قبل اشخاص ، وموثقا من قبل كثيرين ، ثم ان الامــام ابن جرير لم يقتصر في دراسته على ابن حميد ، بل اخذ العلم عــن مشاهير علماء الحديث ، اغلبهم من شيوخ البخاري ومسلم ، وكانــت الغالبية العظمى منهم من أهل السنة الذين لم يتهموا بالتشيع • ولا يلــزم من كون بعض شيوخه اتهموا بالتشيع أن يكون متهما هو كذلك لأن كثيــرا من التلاميذ خالفوا شيوخهم في كثير من المسائل ، وفاقوهم في التحصيل العلمي •

---

(١) انظر الاقوال في اتهام الطبري بالتشيــع ص ٩ •

(٦) كونه نقل فى تفسيره شعرا للكميت الشاعر الشيعى المعروف ٠(١)

يعتبر هذا السبب من جملة الاسباب التى ادت الى اتهام الامام ابن جرير بالتشيع٠

والواقع أن هذا السبب لا يصلح دليلا للاحتجاج به على اتهام الامام ابن جرير بالتشيع وذلك للامور التالية :

أ ـ كان الامام ابن جرير ينقل الشعر فى تفسيره لتوضيح معانى القرآن ولم يكن يقصد من وراء ذلك الدعاية السياسية والمذهبية لوجهات نظر الشعراء الذين كان ينقل عنهم ، فالشعر الذى نقله عن الكميت كان من أجل توضيح معنى قوله تعالى (حم)٠ يقول الامام ابن جرير : " اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (حم) فقال بعضهم ٠٠٠ ، وقال أخرون بل هو اسم واحتجوا بقول ٠٠٠ ويقول الكميت ٠

وجدنا لكم فى آل حا ميم أية ** تأولها منا تقى ومعرب (٢)

ب ـ نقل الامام ابن جرير فى تفسيره كذلك شعرا للشاعر الاموى عبد الله بن قيس الرقيات حيث يقول :

ما نقموا من بني أميـــة ** الا أنهم يحلمون ان غضبوا (٣)

فلو كان الامام ابن جرير شيعيا أو ميالا للشيعة لما نقل فى تفسيره شعرا لشاعر يمدح بنى امية اعداء الشيعة الآلداء٠

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٥٤٠

(٢) جامع البيان حـ ٢٤ ص ٣٩ ـ ٤٠٠

(٣) المصدر نفسه حـ ٦ ص ٢٩٢٠

(٦) وجود صلة صداقة تربطه بأحمد بن عيسى العلوى.(١)

يعتبر هذا السبب من بين الاسباب التى أدت الى اتهام الامام ابـــن جرير بالتشيـــع.

فقد ذكر بعض المؤرخيـــن أن ابن عيسى العلوى كتب للامام ابـــن جرير يعاتبه على جفائه له شعرا قال فيه :

الا ان اخوان الثقات قليـــــل ** وهل لى الى ذاك القليل سبيل

سل الناس تعرف غثهم من سمينهم * فكل عليه شاهد ودليـــــل

فأجابه الامام ابـــن جرير قائــــلا :

يسىء أميرى الظن فى جهد جاهد * فهل لى بحسن الظن منه سبيل

تأمل اميرى ما ظننت وقلتــــــه * فأن سبيل الظن منك جميـــل (٢)

وقد وجد أعداء الامام ابن جرير فى رده على الامير العلـــوى اخلاصا له ، ورغبة فى أن يحسن الظن به (٣) ، ولا يتأتى هذا الا مـــن شخص له نزعات شيعية ، ويمكن أن يقال فى هذا السبب انه ينقصـــه الدليل العلمى القاطع الذى يثبت أن العلاقة التى كانت بينهما كانـــت قائمة على أساس المبادىء الشيعية.

فليس مجرد وجود صداقة بين شخصيـــن أحدهما متهم بالبدعة، دليـــلا كافيا لاثبات أن الأخر يشارك صاحبه فى بدعته ، وانه سائر على منهجه ، أضف الى ذلك أن المؤرخين الذين ترجموا للامام ابن جرير لم يذكـــروا لنا شيئا عن طبيعة هذه العلاقة ، فلو كانت قائمة على اساس التشيـــع

---

(١) هو أحمد بن عيسى بن زيد بن على ابو عبد الله الحسينى العلوى الطالبـــى من زعماء الزيدية فى العصر العباسى ، كان فى أيام الرشيد فى المدينة ونشــــأ فاضلا عالما بالدين والحديث توفى سنة (٢٤٧هـ) انظر الاعلام حـ ١ص ١٨٢.

(٢) تاريخ بغداد حـ ٢ ص١٦٦ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص٤٤.

(٣) انظر الطبرى للحوفى ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤..

لما اغفلوا ذكرهـــا • مما يؤكد أنها كانت علاقة طبيعية لا تمت الـــى التشيـــع بأدنى صلـــة •

(٧) كتـــاب بشـــارة المصطفـــى • نسب هذا الكتاب الى الامام ابـــن جرير خطـــأ •

وهذا الكتاب يتحدث عن منزلة التشيـــع ، ودرجات الشيعة ، وكرامـــات الأوليـــاء •

والصواب أنه لمؤلف شيعى يشبهه فى الاسم ولكنه متأخر عنه فى الزمن ، وهو أبو جعفر محمد بن على بن مسلم الاملى من علماء القرن السادس(١) ، وقد استغل اعداء الامام ابن جرير نسبة هذا الكتاب اليه خطأ واتهموه بالتشيع ، وما دام أن الكتاب لم يكن من تأليفه ، فان هذا السبب ساقط من الناحية العلمية لأنه قائم على الوهم والخلط•

ويتصل بهذا السبب سبب آخر هو أن بعض كتاب الشيعة نقـــل كلاما نسبه للامام ابن جرير بعد خوف الاسناد فى موضع ، واغفال اسم الكتاب الذى نقل منه الكلام فى موضع آخر ، والنصوص التى نقلوهـــا ونسبوها للامام ابن جرير قريبة من اسلوب الشيعة ، وتخالف أسلـــوب الامام ابن جرير مخالفة جذرية ، يقول الخوانسارى : " ثم ليعلـــم أن من جملة مناسبات هذا الحديث هو ما ورد فى مؤلفات الرجـــل أن من أراد رؤية احد من الأنبياء أو الأئمة ، أو أخذ من المؤمنين ، أو الناس أو الوالدين فى نومه فعليه بهذه الأيات " (٢) •

---

(١) انظر مقدمة محقق تاريخ الطبرى حـ ١ ص ٢٠ نقلا عن الذريعة الـــى مصنفات الشيعة حـ ٣ ص ١١٧•

(٢) روضات الجنات حـ ٧ ص ٢٩٧•

ويمكن أن يقال انه ينقصه الدليل العلمي على اثبات نسبة هذا الكلام الى الامام ابن جرير ، فلو كان الشيعة علميين حقا لذكروا لنا اسم الكتاب الذى نقلوا منه هذا الكلام المنسوب الى الامام ابن جرير وما داموا لم يذكروا لنا اسم الكتاب فان الاعتراض سيبقى قائما وهو أن هذا السبب لا يصلح أن يكون دليلا علميا على اتهام الامام ابن جرير بالتشيع ، اضف الى ذلك أن هذا الكلام يخالف اسلوب الامام ابن جرير فى الكتابة ، لأن الامام ابن جرير لا يمتد بمثل هذه الأمور . وبناء على ذلك فانه لا يصح بحال من الاحوال أن يتهم امام مثل الامام ابن جرير بالتشيع بناء على أقوال نسبها الشيعة اليه لا تعرف درجة نسبتها اليه من الصحة أو البطلان .

(٨) الخلط بينه وبين محمد بن جرير بن رستم الامامى .

كان للخلط بين الاسمين أثر كبير فى اتهام الامام ابن جرير بالتشيع ، وقد زعم بعض اعداء أهل السنة أن الامام ابن جرير بن يزيد هو نفسه محمد بن جرير بن رستم . فقد كان اسم جده رستما قبل الاسلام فلما اسلم تسمى بيزيد ، وقد كان يكتب لأهل السنة باسم محمد بن جرير ابن يزيد وكان يكتب للشيعة باسم محمد بن جرير بن رستم . (١)

وقد كفانا كتاب الشيعة انفسهم مهمة البحث عن أوجه الخلاف بين الاسمين واثبتوا أنهما شخصان لا شخصا واحدا . فقد ذكروا جميعا وجوب التفريق بين الامام ابن جرير ، السنى العامى المذهب فى نظرهم ، وبين محمد بن جرير بن رستم الامامى . يقول الخوانسارى :

---

(١) انظر عمر الفاروق لبرويز ص ٥٠٤ .

" وفى كتاب مقامع الفضل لولد سمينا المروج البهبهانى فى جواب من سأله عن المراد بمحمد بن جرير الطبرى المتكرر ذكره فى كتب اصحابنا ما يكون صورته : محمد بن جرير الطبرى رجلان أحدهما ابن جرير بن غالب الطبرى الذى هو شافعى ومدحه النووى فى كتاب (تهذيب الاسماء) وهو صاحب التاريخ والتفسير المشهورين والآخر محمد بن جرير بن رستم صاحب كتاب المسترشد ، وكتاب الايضاح ، ولا شبهة فى كونه من الشيعة وهو الذى قال ابن اخته ابو بكر محمد بن عباس الخوارزمى :

بآمل مولدى وبنو جرير ** فاخوانى (٢) ويحكى المرء خاله

فها أنا رافضي عن تراث ** وغيرى رافضى عن كلالة

" ... ثم ان من جملة من تعرض من علماء رجالنا لذكر هذين الطبريين السميين الكنيين متصلين تبعا لسائر من جمع منا فى هذا هو الفاضل الشيخ ابو على الحائرى الرجالى المتتبع الخبير حيث ذكره فى كتابه بمثل هذا التقرير : محمد بن جرير ابو جعفر الطبرى عامى له كتاب " الرد على الحرقوصيه " وذكر طريق خبر يوم الغدير ....

وفى الفهرست : ابن جرير ابو جعفر صاحب التاريخ عامى المذهب له كتاب غدير خم ... وفى " الخلاصة " ابن جرير بالجيم والراء قبل الياء وبعدها الطبرى ، صاحب التاريخ عامى المذهب ... أقول الذى فى باب محمد بن جرير بن يزيد الطبرى عامى له كتاب " غدير خم " وشرح أمره سماه كتاب " الولاية ".(٢)

---

(١) الصواب فاخوالى انظر معجم البلدان حـ ١ ص٥٧.

(٢) لم يذكر احد من المؤرخين الذين ترجموا للامام ابن جرير أنه شرح أمر غدير خم ، ولا اسم هذا الكتاب " الولاية " من بين كتبه. ولعله من كتب كتاب الشيعة..

وفي (مشكا) ابن جرير ابو جعفر الطبرى العامى صاحب التاريخ والتفسير ٠٠٠٠٠٠٠
٠٠ محمد بن جرير بالجيم قبل الراء ابن رستم الطبرى الأُملى ٠ ابو جعفر جليل من أُصحابنا كثير العلم حسن الكلام ثقة فى الحديث، له كتاب المسترشد فى الامامة ٠٠ وفي (ست) ابن جرير بن رستم الطبرى يكنى أبا جعفر دين فاضل وليس هو صاحب التاريخ فانه عامى المذهب ٠٠٠ وقال المولى محمد على بن محمد رضا الساروى فى (كتاب توضيح الاشتباه) محمد بن جرير بن رستم الطبرى الأُملى ابو جعفر جليل من أُصحابنا ثقة فى الحديث ، وهو غير محمد بن جرير ابو جعفر الطبرى صاحب التاريخ عامى المذهب (١)))

ولا يهمنى فى كلامهم السابق ، الغمز والطعن فى الامام ابن جرير، لأنه كلام تافه لا ينبغى الالتفات اليه ، فمقام الامام ابن جرير أعلى واعظم ، وارفع وأجل من المستوى الذى وصفوه به ، وانما يهمنى من كلامهم هو اعتراضهم بوجوب التفرقة بين الرجلين ،وأن الرستمى من جماعتهم ، لأن فى اعتراضهم بذلك رد على من يسمون بجماعة القرآن بباكستان ، الذين زعموا انهما شخص واحد ٠ ورد كذلك عن من يزعم أن الامام ابن جرير كان يكتب للروافض ، ويلفق الاحاديث النبوية خدمة لاغراض الشيعة ٠ يقول الحافظ ابن حجر فى تبرئة الامام ابن جرير من ذلك : (أقذع احمد ابن على السليمانى الحافظ فقال : كان يضع للروافض ، كذا قال السليمانى ٠ وهذا رجم بالظن الكاذب ، بل ابن جرير من كبار أئمة الاسلام المعتمدين ،وما ندعى عصمته من الخطأ ،ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى ، فان كلام العلماء بعضهم فى بعض ينبغى أن يتأنى فيه ولا سيما فى مثل امام كبير ، فلعل السليمانى أراد الاتى ـ يعنى محمد بن جرير بن رستم ـ ولو حلفت أن السليمانى ما أراد الا الأتى لبررت والسليمانى حافظ متقن كان يدرى ما يخرج من رأسه ، فلا أعتقد أنه يطعن فى مثل هذا الامام بهذا الباطل والله اعلم ٠٠٠٠٠

---

(١) روضات الجنات مقتطفات من حـ ٧ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥

وقد اغتر شيخ شيوخنا ابو حيان بكلام السليماني فقال في الكلام على الصراط في أوائل تفسيره • وقال ابو جعفر الطبري وهو امام من ائمة الامامية (الصراط بالصاد لغة قريش) الى آخر المسألة • ونبهت عليه لئلا يغتر به • فقد ترجمه أئمة النقل في عصره وبعده فلم يصفوه بذلك • وانما ضره الاشتراك في اسمه واسم ابيه ونسبته وكنيته ومعاصرته وكثرة تصانيفه والعلم عند الله تعالى ، قاله الخطيب) (١)

وقال في ترجمة محمد بن جرير بن رستم (رافضي له تواليف منها كتاب الرواة عن أهل البيت ، رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني انتهى ، وقد ذكره ابو الحسن بن بابويه في تاريخ الري بعد ترجمة محمد بن جرير الامام فقال : هو الاملي • قدم الري ، وكان من جملة المتكلمين على مذهب المعتزلة وله مصنفات ، روى عن الشريف ابو محمد الحسن بن حمزة الرعيني ، وروى ايضا عن ابي عثمان المازني وجماعة وعنه ابو الفرج الاصبهاني في أول ترجمة ابن الاسود من كتابه ، وذكر شيخنا (٢) في الذيل بما تقدم أولا ،وكأنه سقط من نسخته أراد الاتي بعد لعل السليماني الى آخره وكأنه لم يعلم بأن في الرافضة من شاركه في اسم واسم أبيه ، ونسبه وانما يفترقان في اسم الجد ، ولعل ما حكي عن محمد بن جرير الطبري من الاكتفاء في الوضوء بمسح الرجلين انما هو هذا الرافضي فانه مذهبهم) (٣) •

وبناء على ما تقدم اقول : ان اتهام الامام ابن جرير بالتشيع واتهامه بوضع الاحاديث النبوية خدمة لاغراض الشيعة كذب وافتراء ولا يستند الى أساس علمي صحيح لانه قائم على الوهم والظن نتيجة لتشابه اسمه وكنيته ونسبته مع محمد بن جرير بن رستم الامامي ، والخلط بينهما في الاراء والمؤلفات والله تعالى أعلم •

ويتصل بهذا السبب سبب آخر شديد الصلة به ، وهو أن الشاعر ابابكر العباس بن محمد الخوارزمي كان يزعم انه خال الامام ابن جرير، وكان ينسبه الى الرفض ، يقول السمعاني في ترجمة الخوارزمي (وقيل له الطبري لانه ابن أخت

---

(١) لسان الميزان جـ ٥ ص ١٠٠ـ١٠١

(٢) اي الحافظ العراقي

(٣) المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٠٣ وانظر سير اعلام النبلاء جـ ٩ /٣/ل ٤٢٢

محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ،وانما ينتسب اليه عرضا) (١) وقد كان الخوارزمى سبابا رافضيا مجاهرا بذلك متبجحا به ، فاغتنم عداء الحنابلة للامام ابن جرير ورميهم له بالرفض ، وراح يتبجح بذلك ويقول :

بآمل مولدى وبنو جرير ٠٠٠٠٠ فاخوالى ويحكى المرء خاله

فها أنا رافضى عن تراث ٠٠٠٠٠ وغيرى رافضى عن كلالة

يقول ياقوت معلقا على كلام الخوارزمى : (وكذب ولم يكن ابو جعفر رحمه الله رافضيا ،وانما حسدته الحنابلة فرموه بذلك ،فاغتنمها الخوارزمى وكان سبابا رافضيا مجاهرا بذلك متبجحا به) (٢) ٠

بيد أن كتاب الشيعة اعترفوا بأن الخوارزمى ابن اخت طبريهم فقد قال الخوانسارى نقلا عن صاحب المقامع : (وقد اشتبه الامر على صاحب معجم البلدان حيث كذب الخوارزمى فيما نسبه الى خاله ٠ ثم يمضى الخوانسارى قائلا : (والظاهر أن الاشتباه من صاحب المعجم انما هو من جهة زعمه الخوارزمى المذكور ابن اخت طبريهم المؤرخ المشهور ، وأنت اذا تأملت فى كتب رجال الشيعة وفى تقدم طبقة هذا الطبرى على الخوارزمى قريبا من مائة سنة ، علمت أن ابا بكر المذكور لم يكن ابن اخته ، وان ذكره ابن خلكان أيضا لمنافاة هذا الكلام منه مع ما ذكره من تاريخ وفاة الخوارزمى وعليه فلا اشتباه فى تكذيب من خال الرجل خاله ، ثم كذب من نسب اليه الرفض وأحاله ، وحق ما ذكره صاحب المقامع من كونه ابن اخت طبرينا المحدث الامامى لانه متأخر عن سميه الاول بما يوافق خاليته للثانى فليتأمل ولا يغفل) (٣) ٠

الا أن الخوانسارى تراجع عن هذا الرأى من أجل النيل من عرض الامام ابن جرير وحشره بدون دليل فى طائفتهم ، حيث يقول (وعليه فلا يبعد أن يكون كلام صاحب المعجم ايضا صدقا على معتقد نفسه فى اسناد نسبة كلام ابى بكر الخوارزمى مذهب الرفض الى المذكور ، بمعنى كونه ابن اخت هذا الرجل دون ذلك الطبرى المسلم ثقته

---

(١) الانساب حـ ٥ ص ٢١٣ (٢١٤) وانظر اللباب حـ ٢ ص ٢٧٣ وفيات الاعيان حـ ٤ ص ٤٠٠

(٢) معجم البلدان حـ ١ ص ٥٧

(٣) روضات الجنات حـ ٧ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤

وشيعيته ،كما توهمه صاحب المقامع ، وان كان فى تكذيبه الرجل فى كونه ولد حلال يشبه من جهة مذهبه بالخال كذبا . وهذا ومن جملة ما يرجح صحة هذه النسبة دون الاخرى كونها منقولة برواية صاحب المعجم الذى هو مقدم على صاحب المقامع فى أمثال هذه المواضع بلا مخالف ولا منازع وخصوصا مع ما ظهر لك من اشتباهه ايضا فى مذهب الرجل نفسه حيث زعمه شافعيا ، وقد نص ابن خلكان الموثق المسلم عند الكل فى امثال هذه المراحل على خلافه) .(١)

وتعقيبا على كلام الخوانسارى أقول :ـ

أ ـ ان ياقوت لم يشتبه فى مذهب الامام ابن جرير ،بل ذهب الى ما ذهب اليه الجمهور وصرح به الامام ابن جرير نفسه من أنه كان شافعى المذهب فى بداية أمره ، ثم أداه اجتهاده فى نهاية الامر الى تكوين مذهب مستقل به ويبدو أن ابن خلكان حين قال ان لم يتقلد مذهبا من المذاهب الاربعة انه نظر الى ما انتهى اليه الامام ابن جرير فى آخر أمره ، وعليه فلا تعارض بين كلام ياقوت وابن خلكان .

ب ـ ان ياقوت كان بصدد تكذيب الخوارزمى حين نسب الامام ابن جرير للرفض ولو كان يعلم أنه كان يقصد خاليته لطبريهم لما اعترض على ذلك .

جـ ـ ذكر الخوانسارى هذا الكلام بصيغة الاحتمال بعد أن جزم فى الرواية الاولى أنه ابن اخت طبريهم ، والدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

د ـ لا يضر الامام ابن جرير ان يكون الخوارزمى ابن اخته ـ ان صحت نسبته اليه ولا يترتب على ذلك أن يكون الامام ابن جرير شيعيا لان ابن اخته شيعيا ، كما ان كون الخوارزمى ابن اخت الامام ابن جرير ينقصه الدليل العلمى القاطع لاثبات صحة هذه النسبة واقل ما يمكن ان يقال فيه انه دليل تطرق اليه الاحتمال وبناء على ذلك فلا يصلح أن يكون دليلا على اتهام الامام ابن جرير بالتشيع.

---

(١) المصدر نفسه جـ ٧ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧

المبحث الثالث

مقارنة بين آراء الشيعة ، وآراء الامام ابن جرير

بعد أن انتهينا من مناقشة أهم الاسباب التى تعلق بها اعداء الامام ابن جرير فى اتهامهم له بالتشيع ، وبينا بالادلة العلمية بطلانها وتفاهتها ، وأنها لا تصلح كأدلة علمية على اتهامه بالتشيع ـ نزيد الأمر وضوحا بدفع هذه التهمة الباطلة عنه بعقد مقارنة بين بعض آراء الشيعة الاساسية ، ورأى الامام ابن جرير فيها ، ليتضح لنا الخلاف الكبير بينه وبينهم ، مما يؤكد براءته من تهمة التشيع التى الصقت به ظلما وعدوانا . وفيما يلى بيان ذلك :ـ

(١) عصمة الأئمة :

يعتقد الشيعة أن الانبياء معصومون على الاطلاق ، ولا يجوز وقوع المعصية منهم سواء أكانت المعصية كبيرة أو صغيرة ، ولا يقعون فى أى نوع كان من الخطأ ، كما لا يقع منهم النسيان ، فالشيعة يتمسكون بمبدأ عصمة الأنبياء كمخرج يؤدى الى عصمة أئمتهم ، لان الحفاظ على الشريعة عندهم ـ يقع على عاتق الائمة ، فاذا انكرنا عليهم العصمة ، فان كل شئ سيكون عرضة للضياع ولن تكون هناك سبيل لمعرفة الحقيقة ، فالامامة عندهم تستوجب العصمة ، والعصمة لا تحددها جمهرة العامة من الناس ، وذلك لانهم من الجهل بحيث انهم لا يعرفون ما اذا كان هذا الرجل معصوما أم لا ؟ ولهذا السبب حرموا من اختيار الامام . فالامامة عندهم تنتقل من امام الى آخر بميعاد مؤقت وليس بالانتخاب ، ولا رغبة العامة (١) . والله سبحانه وتعالى وحده الذى يحدد من يكون الامام ، لانه وحده العالم من هو المعصوم . يقول صاحب كتاب فى ظلال الوحى (العصمة الملكة التى تمنع من صدور الذنب

---

(١) انظر عقائد الامامية ص ٥٠

عن اختيار وارادة ، والعصمة من أهم الخصائص التي يعتقد الامامية ثبوتها للامام حتى أصبحت وصفا لازما له ، وهي شرط في امامة الائمة الاثنى عشرية وشرط في القول بصحة ما يصدر عن الائمة من العلوم والتشريعات والوان السياسة والتدبير) (١)

ويقول الشيخ محمد رضا المظفر : (ونعتقد أن الامام كالنبي ـ يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل . والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سنن الطفولة الى الموت عمدا وسهوا ، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان لأن الائمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذى اقتضانا أن نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الائمة بلا فرق) (٢) .

أما الامام ابن جرير فانه يعتقد بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا أنه يجوز عليهم وقوع بعض الذنوب منهم ، لان ذلك ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولا يتحرج من اطلاق ما اطلقه الله سبحانه وتعالى على بعض أنبيائه من الخطأ والعصيان ، والسهو والنسيان مخالفا للمؤولين والشيعة الا أن الانبياء لا يقرون على ذلك في نظره ، ويدل على اعتقاد الامام ابن جرير في ذلك قوله في هم يوسف عليه السلام حيث يقول (وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى برهان ربه ، وذلك أية من ايات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة ... والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى والايمان به ، وترك ما عدا ذلك الى عالمه) (٣) .

وسنفصل القول في مذهب الامام ابن جرير في عصمة الانبياء في مبحث مستقل في الباب الثاني من هذا البحث ان شاء الله تعالى .

---

(١) في ظلال الوحي ص ١٥
(٢) عقائد الامامية ص ٥١
(٣) جامع البيان جـ ١٢ ص ١٩١

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير خالف الشيعة في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام • والذى هو الاساس عند الشيعة في عصمة الائمة ، أضف الى ذلك أن الائمة في نظره معرضون للخطأ والصواب في أقوالهم وافعالهم مخالفا للشيعة الذين لا يجوزون على ائمتهم الخطأ • وقد جاء ذلك في رفضه لتفسير على بن أبي طالب وابن عباس رضى الله عنهما في تفسير قوله تعالى (واولات الاحمال اجلهن أن يضعن حملهن) (١) حيث ذهبا الى أن المقصود من قوله عز وجل في هذه الاية هو أنه خاص في المطلقات ، فقد اعتبر هذا التفسير مجانب للصواب لان الصواب فيها من وجهة نظره أنه عام في المطلقات والمتوفى عنهن ، لان الله عز وجل عم بذلك ، ولم يخصص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفى عنها ، بل عم الخبر به عن جميع أولات الاحمال) (٢)

فلو كان الامام ابن جرير شيعيا لما خالف تفسير على بن أبي طالب رضى الله عنه • واعتبره مجانبا للصواب ، ولو كان الائمة معصومين في نظره لما خطأ رأى على بن ابى طالب وخالف رأيه • وفي صنيع الامام ابن جرير هذا مخالفة واضحة لمذهب الشيعة في قضية اساسية من قضايا العقيدة عندهم •

(٢) الرجعة :

يعتقد الشيعة عن بكرة أبيهم بالرجعة ، فكل من قرأ كتبهم وعرف مذهبهم يعلم بأنهم ما قالوا بامامة أحد من على رضى الله عنه الى ابن الحسن العسكرى المزعوم الا واعتقدوا رجعته بعد موته (٣) •

يقول محمد رضا المظفر : (ان الذى تذهب اليه الامامية آخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات الى الدنيا في صورهم التى كانوا عليها فيعز فريقا • ويذل فريقا آخر ، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدى آل محمد

(١) الطلاق ٤
(٢) انظر جامع البيان حـ ٢٨ ص ١٤٤
(٣) انظر الشيعة والسنة ص ٦٥

عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، ولا يرجع الا من علت د رجته في الايمان أو من بلغ الغاية من الفساد ، ثم يصيرون بعد ذاك الى الموت ، ومن بعده الى النشور ، وما يستحقونه من الثواب أو العقاب) (١)

اما الامام ابن جرير فقد خالف الشيعة في الرجعة ، وانكر رجوع الاموات الى الحياة بعد مماتهم ، لان الله عز وجل لم يكن بالذى يميتهم ميتة أخرى ، وقد عبر عن ذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى) (٢) فقال في تفسيرها بعد أن ذكر أن الاخبار تواترت في نزول عيسى عليه السلام الى الارض ، وذكر طرفا منها (ومعلوم أنه لو كان قد أماته لم يكن بالذى يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين ، لان الله عز وجل اخبر عباده انه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم) (٣) نلاحظ في كلام الامام ابن جرير انكارا للرجعة بالمفهوم الشيعي ، لان الرجعة عندهم اماته ثم احياء ثم اماته ثم بعث يوم القيامة ، بينما يرى الامام ابن جرير ان الله سبحانه وتعالى احيا الناس بخلقه ثم يميتهم ، ثم يحييهم يوم القيامة ، ولا يجمع على عباده ميتتين •

(٣) النسخ والبداء :

يرى الشيعة أن النسخ غير مقتصر على مجال التشريع بل يشمل كل المجالات • فالمعاملات عندهم شأنها شأن الاخبار عرضة للنسخ ، وينبغي أن ينظر الى مبدأ النسخ – عندهم – على ضوء عصمة الائمة لان النسخ كما يقولون هو أحد مبررات وجود عصمة الائمة الذين يقومون بدورهم بتوضيح الناسخ من المنسوخ في القرآن للناس ، وبدون عصمة الائمة فان الحصول على مثل هذه المعلومات مستحيل ، وبما أن النسخ يأتي من الائمة المعصومين –عندهم– فالنقاش حول هذه القضية غير مسموح به عندهم • (٤) •

---

(١) عقائد الامامية ص ٦٧

(٢) آل عمران ٥٥

(٣) جامع البيان جـ ٣ ص ٢٩١

(٤) انظر الاقوال في اتهام الطبري بالتشيع ص ١١٦ نقلا عن Shabbir Haqq ?: 182

وقد قادهم هذا القول الى معتقد أخر عرف بالبداء • والبداء عند المتقدمين منهم هو أن لله (أن يبدأ بشئ من خلقه فيخلقه قبل شئ ، ثم يعدم ذلك الشئ ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله ، أو ينهى عن شئ ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشاريع ، وتحويل القبلة ،وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولا يأمر عباده بأمر فى وقت ما الا وهو يعلم أن الصلاح لهم فى ذلك الوقت فى أن يأمرهم بذلك ،ويعلم أن فى وقت آخر الصلاح لهم فى أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به ، فاذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم (١)

أما المتأخرون منهم فقد ذهبوا الى أن معنى البداء هو الظهور بعد الخفاء بمعنى ظهور الشئ بعد خفائه ، بمعنى أن الله أبان لخلقه ما كان مخفيا عنهم : يقول كاشف الغطاء : (اما البداء الذى تقول به الشيعة ، والذى هو من أسرار آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وغامض علومهم حتى ورد فى أخبارهم الشريفة أنه ما عبد الله بشئ مثل القول بالبداء ،وأنه ما عرف الله حق معرفته من لم يعرفه بالبداء — الى كثير من امثال ذلك — فهو عبارة عن اظهار الله جل شأنه أمرا يرسم فى الواح المحو والاثبات ، وربما يطلع عليه بعض الملائكة المقربين أو أحد الانبياء والمرسلين ، فيخبر الملك به النبى ، والنبى يخبر أمته لم يقع بعد خلافه لانه جل شأنه محاه وأوجد فى الخارج غيره ، وكل ذلك كان جلت عظمته يعلمه حق العلم ، ولكن علمه المخزون المصون الذى لم يطلع عليه لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ، ولا ولى ممتحن • وهذا المقام من العلم هو المعبر عنه فى القرآن الكريم (بأم الكتاب) المشار اليه والى المقام الأول بقوله تعالى (يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٢) ولا يتوهم الضعيف أن هذا الاخفاء والابداء يكون من قبيل الاغراء بالجهل ، وبيان خلاف الواقع ، فان فى ذلك حكما ، ومصالح تقصر عنها العقول • وتقف عندها الالباب ، بالجملة

---

(١) التوحيد للقمى ص ٣٣٥

(٢) سورة الرعد ايه (٣٩)

فالبداء في عالم التكوين ــ كالنسخ في عالم التشريع ، فكما أن لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح واسرارا بعضها ظاهر ، فكذلك في الاخفاء والابداء في عالم التكوين) (١) .

اما الامام ابن جرير فقد خالف الشيعة في النسخ والبداء ، حيث وقف من النسخ موقفا معتدلا بعيدا عن الافراط والتفريط ، والتطرفات المذمومة ، فقد رفض انكار النسخ ، ورفض في الوقت نفسه المغالاة في تطبيقه ، فالنسخ عنده مقتصر على مجال التشريع فقط ، أما الاخبار فلا يجوز أن تتعرض للنسخ بحال من الاحوال ، يقول الامام ابن جرير : (والأخبار لا يكون فيها نسخ ، وانما النسخ يكون في الامر والنهي) (٢) .

أما موقفه من مسألة البداء ، فسواء أكان على معنى البداء عند المتقدمين من الشيعة أو على معناه عند المتأخرين منهم ، فان الامام ابن جرير خالفهم في هذه المسألة ، لأنه يعتقد أن علم الله عز وجل غير محدود بزمان ، أو مكان ، فهو سبحانه يعلم ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون .

يقول الامام ابن جرير في تفسير قوله تعالى : (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير) (٣) (ان الله لا ينسى ولا يتغير علمه ، عليم بكل ما كان ويكون) (٤) . ويقول في تفسير قوله تعالى : ((فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) (٥) (فأما الذي هو عن الله منفي من مسألته خلقه ، فالمسألة هي استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ، ويعلمه المسئول ، ليعلم السائل علم ذلك من قبله ، فذلك غير جائز أن يوصف الله به لأنه العالم بالأشياء قبل كونها ، وفي حال كونها وبعد كونها) (٦) .

---

(١) اصل الشيعة واصولها ص ١٧٦ ــ ١٧٧ وانظر عقائد الامامية ص ٢٥

(٢) جامع البيان حـ ٣٠ ص ١٢ ، وانظر حـ ١ ص ٤٧٥ ، حـ ٩ ص ٢٣٨

(٣) سورة النحل آيه (٧٠)

(٤) المصدر نفسه حـ ١٤ ص ١٤٢

(٥) الاعراف آيه (٧)

(٦) المصدر نفسه حـ ٨ ص ١٢٢

هذا وقد كانت محنة القول بالبداء عظيمة بالنسبة للشيعة • حين جعلوا أئمتهم مطلعين على الغيب على ما كان وما هو كائن • وما سيكون الى يوم القيامة فظهرت عقيدة البداء كتبرير لما يقع مخالفا لتنبؤات أئمتهم • كما أن الظهور بعد الخفاء لا يصح الا على من لا يعلم الشيء ثم يعلمه ، وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال ، وليس البداء فى التكوين كالنسخ فى التشريع كما زعم المتأخرون من الشيعة كما رأينا ، لأن شرط البداء أن ينهى الله عن شيء مما سبق أن أمر به ، ويكون الفعل واحدا فى وقت واحد على وجه واحد • اما النسخ فهو ما اقتضى من الادلة الشرعية أنه لا يدوم ذلك ، لان الامر الشرعى يظل أمرا حتى تتم الحكمة من الامر به ، فان تم ذلك جاز النسخ أو تغيير الامر • اما البداء فيفيد الانتقال من حال الى حال •(١)•

أما رأى الامام ابن جرير فى المحو والاثبات فقد جاء واضحا فى تفسيره لقوله تعالى : ((يمحوالله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)) (٢) حيث يقول (وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ، وعنده أصل الكتاب وجملته وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، ثم عقب ذلك بقوله (وعنده ام الكتاب) فكان بينا أن معناه وعنده أصل المثبت منه والمحو وجملته فى كتاب لديه) ويقول ان المقصود بالمحو والاثبات فى هذه الآية هو (ان الله توعد المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقوبة وتهددهم بها وقال لهم (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب) (٣) يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مثبتا فى كتاب هم مؤخرون الى وقت مجيء ذلك الآجل ثم قال لهم ،فاذا جاء ذلك الأجل يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله ، وانقطع رزقه ، أو حان هلاكه ،أو اتضاعه ، من رفعة أو هلاك مال ، فيقضى ذلك فى خلقه ، فذلك محوه ، ويثبت ما شاء

(١) انظر نظرية الامامة ٣٧٩ ـ ٣٨٠
(٢) سورة الرعد آيه (٣٩)•
(٣) سورة الرعد آيه (٣٨)•

ممن بقى أجلـه ورزقه واكلـه فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه) (١)

فنحن نلاحظ أن الامام ابن جرير يخالف الشيعة فى المحو والاثبات ، فهـم يرون أن المحو والاثبات أمر يرسم فى الواح المحو والاثبات ، وربما يطلـع عليه بعض الملائكة المقربين أو احد الانبياء والمرسلين ، فيخبر الملك به النبـى والنبى يخبر امته لم يقع بعد خلافه لانه جل شأنه محاه وأوجـد فى الخـارج غيره ، بينما يـرى الامام ابن جرير أن الله عنده أصل المثبت منه والمحـو وجملته فى كتاب لديه ، وأن لقضاء الله فى عباده اجلا مثبتا فهم مؤخرون الـى مجئ ذلك الاجل ، فاذا جاء أجل من دنا أجلـه وانقطع رزقه او حـان هلاكه يقضى ذلك فيه ، وذلك هو المحو ، ويثبت ما شاء ممن بقى أجلـه ورزقه على ما هو عليه فلا يمحوه ، وذلك هو الاثبات .

(٤) التقيـة :

وهى كتمان الحق وستر الاعتقاد عن الغير ، أو المداراة والتظاهـر بخلاف الواقع فى الباطن . والتقية عند الشيعة جزء من الدين وشعارا مـن شعاراتهم المذهبية : يقول محمد رضا المظفر : (روى عن صادق آل البيت عليه السلام فى الأثر الصحيح ((التقية دينى ودين أبائى)) ((ومن لا تقيـة له لا دين لـه)) وكذلك هى ، لقد كانت شعارا لآل البيت عليهم السـلام دفعا للضرر عنهم ، وعن أتباعهم وحقنا لدمائهم واستصلاحا لحال المسلميـن وجمعا لكلمتهم ،ولما لشعثهم) (٢) .

وهم يستعملون التقية مع المسلمين وغيرهم فى أى وقت يرون الحاجـة ماسة لاستعمالها .

---

(١) المصدر نفسه جـ ١٣ ص ١٧٠ ـ ١٧١

(٢) عقائد الامامية ص ٧٢

أما الامام ابن جرير فقد خالف الشيعة في استعمال التقية ، فلا يجوز استعمالها مع المسلمين ، واجاز استعمالها مع الكفار ، والتقية عنده لا تكون الا باللسان . (١)

(٥) زواج المتعة :

يشكل زواج المتعة قضية من اكبر قضايا الخلاف بين أهل السنة والشيعة فالشيعة يرون جوازه وبقاء مشروعيته الى الابد ، بينما يرى أهل السنة نسخة وحرمته الى الأبد . وكان الامام ابن جرير واحدا من بين علماء أهل السنة الذين رفضوا زواج المتعة . فقد هاجم الامام ابن جرير فكرة زواج المتعة بشدة واعترض على الأقوال التي تبيح هذا الزواج المؤقت . وفيما يلي بيان ذلك .

يقول الامام ابن جرير في تفسير قوله تعالى : (فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة) (٢) وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه منهن فجامعتموه فأتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم) (٣) . وقد رفض القراءة المنسوبة الى أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما بشدة . حيث يقول : (واما ما روى عن ابي بن كعب وابن عباس من قراءتهما (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى) فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين ، وغير جائز لاحد أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئا لم يأت به الخبر القاطع المذر عمن لا يجوز خلافه) (٤) واعترض على قول السدى الذي يمثل وجهة نظر الشيعة في اباحة زواج المتعة يقول [illegible] [illegible] (فأما الذي قاله السدى فقول لا معنى له لفساد القول باحلال جماع امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين) (٥) فكما خالفهم في زواج المتعة ، خالفهم

---

(١) انظر جامع البيان جـ ٣ ص ٢٢٧ جـ ١٤ ص ١٨٢

(٢) سورة النساء آيه (٢٤) .

(٣) المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٣

(٤) المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٣

(٥) المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٤

كذلك فى الزواج من الكتابيات . فالشيعة يرون حرمة الزواج من الكتابيات ، واستدلوا على ما ذهبوا اليه بقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) (١) والامام ابن جرير يرى أن هذه الآية نزلت فى تحريم المشركات من أهل الأوثان يقول الامام ابن جرير فى ذلك (يقول جل ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاتمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر واسبابهن ، والكوافر جمع كافرة ، والعصم جمع عصمة ، وهى ما اعتصم به من العقد والسبب ، وهذا نهى من الله للمؤمنين عن الاقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الاوثان ،وأمر لهم بفراقهن) (٢) كما يرى الامام ابن جرير أن الزواج من حرائر الكتابيات من اليهود والنصارى أمر أحله الله للمسلمين (٣) . هذا وقد خالف الامام ابن جرير الشيعة فى كثير من المسائل سوى ما ذكرنا ، كما لقول بخلق القرآن ، ونفى رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وغيرها من المسائل التى سنتعرض لبعضها فى الباب الثانى من هذا البحث باذن الله تعالى .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن اعقد مقارنة بين تفسير الشيعة لبعض الآيات ـ القرآنية ، وتفسير الامام ابن جرير لها ، تتمة لما سبق لنرى بعد الامام ابن جرير الشاسع عن الشيعة ومبادئها المنحرفة عن منهج المسلمين.وفيما يلى بيان ذلك

أ ـ ذهب الشيعة الى أن المقصود من قوله تعالى (اهدنا الصراطالمستقيم) (٤) هو طريق على واتباعه ، وادعوا بأن هذا الامتياز منحه الله لعلى رضى الله عنه عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم (٥) .

بينما ذهب الامام ابن جرير الى أن المقصود منه هو التمسك بكتاب الله والعمل بما أمر الله به والانزجار عما نهى عنه ، واتباع منهج النبى صلى

---

(١) الممتحنه ، وانظر الاقوال فى اتهام الطبرى بالتشيع ص ١٦٧

(٢) جامع البيان حـ ٢٨ ص ٧١

(٣) انظر المصدر نفسه حـ ٦ ص ١٠٧

(٤) سورة الفاتحه آيه (٦)

(٥) انظر تفسير ابن الفرات ص ٢

الله عليه وسلم ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم • وكل عبد الله صالح • (١) •

(٢) ذهب الشيعة الى أن المقصود من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٢) هو طاعة أئمتهم (٣) •

بينما ذهب الامام ابن جرير الى أن المقصود منها ، هو طاعة الائمة ومن ولاه المسلمون أمرهم دون غيرهم من الناس • (٤)

(٣) ذهب الشيعة الى أن الشاهد المقصود بقوله تعالى : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ، ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة) (٥) هو على بن أبي طالب رضى الله عنه (٦) بينما ذهب الامام ابن جرير الى أن المقصود بالشاهد فى هذه الايه هو جبريل عليه الصلاة والسلام • (٧)

(٤) ذهب الشيعة الى أن المقصود من قوله تعالى (يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (٨) هو على وجماعته (٩) بينما ذهب الامام ابن جرير الى أن المقصود من قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) اى مع أبي بكر وعمر رضى الله عنهما أو مع النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم (١٠) وهناك آيات كثيرة خالف الامام ابن جرير الشيعة فى تفسيرها لاحاجة بنا الى ذكرها لكى لا يطول البحث بذلك ، وفيما ذكرنا من أدلة فيها الكفاية بحمد الله

---

(١) انظر جامع البيان حـ ١ ص ٧٤
(٢) سورة النساء آيه (٥٩) •
(٣) انظر تفسير ابن الفرات ص ٢٨
(٤) انظر جامع البيان حـ ٥ ص ١٥٠
(٥) سورة هود آيه (١٧)
(٦) انظر الاقوال فى اتهام الطبرى بالتشيع ص ٤٦
(٧) انظر جامع البيان حـ ١٢ ص ١٧
(٨) سورة التوبه آيه (١١٩)
(٩) انظر تفسير ابن الفرات ص ٥٣
(١٠) انظر جامع البيان حـ ١١ ص ٦٢

على تبرئة ساحة الامام ابن جرير مما الصقه به اعداؤه من اتهام له بالتشيع ونحوه ظلما وعدوانا .

هذا وقد اثنى الامام ابن جرير على كثير من الصحابه رضوان الله عليهم ، وكتب في فضائل بعضهم كما ذكرنا ذلك سابقا ، مخالفا في صنيعه هذا للشيعة الذين يبغضون معظم الصحابة ، ويكفرون الكثيرين منهم فقد اثنى على عثمان بن عفان ، ومدح صنيعة في جمع القرآن الكريم يقول الامام ابن جرير في مدح عثمان رضى الله عنه (والاثار الدالة على أن امام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه جمع المسلمين نظرا منه لهم ، واشفاقا منه عليهم ، ورأفة منه بهم حذار الردة (بمحضره) من بعضهم بعد الاسلام والدخول في الكفر بعد الايمان ، اذ ظهر من بعضهم بمحضره ، وفي عصره التكذيب ببعض الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهى عن التكذيب بشيء منها واخباره اياهم أن المراد فيها كفر .. الى أن يقول (فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذى اختاره لهم امامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية) (١)

وقد رفض الامام ابن جرير تأويل السدى ـ الذى يمثل وجهة نظر الشيعة والقائل ان المقصود من قوله تعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) (٢) هو ابو سفيان ، واعتبر الامام ابن جرير هذا الكلام باطلا ، لان الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا بأى أولئك عنى ، غير أنه عم بالخبر الذين كفروا) (٣) هذا وقد كان المصدر

---

(١) المصدر نفسه حـ ١ ص ٢٨

(٢) الانفال آيه (٣٦)

(٣) انظر جامع البيان حـ ٩ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦

الوحيد الذى اعتمد عليه الامام ابن جرير فى آخر الايات نزولا هو الاثر الذى رواه بسنده عن معاوية بن أبى سفيان أنه تلاقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) (١) وقال انها أخر آيةانزلت من القرآن) (٢)

من خلال ما تقدم ، وبناء على الادلة الكثيرة التى قدمناها فى بيان مخالفة الامام ابن جرير للشيعة فى أهم القضايا الاساسية التى يقوم مذهبهم عليها ، استطيع القول : ان اتهام الامام ابن جرير بالتشيع أو الالحاد ، أو ضع الاحاديث لخدمة الرافضة باطل من أساسه ولايستند الى اسس علميه صحيحة يعتد بها ، لان الاسباب التى ذكرها اعداؤه كادلة على اتهامه بالتشيع ونحوه باطلة من وجهة النظر العلمية لانها لا تقوم على أسس علمية قاطعة ، بل كلها قائمة على الظنون والاوهام كما رأينا سابقا ، والادلة التى قدمناها تنسف هذه التهمة الباطلة من اساسها لانه من الصعب جدا أن نربط شخصا يحمل مثل ذلك المعتقد ، ويقف من مبادئ الشيعة مثل ذلك الموقف الذى وقفه الامام ابن جرير بحركة التشيع .

والله الهادى الى بيان الحق ، وسواء السبيل ..

---

(١) سورة الكهف آيه (١١٠)

(٢) المصدر نفسه حـ ١٦ ص ٤٠

المبحث الرابع

قصة الامام ابن جرير مع الحنابلة

كان لتعصب بعض الحنابلة عليه ، الأثر الكبير فى اتهامة بالتشيع ، فقد واجه الامام ابن جرير هجوما عنيفا من قبل بعض الحنابلة ، وقد حاول جاهدا اقناعهم برأيه ، الا أنهم أصروا على اتهامة وظلمه ، وقد صرح الامام ابن خزيمة بظلم الحنابلة للامام ابن جرير حيث يقول " وما أعلم على أديم الأرض اعلم من محمد بن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة ".(١)

ويقول الذهبى فى ذلك أيضا : " وقد وقع بين ابن جرير وبين ابن أبي داود وكان كل منهم لا ينصف الآخر ، وكانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود فكثروا وشغبوا على ابن جرير ، وناله أذى ولزم بيته " (٢) .
وقد استعدى ابن ابي داود عليه السلطة الحاكمة المتمثلة فى نصر الحاجب لمنعه من تعليم أرائه .(٣)

وعلى كل حال فقد كان الخلاف بينه وبين الحنابلة شديدا ، وقد تناقضت الروايات عن مدى الآذى الذى نال الامام ابن جرير من الحنابلة ، والذى نحن بصدد بحثه فى هذا المبحث هو قصة رميه بالحابر ، وقذف بابه بالحجارة . فقد ذكر ياقوت نقلا عن عبد العزيز هارون أن بعض الحنابلة تعصبوا عليه بعد رجوعه من طبرستان الى بغداد ، حيث تعصب عليه " أبو عبد الله الجصاص ت ٣١٥ هـ وجعفر بن عرفة ، والبياضى ت ٢٩٤ هـ ، وقصده

---

(١) تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٤ .
(٢) سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٩ .
(٣) انظر المنتظم حـ ٦ ص ١٧٢ .

الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة وعن حديث الجلوس على العرش ، فقال أبو جعفر أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه ، فقالوا : فقد ذكره العلماء في الاختلاف ، فقال ما رأيته روى عنه ، ولا رأيت له أصحابا يعول عليهم ، واما حديث الجلوس على العرش فمحال ثم أنشد .

سبحان من ليس له أنيس ** ولا له في عرشه جليس

فلما سمع الحنابلة ذلك منه واصحاب الحديث ، وثبوا ورموه بمحابرهم وقيل كانت الوفا ، فقام أبو جعفر بنفسه ، ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم ، وركب نازوك صاحب الشرطة في عشرات الوف من الجند يمنع عنه العامة ، ووقف على بابه يوما الى الليل ، وأمر برفع الحجارة عنه ، وكان قد كتب على بابه .

سبحان من ليس له أنيس ** ولا له في عرشه جليس

فأمر نازوك بمحو ذلك ، وكتب بعض اصحاب الحديث .

لأحمد منزل لا شك عال ** اذا وافى الى الرحمن وافد

فيدنيه ويقعده كريما ** على رغم لهم في أنف حاسد

على عرش يغلفه بطيب ** على الاكباد من باغ وعاند

له هذا المقام الفرد حقا ** كذاك رواه ليث عن مجاهد

فخلا في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار اليهم ، وذكر مذهبه واعتقاده وجرح من ظن فيه غير ذلك ، وقرأ الكتاب عليهم ، وفضل أحمد بن حنبل وذكر مذهبه ، وتصويب اعتقاده ، ولم يزل في ذكره الى أن مات ، ولم يخرج كتابه في الاختلاف حتى مات ، فوجدوه مدفونا في التراب ، فأخرجوه ونسخوه أعني اختلاف الفقهاء ، هكذا سمعت من جماعة منهم أبي رحمه الله "(١).

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٧ ـ ٥٩ .

وينبغى علينا قبل أن نحكم على هذه القصه بالصحة أو البطلان أن نضع احداثها فى ميزان النقد العلمى ، حتى نصل الى الحق فيها ، لان الوصول الى الحق هو الهدف المنشود الذى نحب أن نتوصل اليه ،

فأقول وبالله التوفيق : ان هذه القصة يرد عليها مجموعة من الاعتراضات العلمية نلخصها فى النقاط التالية ..

(١) أن هذه القصة رواية تاريخية ينقصها السند العلمى الذى نستطيع بواسطته أن نحكم عليها بالصحة أو البطلان ، وما دام السند غير موجود فان القصة ستبقى غير ثابتة علميا . حتى يأتى دليل علمى قوى يؤكد صحتها ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان معظم المؤرخين الذين ترجموا للامام ابن جرير كالخطيب البغدادى وغيره ، لم يتعرضوا لأحداث هذه القصة ، فلو كانت هذه القصة مشهورة عندهم لما أغفلوها .

(٢) لم يحدد المؤرخون الذين ذكروا هذه القصة السنة التى وقعت فيها أحداث هذه القصة، بل اكتفوا بالقول بأنها حدثت بعد رجوعه من طبرستان وقد رجع من طبرستان سنة ٢٩٠ هـ (١) ويؤكد ذلك أن من بين أبطالها البياضي المتوفى سنة ٢٩٤ هـ . وعلى هذا الاساس نستطيع أن نحدد أنها حدثت بين سنة ٢٩٠ — ٢٩٤ هـ . وبناء على ذلك أقول :

ان احداث القصة متناقضة لأن البياضى مات سنة ٢٩٤ هـ ، ونازوك استلم الشرطة فى سنة ٣١٠ (٢) . والرواية تقول ان البياضى كان من

---

(١) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٥٥ .

(٢) انظر تجارب الامم حـ ١ ص ٨٣ ..

جملة المتعصبين عليه ، ونازوك هو الذى ركب فى الجند لمنع العامة عن الامام ابن جرير ، فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين المتناقضين من الناحية العلمية ؟ . أضف الى ذلك أن بعض المؤرخين ذكروا أن فتنة وقعت سنة ٣١٧ هـ ببغداد بين أصحاب أبى بكر المروزى الحنبلى وغيرهم من العامة ، ودخل كثير من الجند فيها ، وسبب ذلك ان أصحاب المروزى قالوا فى تفسير قوله تعالى : " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا "(١) هو أن الله سبحانه يقعد النبى صلى الله عليه وسلم معه على العرش ، وقالت الطائفة الاخرى انما هو الشفاعة فوقعت الفتنة واقتتلوا بسبب ذلك ، وقتل بينهم قتلى .(٢)

ولا شك أن التناقض فى سنة الروايتين ، وابطالها واضح جدا ، فهل تكررت هذه القصة مرتين ، مرة مع الامام ابن جرير ، ومرة مع اصحاب أبى بكر المروزى ، ان تكرارها مرتين لم يتعرض له المؤرخون بالحديث ـ على حد علمى ـ وسيبقى الاعتراض على هذه القصة قائما حتى يأتى دليل قاطع يزيل هذا التناقض .

(٣) التناقض فى كيفية وقوع احداث هذه القصة .

فهذه الرواية تقول ان الحنابلة قصدوا الامام ابن جرير وسألوه عن الجلوس على العرش ، بينما روى السيوطى هذه القصة برواية تناقضها تماما حيث يقول : " وفى بعض المجاميع أن قاصا جلس ببغداد فروى فى تفسير قوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " أنه

---

(١) سورة الاسراء ٨١ .

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٦٢ الكامل جـ ٨ ص ٢١٣ ، مقدمة اختلاف الفقهاء لفريدريك كرن ص ٩ .

يجلســـه معه على عرشه ، فبلغ ذلك الامام محمد بن جرير ، فاحتـــد من ذلك ، وبالغ فى انكاره وكتب على بابـــه .

سبحان من ليس له أنيــــس ** ولا له فى عرشه جليــــس

فثارت عليه عـــوام بغداد ، ورجموا بيته بالحجارة ، حتى استد بابـــه بالحجارة وعلت عليـــه ." (١)

فالتناقض بين الروايتين واضح جدا وهما فى قصة واحدة مما يؤكـــد بطلانها ، لأنه لا يمكن أن تكون احداثها وقعت معه مرتين ، كـــان مرة مسئولا عن الجلوس على العرش ، ومرة اخرى بلغه قول ذلـــك القاص فانكر عليه ، ولا يمكن أن يتعرض للأذى ورمى بيته بالحجـــارة مرتيـــن ، ولا ينتبه الى ذلك معظم المؤرخين الذين اغفلوا احـــداث هذه القصة تماما .

(٤) ان رأى الامام ابن جرير فى هذه القصة يناقض رأيه فى التفسيـــر ، الذى املاه على تلاميذه ما بين سنة ٢٨٣ هـ ـ ٢٩٠ هـ قبل احــــداث القصة فقد ذهب فى التفسير الى أن قول مجاهد من أن الله يقعد محمد صلى الله عليه وسلم على عرشه غير محال ، لأنه لا يوجد خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن الصحابة او التابعين باحالة ذلك . (٢) فهل تراجع الامام ابن جرير عن قوله فى التفسير بما قيل عنه فى هـــذه القصة ؟ الواقع . أنه لم يثبت لدينا أن الامام ابن جرير تراجع عن رأيـــه فى التفسير وهو اعظم مؤلفاته ، فلو أنه تراجع عن شيء منه لنقل الينـــا

---

(١) تحذيـــر الخـــواص ص ١٦١ .

(٢) انظـــر جامع البيـــان حـ ١٥ ص ١٤٧ ..

ذلك تلاميذه ، فكيف بأمر مهم كهذا الأمر الذى ترتب عليه خلاف كبير بين القائلين بأن الله يقعد محمداً صلى الله عليه وسلم على العرش وبين المنكرين لذلك ؟

وبناء على ما تقدم أقول : ان هذه القصة بهذه التفصيلات غير صحيحة وغير ثابته من الناحية العلمية ، نظر للتناقضات الكثيرة فى مجريات احداثها ، ولا يمنع ذلك من أن الامام ابن جرير تعرض للأذى فى عرضه من قبل بعض الحنابلة ، وافترائهم عليه ، ونسبة بعض الاقوال المخالفة لمذهب السلف اليه ، واتهامة بالتشيع ، ويؤكد ذلك أن الامام ابن جرير نفسه علم أن بعضا من الناس اتهمة بمخالفة بمذهب أهل السنة والجماعة ، لذلك تبرأ فى نهاية عقيدته من كل قول نسب اليه يخالف مذهب أهل السنة والجماعة ، حيث يقول فى ذلك ـ بعد أن ذكر بعض مسائل العقيدة التى يدين الله بها فى ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، وأثنى على الامام أحمد رحمة الله عليه ـ " .. فمن تجاوز ذلك فقد جاب وخسر وضل وهلك . فليبلغ الشاهد منكم أيها الناس من بعد فناى ، أو قرب فدنى أن الذى ندين الله به فى الأشياء التى ذكرناها ما بيناه لكم على وصفنا ، فمن روى عنا خلاف ذلك أو أضاف الينا سواه ، أو نحلنا فى ذلك قولا غيره ، فهو كاذب مفتر متخرص معتد تبؤ بسخط الله ، وعليه غضب الله ولعنته فى الدارين " (١) .

واضيف الى ذلك قول السبكى فى طبقاته حيث يقول : " لم يكن عدم ظهوره ناشئا من أنه منع ، ولا كانت للحنابلة شوكة تقتضى ذلك وكان مقدار ابن

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٧ ..

جرير ارفع من أن يقدروا على منعه ، وانما ابن جرير نفسه كان قد جمع نفسه عن مثل الا راذل المتعرضين الى عرضه ، فلم يكن يأذن في الاجتماع به الا لمن يختاره ، ويعرف أنه على السنة ... ومما يدل على ذلك أنه لم يمنع قول ابن خزيمة لحسينك . ليتك سمعت منه ، فان فيه دلالة أن سماعه منه كان ممكنا ، ولو كان ممنوعا لم يقل له ذلك." (١)

ويؤكد كلام السبكى ـ أن الامام ابن جرير ـ هو الذى لزم بيته ، ولم يكن ناشئا عن منع الحنابلة له قول الامام الذهبى فى ترجمته: " ... وكانت الحنابلة حزب أبى بكر بن أبى داود فكثروا وشغبوا على ابن جرير وناله أذى ولزم بيته " (٢).

ويظهر أن الهدف من وراء رواية هذه القصة هو تشويه سمعة الحنابلة الذين اصبحوا فى عرف كثير من الناس مثالا للتعصب ، ولا شك أنه كانت بينه وبين بعض الحنابلة خصومة ، وأن بعضهم ساعد فى ترويج تهمة التشيع عليه ، ولكنا لا نعرف مقدار الأذى الذى لحقه منهم سوى الاتهام بالتشيع : يقول ابن الأثير : " وأما ما ذكره " يعنى ابن مسكويه " عن تعصب العامة ، فليس الأمر كذلك ، وانما بعض الحنابلة تعصبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم ، ولذلك سبب وهو أن الطبرى جمع كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل ، فقيل له فى ذلك فقال لم يكن فقيها ، وانما كان محدثا . فاشتد ذلك

---

(١) طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٥ .

(٢) سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٩ .

علـى الحنابلة ، وكانوالايحصون كثرة ببغداد ، فشغبوا عليه وقالـــوا ما أرادوا "(١) .

وأرى أن الامام ابن جرير له أجر واحد فيما ذهب اليه مـــن أن الامام أحمد لم يكن فقيها ، لأن فقهه لا يحتاج الى تدليل عليه ، الا أن الامام ابن جرير لم يكن أول من قال بهذا القول ، بل سبقـه إلى ذلك طائفة من العلماء . وتبعته طائفة أخرى منهم ، أهملوا خلافـــه الامام أحمد في الفقه ، ولم يعتبروه فقيها . (٢) .

قصـــة دفنـــه ليـــلا :

أما قصة دفن الامام ابن جرير ليلا ومنع الناس من دفنه نهارا ، ومـن حضور جنازته ، لأن الحنابلة تعصبوا عليه ، وادعوا عليه الرفض والالحـــاد ، فانها غير صحيحة ايضا للأمور التالية :ـ

(١) وردت قصة دفنه بروايات مختلفة ، اكثرها دقة وصوابا تلك الروايـــة التي ذكرها الخطيب وغيره من أنه دفن نهارا ، ولم يؤذن به أحـــد واجتمع عليه من لا يحصيهم الا الله ، ومكث الناس عدة شهور يصلـــون على قبره ليلا ونهارا ، ورثاه خلق كثيـــر . (٣)

(٢) اما قصة دفنه ليلا ، فقد رويت بروايات متعددة ، منها رواية ابـــن الجوزى التي رواها بصيغة التضعيف ، فقال : " وقيل بل دفن ليلا ،

---

(١) الكامل حـ ٨ ص١٣٤ .

(٢) انظـــر مقدمة تحقيق اخـــتلاف الفقهاء لفريدريك كرن ص ١٣ ــ ١٤ .

(٣) انظر تاريخ بغداد حـ ٢ ص١٦٦ ، معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٤٠ ، البداية والنهاية حـ ١١ ص ١٤٦ ــ ١٤٧ ..

ولم يؤذن به أحد ، واجتمع من لا يحصيهم الا الله ، وصلى على قبره عدة شهور ليلا ونهارا ." (١) وقال ابن كثير ودفن في داره لان بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهارا ، ونسبوه الى الرفض ، ومن الجهلة من رماه بالالحاد وحشاه من ذلك كله .. ولما توفى اجتمع الناس من سائر اقطار بغداد وصلوا عليه بداره ، ودفن بها ومكثوا يترددون شهورا الى قبره يصلون عليه " (٢) ، والذى تطمئن النفس اليه أن قضية منع الحنابلة الناس من دفنه نهارا ، وعدم حضور جنازته غير صحيحة ، لأن معظم الروايات اجمعت على أن الناس اجتمعوا وقت دفنه دون أن يؤذن به أحد ، وصلى عليه خلق كثير ، وبقى الناس يترددون على قبره عدة شهور يصلون عليه ، فلو كانت القصة صحيحة لمنع الحنابلة الناس من حضور دفنه ، والصلاة عليه ، والتردد على قبره ولكن الامام ابن جرير عالم جليل يستحق أن يجتمع عليه الناس من كل مكان .والله سبحانه وتعالى أعلم ، ولا شك أن ما حدث بين الامام ابن جرير وبين بعض الحنابلة كان بدافع التعصب المذهبى الكريه ، الذى ينبغى على كل مسلم بصفه عامة ، وعلى طلبة العلم بصفة خاصة محاربته ، وتحذير الناس من خطره ما استطاع الى ذلك سبيلا ، حفاظا على وحدة المسلمين ، وجمعا لكلمتهم على ضوء الكتاب والسنة ، وفهم السلف الصالح لهما .

---

(١) المنتظم حـ ٦ ص ١٧٢ .

(٢) البداية والنهاية حـ ١١ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

المبحث الخامس

ثناء العلماء عليه

بعد أن انتهينا من مناقشة تهمة التشيع المنسوبة الى الامام ابن جرير ، وحققنا القول فى أسبابها ، واثبتنا بالأدلة العلمية بطلانهما ، وأنه برئ براءة تامة منها ، وأنه ليس له ادنى علاقة بحركة التشيع ،كما اثبتنا بالأدلة العلمية كذلك بطلان قصته المشهورة مع الحنابلة وتعصبهم عليه ، ورميه بالمحابر ، وقذف بابه بالحجارة ، وحققنا القول فى دفنه نهارا ، وأنه الصواب الذى ينبغى الذهاب اليه ، وقد حضر دفنه خلق كثير ، وبقى الناس يترددون على قبرة شهورا يصلون عليه ، بعد هذا كله ينبغى علينا أن نذكر فى هذا المبحث اقوال الأئمة والمؤرخين فيه واشادتهم بفضلة ، ودينه وخلقه وعلمه ، وفيما يلى بيان ذلك، أشاد كثير من أئمة الحديث والفقة ، وشيوخ الأدب والتاريخ ، برفيع شرف الامام ابن جرير ، وشديد دينه وورعه ، وكبير اخلاصه ونصحه ،وجليل قدره وفضله ونبله ، وعظيم علمه وفقهه ، مما ينفى عنه أية تهمة اتهمه بها المغرضون ، ويبعد عنه أية نقيصة حاول أن يلصقها به المبطلون ، مما يجعل الانسان يؤمن بسخف عقلية الذين اتهموه بالتشيع والابتداع زورا وبطلانا ، ورموه بالزندقة والالحاد ، وخدمة اغراض الرافضة كذبا وبهتانا ، لأنهم لو سئلوا عن معنى الالحاد ما عرفوه و لا فهموه على ما قال عيسى بن محمد (١) ، وتجعل الانسان يجزم بحقارة نفسيتهم ، وخطورة عصبيتهم فأقول وبالله التوفيق :ـ

---

(١) انظر الكامل حـ ٨ ص ١٣٤ .

(١) شهد له بالحذق الامام الأديب اللغوى الكوفى ابو العباس ثعلب فقال ذاك من حذاق الكوفيين ، مع كون ثعلب ـ على ما قيل ـ شديد النفس ، شرس الاخلاق ، قليل الشهادة لأحد بالحذق فى علمه .(١)

(٢) وقال أبو العباس محمد بن سريج (ت ٣٠٦ هـ) محمد بن جرير الطبرى فقيه العالم (٢) .

(٣) وقال امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة : " وما أعلم على أديم الأرض " يعنى فى عصره " أعلم من محمد بن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة " (٣) .

(٤) وقال أحمد بن كامل القاضى : " لم أر بعد ابن جرير أجمع للعلم وكتب العلماء ، ومعرفة اختلاف الفقهاء ، وتمكنه من العلوم منه " (٤) .

(٥) وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغانى : " وكان أبو جعفر الطبرى " ممن لا يأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يعدل فى علمه وتبيانه عن حق يلزمه لربه وللمسلمين الى باطل لرغبة ولا رهبة ، مع عظيم ما كان يلحقة من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد ، وأما أهل الدين والورع فغير منكرين علمه وفضله وزهده ، وتركه الدنيا مع اقبالها عليه ، وقناعته بما كان يرد عليه من (غلة) قرية خلفها له ابوه بطبرستان يسيره " (٥)

---

(١) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٦٠ ، الطبرى الفقية ص ٤٩ .
(٢) طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٣ .
(٣) تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١٦٦ .
(٤) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٧٥ .
(٥) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ /ل ٤٧٩ .

(٦) وقال عبد العزيز بن محمد الطبرى : " كان أبو جعفر يذهب فى جل مذاهبه الى ما عليه الجماعة من السلف ، وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنن ، شديدا عليه مخالفتهم ، ماضيا على منهاجهم لاتأخذه فى ذلك ، ولا فى شيء لومة لائم ، وكان يذهب الى مخالفة أهل الاعتزال فى جميع ما خالفوا فيه الجماعة ، من القول بالقدر ، وخلق القرآن ، وابطال رؤية الله فى القيامة ، وفى قولهم بتخليد أهل الكبائر فى النار وابطال شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى قولهم ان استطاعة الانسان قبل فعله ... وكان أبو جعفر يذهب فى الامامة الى امامة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، وما عليه أصحاب الحديث فى التفضيل ، وكان يكفر من خالفه فى كل مذهب اذ كانت أدلة العقول تدفع ، كالقول فى القدر ، وقول من كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروافض والخوارج ، ولا يقبل أخبارهم ولا شهادتهم ".(١)

(٧) وقال الخطيب البغدادى " وكان (الطبرى) أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظا لكتاب الله ، عارفا بالقراءات ، بصيرا بالمعانى ، فقيها فى احكام القرآن ، عالما بالسنن وطرقها ، وصحيحها وسقيمها ، ناسخها ومنسوخها عارفا باقوال الصحابه والتابعين ، ومن بعدهم من الخالفين ـ فى الاحكام ـ ومسائل الحلال والحرام ، عارفا بأيام الناس واخبارهم." (٢)

---

(١) معجم الأدباء حـ ١٨ ص ٨١ ـ ٨٣.
(٢) تاريخ بغداد حـ ٢ص ١٦٣..

(٨) ويقول الاسفراييني " ولم يكن في جميع من نسب اليه شيء من أصول التفسير من وقت الصحابة الى يومنا هذا من تلوث بشيء من مذاهب القدرية ، والخوارج والروافض ـ ثم يعدد المفسرين من أهل السنة فيقول ـ الى أن انتهت النوبة الى محمد بن جرير وأقرانه "(١) .

(٩) وقال الذهبي : " كان ثقة صادقا حافظا رأسا في التفسير ، اماما في الفقه والاجماع ، والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفا بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك ".(٢)

(١٠) وقال التاج السبكي : " هو الامام الجليل المجتهد أحد أئمة الدنيا علما ودينا "(٣) .

(١١) وقال الحافظ ابن كثير : " وكان من العبادة والزهادة ، والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم .. وكان من كبار الصالحين "(٤) .

(١٢) وقال الامام محمد بن عبد الوهاب : " بعد أن ذكر جملة من العلماء كالذهبي ، وابن كثير وابن رجب ، وابن عبد البر ، والخطابي ، والشافعي ، وابن جرير ، وابن قتيبة وابي عبيد : " فهؤلاء اليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلام السلف "(٥)

---

(١) التبصير في الدين ص ١١٧ .
(٢) سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤١٤ .
(٣) طبقات الشافعية حـ ٣ ص ١٢٠ .
(٤) البداية والنهاية حـ ١١ ص ١٤٦ .
(٥) الدرر السنية حـ ١ ص ٣٧ .

وهناك أقوال أخرى لكثير من العلماء في الاشادة بالامام ابن جرير، تعرضنا لطرف منها في ثنايا البحث، لذلك لم نر ضرورة لنقلها كلها، لكي لا يطول البحث بذكرها . فهذه الأقوال كلها مجمعة على قوة دين الامام ابن جرير وورعه ، وسلامة سلوكه وخلقه ، وجليل فقهه وعلمه ، وجميل أدبه. بحيث لا يليق بعاقل منصف ، وعالم مخلص أن يتأثر أدنى تأثر بما رماه به أعداؤه الأفاكون ، وحساده الكاذبون ، وما أجدرنا أن نتمثل بقول الشاعر:ـ

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه *** فالناس أعداء لـه وخصـوم .

كضرائر الحسناء قلن لوجهها *** حسدا وبغيا انه لدميـم .

وقول الآخر :

لا يضر البحر أمسى زاخرا *** ان رمى فيه غلام بحجر

وقول الثالث :

اذا رضيت عنى كرام عشيرتي *** فلا زال غضبانا على لئامها . (١)

---

(١) انظر الكامل حـ ٨ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، الطبرى الفقيه ص ٥٣

الباب الثاني

دفاع الامام ابن جرير الطبري عن عقيدة السلف

ويشتمل على عشرة فصول

الفصل الاول : التعريف بعقيدة السلف ، والمنهج الذى ساروا عليه في تقرير مسائل العقيدة .

الفصل الثاني : منهجه في الدفاع عن عقيدة السلف .

الفصل الثالث: دفاعه عن عقيدة السلف في وحدانية الله تعالى .

الفصل الرابع : دفاعه عن عقيدة السلف في أسماء الله تعالى .

الفصل الخامس: دفاعه عن عقيدة السلف في صفات الله تعالى .

الفصل السادس: دفاعه عن عقيدة السلف في مسألة خلق الله لأفعال العباد .

الفصل السابع : دفاعه عن عقيدة السلف في الايمان والوعيد

الفصل الثامن : دفاعه عن عقيدة السلف في النبوات .

الفصل التاسع: دفاعه عن عقيدة السلف في السمعيات

الفصل العاشر: دفاعه عن عقيدة السلف في الامامة .

الفصـــل الأول

التعريف بعقيدة السلف والمنهج الـذى
ساروا عليه فى تقرير مسائل العقيـــدة

=====

ويشتمل على ثلاثة مباحث

=====

==========
========

التعريف بعقيدة السلف :

المعقيدة هي الأمر الذى تصدق به النفس ، ويطمئن اليه القلب ويكون عند صاحبه يقينا لا يخالطه شك ، ولا يمازجه ريب ،ومادة عقد في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق . ففي القرآن الكريم " لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان " (١) .

وتعقد الأيمان انما يكون بقصد القلب وعزمه ، بخلاف لغو اليمين التي تجرى على اللسان بدون قصد ، والعقد العهد ،والجمع عقود ،وهي أوكد العقود . ومنه قوله تعالى :" يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود " (٢) وعقد قلبه على الشيء لزمه ، (٣) اما العقيدة عند السلف فهي الاعتقاد الجازم الذى لا يخالطه شك ، ولا يمازجه ريب بأن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى ، الموصوف بصفات الكمال ، المنزه عن النقائص والعيوب ، المستحق لجميع انواع العبادة ،الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، رب العالمين ، الى غير هذا من أسماء الحسنى . وصفات العليا ،التي وردت في القرآن الكريم او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق الجازم كذلك بصحة ما أخبر الله به في كتابه ، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، من أمور الغيب جميعها ، كأشراط الساعة ، واليوم الآخر والجنة ، والنار ، والملائكة الاطهار ، والجن والشياطين ، وغير ذلك ، وبأن لله كتبا أنزلها على رسله بالهدى ، ودين الحق ، وأن له رسلا وانبياء خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والتصديق الجازم أيضا ، بأن الله قدر الاشياء وعلمها قبل خلقها ، وأن الأمور كلها بيده تبارك وتعالى ،فلا راد لحكمه وقضائه ، ولا مانع لما اعطى ،ولا يكون

---

(١) سورة المائدة آية (٨٩)

(٢) سورة المائدة آية (١)

(٣) انظر لسان العرب مادة عقد جـ ٣ ص ٢٩٧ — ٢٩٨ ، في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٩ ، العقيدة في الله ص ٧ ، العقائد الاسلامية ص ٨ ..

في ملكه الا ما يريد ،وارادة العباد ومشيئتهم تابعة لارادته ومشيئته . والتصديق الجازم كذلك بما ذكر من أصول الشرائع والاحكام " (١) .

ونستطيع أن نلخص القول بأن العقيدة السلفية هي التصديق الجازم بكل ما ورد عن الله عز وجل في كتبه المنزلة على رسله ، وما جاء على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام اجمعين ، والعمل بمقتضى ذلك على أصول معلومة عند السلف سوف نذكرها . فيما بعد باذن الله تعالى .

من المراد بالسلف ؟

اختلف بعض العلماء في تحديد المراد بالسلف ،فقال بعضهم : هم الذين عاشوا قبل القرن الخامس الهجري ، وقال الغزالي هم الصحابة والتابعون وحددهم آخرون بالصحابة والتابعين وتابعي التابعين . والذي تطمئن اليه النفس ان المراد بالسلف هم الصحابة والتابعون واتباعهم من أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية في الحديث الذي رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته " (٢)

دون من رمي ببدعة ،أو اشتهر بلقب غير مرضي . مثل الخوارج ،والروافض والمرجئة والجهمية والمعتزلة والقدرية ونحوهم ، لان أصحاب البدع وان كانوا في القرون المفضلة . فليسوا من السلف في شيء لخروجهم على منهجهم وسلوكهم طريقا غير طريقهم . وقد حذر سلفنا الصالح من المبتدعة اشد الحذر

---

(١) انظر العقائد الاسلامية ص ٨ ،عقيدة المؤمن ص ٢٣ ، ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف ص ١٦٨

(٢) اخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة حـ ٥ ص ١٨٩ واخرج نحوه ابن جرير في العقيدة ل ١٦٥ — ١٦٦

فقد انكر ابن عباس رضى الله عنهما على الخوارج وناظرهم ، وانكر على بن أبى طالب رضى الله عنه على من فضله على الشيخين رضى الله عنهما ، ولما ظهرت بدعة القدرية فى أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، انكر هذه البدعة بعض الصحابة ، كان من أشهرهم ابن عباس ، وانس بن مالك ، وجابر بن عبد الله (١) . كما انكر كثير من جلة علماء السلف على أهل البدع انكارا بالغا حتى تحرجوا من الحديث عنهم ، كما فعل عبد الله بن المبارك (٢) حين كان يقول على رؤوس الاشهاد " دعوا حديث عمرو بن ثابت (٣) ، فانه كان يسب السلف (٤) "، ولا شك ان من سار على طريقة الصحابة والتابعين

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١٩ ، مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٤٢٢

(٢) هو الامام القدوة المجاهد عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم ابو عبد الرحمن المروزى . أحد الائمة روى عن سليمان التيمى ، وحميد الطويل واسماعيل بن أبى خالد وخلق لا يحصون حتى قيل لقد روى عن الف شيخ ، وروى عنه اصحاب الصحيحين واصحاب السنن وغيرهم قال عنه الذهبى : هو الامام الحافظ العلامة شيخ الاسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين ، صاحب التصانيف النافعة ، أفنى عمره فى الاسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا ، والله انى لاحبه فى الله وأرجو الخير بحبه لما منحه الله من التقوى ، والعبادة والاخلاص والجهاد وسعة العلم والاتقان والمواساة والفتوة والصفات الحميدة وقال اسماعيل ابن عياش : لا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير الا وقد جعلها فى ابن المبارك وقال النووى : هو الامام المجمع على امامته وجلالته فى كل شىء الذى تستنزل الرحمة بذكره ، وترتجى المغفرة بحبه" ولد سنة ١١٨ هـ ومات سنة ١٨١ هـ . رحمه الله تعالى انظر تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٣٨٦ ، عبد الله بن المبارك الامام القدوة

(٣) هو عمرو بن ثابت بن هرمز البكرى ، رافضى خبيث انظر تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٩

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٨٩

فهو من السلف ، لأنـه سائرعلى طريقتهم ، فيقال له سلفي نسبة الى السلـف الصالح ، لأنـه لا فصل بين السلف ومتبعيهم الى يوم القيامه ، ويؤيد هـذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر اللـه لا يضرها من خالفها " (١) اسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته أن يجعلني منهم انه على كل شيء قديـر .

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن حـ ١ ص ٥ ، وروى نحوه ابو داود في السنن حـ ٣ ص ١١

المبحث الأول

منهج السلف في تقرير العقيدة

كان منهج السلف في تقرير العقيدة نابعا من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث تلقى الصحابة رضوان الله عليهم العقيدة من مصدرها الصحيح ، كما أتت من طريق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فقد مكث القرآن الكريم يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين عاما . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بتبليغه للناس ، ويبين معانيه لهم ، حتى كمل الدين ، وتمت النعمة واختار الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الى جواره .

روى الامام ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال في تفسير قوله تعالى " اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا " (١) " أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد اكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبدا ، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدا ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا " (٢) وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون القرآن منه . ويفهمون معناه ، ثم يؤمنون به ، ويعملون بمقتضى شرائعه . وكان فيما نزل من القرآن الكريم الاخبار عن الامور الغيبية كالاخبار عن ذات الله سبحانه وتعالى ، واسمائه ، وصفاته ، وافعاله ، وعن اليوم الآخر واحداثه وأهواله ، وعن الجنة وما أعد الله فيها من ثواب للطائعين وعن النار وما أعد فيها من اليم عقابه للمخالفين ، وعن الملائكة الاطهار ، والجن والشياطين ، كل ذلك وما في معناه من مسائل العقيدة

---

(١) سورة المائدة آيه (٣)

(٢) جامع البيان حـ ٦ ص ٧٩

كان القرآن يتنزل به والرسول صلى الله عليه وسلم يبلغه ويبينه ، والصحابة يتلقونه ويفهمون معانيه ويؤمنون به ويعملون باحكامه ، ولم يعرف عن أحد منهم أنه تردد – او استشكل شيئا من ذلك (١) .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك . كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن سلك سبيلهم ، فكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا ، فكيف باصول التوحيد والايمان"(٢) .

ويقول في موضع آخر ، قد ذكرنا في غير موضع أن اصول الدين الذى بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم . قد بينها الله في القرآن أحسن بيان وبين دلائل الربوبية ، والوحدانية ، ودلائل اسماء الرب وصفاته ، وبين دلائل نبوة أنبيائه ، وبين المعاد بين امكانه وقدرته عليه في غير موضع وبين وقوعه بالادلة السمعية والعقلية " (٣) وكانت أدلة السلف من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين واتباعهم ، وكبار الائمة من علماء السلف على وجود الله تعالى ووحدانيته واسمائه وصفاته ،ونبوة أنبيائه ، وكتبه وملائكته واليوم الآخر ،والقدر وغير ذلك من مسائل العقيدة هي أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فلم يتجهوا الى الطرق الكلامية أو الفلسفية في الاستدلال على أمور العقيدة .

يقول المقريزى : " ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى ، وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ، ولا عرف احد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة ، فمضى عصر الصحابة رضى الله عنهم على هذا " (٤) .

---

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب شرح اصول اعتقاد اهل السنه والجماعه جـ١ ص١٢

(٢) تفسير سورة الاخلاص ص ١٥٤

(٣) النبوات ص ١٤٥

(٤) خطط المقريزى جـ ٣ ص ٣٠٢

ويقول الغزالى " انهم ـ اى الصحابة ـ كانوا محتاجين الى محاجة اليهود والنصارى فى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والى اثبات الالهية مع عبدة الاصنام والى اثبات البعث مع منكريه ، ثم ما زادوا على هذه القواعد التى هى امهات العقائد على أدلة القرآن ... وما ركبوا ظهر اللجاج فى وضع المقاييس ، وترتيب المقدمات وتحرير طرق المجادلة ، وتذليل طرقها ، ومنهاجها لعلمهم بأن ذلك مثار الفتنة ومنبع التشويش " (١) .

وقال ابو الوفاء بن عقيل لبعض اصحابه " انا اقطع أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، فان رضيت أن تكون مثلهم فكن ، وان ـ رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت قال - وقد أفضى الكلام بأهله الى الشكوك وكثير منهم الى الالحاد ، تشم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين ، وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع ، وطلبوا الحقائق وليس فى قوة العقل ادراك ما عند الله من الحكمة التى انفرد بها ولا أخرج البارى من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الامور ." (٢)

وليس معنى هذا القاء العقل جانبا كما هو فى المفهوم الكنسى ، لأن البحث العقلى ليس مذموما على الاطلاق ، ولكنه يذم عند السلف اذا اكتفى به عن الأدلة الشرعية ، أو قدم عليها او عورض به نصوص الدين . والعقل لا مجال له فى مجال الغيب ـ السمعيات ـ من أمور العقيدة ، أما ابحاث العقيدة التى يستدل بها على وحدانية الله وافراده بالعبادة وعلمه وقدرته وحكمته . والبعث والجزاء فقد طالب القرآن الكريم العقل البشرى أن يهتدى اليها ، فهى أدلة تدعم النصوص وتزيد فى تثبيت الاعتقاد ، ولهذا يجد المتأمل فى كتاب الله عز وجل ايات كثيرة تحث العقل البشرى على التأمل والتبصر والتفكر والتدبر . (٣) .

---

(١) الجام العوام عن علم الكلام ص ٣٠

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٣ ـ ٩٤

(٣) انظر علاقة الاثبات والتفويض بصفات رب العالمين ص ٢٤

قال ابو المظفر السمعاني مشيدا بأهل الحديث " وأما أهل السنة فجعلوا الكتاب والسنة امامهم ، وطلبوا الدين من قبلهما ، وما وقع لهم من معقولهم ، وخواطرهم وآرائهم عرضوه على الكتاب والسنة ، فان وجدوه موافقا لهما قبلوه وشكروا الله حيث آراهم ذلك ، ووفقهم له ، وان وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم ، وأقبلوا على الكتاب والسنة ، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم فان الكتاب والسنة لا يهديان الا الى الحق ، ورأى الانسان قد يكون حقا ، وقد يكون باطلا " (١) .

وسبب اقتصار السلف الصالح في معرفة مسائل العقيدة والاستدلال عليها على ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، نابع من ايمانهم بأن الله تعالى قد بينها أحسن بيان ، وأن رسوله صلى الله عليه وسلم قد وضحها توضيحا شافيا قاطعا للعذر ، وبلغها البلاغ المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقول على الله الا الحق . ولا يمانهم كذلك بأن في التمسك بما جاء عن الله في كتابه أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم العصمة والنجاة من الوقوع في الخطأ والزلل .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فكل ما يحتاج الناس الى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل — أى مسائل اصول الدين : كمسائل التوحيد والصفات والقدر ، فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا قاطعا للعذر ، اذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين ، وبينه للناس وهو من اعظم ما أقام الله به الحجة على عباده بالرسل الذين بينوه وبلغوه ، وكتاب الله الذى نقل الصحابة والتابعون عن الرسول لفظه ومعانيه والحكمة التى هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب " (٢) لذلك كان السلف الصالح يكتفون في معرفة مسائل العقيدة وفي الاستدلال عليها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكانوا يرون ان السلامة في الاتباع لما أمروا به ، والاعراض عن طلب ما زوى عنهم

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ٤٢٤ وانظر الحجة في بيان المحجة ل ١٠٦٤/أ

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول المطبوع بهامش منهاج السنه حـ ١ ص ١٦

علمه ، وطوى عنهم خبره والوقوف عند المتشابه يؤمنون به ، ويكلون علم كيفيته الـــى الله سبحانه وتعالى. وقد رأوا أنه لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدى الكتاب والسنـة ويكون حاكما عليهما ، لأن هذا من التقدم بين يدى الله ورسوله صلى الله عليـــه وسلم ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله " يا أيها الذين آمنوا لا تقدمـــوا بين يدى الله ورسوله ، واتقوا الله ان الله سميع عليم " (١) بل يجب ان يكـــون ملبيا من وراء (٢) يقول الشاطبي : " ولم ينكر احد منهم ما جاء من ذلك ، بـــل أقروا وأذعنوا لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصادموه ، ولا عارضـــوه بأشكال ، ولو كان شيء من ذلك لنقل الينا ، كما نقل الينا سائر سيرهم ، وما جـــرى بينهم من القضايا والمناظرات في الاحكام الشرعية ـ فلما لم ينقل الينا شيء من ذلك دل على أنهم آمنوا به وأقروه ، كما جاء من غير بحث ولا نظر " (٣) .

وانا نعتقد أنهم كانوا يفهمون ما يخاطبون به من مسائل العقيدة والا لسألوا عنها واستفسروا عن معناها ، لتعلقها بالجانب الرئيسي في حياتهم ، وهو جانـــب الاعتقاد ، وقد رأينا انهم حملوا سيوفهم في وجـه الاسلام عندما لم يقتنعوا به ، ثـــم صاروا يفدونه فيما بعد بأنفسهم واولادهم وأموالهم ، وما كان لهم أن يفعلـــــوا ذلك في سبيل دين يجهلون مسائل عقيدته ولا يعرفون معناها (٤) .

وكان السلف يكرهون الجدال ، والخوض في المسائل الاعتقادية ، لانهـــم وجدوا أن الله سبحانه وتعالى قد نهى عن الخوض والجدال في آياته ، وحذر مـــن اتباع المتشابه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر من ضرب الكتاب بعضـه ببعض (٥) .

---

(١) سورة الحجرات آية (١)

(٢) انظر مسائل العقيدة الاسلامية بين التفويض والتأويل حـ ١ ص ٩٧

(٣) الاعتصام حـ ٢ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢

(٤) انظر مقدمة تحقيق كتاب شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة حـ ١ ص ١٢

(٥) انظر مسائل العقيدة الاسلامية بين التفويض والتأويل حـ ١ ص ٩٨

يقول ابن القيم : (وقد تنازع الصحابة رضى الله عنهم فى كثير من مسائل الاحكام — وهم سادات المؤمنين واكمل الامة ايمانا — ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال) (١) .

وقد مضى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المرجع فى الحيرة ، والسراج فى ظلمات الشبهة (٢) ، ولم يكن هناك اختلاف بين المسلمين فى مسائل العقيدة وانما كانوا على عقيدة واحدة هى ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولم يكن عندهم شبهة أوشك فيما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول طاش كبرى زادة (ان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة ، لأنهم أدركوا زمان الوحى وشرف صاحبه وأزال عنهم ظلم الشكوك والاوهام) (٣) .

وقد كادت بعض الانحرافات فى العقيدة أن تظهر رأسها فى ذلك المجتمع الا أنها عولجت فى وقتها ، وقضى عليها فى مهدها فلم تظهر بعد ذلك فى تلك الفترة ، فقد تكلم بعض الصحابة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالقدر ، فغضب صلى الله عليه وسلم من ذلك ، ونهاهم عن ذلك فانتهوا . ونخلص الى القول بأنه كان للسلف منهجا مميزا فى تقرير مسائل العقيدة والرد على أهل الأهواء والبدع ، يظهر بوضوح تام من خلال كتاباتهم ، والاثار الواردة عنهم ، نجمله فى الامور التالية :—

١ — تحكيم كتاب الله عز وجل ، والسنة النبوية الصحيحة فى كل قضية من قضايا العقيدة ، وعدم رد شئ منهما أو تأويله .

أما الاستشهاد بالقرآن الكريم فهو بلا ريب أمر متفق عليه بين المنتسبين الى الاسلام ، لكن اصحاب الاتجاه العقلى يؤولون كثيرا من الايات القرآنية المتعلقة باثبات صفات الله عز وجل على غير ظاهرها ، يقول القاضى عبد الجبار : " واذا ورد فى القرآن آيات تقتضى بظاهرها التشبيه وجب تأويلها لان الالفاظ معرضة

---

(١) اعلام الموقعين جـ ١ ص ٥١ ، وانظر مختصر الصواعق جـ ١ ص ٢١

(٢) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٧

(٣) مفتاح السعادة جـ ٢ ص ١٦٢ ، وانظر مسائل العقيدة الاسلامية بين التفويض والتأويل ص ٩٨ ..

للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال) (١) .

بينما نجد أهل السنة والجماعة يحملون آيات الصفات على ظاهرها ولا يؤولون شيئا منها ،ومرد ذلك أنهم وقفوا من قضية التأويل موقفا حازما ، معتمدين في ذلك على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فما وجدوه موافقا للوحي اقروه ونبهوا اليه ،وما وجدوه معارضا له نبذوه وراء ظهورهم مهما كان مصدره . فالسلف يرون ان التأويل بالمعنى الذي درج عليه المتأخرون من المتكلمين واضرابهم ، وهو : صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى آخر يحتمله اللفظ لدليل يقترن به مع قرينة ما نعة من المعنى الحقيقي ، لولاها ما ترك ظاهر اللفظ (٢) لم يكن معروفا عند الصحابة والتابعين واتباعهم يقول الشيخ مرعي المقدسي : (ومن المعلوم أنه عليه السلام كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم ، والجاهل ، والذكي ،والبليد ، والاعرابي الجافي ، ثم لا تجد شيئا يعقب تلك النصوص بما يصرفها عن حقائقها لا نصا ولا ظاهرا كما تأولها بعض هؤلاء المتكلمين ،ولم ينقل عنه عليه السلام أنه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين ونحو ذلك ، ولا نقل عنه أن لهذه الصفات معاني آخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها ،ولما قال للجارية أين الله ،فقالت في السماء ،لم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الامر على خلاف ما هو عليه ، بل أقرها وقال اعتقها فانها مؤمنة " (٣) .

وقد زعم بعض المتكلمين أن (الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر) (٤) .

ويقول السنوسي أيضا : (والتمسك في اصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل هو أصل ضلالة الحشوية ،فقالوا بالتشبيه والتجسيم

---

(١) المحيط بالتكليف ص ٢٠٠

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث حـ ١ ص ٨٠

(٣) اقاويل الثقات في الصفات ل ١٣/ أ وانظر رسالة في الاستواء والفوقية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية حـ ١ ص ١٧٧

(٤) الصاوي على الجلالين حـ ٣ ص ١٠

والجهة عملا بظاهر قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (١) أأمنتم من فـــى السماء) (٢) (لما خلقت بيدى) (٣) . ونحو ذلك ..) (٤)

وقد ركز شيخ الاسلام وتلميذه ابن القيم ومن سار على نهجهما من علماء السلـف على دحض التأويل بالمعنى الذى أراده المتكلمون ومن نحا نحوهم بالادلة الدامغـــة والبراهين القاطعة ، وشددوا القول فى الانكار عليهم .

يقول ابن القيم : (ومن كيده بهم ــ أى الشيطان ــ وتحيله على اخراجهـــم من العلم والدين : أن القى على السنتهم أن كلام الله ورسوله ــ صلى الله عليه وسلـم ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ،وأوحى اليهم أن القواطع العقلية ، والبراهين اليقينيـة فى المناهج الفلسفية والطرق الكلامية . فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقيـــــن من مشكاة القرآن ، وأحالهم على منطق يونان ، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبـــة العرية عن البرهان ، وقال لهم : تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان ومـــــرت عليها القرون والأزمان ، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى آخرجهم من الايمـــــان كاخراج الشعره من العجين) (٥) .

والمعروف من معانى التأويل عند السلف نوعان :

النوع الاول : التأويل بمعنى الحقيقة الخارجية والاثر الواقعى المحسوس لمدلـــــول الكلمة ، اذ الكلام نوعان :

أ ــ الانشاء والتأويل فيه أمرا كان أو نهيا هو فعل المأمور بـــه . وترك المنهى عنه ،ومثال ذلك قول عائشة رضى الله عنها (كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفرلى ،يتأول القـــرآن تعنى قوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)) (٦)

---

(١) سوره طه آيه (٥)
(٢) سوره الملك آيه (١٦)
(٣) سورة ص آيه ٧٥
(٤) شرح ام البراهين ص ٢١٩
(٥) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان حـ ١ ص ١٣٩
(٦) الفتح ٣ ، صحيح البخارى حـ ١ ص ٩٣ ، صحيح مسلم حـ ٤ ص ٢٠١

ب ـ الاخبار وهو نفس الحقيقة المخبر عنها الموجودة في الخارج وهذا يشتمل على اخبار الله عن أمور الغيب ، كاليوم الاخر والبعث ، والصراط والصور والميزان والجنة والنار والملائكة والجن والشياطين ونحو ذلك)(١) .

ويشتمل هذا النوع ايضا على الصفات التي لا يعلم كيفيتها الا الله سبحانه وتعالى ..

النوع الثاني : التأويل بمعنى التفسير والبيان ، وهو اصطلاح قدامى المفسرين كالامام ابن جرير الطبري ـ وأهل الفقه والحديث ، وهو الذي استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم حين دعا لعبد الله بن عباس فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ،فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ،وما يعلم تأويله الا الله،والراسخون في العلم يقولون أمنا به) (٢) كان يقول (انا ممن يعلم تأويله) (٣) أي تفسيره وبيانه وغاية القول : ان السلف كانوا يفهمون التأويل بهذا المعنى ، وهو التفسير المطلوب المحمود ، وما سواه فغير جائز في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ويرى شيخ الاسلام ابن تيمية أن التأويل بهذا المعنى هو الذي درج عليه السلف ،لأنه لابد من فهم كلام الله عز وجل ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، واستشهد على ذلك بقول طائفة من علماء السلف منهم مجاهد بن جبر الذي كان يقول (عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته ،أقف عند كل آية وأسأله عنها)(٤) .

---

(١) انظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزله حـ ١ ص ٧٦ـ٧٧
(٢) سورة آل عمران آيه (٧)
(٣) اخرجه بن جرير في التفسير حـ٣ ص ١٨٣ والسيوطي في الدر المنثور حـ٢ ص ٦ عن ابن المنذر وابن الانبارى وانظر درء تعارض العقل مع النقل حـ١ ص ٢١٥
(٤) اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره حـ١ ص٤٠ ،وابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص ص ١٢٢ ودرء تعارض العقل مع النقل حـ ١ ص ٢٠٨

وقد بين الامام ابن جرير أن تأويل القرآن الكريم يقع على اوجه ثلاثة

أحدها : لا سبيل الى الوصول اليه ، وهو الذى استأثر الله بعلمه او حجب علمه عن جميع خلقه ، وهو أوقات ما كان من اجال الامور الحادثة التى اخبر الله فى كتابه أنها كائنة ،مثل وقت قيام الساعة ، ووقت نزول عيسى بن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ،والنفخ فى الصور وما اشبه ذلك .

والوجه الثانى : (ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وسلم دون سائر امته وهو ما فيه مما بعباده الى علم تأويله الحاجة ، فلا سبيل لهم الى علم ذلك الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله .

والثالث منها : ما كان علمه عند أهل اللسان الذى نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته واعرابه ،لا توصل الى علم ذلك الا من قبلهم فاذا كان ذلك كذلك ،فاحق المفسرين باصابة الحق فى تأويل القرآن الذى الى علم تأويله للعباد السبيل ، أوضحهم حجة فيما تأول وفسر ، مما كان تأويله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر امته ، من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه اما من وجه النقل المستفيض ، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض ، واما من جهة نقل العدول الاثبات فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض ، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته ، وأوضحهم برهانا فيما ترجم وبين من ذلك مما كان مدركا علمه من جهة اللسان ، اما بالشواهد من أشعارهم السائرة ، واما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة ، كائنا من كان ذلك المتأول والمفسر ، بعد أن لا يكون خارجا تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك

عن أقوال السلف من الصحابة والائمة ، والخلف من التابعين وعلماء الامة) (١) .

واما الاستشهاد بالسنة ،فقد وقع فيه الخلاف بين السلف من جهة وبين اصحاب الاتجاه العقلي من جهة أخرى .

أما السلف فانهم يستشهدون بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الصحيحة ولا يردون شيئا منها أو يؤولونه ، ويتضح لنا ذلك من خلال بعض النصوص الواردة عن علمائهم فمن ذلك مثلا قول الامام احمد في احاديث الرؤية .

(احاديث صحاح نؤمن بها ونقر ، وكلما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر) (٢) .

ويقول الامام ابن جرير (فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه ، وليس لاحد مع قوله الذى يصح عنه قول .) (٣)

اذا فالمنهج السلفي هو قبول الاحاديث الصحيحة دون الضعيفة والموضوعة واما أصحاب الاتجاه العقلي فانهم خالفوا هذا المنهج السلفي القويم ، في الاستشهاد بالسنة النبوية الشريفة ، ورفضوا السنة الصحيحة الا المتواتر منها ، واخذوا بما قررته عقولهم ، يقول القاضي عبد الجبار ، وهو يتحدث عن الاحاديث النبوية الشريفة واقسامها من حيث القبول والرفض (... واما مالا يعلم كونه صدقا ولا كذبا فهو كاخبار الاحاد ، وما هذه سبيله يجوز العمل به اذا ورد بشرائطه فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا، فما كان موافقا لحجج العقول قبل واعتقد موجبه لا لمكانه بل للحجة العقلية،وان لم يكن موافقا لها فان الواجب

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٤١

(٢) رواه اللالكائي في شرح اصول اعتقاد اهل السنه والجماعة حـ٢ ص٤٩٢ـ٤٩٣

(٣) جامع البيان حـ ٢٥ ص ١١٤

أن يرد ويحكم بأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقله ، وان قاله فانما قاله على طريق الحكاية عن غيره ، هذا اذا لم يحتمل التأويل الا بتعسف ، فاما اذا احتمله فالواجب أن يتأول ...) (١) . وقد قاوم السلف هذا الاتجاه الاعتزالي المنحرف وأكدوا على ضرورة الاخذ بالسنة الصحيحة وتقديمها على المقررات العقلية .

(٢) الاخذ بما ورد عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيان مسائل العقيدة خاصة ، وبيان امور الدين عامة ، وتقديم اقوالهم على أقوال من جاء بعدهم، والسبب فى ذلك عائد الى أن الصحابة رضوان الله عليهم فضلوا على غيرهم بمشاهدة التنزيل ومعاصرة الوحى الالهى وشرف صحبة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، وصفاء عقولهم مما جد بعدهم من البدع الضالة والتأويلات المنحرفة ،اضافة الى ما كانوا يتمتعون به رضوان الله عليهم من الفهم اللغوى للنصوص الشرعية . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف : أن خير قرون هذه الأمة ـ فى الاعمال والاقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة ـ أن خيرها : القرن الاول ،ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه ، وأنهم افضل من الخلف فى كل فضيلة من علم وعمل وايمان وعقل ودين ، وبيان وعبادة ،وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل هذا لا يدفعه الا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ،وأضله الله على علم ، كما قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : (من كان منكم ،متسنا فليستن بمن قد مات ،فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة ،اولئك اصحاب محمد

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٦٩ ـ ٧٧٠

ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبر هذه الامة قلوبا ، واعمقها علما ،واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، واقامة دينه ،فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم) (١) وقال غيره (عليكم بآثار السلف فانهم جاؤا بما يكفي وما يشفي ، ولم يحدث بعدهم خير كامن لم يعلموه) (٢) . وقال الامام الشافعي : (هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل ،وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى ،ورأيهم لنا خير من رأينا لانفسنا) . (٣)

وقال الامام احمد : (اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والاقتداء بهم ، وترك البدع وكل بدعة ضلالة والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم) . (٤) .

(٣) عدم الخوض في المسائل الاعتقادية وبخاصة فيما يتعلق بالغيبيات وسبب ذلك عائد الى انهم ادركوا وتيقنوا ان العقل البشري عاجز عن معرفة الامور الغيبية بنفسه استقلالا ، وأن وظيفة العقل هي الفهم والاتباع والاعتقاد لما جاء به الوحي ، وليس الرد والاعتراض لان الوحي جاء ليكون ميزانا بين العقول المختلفة .

(٤) عدم مجادلة أهل البدع ،ومخالطتهم والجلوس معهم ،فقد كان ائمة السلف رضوان الله عليهم يكرهون مجادلة أهل البدع والجلوس معهم ،ونهوا الناس عن نقل شبههم او عرضها على المسلمين ، لخوفهم من ضعف الناقل وقلة حيلته وعجزه عن ابطالها وتزييفها ، فيفتتن بها بعض من سمعها او قرأها من الناس ، وفي عدم مجادلة أهل البدع والزيغ وعرض شبههم صيانة

---

(١) نقض المنطق ص ١٢٩ ـ ١٣٠
(٢) المصدر نفسه ص ١٣٠
(٣) المصدر نفسه ص ١٣٠
(٤) المصدر نفسه ص ١٢٨

لقلوب المسلمين ، وحماية لعقولهم وافكارهم وعقيدتهم من الزيغ والضـــلال كما أن فيه اهانـــه للمبتدعين ،ومحاصرة لارائهم المنحرفة عن الطريق المستقيم وعدم جعل الكتب السلفية جسورا تمر عليها أراء أهل البدع المنحرفة.وقد حذر أئمة وعلماء السلف من مجالسة أهل البدع ومناظرتهم تحذيرا شديدا ،

جاء ذلك في كلام كثير من علماء السلف وكتبهم ، فقد روى البغوى بسنده عـن سفيان الثورى أنه قال : (من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه ، لا يلقيهــا في قلوبهم) (١) ، وقال يونس بن عبيد : (لا تجالس سلطانا ،ولا صاحـب بدعة) (٢) ، وكان الفضيل بن عياض يقول : (صاحب البدعة لا تأمنـــه على دينك ،ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس اليه ، فمن جلس الى صاحـب بدعة ورثه الله العمى) (٣) .

وروى عن حنبل بن اسحاق بن حنبل أنه قال : (كتب رجل الى ابى عبدالله رحمه الله كتابا يستأذن فيه أن يضع كتابا يشرح فيه الرد على أهل البـدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم.فكتب اليه ابو عبد الله كتابـا فيه : الذى كنا نسمع وادركنا عليه من ادركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ ، وانما الامر فى التسليم والانتهاء الى ماكان فى كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لا فى الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم ،فانهم يلبسون عليك ، وهم لا يرجعون ، فالسلامة ان شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم فى بدعتهم) (٤) الا أن ـ السلف اضطروا كارهين الى كشف شبه المؤولين والمعطلين ،وبيان خطـــر ما ذهبوا اليه دفاعا عن عقيدة السلف المجيدة .

---

(١) شرح السنة حـ ١ ص ٢٢٧

(٢) شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة حـ ١ ص ١٣٥

(٣) المصدر نفسه حـ ١ ص ١٣٧ ،الابانة ١/ل ٤٢ ب

(٤) الابانة حـ ١ ل ٤٤ ـ أ ـ ب

المبحث الثاني

منهج السلف في تدوين العقيدة

تمهيد :

كان لظهور البدع بين صفوف المسلمين ، وتسرب خطرها الى عقيدة الامة الاسلامية وازدياد شرها يوما بعد يوم على معتقد المسلمين ، وظهور الفتنة الكبيرة التي شغلت المسلمين كثيرا الى حيز التنفيذ ، وتعرض علماء السلف من جراء ظهورها للاهانة والتنكيل من قبل اتباعها وهي فتنة القول بخلق القرآن ــ كان لهذه الامور كلها الاثر الفعال في يقظة المذهب السلفي وشعور علمائه بالخطر الداهم من قبل المذاهب الاخرى المنحرفة على عقيدة الناس ، فقد بلغت المعتزلة مثلا ، أوج قوتها وعظمتها في خلافة المأمون والمعتصم والواثق ، الذين اعتنقوا أفكار دعاتها ومكنوا لهم في الارض ، وثبتوا أقدامهم ، وساعدوهم على نشر بدعتهم المنحرفة ، وبخاصة القول بخلق القرآن ، ولكن الله يأبى الا أن يعلى كلمته ويظهر الحق على الباطل ويمكن لجنده المنافحين عن دينه في الارض ، فهيأ مجموعة من علماء السلف الذين أعز بهم دينه ، فنصروا الحق ، ودافعوا عن العقيدة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ، وابطلوا شبه المنحرفين ، وتأويلاتهم الفاسدة وطاردوا فلول دعاة الاعتزال والتجهم وغيرهم حيثما كانوا ، وحذروا الامة من شرهم ، فاندحر المبتدعون بحمد الله وتوفيقه في جحورهم خائبين ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة الا في القليل النادر ، وارتفعت رايات عقيدة السلف واصحاب الحديث خفاقة فوق رؤوس الناس ، رغم أنوف المؤولين والمعطلين والمشبهين ، وبدأت مرحلة جديدة عني فيها علماء السلف بتدوين العقيدة والتأليف فيها ، وبينوا للناس صفاءها وسلامتها من التحريف ، وردوا على شبه المنحرفين عنها ، وابطلوا تأويلاتهم الفاسدة . وقد اتخذت هذه المؤلفات منهجين اثنين مختلفين هما :

أولا : منهج السرد :

ويتمثل هذا المنهج في عرض شبهة الخصوم موجزة وبصورة غير كاملة ، ثم بيان

الحق في ذلك مدعما بالادلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ،واقوال الصحابة والتابعين وكانوا نادرا ما يلجأون الى دعم أدلتهم بالادلة العقلية ويمثل هذا النوع من التأليف المؤلفات التالية :ـ

١ ـ كتاب الايمان لابي عبيد القاسم بن سلام •

٢ ـ الرد على الجهمية والزنادقة للامام احمد بن حنبل •

٣ ـ الرد على الجهمية لعبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفي (٢٢٩هـ)•

٤ ـ الرد على الجهمية لابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري •

٥ ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لعبدالله بن مسلم بن قتيبة •

٦ ـ الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي •

٧ ـ الرد على بشر المريس لعثمان بن سعيد الدارمي •

٨ ـ الرد على الجهمية لعبد الرحمن بن أبي حاتم (٣٢٧هـ)•

وجميع هذه الكتب مطبوعة ما عدا الكتاب الاخير منها •(١)•

ثانيا : منهج العرض :

وهو عرض عقيدة السلف الصحيحة مدعمة بالادلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واقوال الصحابة والتابعين لهم باحسان ، والادلة العقلية التي تخدم الادلة الشرعية ، دون عرض للشبه أو ادلتها ونادرا ما يخالفون هذا المنهج ،ويمثل هذا النوع من التأليف المؤلفات التاليه :

١ ـ السنة ، رسالة للامام احمد بن حنبل ، مطبوع

٢ ـ السنة لعبدالله بن احمد بن حنبل ، مطبوع•

٣ ـ السنة لمحمد بن نصر المروزي مطبوع•

---

(١) انظر رسالة التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى حـ ٥ ص ١٢

٤ ـ السنة لاحمد بن محمد بن هارون الخلال (٣١١هـ)

٥ ـ التوحيد لابن خزيمة مطبوع

٦ ـ الابانة لعبيد الله بن محمد بن بطة (٣٨٧هـ) مخطوط (١)

٧ ـ التوحيد لمحمد بن اسحاق بن مندة (٣٩٥هـ).

٨ ـ شرح السنة لابي عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ) (٢).

ومعظم هذه المؤلفات مطبوعة ، وتوجد مؤلفات في العقيدة الى جانب هذه المؤلفات فقد بعضها أو انه ما زال في اعماق المكتبات يتطلع الى اليوم الذي تصل اليه ايدي الباحثين عن اثار السلف الصالح والمنقبين عن المخطوطات الاسلامية.

والناظر في هذه المصنفات يلاحظ انها تركز على قضية مهمة هي العودة بالامة الاسلامية الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة كما فهمهما السلف الصالح ، واتباعهم في ذلك ، واجتناب البدع والضلالات والاراء المحدثه والمذاهب المنكرة.

---

(١) قام احد طلبة الدراسات العليا الشرعيه بجامعة ام القرى بتحقيقه

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ٥ ص ١٢

المبحث الثالث

أهم مزايا عقيدة السلف

تمهيد :

ان الناظر فى عقيدة السلف يرى فيها من المزايا التى لا تتوفر فى عقيدة غيرهم فهى عقيدة سهلة ميسورة بعيدة عن التعقيدات المنطقية ، والسفسطات العقلية ،والخزعبلات الكلامية ،والالغاز المحيرة . اذ أن سلف الامة الاسلامية رضوان الله عليهم حرصوا كل الحرص فى معالجتهم لمسائل العقيدة ،على أن تكون ميسورة ومفهومة لجميع المسلمين بلا استثناء ،فقد وضحوا مسائلها توضيحا شافيا ، معتمدين فى ذلك على نصوص القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا حريصين على أن تكون قريبة من فطرة الناس ، لان منهجهم قائم على أن كل محاولة للتقرب من الفطرة هى فى الحقيقة تقرب من الدين ، وكل محاولة للابتعاد عن الفطرة هى ابتعاد عن الدين وأن الابتداع فى نظرهم والبعد عن الفطرة السليمة سواء أكان ذلك بالزيادة على الدين ، أو النقصان منه ، كان سببا مباشرا فى ظهور التحريف الذى دخل على بعض الشرائع الدينية . وقد وقع بعض المسلمين فى الابتداع حين ابتعدوا فى اعتقادهم عن عقيدة السلف الواضحة . اذ أثبت بعض المنحرفين عن عقيدة السلف لله عز وجل صفات زيادة من عند انفسهم لم يثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه ،ولا اثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الصنيع من هؤلاء المنحرفين هو بلا ريب زيادة فى الدين ، وقد عمد بعض المنحرفين عن عقيدة السلف الى الصفات التى وصف الله عز وجل بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم فردوها عن طريق التأويل وحرفوا معانيها اللائقة بالله عز وجل ، ولا شك ان هذا العمل نقص من الدين ، يقول ابن الوزير فى ذلك : (فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع الى أمرين واضح بطلانهما فتأمل ذلك بانصاف وشد عليه يديك ، وهذان الامران الباطلان هما : الزيادة فى الدين باثبات ما لم يذكره الله تعالى ورسله عليهم السلام من مهمات الدين الواجبة ،

والنقص منه بنفي بعض ما ذكره الله تعالى ورسله من ذلك بالتأويل الباطل .) (١)

في ضوء ما تقدم استطيع أن الخص أهم مزايا عقيدة السلف بالنقساط التاليه :

(١) تبتعد عقيدة السلف بالمسلم المتمسك بها ، عن الشكوك والاوهام ، وتقطع مسالك الشيطان الى نفسه وتترك في نفسه الطمأنينة الصادقة ، والارتياح التام ، وهذا هو الموقف الذى اراده الله عز وجل من المؤمنين بقوله : " انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون " (٢) بينما نرى الكثيرين من اتباع علم الكلام ، واتباع الفرق المنحرفة عن عقيدة السلف في حيرة ملازمة لبعض اعتقاداتهم ، لانهم استفادوا ايمانهم من الادلة الكلامية. ولا ريب أن الايمان المستفاد من الادلة الكلامية ضعيف جدا ، ومشرف على الزوال بكل شبهة تعترض سبيله ، وفي ذلك يقول الامام الغزالي : (الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدا ، مشرف على الزوال بكل شبهة بل الايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا بتواتر السماع) (٣) .

وقد حفظت لنا بطون الكتب نصوصا كثيرة في تراجع الكثيرين من أقطاب علم الكلام عن هذا العلم المعقد الكريه ، الذى اتخذ الجدل المذموم مطية له في اثبات العقيدة . ومن اشهر هؤلاء العلماء الشهرستاني والرازى ، وأبي المعالي الجويني امام الحرمين وغيرهم) (٤) .

---

(١) ايثار الحق على الخلق ص ٨٦ ، وانظر علاقة الاثبات ص ٢٩

(٢) سورة الحجرات آيه (١٥) .

(٣) علاقة الاثبات والتفويض بصفات رب العالمين ص ٩ نقلا عن الجواهر الغوالي للغزالي ص ٩٩

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاويه ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ ، مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١٠ ، تلبيس ابليس ص ٩٣ ، علاقة الاثبات والتفويض بصفات رب العالمين ص ١١ ـ ١٣

(٢) تعصم عقيدة السلف المسلم الملتزم بها من رد معاني نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ، أو التلاعب في تفسيرهما بما يوافق الهوى ، وتجعل موقفه من نصوص القرآن الكريم والسنه الشريفة موقف التعظيم والاجلال لانه يعلم أن كل ما ورد فيهما حق وصواب ، كما أن عقيدة السلف تجنب المسلم الهلكة بتركه الخوض في مسائل العقيدة ، ومناقشة الخصوم وأهل الزيغ والبدع . بينما نجد كثيرا من المنحرفين عن هذه العقيدة المباركة يفسرون كثيرا من النصوص القرآنيه والاحاديث النبوية الشريفة الصحيحة بما يوافق الهوى . وينساقون بكل حماس وراء المناقشات الجدلية المذمومة في دين الله عز وجل ، وبخاصة في مسائل العقيدة والامور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها .

(٣) وتتميز عقيدة السلف بأن فيها التمسك التام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة كاملة ، وعدم رد اى شيء منها في مسائل العقيدة خاصة وأمور الدين عامة ، تحت دعوى التقسيمات المحدثة للسنة من متواتر وخبر آحاد وغير ذلك من التسميات والتقسيمات التي لم تكن معروفة عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وتربط هذه العقيدة المسلم الملتزم بها بالسلف العظيم فيزداد عزما وافتخارا، لانه سائر على خطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من علماء السلف الذين هم أئمة الاتقياء وسادة الاولياء . ولا يدخل في نفسه شك في انه سالك الطريق المستقيم .(١)

(٤) وتتميز عقيدة السلف كذلك بانها توحد صفوف المسلمين على عقيدة واحدة وتجمع كلمتهم لانها نابعة من كتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهي مناداة صريحة وتحقيق عملي لقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)(٢) بخلاف الدعوة الى عقيدة المنحرفين عن الكتاب والسنة

---

(١) انظر علاقة الاثبات والتفويض بصفات رب العالمين ٢٧

(٢) سورة آل عمران ايه (١٠٣)

فانها تفرق الكلمة وتجعل المسلمين في خلاف دائم في أهم ركن من أركان دينهم وهو العقيدة .

(٥) وتتميز عقيدة السلف بأنها تحقق للمسلم المتمسك بها وصف الله الذى رضيه لعباده المؤمنين بقوله (ويسلموا تسليما) (١) لان دور العقل في هذه العقيدة المباركة ، هو الرضا والاطمئنان والتقدير لعظمة الله عز وجل والتفكر في مخلوقاته العظيمة المبثوته في هذا الكون العظيم، والتأمل بما أودع الله عز وجل فيه من الايات ونصب فيه من العبر الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى . فعقيدة السلف لا تهمل العقل جانبا ، بل تضعه في المجال الذى ينبغى له ان يؤدى دوره فيه (٢) وتبتعد بهذا العقل عن ولوج باب خارج عن مداه الطبيعى ، فمكانه المناسب الذى سمح الله له بأن يعمل في اطاره هو الكون المادى ، اما اذا تجاوز حدود هذا الكون المادى فانه يدخل في حدود منطقة محظورة عليه، لانها فوق طاقته ولا يمكن له أن يدركها وبالتالى فانه يقع في الاخطاء والعبث، والله أراد للعقل أن يكون منزها عن العبث . فالعقل عاجز كل العجز في عالم الغيب ، وكل نتائجه في مجال عالم الغيب تخرصات وظنون واحتمالات . وبناء على ذلك فان دور العقل في عقيدة السلف هو التسليم التام لما جاء به الوحى المعصوم من الخطأ ، فلا يقدم العقل عند السلف على نصوص الشرع ، كما لا يهمل العقل عندهم جانبا، لان العقل الصريح في نظرهم لا يخالف النقل الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(١) سورة النساء ايه (٦٥)

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣ ـ ٢٤

الفصـــل الثانــــى

منهجـــه فى الدفاع عن عقيدة السلـف

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحـــــث الاول

منهجه فى تقريـــر العقيـــدة

لقد اختلفت السبل ، وتعددت المناهج فى تقرير مسائل العقيـــدة ، ولا سيما فى المسائل التى تتعلق بذات الله سبحانه وتعالى ، من اثبـــات وجوده ، ووحدانيته ، واسمائه ، وصفاته ، حيث ذهب فريق من الناس الـــى تقديم الادله العقليه على الأدله السمعيه ، واعتبروا العقل هو الاساس فـــى اثبات مسائل العقيده ، وذلك هو المشهور عن المعتزله ومتكلمى الأشاعـــرة واتبع هؤلاء الناس منهجا فلسفيا وصفه الدكتور محمود قاسم بأنه منهج قليل الوضوح والقوة ، وأنه منهج واه لا يصلح لا للعلماء ولا للعامه ، بل هـــو اعجز عن أن يقنع المتكلمين أنفسهم ، لأنه منهج جدل لا منهج اقناع .(١)

اما الامام ابن جرير فقد سلك منهجا متميـــزا فى تقرر مسائل العقيده ، يتســـم بحب واضح وتفضيل اكيد لسلوك الأدله النقلية الوارده لاثبات مسائل العقيده ، مع الآخذ بالادله العقلية الى جانب الأدلة النقليه وذلك فـــى المسائل التى يمكن للعقل أن يشارك فيها ، كاثبات وجود الله عز وجـــل ، ووحدانيته ، والصفات العقلية ، ويتجلى ذلك بوضوح تام من خلال أقوالـــه الكثيره المبثوثه فى ثنايا تفسيره . وفيما يلى بيان ذلـــك ..

(١) يقـــول الامام ابن جرير موضحا منهجه فى تقرير مسائل العقيدة :

" فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه ، وليـــس لأحد مع قوله الذى يصـــح عنه قـــول "(٢)

---

(١) انظـــر مقدمه الدكتور محمود قاسم لكتاب مناهج الادلـــه لابن رشـد ص ٩ ..

(٢) جامع البيان جـ ٢٥ ص ١١٤ ..

ونلاحظ في هذا النص أن الامام ابن جرير وضح منهجه توضيحا شافيـا ، حيث يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما انزل الله عليه ، ولا ريب أن ما ذهب اليه هو الحق الذى لا ينبغى ، المدول عنه.

وطبقا لذلك فهو يرى أنه لا يجوز بحال من الاحوال أن يقدم على قـول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قول لأى انسان مهما كان ، لأن قـول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فيصل التفرقه بين الحق والباطل ، وبناء على ذلك فانه لا يلتفت الى قول اى انسان مع وجود الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبناء على هذا الاساس فـان مسائل العقيده التى ترد فى احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحه ، لا يجوز مخالفتها ولا ردها ، ويجب على المسلـم الأخذ بها ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق بما انـزل الله عليه..

(٢) لا يستجيـز الامام ابن جرير مخالفه قول أهل العلم من الصحابـة والتابعيـن اذا استفاض الخبر عنهم ، وقولهم مقدم بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول غيرهم عنده ، وهو بهذا الصنيع يؤكـد التزامه بمنهج السلف ، وعدم الخروج عليه ، يقول الامام ابن جريـر فى توضيح رأيه فى هذا المقام : " وانما اخترنا هذا القول على غيـره من الأقـوال لموافقه أقوال أهل العلم من الصحابه والتابعين اذ كنـا لا نستجيـز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهـم مجيئـا يقطع العذر " (١).

(٣) لا يقدم الامام ابن جرير العقل على السمـع. وقد عبر عن ذلك فـى مواطن كثيرة من تفسيره ، منها قوله مثلا (ولم يضع لنا دليلا من خبـر

---

(١) المصدر نفسـه حـ ١٦ ص ١٥١..

ولا عقل أنه عنى بعض ذلك دون بعض) (١) فنحن نلاحظ فى هـــذا النص أن الامام ابن جرير يقدم السمع على العقل فى تفـسير أيات القرآن الكريم ومن جملتها الأيات التى وردت فى تقرير مسائل العقيده ، كمـــا نلمس فيه اشارة واضحه الى عدم اهمال العقل ، وسبب ذلك يعود الـى أن منهج السلف قائم على قاعده مفادها أن العقل الصريح لا يخالــف النقل الصحيـــح .

(٤) يتوجه الامام ابن جرير بالنقد الى المعتزله لعدم رجوعهم فى أقوالهـــم الى القرآن الكريم والسنه المطهره ، وقد جاء انتقاده لهم فى معـــرض رده عليهم فى انكارهم للرؤيه حيث يقول : " .. ولكنا ذكرنا القـــدر الذى ذكرنا ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهـــم الا الى ما لبس عليهم الشيطان ، مما يسهل على أهل الحق البيان عـن فساده ، وأنهم لا يرجعون فى قولهم الى آية من التنزيل محكمة ، ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحه ولا سقيمه ، فهم فى الظلمـات يخبطـــون وفى العمياء يترددون نعوذ بالله من الحيرة والضلاله" (٢). والشاهد فى هذا النص هو عيبـــه عليهم فى عدم رجوعهم الى كتـــاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل واضح فى بيـان مدى حرص الامام ابن جرير على الأدله النقلية ، والاعتماد عليها فـــى تقرير مسائل العقيده ، والدفاع عنها .

بعد هذا العرض الموجز لمنهجه فى تقرير مسائل العقيده نستطيـــع أن نلخص منهجه فى تقريرها اجمالا فى الامور التاليـــه..

---

(١) المصدر نفسه حـ ٢٥ ص ١٢٧ .

(٢) المصدر نفسه حـ ٧ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ..

(١) يثبت الامام ابن جرير لله تبارك وتعالى الصفات التى اثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وينفى ما نفى الله عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، يدل على ذلك قوله فى كتابه التبصير فى معالم الدين حيث يقول : " القول فيما ادرك علمه من الصفات خبرا ـ ثم ذكر مجموعه من الصفات الخبرية كالوجه ، واليدين ، والقدم ، والاصابع،والضحك، والهبوط ـ وعقب على ذلك بقوله : فان هذه المعانى التى وصفت ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله ما لا يثبت حقيقه علمه بالفكر والروية، لا نكفر بالجهل أحدا الا بعد انتهائها اليه " (١) ويقول فى معرض رده على النافين عن الله تعالى صفه الاستهزاء بالمنافقين والكافرين ونحوهم " واما الذين زعموا ان قول الله تعالى " الله يستهزئ بهم " (٢)

انما هو على وجه الجواب ، وانه لم يكن من الله استهزاء ، ولا مكر ولا خديعة ، فنافون عن الله عز وجل ما قد اثبته الله عز وجل لنفسه وأوجبه لها " (٣)

نلاحظ فى هذا النص أن الامام ابن جرير توجه بالنقد الى المتكلمين فى تأويلهم لاستهزاء الله بالمنافقين ، وبين أنهم بهذا التأويل نافون عن الله عز وجل ما قد اثبته لنفسه ، اذ الاصل فى ذلك هو اثبات ما اثبت الله لنفسه ، ونفى ما نفى عن نفسه ..

---

(١) مختصر العلو ص٢٢٤ نقلا عن ابطال التأويل للقاضى ابى يعلى الحنبلى وانظر سير اعلام النبلاء حـ ٩/٣/ل ٤٢٠ ـ ٤٢١ ، مختصر الصواعق المرسله حـ ٢ ص ٢٥٠.

(٢) سورة البقـرة ١٥ ..

(٣) جامع البيان حـ ١ ص ١٣٤ ..

وكما انكر الامام ابن جرير على المؤولين الذين أولوا صفات الله عز وجل ، فقد انكر فى الوقت نفسه على الذين يصفون الله بغير صفاته، حيث يقول فى ذلك : " وغير جائز وصف الله بالكذب ، لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته " (١)

وقد جاء النفى والاثبات فى كلام الامام ابن جرير واضحا فى تفسيره لقوله تعالى " ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وان يوما عند ربك كألف سنه مما تعدون " (٢)

حيث يقول فى تفسير هذه الاية : " فبين بذلك أنه عنى بقوله " وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " نفى العجلة عن نفسه، ووصفها بالاناة والانتظار "

وهذا نص واضح وصريح فى اثبات ما أثبت الله لنفسه ، ونفى ما نفى الله عن نفسه ، ولا ريب أن هذا تأكيد لقاعدة عظيمة من قواعد مذهب السلف ، وهى اثبات ما أثبت الله لنفسه ، وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونفى ما نفى الله عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية مؤكدا ما ذهب اليه الامام ابن جرير فى هذه القاعده : " والقول الشامل فى جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث ، قال الامام أحمد رضى الله عنه.

لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه ، او وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم

---

(١) المصدر نفسه جـ ٧ ص ٢٣٧.
(٢) سورة الحج ٤٧ ..

أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث مقصود المتكلم بكلامه ، ولا سيما اذا كان المتكلم اعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وافصح الخلق في البيان والتعريف والدلاله والارشاد " (١)

وقال الحافظ ابن كثير : " فاذا نطق الكتاب العزيز وردت الأخبار الصحيحة باثبات السمع والبصر ، والعين والوجه ، والعلم ، والقوة ، والقدرة والعظمه والمشيئه والارادة والقول ، والكلام ، والرضى والسخط ، والحب والبغض ، والفرح والضحك ، وجب اعتقاد حقيقته من غير تشبيه بشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، والانتهاء الى ما قاله الله سبحانه وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم من غير اضافه ولا زيادة عليه ، ولا تكييف له ولا تشبيه ، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولاازالة للفظ عما تعرفه العرب ، و تصرفه عليه ، والامساك عما سوى ذلك ". (٢)

(٢) ينزة الامام ابن جرير الله سبحانه وتعالى عما نزه نفسه تعالى عنه ، في كتابه ، أوعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تعطيل للنصوص عن معانيها الوارده لها في الشرع ، وقد جاء التصريح بالتنزيه في كثير من أقواله المثبوته في ثنايا تفسيره نذكر منها ما يلي :

(أ) يقول الامام ابن جرير : " فربنا جل ثناؤه الذى لا شبه له ولا مثل في سؤدده والمصلح أمرخلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذى له الخلق والامر " (٣)

(ب) وقال في تفسير قوله تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (٤)

---

(١) الفتوى الحموية ضمن مجموعه نفائس ص ١٠١ .
(٢) العقائد ل ٢/٤ .
(٣) جامع البيان جـ ١ ص ٦٢ .
(٤) سورة الشورى ١١ .

" فيه وجهان احدهما أن يكون معناه ليس هو كشيء ..
والاخـر أن يكون معناه ليس مثله شيء " (١)

(جـ) وقال فى تفسير قوله تعالى : " رب السموات والارض وما بينهمـا فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا " (٢) واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته تفز برضاه عنك ، فانـه الاله الذى لا مثل له ولا عدل ولا شبيه فى وجوده وكرمه وفضله " (٣)

(د) وقال فى تفسير قوله تعالى " ولم يكن له كفوا أحد " (٤) والكفـؤ والكفىء والكفاء فى كلام العرب واحد وهو المثل والشبيه ، وذكـر طائفة من أقوال علماء السلف فى تفسير هذه الأية كلها تـدور على أن الله سبحانه وتعالى لا مثل له ولا شبيه " (٥)

مما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير يقرر قاعدة أخرى من القواعد الـتى بـنى عليها مذهب السلف فى العقيدة ،

يقول الشيـخ الشنقيطي مؤكدا ما ذهب اليه الامام ابن جرير " ان مبحث أيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يرتكز على ثلاثه اسـس ... أحد هذه الأسس الثلاثه هو تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيئ مـن صفاته شيئا من صفات المخلوقيـن وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالـى " ليس كمثله شـيء " " ولم يكن له كفوا أحد " ... فيلزم كـل مكلف أن ينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفه الخلق ... ومن ظـن أن صفة خالـق السماوات والأرض تشبه شيئا من صفات الخلق فهو جاهل

---

(١) المصدر نفسه جـ ٢٥ ص ١٢ ـ ١٣ .
(٢) سورة مريـم ٦٥ .
(٣) المصدر نفسه جـ ١٦ ص ١٠٦ .
(٤) الاخـلاص ٤
(٥) المصدر نفسه جـ ٣٠ ص ٣٤٨ ، وانظر ص ٣٤٧ ..

ملحد ضال ، ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منزها ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل .
وهذا التحقيق هو مضمون " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " .
فهذه الآية فيها تعليم عظيم بحل جميع الاشكالات ، ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع ، ذلك لأن الله قال " وهو السميع البصير " بعد قوله " ليس كمثله شيء " ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات . فكأن الله يشير للخلق الا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر ، وان ذلك تشبيه ، بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على اساس " ليس كمثله شيء " فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله ، والمخلوقات لهم صفات مناسبه لحالهم ، وكل هذا حق ثابت " (١) .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " القول فى الصفات كالقول فى الذات ، فان الله ليس كمثله شيء لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات " (٢) .

وثمة أمر أخر يتعلق بهذا البحث وهو أن السلف ومن بينهم الامام ابن جرير كانوا يفصلون فى الاثبات ، ويجملون فى النفى والتنزيه ، وقد لمسنا ذلك من خلال كلام الامام ابن جرير السابق فى تنزيه الله تعالى هذا وقد وضح شيخ الاسلام ابن تيمية مذهب السلف فى هذا الموضوع توضيحا شافيا حيث يقول " والله سبحانه بعث رسله باثبات مفصل ونفى مجمل ، فاثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ، ونفوا عنه ما لا يصلح

---

(١) منهج ودراسات ص ٢٣
(٢) الرسالة التدمرية ص ١٩

له من التشبيه والتمثيل " (١)

(٣) يجرى الامام ابن جرير نصوص الصفات على ظاهرها مع اعتقاده ان ظاهرها يليق بالله عز وجل ولا يشبه صفات المحدثات ، ويرى عدم الخوض في المسائل التي لم يرد فيها دليل شرعي ، ولم يتطرق اليها السلف بالبحث كما يرى أن السكوت أولى من الخوض فيها ، وقد عبر عن ذلك بقوله :ـ

" وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غيره ، فانه من الحماقات الحادثه التي لا أثر فيها فيتبع ، ولا قول من امام فيستمع ، فالخوض فيه شين ، والصمت فيه زين ، وحسب امرئ من العلم به القول فيه أن ينتهي الى قول الله جل ثناؤه الصادق " (٢) .

ويقول في مكان آخر : " واذا كان كل ما دار في كلامها " يعني لغة العرب " ولم يكن في كتاب الله ، ولا في خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل على أي ذلك هو من أي ، كان الواجب أن نقول فيه ما قال ، ونسكت عما لا علم لنا به " . (٣)

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير ينتهي في مسائل العقيدة التي لم يرد فيها نص باثبات أو نفي عند قول الله عز وجل ، ويفضل السكوت في مثل هذه المسائل على الخوض فيها ، هذا من جهه ، ومن جهة أخرى فان الامام ابن جرير يجري الصفات على ظاهرها ، مع اعتقادة أن ظاهرها يليق بالله عز وجل ، ولا يشبه صفات المحدثات ، ويثبتها لله عز وجل على الوجه اللائق بكماله وجلاله كما اثبتها الله لنفسه واثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ، مع القطع بان كيفية هذه الصفات لا يمكن معرفتها ، لأن الكيف مجهول لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى . ويبدو

---

(١) مجموع الفتاوى حـ ٣ ص ٤
(٢) عقيده الامام ابن جرير ل ١٦٧ .
(٣) جامع البيان حـ ١٧ ص ٢٣ .

هذا الموقف من الامام ابن جرير واضحا وجليا في مناقشاته الكثيرة للمؤولين في الصفات ، وردوده عليهم ، باثبات هذه الصفات لله عز وجل على الوجه اللائق بكماله وجلاله في ضوء اعتقاد أهل السنه والجماعة من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، ولا ريب أن موقف الامام ابن جرير من اثبات الصفات لله عز وجل ، واجرائها على ظاهرها اللائق بالله عز وجل مع نفي التشبيه والتكييف هو تقرير لقاعدة اخرى من قواعد المذهب السلفي المهمة . يقول ابو سليمان الخطابي (٣٨٥ هـ) مؤكدا ما ذهب اليه الامام ابن جرير في هذه القاعده : " فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة ، فان مذهب السلف اثباتها واجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها " (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فمذهب السلف رضوان الله عليهم اثبات الصفات ، واجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها ، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، واثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية ، فكذلك اثبات الصفات ، وعلى هذا مضى السلف كلهم " (٢) .

شبهة التفويض والرد عليها :ـ

ولقد وردت بعض العبارات عن بعض علماء السلف ، توحي بأن المراد منها هو اقرار الصفات ، وترك تأويلها وتفسيرها . وقد اتخذت تلك العبارات شبهة للطعن في مذهب السلف ، حيث قرر بعض الناس بموجبها أن مذهب السلف في الصفات هو التفويض وليس الاثبات ..

والحق أن مثل هذه العبارات الصادرة عن علماء السلف في امرار الصفات كما

---

(١) الفتوى الحموية ص ١٢٤ .

(٢) نقض المنطق ص ٦ ..

جـاءت لا تتنافى مع ما قرروه من الاثبات ، لأن مرادهم بمثل تلك العبارات هو ترك الكلام فى معنى الكيفيه التى لا سبيل الى الوصول اليها ، فلا بد من اليأس من ادراك معنى الكيفيه ، وهذا أصل معروف عند علماء السلف ويزيد الأمـــر وضوحا من أن المراد من تلك العبارات هو امرار الكيفيه ، هو ان كـــل من نقل عنه من علماء السلف القول بمثل تلك العبارات ، قد نقل عنه القـــول باثبات الصفـــات .

يقول ابو القاسم الاصفهانى فى معرض حديثه عن آيات واحاديث الصفات :
" فان مذهبنا فيه ومذهب السلف اثباته واجراؤه على ظاهره ، ونفى الكيفيـــه والتشبيه ، وقد نفى قوم فأبطلوا ما اثبته الله تعالى ، وتأولها قوم على خـــلاف الظاهر ، فخرجوا من ذلك الى ضرب من التعطيل والتشبيه .
والقصد انما هو ســـلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، لأن دين اللـــه تعالى بين الغالى والمقصر عنه ، فالأصل فى هذا أن الكلام فى الصفات فـرع على الكلام فى الذات ، واثبات الله تعالى انما هو اثبات وجود لا اثبات كيفيـة ، فاذا قلنا يـد وسمع وبصر ونحوها ، فانما هى صفات اثبتها الله لنفسه ، ولـم يقل معنى اليد القوة ، ولا معنى السمع البصر والعلم والادراك ، ولا نشبهها بالأيدى والاسماع والابصار ، وانما نقول وجب اثباتها لأن الشرع ورد بها ، ووجب نفـــى التشبيه عنها لقوله تعالى " ليس كمثله شـــيء وهو السميع البصير " كذلـــك قال علماء السلف فى أخبار الصفات أمروها كما جاءت " (١)

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله عليه : " ومراد السلف بقولهم بـــــلا كيف هو نفى للتأويل ، فان التكييف الذى يزعمه أهل التأويل فانهم هم الذيـــن يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون فى ثلاثه محاذير نفى الحقيقه ، واثبات التكييف بالتأويل ، وتعطيل الرب تعالى عن صفتة التى أثبتها لنفسه ، وأما أهل الاثبـــات

---

(١) الحجة على تارك المحجـــة ل ٢٣/ ب ..

فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ، ويقول كيفيته كذا وكـــذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردا عليه ، وانما ردوا على أهل التأويل الـذى يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه." (١)

ونخلص من هذا كله الى أن قول بعض علماء السلف فى آيات وأحاديث الصفات " أمروها كما جاءت " هو الاثبات بعينه ، لأن هذه النصـوص جاءت بالاثبات ، وذلك مثل قوله تعالى " ليس كمثله شيئ وهو السميـع البصيـر " فان الله سبحانه وتعالى ـ بعد أن نفى أن يماثله شيئ ـ أثبت لنفسه السمع والبصر على الرغم من اتصاف المخلوقين بهما ، وذلك لأن سمعه وبصره سبحانه وتعالى لا يشابه سمع المخلوقين وأبصارهم . والعبارات التى فيها امرار الصفات تحمل على ما ذكرنا لاستحالة ان يراد بها غير ذلك لما فيه من خرق للاجماعات الكثيرة التى نقلناها والتى تنص صراحة على أن مذهب السلف هو الاقرار بالصفات والامرار لكيفياتها (٢) . ونختتم الحديث عن هذه الشبهة بما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال : " فقول ربيعة ومالك " الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والايمان به واجب" موافق لقول الباقيـن :

أمـروها كما جاءت بلا كيف ، فانما نفوا علم الكيفية ، ولم ينفوا حقيقـة الصفة ، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على مـا يليق بالله لما قالوا أمـروها كما جاءت بلا كيف ، فان الاستواء حينئـذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم ، وأيضا فانه لا يحتاج الى نفى علم الكيفية اذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، وانما يحتاج الى نفى علم الكيفيـة اذا أثبت الصفات . وايضا فان من ينفى الصفات الخبرية أو الصفات مطلقـا

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية ص ٧٧.

(٢) انظر علاقة الاثبات والتفويض ص ٧٣..

لا يحتاج أن يقول بلا كيف . فمن قال ان الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف . فلو كان مذهب السلف نفى الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف .

وأيضا فقولهم : "أمروها كما جاءت " يقتضى ابقاء دلالتها على ما هى عليه فانها جاءت الفاظا دالة على معانى ، فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ بلا كيف اذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول ".(١)

وقال ايضا : " وقد فسر الامام احمد النصوص التى تسميها الجهمية متشابهات فبين معانيها أية أية ، وحديثا حديثا . ولم يتوقف فى شيء منها هو والأئمة قبله مما يدل على أن التوقف عن بيان معانى آيات الصفات ، وصرف اللفظ عن ظواهرها لم يكن مذهبا لأئمة السنة وهم أعرف بمذهب السلف ، وانما مذهب السلف اجراء معانى أيات الصفات على ظاهرها باثبات الصفات له حقيقة ، وعندهم قراءة الأية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعانى لاتحرف ، ولا يلحد فيها "(٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى حـ ٥ ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) الاكليل ضمن الرسائل الكبرى حـ ٢ ص ٢٢ ـ ٢٣ ..

المبحث الثاني

منهجه في الرد على شبه المخالفين لمذهب السلف

أولا : طريقته في عرض شبه المخالفين لمذهب السلف :ـ

سلك الامام ابن جرير طريق السلف في عرضه لشبه الخصوم ، فقد كان يعرض الشبهه بصورة موجزة ، خوفا من افتتان الناس بها ، لأن في شبههم تلبيس كثير في رأيه يقول الامام ابن جرير في ذلك : " ولأهل هذه المقاله " يعني المعتزلة " مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها ، واطاله الكتاب بها وبالجواب عنها "(١) .

وقد سلك في عرض شبههم طريقين :ـ

الأول : كان يعرض الشبهة ويصدرها بقوله مثلا : اختلف أهل التأويل (٢) ، أو اختلف أهل البحث (٣) ، أو اختلف أهل الجدل (٤) الى غير ذلك من العبارات .

الثاني : كان يعرض الشبهه من خلال رده عليهم ومن ذلك قوله مثلا " وهذه الأية من أوضح الأدلة على فساد قول المنكرين تكليف ما لايطاق الا بمعونة الله "(٥) وكقوله ايضا : " وفي صحة ذلك فساد قول أهل القدر "(٦) وكقوله أيضا : " وفي هذه الاية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من ان

---

(١) جامع البيان حـ ٧ ص٣٠٢ .
(٢) انظر المصدر نفسه حـ ٧ ص٢٩٩ .
(٣) انظر المصدر نفسه حـ ٣ ص٥ .
(٤) انظر المصدر نفسه حـ ٦ ص٣٠١ .
(٥) المصدر نفسه حـ ١ ص ١١٣ .
(٦) المصدر نفسه حـ ١ ص٧٣ .

الايمـــان هوالتصديق بالقول دون سائر المعانى غيره "(١)

الى غير ذلك من العبارات المختلفـــه •

ثانيـا : طريقته فى الرد على شبه المخالفين لمذهب السلف : ـ

بعد أن عرضنا طريقته فى عرض شبه الخصوم ، وأنه موافـــق للسلف فيها ، ينبغى علينا أن نبين طريقتة فى الرد على شبـــه المخالفين لمذهب السلف ، فأقول وبالله التوفيق ، لقد وجدت مـــن خلال البحث أن الامام ابن جرير اتخذ لنفسه منهجا مميزا فى الرد على المبتدعة لم يخرج عن دائرة السلف ، فـقد كان رده عليهـــم يتخذ طابع العنف والقسوة تارة ، ويتخذ طابع اللين تارة أخـــرى حسب أهمية المسألة التى كان يدور الخلاف حولها بين السلـــف وخصومهـــم •

ومثال ذلك • نجده يكفر من يقول بخلق القرآن(٢)، ويكفر من يكفـــر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، ويشنع على المعتزلـــة فى انكارهم للرؤية وموقفهم من افعال العباد ، ويتهم أقوالهـــم بالفساد (٤) ، وأن الشيطان ليس عليهم ، وأنهم لا يرجعـون الـــى كتاب الله وسنـة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) •

ونجده احيانا لا يتعرض لرأيهم بأدنى كلمة ، بل يذكر رأيهـم د ون تعليق عليه ، ويكتفى ببيان ما يخالفه • (٦)

---

(١) المصدر نفسه حـ ١ ص١١٧ •

(٢) انظر عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٤ •

(٣) انظر معجم الأدباء حـ ١٨ ص٨٣ •

(٤) انظر جامع البيان حـ ١ ص٧٣ •

(٥) انظر المصدر نفسه حـ ٧ ص٣٠٤ •

(٦) انظر مثلا المصدر نفسه حـ ٣ ص١٦٤ ••

وقد قامت طريقته فى الرد على شبه الخصوم على الاسس التالية :ــ

أ ــ مناقشة الشبهة احيانــا :ــ

كان يتعرض لأدلتهم العقلية حين يذكرها بالمناقشـــة ، ويـفندها واحدة تلو الاخرى ، ويبطل ما ذهبوا اليه بحجـــج عقلية قوية ، ويورد عليهم كثيرا من الالــزامات المنطقية الـــتى لا مفر لهم منها (١) ، وكان احيانا يتعرض لأدلتهم اللغويـــة بالمناقـشة ويبين أنها مخالفة للمعنى المتبادر من كلام العرب • (٢)

ب ــ اثبـــات الصواب فى المسأله المختلف عليها :ــ

فهو بعد أن يفرغ من مناقشة شبهة الخصوم يسوق الأدلة النقلية لتوضيح المسألة المتنازع فيها ، حيث يذكر المعنى الذى يدل عليه ظاهر القرآن ، ويستعين أحيانا ببعض الأيات القرآنيـة التى تدعم رأيه فيما ذهب اليه ، ثم يأتى أحيانا فى بعض مسائـل العقيدة بالأخبار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم ، والأثار المروية عن الصحابة والتابعين ، كما كان يستشهد احيانـا ببعض الابيات الشعرية ، ويوجوه تصريف المعانى اللغوية ، واقوال ائمة النحو واللغة فى المسألة ان كان لهم قول فيها ، وكـــان محتـاجا لها لدعم رأيه الذى يذهب اليه ، وسيتضح لنا ذلـك بوضوح تام فى الفصول القادمة باذن الله تعالى •

---

(١) انظـــر المصدر نفسه جـ ١ ص ١٩٢ ، جـ ٧ ص ٣٠٣ ••

(٢) انظر مثـــلا جـ ١ ص ٥٢ ــ ٥٣ ••

هذا المسلك الذى سلكه فى الدفاع عن عقيدة السلف ، ورد شبه الخصوم سارعليه فى كتابه التفسير ، أما المسلك الذى سارعليه فى الجزء الذى كتبه فى العقيدة فانه يختلف عن المسلك الذى سارعليه فى التفسير اختلافا يسيرا ، فقد عرض فى هذا الجزء الذى الفه لبيان عقيدته ـ المسائل التى كان الخلاف فيها شديدا بين السلف من جهة والمتكلمين ومن نحا نحوهم من جهة اخرى ، ثم بين أن الصواب فى تلك المسائل التى عرضها هو ما ذهب اليه السلف فى مسائل العقيدة من اثبات للصفات والقدر ، والايمان ، والامامة وغيرها . ودعم رأيه الذى اختاره فى تلك المسائل بالأدلة النقلية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف ، على ضوء منهج علماء السلف فى التأليف فى العقيدة ، ولم يستخدم الأدلة الكلامية فى دعم رأية الذى كان يذهب اليه فى تلك المسائل ، جريا على عادة علماء السلف الذين كانوا يكتفون بالأدلة النقلية ، ولا يلجأون الى الادلة العقلية الا اذا أقتضت الضرورة الى ذلك ، وتكون تالية للأدلة النقلية ولا تقدم عليها بحال من الأحوال .

هذا ولم يكن الامام ابن جرير من أصحاب الكتب المطوله فى العقيدة غير أن تفسيره مشحون بكثير من مسائل العقيدة ، وأقوال علماء السلف فيها على الاثبات بيد أن الأدلة العقلية التى كان يسوقها الامام ابن جرير للرد على المؤولين ، والالزامات المنطقية التى كان يلزم خصومة بها ، سببت بعض الغموض فى فهم عقيدته فى بعض المسائل ، كالاستواء مثلا ، واستغلت استغلالا بشعا من بعض الحاقدين على علماء السلف فاتهم الامام ابن جرير بأنه أول الاستواء بعلو الملك والسلطان حيث لم يفهم بعضهم مراده فى ذلك (١) ، وبعضهم (٢)

---

(١) كالدكتور احمد مكى الانصارى فى كتابه " ابى زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغه " ص ٨١.

(٢) كالشيخ القضاعى فى كتابه فرقان القرآن ص٩٩ ، والدكتور محمود محمد شبكه فى رسالته محمد بن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير ص ٢٣٢ ..

فهـــم مراده ولكنه استغل هذا الموقف ليحتـــج به على صحة ما ذهب اليه من التأويل فقد كان الامام ابن جرير فى الاستواء فى معرض الالزام ، وليـــــس الالـــتزام وفرق كبير بين الالزام بالشـــئ والالـــتزام به ، والله الهادى للصواب ٠

المبحث الثالث

موقفه من عقيدة السلف اجمالا

لقد حرص الامام ابن جرير رحمة الله عليه كل الحرص على أن يكون في عقيدته سلفيا لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، فقد سلك طريق السلف في تقرير مسائل العقيدة ، وسار على منهجهم في الدفاع عنها ضد هجوم الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم ، كما سار على درب السلف في الرد على شبه المؤولين ، وتأويلاتهم المنحرفة ، وكان حريصا جدا على الالتزام التام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،والآثار المروية عن الصحابة والتابعين وائمة السلف في تقرير مسائل العقيدة ، والدفاع عنها ، ويتجلى لنا حرصه الشديد على الالتزام بمذهب السلف في قوله في بيان الصواب من القول في افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول في ذلك :

" واما الحق في اختلافهم في افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عنه صلى الله عليه وسلم الخبر وتتابع على القول به السلف" (١) . وفي قوله كذلك في بيان أحق المفسرين باصابة الحق ، حيث يقول في ذلك :

" فأحق المفسرين باصابة الحق في تأويل القرآن الذي الى علم تأويله للعباد السبيل أوضحهم حجة فيما تأول وفسر ، مما كان تأويله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر امته ، من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه ، اما من وجه النقل المستفيض ، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض ، واما من وجه نقل العدول الاثبات فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحتة ، وأوضحهم برهانا فيما ترجم وبين من ذلك مما كان مدركا علمه من جهة اللسان ، اما بالشواهد من أشعارهم السائدة

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٥ ..

واما من منطقهسم ولغاتهم المستفيضة المعروفة ، كائنا من كان ذلك المتأول والمفسره بعد أن لا يكون خارجا تأويله وتفسيره ما تأول وفسر ، من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والائمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة " (١)

هذا النص وان كان فى معرض الكلام عن التفسير الا أنه يوضح التزامة بمنهج السلف توضيحا شافيا ، هذا وهو بالاضافة الى ما سبق ذكره عن التزامه بمذهب السلف فقد صرح تصريحا واضحا لا لبس فيه حيث يقول عن التزامه بمذهب الامام أحمد فى مسألة الفاظ العباد بالقرآن الكريم : " واما القول فى الفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابى مضى ، ولا عن تابعى قفا الا عن من فى قوله الغنى والشفا ، وفى اتباعه الرشد والهدى ، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الائمة الأولى ، الامام المرتضى أبى عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه ... ولا قول فى ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله اذ لم يكن لنا فيه امام نأتم به سواه ، وفيه الكفاية والمقنع وهو الامام المتبع " (٢) .

نلاحظ فى هذا النص حرص الامام ابن جرير التام على الالتزام بما ذهب اليه الامام أحمد فى مسألة الفاظ العباد بالقرآن ، لأنه لا يوجد فى نظر الامام ابن جرير امام يؤتم به فى مثل هذه المسائل الاعتقادية سوى الامام أحمد ولا ريب أن اقتداء الامام ابن جرير بالامام أحمد فى مثل هذه المسائل ، وحبه وثنائه عليه تأكيد آخر على سلفيته ، ويؤكد ذلك الأثر الذى أخرجه اللالكائى بسنده عن جعفر بن محمد قال : سمعت قتيبه يقول " اذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث - مثل يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدى وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه - وذكر قوما آخرين - فانه على السنة ، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع " (٣) . ولا يشك عاقل فى حب الامام

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٤١ .
(٢) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٦ - ١٦٧ .
(٣) شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حـ ١ ص ٦٣ .

ابن جرير لأهل الحديث بصفة عامة ، وللامام احمد بصفه خاصة ، كما رأينا فى كلامه السابق ، هذا وقد اثنى على سلفية الامام ابن جرير ، وتفسيره العظيم المشحون بأثار علماء السلف ، مجموعه من الائمة والعلماء نذكر منهم ما يلى :

(١) يقول عبد العزيز بن محمد الطبرى فى معرض توضيح عقيدة الامام ابن جرير : " كان ابو جعفر يذهب فى جل مذاهبه الى ما عليه الجماعة من السلف ، وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنن شديدا عليه مخالفتهم ، ماضيا على مناهجهم لاتأخذه فى ذلك ، ولا فى شىء لومة لائم ، وكان يذهب الى مخالفة أهل الاعتزال فى جميع ما خالفوا فيه الجماعة ...
وكان ابو جعفر يذهب فى الامامة ، الى امامة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، وما عليه اصحاب الحديث فى التفضيل " (١)

(٢) ويقول الاسفرايينى فى تبرئة ائمة التفسير ومن بينهم الامام ابن جرير من التلوث ببدعة القدرية والخوارج والرافضة " ولم يكن فى جميع من نسب اليه شىء من أصول التفسير الى يومنا هذا من تلوث بشىء من مذاهب القدرية والخوارج والروافض : ـ ثم يعدد المفسرين من أهل السنة فيقول ـ الى أن انتهت النوبة الى محمد بن جرير وأقرانه " . (٢)

(٣) ويقول الامام الذهبى : " وهذا تفسير هذا الامام مشحون فى أيات الصفات بأقوال السلف على الاثبات لها لا على النفي والتأويل ، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين أبدا " (٣) .

(٤) ويقول الامام محمد بن عبد الوهاب : بعد أن ذكر جملة من العلماء ـ من بينهم الامام محمد بن جرير " فهؤلاء اليهم المرجع فى كلام الله

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٨٢ ـ ٨٣ ..
(٢) التبصير فى الدين ص ١١٧ .
(٣) سير اعلام النبلاء جـ ٩/٣/ل ٤٢١ .

وكلام رسوله ، وكلام السلف " (١) .

مما تقدم نلاحظ أن العلماء أثنوا على عقيدته السلفيه ، واعتبروه اماما من أئمة السلف الذين يرجع اليهم فى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام السلف وهو بلا شك أهل لذلك ، وجدير بهذه الثقه من علماء السلف ، لأنه دافع عن العقيدة السلفية دفاعا مجيدا ، وتعرض فى سبيل دفاعه عنها للأذى الكثير ، من الروافض والمعتزلة وغيرهم ، وخدم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والفقه الاسلامى ، وتاريخ الأمة الاسلامية خدمة جليلة نرجوا له بها النجاة عند الله يوم الدين .

---

(١) الدرر السنية جـ ١ ص٣٧ .

ملاحظـــات عامـــــة

بعد أن رأينا موافقة الامام ابن جرير لائمة السلف فى منهجهم فى تقريـر مسائل العقيدة ، وسلفيته الواضحة المتمثلة فى التزامه بمنهج السلف ، وثنائــه على ائمتهم وحبه لهم ، وحرصه على اتباع آرائهم فى مسائل العقيدة ، وثنـــاء بعض العلماء على سلفيته ، نجده قد وافق السلف فى معظم مسائل العقيـــدة ـكما سنرى ذلك فى الفصول القادمة باذن الله تعالى ـ .

الا أن الامانة العلمية تقضى أن أذكر بعض المواقف اليسيرة فى بعض مسائل العقيدة التى رأيت أن الامام ابن جرير نال على اجتهاده فيها اجرا واحـدا باذن الله تعالى . ومما لا ريب فيه أن البشر معرضون للخطأ والنسيان ، وكـل انسان يؤخذ من قوله ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عصمة لمخلوق الا من عصمة الله تبارك وتعالى . وبناء على هـذا الاساس فانـــى سأتناول بالبحث هذه الملاحظات التى رأيت أن الامام ابن جرير لم يحالفــه الصواب فيها اجتهادا لا اعتزالا ، ولم يكن فيها مفوضا ولا مئولا ، بل كـــان معتمدا فى جل ما ذهب اليه فيها على بعض الآثار المروية عن بعض الصحابـة والتابعين ، وشواهد اللغة العربية . ولكن الحق احق أن يتبع ، والصـــواب أولى أن يبين للناس ويرشد اليه لذلك احببت أن اذكر هذه الملاحظات التى ـ لا تقدح فى سلفية الامام ابن جرير قيد انملة ـ ورأى علماء السلف فيها وموقفهـم منها وبيان الحق فيها ما استطعت الى ذلك سبيلا ، فأقول وبالله التوفيـــق

(١) جنس ابليـــس لعنة الله عليـــه : ـ

استعرض الامام ابن جرير فى تفسيره أقوال القائليـــن بأن ابليـــس كان من الملائكة واقوال القائلين بانه من الجن ، وخلص الى القول بـأ ن ابليس كان من الملائكة .

يقول الامام ابن جرير " وذلك انه غير مستنكر أن يكون اللـــــه جل ثناؤه خلق اصناف ملائكته من اصناف شــتى ، فخلق بعضا مــن نور ، وبعضا من نار ، وبعضا مما شاء من غير ذلك ، وليس فيما نزل الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته ، واخباره عما خلق منه ابليس ما يوجب أن يكون ابليس خارجا عن معناهم ، اذ كان جائزا أن يكون خلق صنفا من ملائكته من نار كان منهم ابليس ، وأن يكون أفـرد ابليس بأن خلقـه من نار السموم دون سائر ملائكته ، وكذلك غير مخرجه أن يكون كان مــن الملائكة بأن كان له نسل وذرية لما ركب فيه من الشهوة واللذة الـــتى نزعت من سائر الملائكة لما أراد الله به من المعصية ، واما خبر الله عنه أنه كان من الجن فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن عن الابصار كلهـا جنا كما قد ذكرنا قبل في شعر الأعشى ، فيكون ابليس منهم لاجتنابهـــم عن ابصار بـــنى آدم " (١) ..

هذا الرأى الذي ذهب اليه الامام ابن جرير قاله جماعة من السلف والخلف كابن عباس ، وابن مسعود ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة ، وابن جريـــج ، وأبو حيان والبيضاوى ، والبغوى ، والقرطبى ، وغيرهم ، وهو رأى الجمهور (٢) الا أن هذا الرأى وجهت اليه اعتراضات شديدة من قبل المخالفيـــن لهم ، نذكر فيما يلى بعضا منها ، والصواب من القول فى المسألة بـاذن الله تعالى .

(١) ان اكثر ما عتمد عليه القائلون بأن ابليس كان من الملائكة هـــو الأثار الموقوفه على الصحابة والتابعين ، وهذه الأثار لا يثبت بمثلها عقيدة لو صحت فى هذا المقام للامور التاليه :

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص٢٢٧ .

(٢) انظر تفسير القرطبى حـ ١ ص٢٩٤ ، فتح القدير ١٥/ ص٦٦ ..

أ ـ لمخالفتها ظاهر القرآن الذى صرح بأن الملائكة لا يعصون الله تعالى ذكرة فى أى أمر من الامور ، دق هذا الأمر أوجل ، وابليس عصى واستكبر ، لأن أصله الجنى خانه فى ذلك . يقول الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه "(١) أى خانه اصله فانه خلق من مارج من نار ، واصل خلق الملائكة من نور ... الى أن قال : ونبه تعالى هاهنا على أنه من الجن أى على أنه خلق من نار كما قال ـ تعالى ـ " أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين "(٢) وقال : فى البداية ، لكن الصحيح أنه من الجن (٣) وقال
وقال الالوسي : " كان من الجن ـ كلام مستأنف سيق مساق التعليل ، لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين ، فكأنه قيل : ماله لم يسجد ؟ فقيل : كان أصله جنيا ، وهذا ظاهر فى أنه ليس من الملائكة "(٤) .

وقال العلامة الشنقيطى رحمة الله عليه : " كان من الجن ففسق عن أمر ربه " ظاهر فى أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن ، والفاء من الحروف الدالة على التعليل كقوله : سرق فقطعت يده ، لأجل سرقته ، وسها فسجد ، اى لأجل سهوه " كان من الجن ففسق " أى لعلة كينونته من الجن ، لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة ، لأنهم امتثلوا الأمر ، وعصى هو "(٤)

---

(١) سورة الكهف ٥٠ .
(٢) سورة (ص) ٧٦ ، تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٨٨ .
(٣) البداية والنهاية حـ ١ ص ٤٩ .
(٤) تفسير الالوسي حـ ٥ ص ٢٩٢ .
(٤) اضواء البيان حـ ٤ ص ١١٩ ..

ب ـ ولمخالفتها كذلك للحديث الصحيح الذى اخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت : " قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق أدم مما وصف لكم " (١) .

فقد بين صلوات الله وسلامه عليه أن الملائكة خلقت من نور فلا يقال ان بعضهم خلق من نور وبعضهم خلق من نار .

جـ ـ ان كثيرا من الأثار التى وردت فى أن ابليس كان من الملائكة معظمها من الاسرائليات ومنها ما يقطع بكذبه ، وحتى لو صحت نسبتها الى من رويت عنه ، فالشأن فى ثبوتها فى نفسها أن تكون ثابته عنه صلى الله عليه وسلم .

يقول الحافظ ابن كثير : " وقد روى فى هذا أثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الاسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله اعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذى بين أيدينا " (٢)

وقال الشيخ الشيقنطى : " وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره من أنه كان من أشراف الملائكة ، ومن خزان الجنة وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا ، وأنه كان اسمه عزازيل ، كله من الاسرائيليات التى لا معول عليها ـ وقال ـ واظهر الحجج فى المسألة حجة من قال انه غير ملك لأن قوله تعالى " الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه " هو اظهر شئ فى الموضوع من نصوص الوحى " (٣) .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق حـ ١٨ ص ١٢٣ .

(٢) تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٨٩ .

(٣) اضواء البيان حـ ٤ ص ١٢١ . .

(٢) ان الله سبحانه وتعالى أخبر عن ملائكته أنهم معصومون من كل ذنب ، واخباره سبحانه وتعالى شامل لجميع ملائكته بلا استثناء ، يقول تعالى : يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " (١) وقال سبحانه : " لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " (٢) الى غير ذلك من الأيات فالله سبحانه وتعالى أخبر أن جميع ملائكته بدون استثناء ، اذا ما أمرت بأمر فانها تعمل به ، ولا تخالفه ، وأنها لا تستكبر عن عبادته فلو كان ابليس ملكا من الملائكة لعمل بأمر ربه سبحانه وتعالى ولما خالف ، وأبى واستكبر ورد أمره . أما القول بأنه عصى لما ركب فيه من الشهوة واللذة ، فان الدافع له هو محاولة الجمع بين الأيات الدالة على أنه من الملائكة بتناول الأمر له ، والأية المصرحة بأنه من الجن ، وليست هذه المحاولة حجة لأصحابها حتى يقيموا دليلا على أنه كان من الملائكة ، وأن عصيانه كان بسبب ما ركب فيه من شهوة . والله سبحانه وتعالى عندما اخبر عن ابليس بلفظ صريح أنه كان من الجن الذين منهم الكافر والمؤمن لم يعن سبحانه أنه كان من قبيلة من الملائكة يسمون جنا ، بل أخبر أنه من الجن الذين منهم الكافر والمؤمن ، خاصة وأن الله سبحانه وتعالى علل عدم سجوده وفسقه لأنه كان من الجن ليبعد الشك عن ملائكته الذين لا يعصونه فى أى أمر من الامور . (٣)

(٣) ان الملائكة على كثرة ذكرهم فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة ، لم يسمهم الله فى كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم جنا ، بل لا يجوز أن يطلق على جبريل أو اسرافيل أو مكيائيل ، أو على أى ملك

---

(١) سورة النحل ٥٠ .
(٢) سورة الانبياء ٢٧ .
(٣) انظر الملائكة والايمان بهم ص ٢٢٣ . .

من الملائكة بأنه جني بسبب استشاره واجتنانه ، ولا يجوز لمسلم أن يقول بأن هناك من الجن من وكل بعذاب القبر وهو يقصد بذلك منكرا ونكيرا ، بحجه أنهما مستتران عن العيون واذا اوضح هذا علم أن الجن غير الملائكة ، بل هم صنف ثالث من مخلوقات الله تعالى العاملة على ما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المشار اليه سابقا .

الذى بين بوضوح أن مادة خلق الجن تختلف اختلافا ظاهرا عن مادة خلق الملائكة والانس (١) ، وبناء على ما تقدم نقول أن جنس ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة ، وأن ابليس هو اصل الجن..

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " ... ولم يكن فى المأمورين بالسجود أحد من الشياطين ، لكن ابوهم ابليس هو كان مأمورا فامتنع وعصى ، وجعله بعض الناس من الملائكة ، لدخوله فى الأمر بالسجود ، وبعضهم من الجن ...

والتحقيق : أنه كان منهم باعتبار صورته لا باعتبار اصله ، ولا باعتبار مثاله ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة ، لا جبريل ولا ميكائيل "(٢)

وقال العلامة ابن القيم : عند حديثه عن الجن : " ولما كان أبوهم هو أول الى من دعا الى معصية الله تعالى ، وعلى يده حصل كل كفر وفسوق وعصيان ... "

والله سبحانه وتعالى الهادى الى الحق ..

(٢) رأيه فى خلة الله سبحانة وتعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام .

ذهب الامام ابن جرير الى أن المقصود من قوله تعالى " واتخذ الله ابراهيم خليلا " (٣) اى اتخذه وليا ، وبين أن معنى الخلة من ابراهيم عليه

---

(١) انظر المصدر نفسه ص٢٢٤ ـ ٢٢٥ .
(٢) مجموع الفتاوى حـ ٤ ص٣٤٦ .
(٣) طريق الهجرتين ص ٤١٧ .
(٤) سورة النساء ١٢٥ ..

الصلاة والسلام هى العداوة فى الله ، والبغض فيه ، والولاية فى الله ، والحب فيه على ما يعرف من معانى الخلة ، وأن معنى خلة الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام هى نصرته على من حاوله بسوء ، وتصييره اماما لمن جاء بعده من عباده ، وقدوة للخلق فى طاعة الله وعبادته (١) .

بيد أن هذا الرأى وان كان صوابا فى خلة ابراهيم لله ، وما اعطى الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام غير أنه ليس صحيحا بالنسبة لتفسير الخلة من الله عز وجل لابراهيم ، لأن معنى الخلة هو كمال المحبة ، وخلته سبحانه وتعالى ومحبته على ما يليق بكماله وجلاله ، كسائر الصفات ، ويشهد لهذا المعنى الذى دلت عليه الآية الكريمة من أن معنى الخلة هى كمال المحبة الحديث الذى رواه ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ان من أمن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا ، ولكن اخوة الاسلام ومودته ، ولا يبقين فى المسجد باب الا سد الا باب ابى بكر" (٢) فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلا ، ولو أنه امكن ذلك لكان احق الناس بالخلة الصديق رضى الله عنه ، مع أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بأنه يحب اشخاصا كحبة لمعاذ بن جبل ، وحبه للانصار ، وحبه لعائشة وابيها رضى الله عنهم ، فعلم

---

(١) انظر جامع البيان حـ ٥ ص ٢٩٧ ..

(٢) اخرجه البخارى فى فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حـ ٥ ص ١٩١ ، ومسلم فى فضائل الصحابه حـ ١٥ ص ١٥٠ ـ ١٥١ والترمذى فى المناقب حـ ١٣ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه " وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة منهم : ابو هريرة ، وأبو المعلى الانصارى ، وعبد الله ابن مسعود ، وابن عباس ، وجندب بن عبد الله رضى الله عنهم أجمعين انظر احاديثهم فى جامع الاصول حـ ٨ ص ٥٨٥ ـ ٥٩٠ ..

أن الخلة أخص من مطلق المحبة ، والمحبوب بها لكمالها يكون محبوبا لذاته ، لا لشئ أخر ، اذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير (١) . وما دمنا قد عرفنا أن الخلة هي كمال المحبه ، وهي أخص من المحبة كذلك فانا نضيف الى ذلك أمرا أخر وهو أن الخلة لا تقبل الشركة ولا المزاحمة لتخللها المحبة ، ففيها كمال التوحيد ، وكمال الحب ، ولذلك لما اتخذ الله ابراهيم خليلا ، وكان عليه الصلاة و السلام قد سأل ربه أن يرزقه ولدا صالحا ، فوهب الله له اسماعيل فأخذ اسماعيل شعبه من قلب ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره ، فامتحنه بذبح ابنه ليظهر سر الخلة في تقديم محبه خليله على محبة الولد . فلما استسلم لأمر ربه ، وعزم على فعله ، وظهر سلطان الخلة في الاقدام على ذبح الولد ايثارا لمحبة خليله ، على محبته للولد نسخ الله ذلك عنه ، وفداه بالذبح العظيم .

هذا وقد انكرت الجهمية حقيقة المحبة بين الجانبين زعما منهم أن المحبة لا تكون الا لمناسبة بين المحب والمحبوب ، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة (٢) . وفيما قدمنا من البيان عن معنى الخلة كفاية في بطلان ما ذهبوا اليه ، لأن الخلة والمحبة من صفات الله عز وجل اللائقة بكمالة وجلاله ، فله سبحانه وتعالى أن يحب ويرضى ، ويحالل ، ويغضب ، ويسخط ، كما يشاء ، ومتى يشاء ، لأنه سبحانه وتعالى " ليس كمثله شئ " لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في افعاله ..

(٣) اقعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرش يوم القيامة : ـ

ذهب الامام ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ .

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ ..

مقاما محمـــودا " (١) الى أن معنى المقام المحمود هو الشفاعة العظمى يوم القيامة ، حيث يقول فى ذلك : " هذا وان كان هو الصحيح من القول (يعنى الشفاعة) فى تأويل قوله " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فان ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشـــه ، قول غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر ، وذلك لأنه لا خبر عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين باحالـة ذلـــك (٢) .

ولا شك أن رأى الامام ابن جرير فى هذا الامر هنا هو المعمول عليـه ، لأ ن رأيه فى القصة التى ذكروهـا المؤرخون باحالة الجلوس على العرش لا يعول عليـه لأن القصة غير ثابتة علميا ــ كما رأينا ــ وبناء على ذلـــك نقول وبالله التوفيـــق ..

نلاحظ فى كلام الامام ابن جرير السابق أن كلامه يدور حول امكانية القعود على العرش لا على أنه وقع وتحقق ، يقول القرطبى : " وعضد الطبرى جواز ذلك بشطط من القول ، وهو لا يخرج على تلطف فى المعنى وفيـه بعد ، ولا ينكر مع ذلك أن يروى والعلم يتأوله " (٣) . ويمكننا القول فى قضية اقعاد النبى صلى الله عليه وسلم على العرش يوم القيامة ما يلى :ــ

(أ) ان السلف لم ينكروا الاقعاد على العرش لأنه محال ، بل لأنـــه لم يثبت من طريق صحيح ، ولم يرد بجوازة حديث صحيح يعتد به (٤) يقول الامام الذهبى فى ذلك : " فأما ما قضية قعود نبينا علـى العرش فلم يثبت فى ذلك نص ، بل فى الباب حديث واه " (٥)

---

(١) سورة الاسراء ٧٩ .

(٢) جامع البيان حـ ١٥ ص ١٤٧ .

(٣) تفسير القرطبى حـ ١٠ ص ٣١١ .

(٤) انظر سلسلة الاحاديث الضعيفه والموضوعه حـ ٢ ص ٢٥٥ ــ ٢٥٨ .

(٥) مختصر العلو ص ١٨٣ ..

ويقول شيخنا الالبانى حفظه الله تعالى : " وتفسير بعضهم لقوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " باقعاده صلى الله عليه وسلم على العرش مع مخالفته لما فى الصحيحين وغيرهما أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى ، فهو تفسير مقطوع غير مرفوع عن النبى صلى الله عليه وسلم ،

ولو صح مرسلا لم يكن فيه حجة ، فكيف وهو مقطوع موقوف على بعض التابعين " (١)

(ب) أخرج الامام ابن جرير بسنده عن مجاهد قولا له يخالف هذا الرأى حيث نقل عنه أنه فسر المقام المحمود بالشفاعة ، اضف الى ذلك أن تفسير المقام المحمود بالاقعاد على العرش لا وجود له فى تفسير مجاهد . (٢)

(جـ) أما الاثر الذى رواه الامام ابن جرير عن مجاهد فى تفسير المقام المحمود بالاقعاد على العرش فانه ضعيف من ناحية الاسناد ، وذلك لأن فيه عباد بن يعقوب الرواجنى الاسدى . أحد شيوخ الامام ابن جرير كما رأينا سابقا ، قال ابن حبان فى عباد كان رافضيا داعية ، ومع ذلك يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، وقال ابن حجر ، وذكر الخطيب أن أبن خزيمة ترك الرواية عنه أخرا ، وقال ابن عدى عباد فيه غلو فى التشيع ، وروى أحاديث انكرت عليه فى الفضائل والمثالب (٣) . كما أن فى هذا الأثر ليث بن أبى سليم ،

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٤ ..

(٢) انظر جامع البيان جـ ١٥ ص١٤٤ ، تفسير مجاهد جـ ١ ص٣٦٩ ، فتح البارى جـ ١١ ص ٤٢٦ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب جـ ٥ ص١٠٩ ..

قال ابن حجر صدوق اختلط اخيراً ، ولم يتميز حديثه فترك ۰ (١)
وذكر الذهبي عن الامام احمد أنه مضطرب الحديث ، ولكن حدث
عنه الناس ، وقال ابن حبان اختلط في آخر عمره ، وروى عن عيسى
ابن يونس أنه قال " رأيته وكان قد اختلط ، وكنت ربما مررت به
ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذن " (٢) ۰
وخلاصة القول ان قول مجاهد هذا ـ وان صح عنه ـ لا يجوز أن يتخذ
دينا وعقيدة ، ما دام أنه لا يوجد له شاهد من الكتاب الكريم
أو السنة النبوية الصحيحة ۰ يقول ابن عبد البر كما نقل عنه
الشوكاني : " مجاهد وان كان احد الائمة بالتأويل فان له قولين
مهجورين عند أهل العلم ، أحدهما هذا ـ اى تفسيره المقام المحمود
بما سبق أن ذكرناه عنه ـ والثاني في تأويل قوله تعالى " وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٣) قال معناه تنتظر الثواب وليس
من النظر " (٤)
هذا وقد اخطأ بعض الباحثين المعاصرين (٥) في تعميم
الحكم على الحنابلة بأنهم يقولون بان الله يقعد على العرش ، ويقعد
النبي صلى الله عليه وسلم معه جزاء له على تهجده ۰ وهذا
التعميم غير مقبول من الناحية العلمية ، الا اذا قام على استقصاء
تام لرأى كبار رجال المذهب الحنبلي في هذه المسألة ، لكن
الذى يبدو أن الباحث لم يكلف نفسه عناء البحث عن رأى كبار
رجال المذهب الحنبلي في القعود على العرش ، بل اطلق الحكم

---

(١) التقريب ﺣ ٢ ص ١٣٨ ۰
(٢) ميزان الاعتدال ﺣ ٣ ص ٤٢١ ۰ (٣) سورة القيامة ٢٢ ـ ٢٣ ۰۰
(٤) فتح القدير ﺣ ٣ ص ٢٥٢ ، تفسير القرطبي ﺣ ١٠ ص ٣١١ ۰۰
(٥) الدكتور الحوفي في كتابه الطبرى ص ٢٥٩ ۰۰

جزافا دون تحقيق أو تمحيص ، والواقع أن كبار رجال المذهب الحنبلى ـ كالامام أحمد مثلا ـ أنكروا حديث الاقعاد على العرش كما ذكر ذلك الذهبى (١) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان القول بأن الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش لم ينفرد به الحنابلة وحدهم ، بل قال به جماعة غيرهم لا ينتسبون الى مذهبهم ، مثل مصعب بن محمد العابد(٢) شيخ الامام أحمد والدارقطنى (٣) من كبار رجال المذهب الشافعى . لهذا نقول ان هذه الفضيلة قد قال بها علماء كثيرون غير الحنابلة . ولم تكن شعارا لمذهب معين ، وبناء على ذلك فان تعميم الحكم على الحنابلة بأنهم يقولون بالاقعاد على العرش ، ليتخذ هذا القول ذريعة فى اتهامهم بالتجسيم ـ مخالف للمنهج العلمى ، لأنه لم يقم على استقراء تام .

لرأى كبار رجال المذهب الحنبلى من جهة ، ولقول جماعة بالاقعاد من غير الحنابله ، والله الهادى للصواب ..

(٤) تأويل الكرسى بالعلم :

ذهب الامام ابن جرير فى تفسير قوله تعالى " وسع كرسيه السموات والأرض " (٤) الى ان المقصود بالكرسى هو موضع القدمين ، الا أنه نقض هذا القول بقوله " وأما الذى يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذى رواه جعفر ابن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير أنه قال هو علمه " . وذلك لدلالة قوله تعالى " ولا يؤوده حفظهما " (٥)

---

(١) انظر العلو للعلى الغفار ص ٩٩ .

(٢) انظر مختصر العلو ص ١٨٣ .

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٢٥٣ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٥ .

(٥) سورة البقرة ٢٥٥ .

على أن ذلك كذلك ، فأخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم واحاط به مما في السموات والأرض ، وكما اخبر به عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم " ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما " (١) فاخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شئ ، فكذلك قوله " وسع كرسيه السموات والأرض " ثم استدل باللغة على أن معنى الكرسي هو العلم . (٢)

نلاحظ ان الامام ابن جرير رحمة الله عليه تناقض قوله في هذا الموضع ، فانه بدأ فقال ان الذي هو أولى بتأويل الاية ما جاء به الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديث في صفة الكرسي ، ثم عاد في هذا الموضع يقول ، واما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس أنه علم الله سبحانه ، فاما هذا واما هذا ، وغير ممكن أن يكون أولى التأويلات في معنى " الكرسي " هو الذي جاء في الحديث الاول ، ويكون معناه العلم ، كما قال انه دل على صحته ظاهر القرآن ، وكيف نجمع معنيين مختلفين في الصفه والجوهر في تفسير واحد (٣) ، واذا نظرنا الى الاثر الذي اخرجه بسنده عن ابن عباس أن معنى الكرسي هو العلم نلاحظ فيه ما يلي :

(أ) : اسناد هذا الاثر فيه جعفر بن أبي المغيرة ، قال ابن حجر في التقريب صدوق يهم (٤) وقال الذهبي في الميزان روى عن هشيم عن مطرف عنه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله : " وسع كرسيه السموات والارض " قال علمه

---

(١) سورة غافر ٧ .

(٢) جامع البيان تحقيق احمد شاكر حـ ٥ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .

(٣) انظر تعليق محمود شاكر على تفسير الطبري حـ ٥ ص ٤٠١ .

(٤) حـ ١ ص ١٣٣ . .

قال ابن منده لم يتابع عليه.(١)

وقال ابن منده - عن جعفر بن ابى المغيره - ليس بالقوى فى سعيد بن جبير (٢).

وقال الذهبى مبينا ضعف هذا الاثر بمعارضته لما صح عن ابن عباس من أن الكرسى موضع القدمين " قلت قد روى عمار الدهنى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره ... وروى ابو بكر الهذلى وغيره عن سعيد ابن جبير من قوله " الكرسى موضع القدمين " (٣).

ويقول محمود شاكر : " واذا كان خبر جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير صحيح الاسناد فان الخبر الأخر الذى رواه مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صحيح الاسناد على شرط الشيخين كما قال الحاكم (٤) ، وكما فى مجمع الزوائد (٥) "رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح " ... ومهما قيل فلن يكون احدهما أرجح من الاخر الا بمرجح يجب التسليم له " (٦).

(ب) هذا الاثر معارض بما هو على شرط مسلم عن ابن عباس، وبما هو صحيح ثابت عن سعيد بن جبير، فلا ريب أنه يقدم الثابت على غيره ..

قال ابو منصور الازهرى : " والصحيح عن ابن عباس ما رواه عمار الدهنى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

---

(١) الميزان حـ ١ ص٤١٧ . الرد على الجهمية لابن مندة ص ٤٥

(٢) تهذيب التهذيب حـ ٢ ص١٠٨ ، تهذيب الكمال حـ ١ ص٢٠٣ - ٢٠٤.

(٣) الميزان حـ ١ ص٤١٧.

(٤) المستدرك حـ ٢ ص٢٨٢.

(٥) حـ ٦ ص٣٢٣.

(٦) جامع البيان تحقيق احمد شاكر ومحمود شاكر حـ ٥ ص٤٠١ ..

أنه قال الكرسي موضع القدمين واما العرش فانه لا يقدر قدره " (١)
قال وهذه روايه اتفق أهل العلم على صحتها ، (٢)
والذى روى عن ابن عباس فى الكرسى أنه العلم ، فليس مما
يثبته أهل العلم بالأخبار

وقال شارح الطحاوية : " وقيل كرسيه علمه ، وينسب الى ابن
عباس ، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبى شيبه (٢) كما تقدم ، ومن
قال غير ذلك فليس له دليل الا مجرد الظن ، والظاهر أنه
من جراب الكلام المذموم كما قيل فى العرش " (٣)

كما استخرج الامام ابن جرير تفسير الكرسى بالعلم من قوله تعالى " ربنا
وسعت كل شئ رحمة وعلما " (٤)

فقد استدل الامام ابن جرير على أن معنى الكرسى هو العلم بقوله تعالى
" ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما " ووجه الاستدلال فى هذه الايسة
هو أن الله سبحانه اخبر انه لا يؤوده حفظ ما علم ، واحاط به مما فى
السموات والارض ، وكما اخبر عن ملائكته انهم قالوا فى دعائهم " ربنا
وسعت كل شئ رحمة وعلما " فاخبر تعالى ذكره : أن علمه وسع كل شئ
فكذلك قوله : " وسع كرسيه السموات والارض " وهذا الاستخراج لتفسير
الكرسى بالعلم ضعيف جدا ، لأنه اراد أن يستدل بقوله تعالى " ربنا

---

(١) اخرجه ابن كثير فى تفسيره من طريق سفيان عن عمار الدهنى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ونسبه لوكيع فى تفسيره حـ ١ص ٣٠٩ ، والحاكم فى مستدركة موقوفا على ابن عباس حـ ٢ ص ٢٨٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، واخرجه الامام ابن جرير موقوفا على مسلم البطين جامع البيان حـ ٥ ص ٣٩٨ تحقيق احمد شاكر ، وانظر تعليق أحمد شاكر ٥ ص ٣٩٨ ــ ٣٩٩ .
(٢) تهذيب اللغة حـ ١٠ ص ٥٤
(٣) رواه فى كتاب صفة العرش .
(٤) شرح الطحاوية ص ٣١٢ .
(٥) سورة غافر ٧ .

وسعت كل شيء رحمة(وعلما) والاعتراض الذى يرد عليه فى هذا المقام هو لماذا لم يجعل الكرسى هو الرحمة ، وهما فى أية واحدة ، ولماذا لم يجعلها كذلك لقوله تعالى " قال عذابى اصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شيء " (١) .

..

كما استشهد الامام ابن جرير بمجموعه من الشواهد اللغوية واشعار العرب فى الاستدلال على ما ذهب اليه فى تفسير الكرسى بالعلم ،

غير أن كثيرا من أئمة اللغة والنحو رفضوا ذلك ، وانتقدوا تفسير الكرسى بالعلم ، كما رأينا عند الازهرى سابقا ، ونضيف الى ما ذكره الازهرى آنفا اعتراض ابن قتيبة على من فسر الكرسى بالعلم حيث يقول : " وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردوه الى مذاهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم ، فقال فريق منهم فى قوله تعالى " وسع كرسيه السموات والارض" اى علمه ، وجاؤا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر : " ولا يكرسء علم الله مخلوق " كأنه عندهم و لا يعلم علم الله مخلوق ، والكرسى غير مهموز ، يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيا أو سريرا ، ويجعلون العرش شيئا اخر " (٢)

وقال الشيخ محمود شاكر فى معرض تعليقه على تفسير الكرسى بالعلم : " وأخشى أن يكون الصواب وأصل الكرس : العلم بفتح الكاف وسكون الراء ، مما رواه ابن الاعرابى من قولهم " كرس الرجل " " بفتح ثم كسر " اذا ازدحم علمه على قلبه ، وجعل أبى جعفر هذا اصلا عجب أى عجب : فمادة اللغة

---

(١) سورة الاعراف ١٥٦ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٦٧ .

تشهد على خلافه ، وتفسير ابن الاعرابي شاهد على خلافه وانما اصل المادة " كرسي " من تراكم الشيء وتلبد بعضه على بعض وتجمعه وقوله بعد : ومنه قيل للصحيفة كراسة ، والاجود أن يقال انه من تجمع أوراقه بعضها على بعض ، أو ضم بعضها الى بعض " (١)

وأما قول الامام ابن جرير " وفيه يقال للعلماء الكراسي لانهم المعتمد عليهم كما يقال أوتاد الارض لانهم العلماء الذين تصلح بهم الارض" (٢) فانه قول غير سديد لأن اصل مادة اللغة يدل على أن أصل ذلك هو الشيء الثابت الذى يعتمد عليه كالكرسي الذى يجلس عليه ، وتسمية العلماء بذلك مجاز محض ، وهذا التفسير مأخوذ من قول قطرب النحوى الذى ذهب الى أنه يجوز أن يقال للعلماء الكراسي . (٣)

واختم الحديث على هذه المسأله بما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية حيث يقول : " العرش ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الامة وائمتها ، وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، واجماع جمهور السلف وقد نقل عن بعضهم أن كرسيه علمه ، وهو قول ضعيف فان علم الله وسع كل شيء كما قال " ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما " والله يعلم نفسه ولم يكن ، فلو قيل وسع علمه السماوات والارض لم يكن هذا المعنى ما كان/مناسبا ، وقد قال تعالى " ولا يؤوده حفظهما " (٤) أى لا يثقله ولا يكرثه ، وهذا يناسب القدرة لا العلم ، والاثار المروية تقتضي ذلك" (٥) .

والحق أن الكرسي من الامور الغيبيه التي لا تعرف الا عن طريق الوحى ، ولا مجال للعقل فيها ، والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(١) انظر تعليق محمود شاكر على تفسير الطبرى حـ ٥ ص ٤٠٢ .

(٢) جامع البيان حـ ٥ ص ٤٠٢ .

(٣) انظر تعليق محمود شاكر تفسير الطبرى حـ ٥ ص ٤٠٢ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٥ .

(٥) مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ٥٨٤ ..

الفصـل الثالــث

دفاعة عن عقيدة السلـف في وحدانية الله تعالى

ويشتمل على ثلاثة مباحث

تمهيـــــد :

يعتبر توحيـــد الله سبحانه وتعالى وافراده بالعبادة أصل الأصول في الديـــن الاسلامي ، فقد اهتم الاسلام بقضية التوحيــد اهتماما شديدا ، وحارب الشرك بجميع صوره واشكاله حربا لا هوادة فيها ، منذ اللحظـة الأولى التي بعث بها رســـــول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، لأن التوحيد دين الانبيـــاء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا ، فما من نبي أو رسول الا دعا قومه الى توحيـــد الله وافراده بالعبادة فكان كل واحد منهم يقول لقومه : (يا قوم اعبدوا الله ما لكـــم من آله غيره) (١) والتوحيــد أساس التدين ، والشرك أمر طارئ على البشـــــر ، وقد كان من رحمة الله تبارك وتعالى بخلقه ، أنه كلما انحرفت فطرهم عن توحيـــده ، أرسل لهم الرسل ليذكروهم ، وينبهوا فطرهم من جديد الى توحيد الله سبحانـــــه وتعالى وافراده بالعبادة ، هذا وقد ركز القرآن الكريم تركيـــزا بالغ الأهمية على قضية التوحيد ، حيث خاطب الناس بما تفهمـه عقولهم بعيدا عن التعقيدات المنطقيـــــة والاصطلاحات الفلسفية المعقدة ، وايقـظ التوحيد في فطرهم ، ووجه انتباهــــم الى عجـز الأوثان والانداد والالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله الواحد الاحـد ، وبين أنها لا تصلح للعبادة ، ولا تقرب الى الله زلفى ، لانها عاجزة ، والعاجـــز لا يستحق أن يكون الها يعبد من دون الله ، لأن العبادة لا يستحقها بحق الا اللـه سبحانه وتعالى . كما وجـه القرآن الكريم اهتمام الناس الى الكون ، وما يحويه مـــن عجائب مخلوقات الله تعالى ، ودقة صنعها واتقانها غاية الاتقان ، ودعاهم للتفكيـــر في كل ذلك ، ويؤمنوا بأن الذي صنع ذلك . واتقنه غاية الاتقان ، هو الله الواحـــد الاحد الذي لا تنبغي الالوهية والعبادة الحقة الا له سبحانه وتعالى . ولا ريـــب أن أيات الله الباهرة في هذا الكون الرحيب تدل دلالة واضحة على تفرد الله سبحانـــه وتعالى بالربوبية والالهيـــة .

كما وجه القرآن الكريم الناس كذلك الى أنفسهم ودعاهم للتفكيـــر في مراحـــل

---

(١) سوره هود ٥٠

خلقهم ، وعظيم نعم الله التى لا تحصى عليهم فى أبدانهم ومعاش حياتهم ، ويتدبروا ذلك ، ليصلوا الى أن الربوبية والالهية والعبادة الخالصة لا يستحقها بحق الا رب العالمين . بهذه الطريقة الواضحة المفهومة ، بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس الى عقيدة التوحيد الصافية وخلفه فى حمل هذه الدعوة المباركة الجيل المبارك من سلفنا الصالح الذين أدركوا أن النجاح والفلاح فى الدنيا والاخرة لا يمكن أن يتحقق لامة من الامم الا اذا وحدت الله وافردته بالعبادة ، وخلعت عبادة الأوثان والأنداد والشركاء والشفعاء من دون الله عز وجل لذلك انطلقوا فى مشارق الأرض ومغاربها يبلغون هذه العقيدة المباركة السهلة الميسورة المفهومة للناس كافة ، وينشرونها بين الامم ، فبذلوا الارواح والاموال رخيصة فى سبيل نشرها بين الناس ، طمعا بما أعد الله للموحدين المخلصين . وخوفا مما اعد للمشركين الجاحدين فنصرهم الله ، وايدهم بقوته ، وتقبل الناس عقيدة التوحيد لسهولتها ويسرها ، وبعدها عن التعقيد ، وقربها من فطرة الانسان واتسعت رقعة الاسلام بحمد الله وتوفيقه حتى وصلت الى مشارق الارض ومغاربها ، ولكن مع مرور الزمن ، وكثرة الفتن بدأت همة المسلمين تضعف رويدا رويدا عن الجهاد فى سبيل الله تعالى ، ونتيجة لهذا الضعف اتجهت همم الناس الى الجدل والخوض فى ذات الله سبحانه وتعالى واسمائه وصفاته ، وبخاصة بعد أن دخلت فى الاسلام امم كثيرة من غير العرب ، يحمل بعض افرادها حقدا دفينا على الاسلام ودعوته المباركة ، حيث رأوا فيه عدوا لدودا حرمهم امتيازاتهم التى كانت لهم فى جاهليتهم ، أضف الى ذلك تأثر المسلمين بحضارات الامم نتيجة للاختلاط ، وترجمة المؤلفات القديمة للفلاسفة اليونانيين وغيرهم . وبدأ التعقيد يدخل على العقيدة السهلة المفهومة للناس جميعا سواء اكانوا من البادية أم من القرى ، أم من المدن ، ولكن الله لم يترك عباده يتخبطون فى ظلام الجهل ، وتعقيدات الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم ، بل سخر جلة من العلماء المخلصين لربهم ، لخدمة عقيدة التوحيد يدافعون عنها ويذبون عن حياضها ، ويبينون للناس أن السلامة فى الدين والدنيا هى فى فهم العقيدة ، كما فهمها سلف الامة الصالح رضوان الله عليهم وكان من بين هؤلاء العلماء المخلصين الامام ابن جرير الطبرى رحمة الله عليه الذى دافع عن وحدانية الله تعالى وافراده بالعبادة دفاعا مجيدا . يظهر للقارئ الحصيف من خلال المباحث القادمة .

المبحث الأول

معنى الوحدانية

تعرض الامام ابن جرير لمعنى الوحدانية عند المتكلمين وذلك فى معرض تفسيره لقوله تعالى : (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) (١) حيث يقول : (واختلف فى معنى وحدانيته تعالى ذكره ، فقال بعضهم : معنى وحدانية الله تعالى معنى نفى الاشباه والامثال عنه ، كما يقال فلان واحد الناس ،وهو واحد قومه ، يعنى بذلك أنه ليس له فى الناس مثل ، ولا له فى قومه شبيه ولا نظير ، فكذلك معنى قول الله واحد ، يعنى به الله لا مثل له ولا نظير ،فزعموا أن الذى دلهم على صحة تأويلهم ذلك أن قول القائل واحد يفهم لمعان أربعة ، أحدها أن يكون واحدا من جنس كالانسان الواحد من الانس ، والاخر أن يكون غير متصرف كالجزء الذى لا ينقسم ، والثالث أن يكون معنيا به المثل والاتفاق كقول القائل هذان الشيئان واحد يراد بذلك أنهما متشابهان ،حتى صارا لاشتباههما فى المعانى كالشىء الواحد ، والرابع أن يكون مرادا به نفى النظير عنه والشبيه ،قالوا فلما كانت المعانى الثلاثة من معانى الواحد منتفية عنه صح المعنى الرابع الذى وصفناه .

وقال آخرون : معنى وحدانيته تعالى ذكره معنى انفراده من الاشياء وانفراد الاشياء منه ، قالوا : وانما كان منفردا وحده ، لانه غير داخل فى شىء ولا داخل فيه شىء . قالوا : ولا صحة لقول القائل واحد من جميع الاشياء الا ذلك ،وانكر قائلوا هذه المقالة المعانى الاربعة التى قالها الاخرون) (٢) . وواضح من هذا الكلام أن أصحاب القول الاول هم المعتزلة الذين ذهبوا الى مثل هذا القول فى معنى الوحدانية وفى ذلك يقول القاضى عبدالجبار : " اعلم أن الواحد فقط قد يستعمل فى الشىء ،ويراد به أنه لا يتجزأ ولا يتبعض على مثل ما نقوله فى الجزء المنفرد أنه جزء واحد ، وفى جزء

---

(١) سورة البقرة آيه ١٦٣

(٢) جامع البيان حـ ٢ ص ٦٠

من السواد والبياض أنه واحد ، وقد يستعمل ويراد به أنه يختص بصفة لا يشاركه فيها غيره كما يقال فلان واحد في زمانه ، وغرضنا اذا وصفنا الله سبحانه وتعالى أنه واحد انما هو القسم الثاني ، لان مقصودنا مدح الله تعالى بذلك ، ولا مدح في أن لايتجزأ ولا يتبعض ، وان كان كذلك لان غيره يشاركه فيه) (١) . أما أصحاب القول الثاني فهم الكلابيه الذين ذهبوا الى أن معنى وحدانية الله تعالى هو انفراده من الاشياء وانفراد الاشياء منه ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (ولهذا فسر ابن كلاب وغيره الواحد المنفرد عن غيره المباين له ، وهذا المعنى داخل في معنى الواحد في الشرع وان لم يكن اياه) (٢) .

والملاحظ في ذلك أن المتكلمين يدور كلامهم على قضية الجانب النظرى فهم يقتصرون في بيان التوحيد على تلك المعاني ، ويقتصرون كذلك عليها في الاثبات . وعلى الرغم من أن هذه المعاني التي ساقها الامام ابن جرير عن المتكلمين تتضمن بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، الا أن اقتصارهم في بيان معنى الوحدانية على تلك المعاني واقتصارهم كذلك عليها في الاثبات ليس هو التوحيد . الذي جاء به الشرع ، فالتوحيد الذي جاء به الشرع لم يقتصر على مجرد الاعتقاد بتلك المعاني والقول بها ، بل لابد في حقيقة التوحيد ـ بالاضافة الى هذا الجانب النظرى من التوحيد العملي ، وهو افراد الله سبحانه وتعالى والتوجه اليه بالعبادة لان ـ الانسان اذا لم يتحقق فيه هذا المعنى فلا يعتبر موحدا حتى لو اعتقد وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله ، فالمشركون كانوا يعتقدون وحدانية الله تعالى في افعاله ، ولكن اعتقادهم هذا لم ينفعهم في شيء ، بل كانوا مع هذا الاعتقاد مشركين ، لانهم كانوا يعبدون أشياء كثيرة من دون الله ، ولهذا نزل القرآن الكريم ليدعو الناس الى وحدانية الله وافراده بالعبادة اعتقادا وقولا وارادة وعملا .

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٧٧ ، وانظر المغني حـ ٤ ص ٢٤١

(٢) نقض تأسيس الجهمية حـ ١ ص ٤٨٣

وقد أخذ الامام ابن جرير بهذا المعنى ، مخالفا للمتكلمين فى اقتصارهم على الجانب النظري فى معنى الوحدانية . حيث يقول :

" والذى يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له ، ويستوجب منكم العبادة معبود واحد ، ورب واحد ، فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه سواه ، فان من تشركونه معه فى عبادتكم هو خلق من خلق الهكم مثلكم ، والهكم اله واحد لا مثل له ولا نظير) (١)

نلاحظ فى هذا النص مخالفة الامام ابن جرير للمتكلمين فى اقتصارهم على معنى الوحدانية على الجانب النظرى ، وذلك باثبات أن الله سبحانه وتعالى الذى لا مثل له ولا نظير ، هو وحده الذى يستحق الطاعة ويستوجب من الناس العبادة ، لانه معبود واحد ، ورب واحد ، ولا يجوز بحال من الاحوال أن نشرك معه شيئا لانه مخلوق مثلنا من مخلوقات الله الكثيرة . وهو بهذا التقرير لمعنى الوحدانية يؤكد ما ذهب اليه السلف فى ذلك . ولا ريب ان مخالفته للمتكلمين فى اقتصارهم على معانى الوحدانية على الجانب النظرى واثبات أن معنى التوحيد ، هو ـ بالاضافة الى هذا الجانب النظرى التوجه اليه سبحانه وتعالى بالعبادة ، واخلاص الدين له قولا واعتقادا وارادة وعملا ، هو دفاع عن عقيدة السلف . وزيادة فى توضيح رأى الامام ابن جرير ، ودفاعه عن عقيدة السلف فى الوحدانية أسوق اعتراض شيخ الاسلام ابن تيمية على المتكلمين فى اقتصارهم على معنى الوحدانية على الجانب النظرى حيث يقول :

(ان التوحيد الذى انزل الله به كتبه ، وأرسل به رسله ، وهو المذكور فى الكتاب والسنه ، وهو المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، ليس هو هذه الامور التى ذكرها هؤلاء المتكلمون ، وان كان فيها ما هو داخل فى التوحيد الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهم مع زعمهم انهم الموحدون ، ليس توحيدهم التوحيد الذى ذكر الله ورسوله ، بل التوحيد الذى يدعون الاختصاص به باطل فى الشرع والعقل واللغة وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده . فمن عبد الله وحده لم يشرك به شيئا ، فقد وحده . ومن عبد من دونه شيئا من الاشياء فهو مشرك به ، وليس بموحد

---

(١) جامع البيان ج ٢ ص ٦٠

مخلص له الدين وان كان مع ذلك قائلا بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد ، حتى لو اقر بأن الله وحده خالق كل شيء ، وهو التوحيد في الأفعال الذي يزعم هؤلاء المتكلمون انه يقرانه لا اله الا هو ، ويثبتون بما توهموه من دليل التمانع وغيره لكان مشركا ، وهذا حال مشركي العرب الذين بعث الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ابتداء ، وانزل القرآن ببيان شركهم ،ودعاهم الى توحيد الله واخلاص الدين له ، والتوحيد الذي جاءت به الرسل يتناول التوحيد في العلم (الاعتقاد) والقول (الوصف) وهو وصفه سبحانه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد ،لا يتبعض ويتفرق ويكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ، ليس فيها شبيه ولا كفوء .

والتوحيد في الارادة والعمل ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، وقد أنزل الله تعالى ذلك في " قل يا أيها الكافرون " و " قل هو الله أحد " (١).

نلاحظ في كلام شيخ الاسلام موافقته التامة لما ذهب اليه الامام ابن جرير في بيان معنى الوحدانية ، ومخالفة المتكلمين ،الا أن الامام ابن جرير لم يتوسع في ذلك كما توسع شيخ الاسلام ابن تيمية رحمة الله عليه . ولا ضير على الامام ابن جرير في ذلك ، فقد أدى الغرض المقصود بكلام موجز صريح واضح ..

---

(١) نقض تأسيس الجهمية حـ ١ ص ٤٧٨ ــ ٤٧٩

المبحث الثاني

أنواع التوحيد

لم يتعرض الامام ابن جرير لانواع التوحيد عند المتكلمين ، الا أنى لمست من مجمل كلامه فى تفسيره لكثير من الأيات القرآنية الدالة على التوحيد مخالفة ضمنية لهم ، فالمتكلمون ذكروا للتوحيد ثلاثة معان هى : أن الله واحد فى ذاته لا قسيم له ، وواحد فى صفاته لا شبيه له ، وواحد فى افعاله لا شريك له .(١) غير أنهم اقتصروا فى البيان والتفصيل على وحدانية الله فى افعاله ، وأقاموا الحجج والبراهين المختلفة لاثبات ذلك ، وهو المعروف بدليل التمانع ،

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فان عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد فى كتب الكلام والنظر ، غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع ، فيقولون هو واحد فى ذاته لا قسيم له ، وواحد فى صفاته لا شبيه له ، وواحد فى افعاله لا شريك . وأشهر الانواع الثلاثة عندهم هو الثالث ، وهو توحيد الأفعال ، وهو أن خالق العالم واحد ، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب ، وأن هذا هو معنى قولنا لا اله الا الله ، حتى انهم يجعلون معنى الالهية القدرة على الاختراع ، ومعلوم أن المشركين الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولا لم يكونوا يخالفونه فى هذا ، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شىء حتى انهم كانوا يقرون بالقدر أيضا ، وهم مع هذا مشركون "(٢) ..

---

(١) انظر المغنى فى ابواب التوحيد والعدل حـ ٤ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٦٩ ـ ٧٠ تفسير الرازى حـ ٤ ص ١٧٢ ، نقض تأسيس الجهمية حـ ١ ص ٤٦٩ .

(٢) مجموع الفتاوى حـ ٣ ص ٩٨ ..

هذا وقد وجدت من خلال البحث أن التوحيد عند الامام ابن جرير نوعان :

الأول : توحيد يتعلق بالمعرفة والاثبات ، وهو اثبات صفات الله سبحانه وتعالى التى وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ..

الثانى : توحيد يتعلق بالقصد ، والارادة ، وهو اثبات الالهية والربوبيه لله سبحانه وتعالى وافراده بالعبادة ..

وعلى الرغم من أن الامام ابن جرير ذكر بعض ما ذكره المتكلمون من توحيد الله فى ذاته ، وتوحيده فى أسمائه وصفاته ، وتوحيده فى افعاله الا أنه اضاف الى ذلك ما اغفله كثير من المتكلمين . وهو توحيد الالهية المتضمن لتوحيد الربوبية : يقول الامام ابن جرير موضحا رأية فى ذلك فى تفسيره لقوله تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا "(١) أى " وذلوا لله بالطاعة ، واخضعوا له بها ، وافردوه بالربوبية ، وأخلصوا له الخضوع والذلة بالانتهاء الى أمره ، والانزجار عن نهيه ، ولا تجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا ، تعظمونه تعظيمكم اياه " (٢) ..

ويقول فى تفسير قوله تعالى : " الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ، هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين " (٣) " يقول تعالى ذكره " الله " الذى له الالوهة خالصة أيها الناس الذى جعل لكم

---

(١) سورة النساء ٣٦.

(٢) جامع البيان جـ ٥ ص ٧٧.

(٣) سورة غافر ٦٤ ــ ٦٥..

الارض التى أنتم على ظهرها مكان تستقرون عليها وتسكنون فوقها والسماء بناها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دنياكم الى بلوغ أجالكم ، وخلقكم فأحسن خلقكم ، ورزقكم من حلال الرزق ، ولذيذات المطاعم ، والمشارب ، فالذى فعل هذه الافعال ، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم ، هو الله الذى لا تنبغى الألوهة الا له ، وربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره ، لا الذى لا ينفع ولا يضر ولا يرزق فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وأنسهم ، وسائر اجناس الخلق غيرهم ، هو الحى الذى لا يموت الدائم الحياة ، وكل شئ سواه فمنقطع الحياة غير دائمها ، لا معبود بحق تجوز عبادته ، وتصلح الالوهة له الا الله الذى هذه الصفات صفاته ، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين ، مخلصين له الطاعه ، مفردين له الالوهة ، لا تشركوا فى عبادته شيئا سواه من وثن وصنم ولا تجعلوا لله ندا ولا عدلا " (١) .

ولا ريب أن الطريق الذى سلكه الامام ابن جرير فى بيان انواع التوحيد والتركيز على توحيد الالهية وافراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، هو طريق سلفى سار عليه ائمة وعلماء السلف ، الذين ذهبوا الى أن التوحيد نوعان ، توحيد يتعلق بالمعرفة والاثبات ، وتوحيد يتعلق بالقصد والارادة ،

وقد عبر شيخ الاسلام عن رأى السلف فى بيان أنواع التوحيد بقوله : " أن توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية هو التوحيد الكامل الذى جاء به القرآن ، وكل واحد من وحدانية الربوبية والالهية ، وان كان أيضا معلوما بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الالهية ، فهو أيضا معلوم بالامثال الضرورية التى هى المقاييس العقلية " (٢) .

ويقول الامام ابن القيم " وملاك السعادة والفوز والنجاة بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى ، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى

---

(١) المصدر نفسه حـ ٢٤ ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) مجموع الفتاوى حـ ١ ص ٣٧ ـ ٣٨ .

رســله ، واليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامة عليهم من أولهم الى آخرهم .
أحدهما التوحيد العلمى الخبرى الاعتقادى المتضمن اثبات صفات الكمال للـه
تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وصفات النقص ، والتوحيد الثانى عبادته
وحده لا شريك له ، وتجريد محبته والاخلاص له ، وخوفه ورجاؤه ، والتوكل عليه ،
والرضا به ربا والهها ووليا وأن لا يجعل له عدلا فى شئ من الأشياء ، وقـــد
جمع الله سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد " فى سورة الاخلاص وسورة
قل يا أيها الكافرون " فالأولى متضمنة للتوحيد العلمى الخبرى ، والثانيـــة
متضمنة للتوحيد العملى الارادى ، (فسورة الاخلاص) فيها بيان ما يجب للـه
تعالى من صفات الكمال ، وبيان ما يجب تنزيهه من النقص والامثال (وســـورة
قل يا أيها الكافرون " فيها ايجاب عبادته وحده لا شريك له ، والتبرؤ مـــن
عبادة كل ما سواه ، ولا يتم احد التوحيد ين الا بالاخر ، ولهذا كان النبـــى
صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين السورتين فى الفجر والمغرب والوتر " (١) وذهب
بعض السلف" أن التوحيد ثلاثة انواع : توحيد الاسماء والصفات ، وتوحيـــد
الربوبية ، وتوحيد الالهية (٢) واذا كان التوحيد عند السلف يتضمن ثـــلاثة
انواع كما رأينا ، فانى أرى أن من تمام الفائدة فى هذا المبحث أن آخص كـل
نوع من هذه الانواع الثلاثة بما يحدد مفهومة ، ويوضح مراقبة ثم اتبع ذلـــك
ببيان العلاقة بين انواع التوحيد . فأقول وبالله التوفيق ..

(١) توحيد الربوبيـــة :

قال الامام ابن جرير " فان الرب فى كلام العرب متصرف على معـان ،
فالسيد المطاع فيها يدعى ربا ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :
وأهلكن يوما رب كندة وابنـــه * ورب معد بين خبت وعرعـــر

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية ص ٣٣ ـ ٣٤ ، وانظر شرح نونية ابن القيـــم ح ٢ ص ٢٥٩ ، معارج القبول ص ٥٤ ـ ٥٥ .
(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٧٦ ـ ٧٧ ، رسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسـن ضمن الجامع الفريد ص ٣٤٠ ..

يعنى رب كندة سيد كندة ، والرجل المصلح للشئ يدعى ربا ...
ومن ذلك قيل ان فلانا يرب صنيعته عند فلان اذا كان يحاول اصلاحها وادامتها .. والمالك للشئ يدعى ربه ، وقد يتصرف ايضا معنى الرب فى وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود الى بعض هذه الوجوه الثلاثة " .
وجاء فى تاج العروس : " الرب هو الله عز وجل وهو رب كل شئ اى مالكه ، وله الربوبية على جميع الخلق ، والرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربى ، والمتمم ، والقيم ، والمنعم ، ولا يطلق غير مضافا الا على الله تعالى ، واذا اطلق على غيره اضيف فيقال رب كذا " (٢)

مما تقدم" يتبين ان للفظ الرب عدة معان ، وهذه المعانى كلها مما يصح أن تراد بلفظ الرب اذا اطلق على الله فهو المربى للأشياء الذى ينميها وينقلها فى الاطوار المختلفة حتى يبلغ بها غاية كمالها ، وهو المالك لها والسيد عليها والمدبر لمصالحها ، والقائم بحفظها وكلاءتها " (٣)
وفى هذا المعنى يقول الامام ابن جرير : " فربنا جل ثناؤه السيد الذى لا شبه له ، ولا مثل فى سؤدده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذى له الخلق والأمر " (٤)

وبناء على ذلك فان توحيد الربوبية يعنى الاقرار أن الله تعالى رب كل شئ ومالكه وخالقه ، ورازقه ، وانه المحى المميت ، النافع الضار ، الذى له الامر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على كل شئ ، ليس له فى ذلك شريك (٥)
لذلك كانت شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٦٢ .

(٢) تاج العروس حـ ١ ص ٢٦٠ .

(٣) دعوة التوحيد ص ٣١ .

(٤) جامع البيان حـ ١ ص ٦٢ .

(٥) فى العقيدة الاسلامية حـ ١ ص ٢٠٤ .

مختصة به سبحانه لا يشاركة فيها احد من خلقه ، ولا ريب أن هذا الأمر مركوز في الفطرة لا يكاد ينازع فيه أحد ، حتى ان المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بذلك ، ولا ينكرونه ، ولا يجعلون أحدا من آلهتهم شريكا لله تعالى في ربوبيته ، غير أن هذا التوحيد لا يكفي الانسان في حصول الاسلام ، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الالهية ، لأن الله سبحانه وتعالى حكى عن المشركين أنهم كانوا مقرين بهذا التوحيد ، لكن هذا التوحيد لم ينقصهم في شيء لأنهم اشركوا في توحيد الالهية ، يقول الله تعالى في شأن المشركين : " قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون " (١) ويقول أيضا : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون " (٢) الى اخر ما هنالك من الآيات التي تفيد اقرار المشركين من العرب بتوحيد الربوبية ، وانفراده سبحانه بجميع شئونها من خلق ورزق واحياء واماتة ، وتدبير وتصريف ، ولم يعرف عن أحد من طوائف العالم نازع في هذا الا الدهريه قديما ، والماديين الملحدين حديثا ، الذين يجحدون وجود الله سبحانه وتعالى ، ويزعمون أن العالم يسير بنفسه ، وأن المادة خلقت نفسها ،

وكذلك الثنوية من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين ، أحدهما للخير وهو النور والثاني للشر وهو الظلمة ، وأهل التثليث من النصارى الذين يجعلون الألهة ثلاثة الآب والابن والروح القدس ، تعالى الله سبحانة عن ذلك - ولكن هاتين الطائفتين مع ذلك لا تقولان بالتساوي بين هذه الأرباب المزعومة ، وحاصل القول : انه لا يوجد بين طوائف البشر من يقول بوجود ربين أو الهين متكافئين في الصفات والافعال ، ولكن لما وجد في الناس من ينازع في توحيد الربوبية ،

---

(١) سورة يونس ٣١ .

(٢) سورة الزخرف ٨٧ .

ويجعل لغير الله عز وجل شيئا من الشركة معه فى الخلق أو التدبير لم يهمل القرآن الكريم الاحتجاج له ، بل قرره أبدع تقرير (١) فى قوله عز من قائل " ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " (٢) .

يقول الامام ابن جرير فى تفسير هذه الاية " ما لله من ولد ، ولا كان معه فى القديم حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته ، ولو كان معه فى القديم أو عند خلقه الاشياء من تصلح عبادته ، اذا لذهب كل اله منهم بما خلق من شئ فانفرد به ولتغالبوا ، فلعلا بعضهم على بعض ، وغلب القوى منهم الضعيف لأن القوى لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون الها ، فسبحان الله ما ابلغها من حجة ، واوجزها لمن عقل وتدبر" (٣)

نلاحظ فى هذا الكلام أن الامام ابن جرير بعد أن أثبت لله عز وجل توحيد الربوبية بنفى الولد والشريك عنه ، جعل هذا التوحيد برهانا على توحيد الالهية وافراد الله بالعبادة ، لأن الضعيف العاجز لا يصلح أن يكون الها يعبد ، بل العبادة الحقة الخالصة لله رب العالمين .

ونزيد كلام الامام ابن جرير السابق فى تفسير هذه الأية توضيحا بنقل كلام شارح الطحاوية حيث يقول بعد ذكره لهذه الأية الكريمة : " فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر فان الاله الحق لا بد أن يكون خالقا ، فاعلا يوصل الى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه من يشركه فى ملكه : لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، بل ان قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والالهية دونه فعل ، وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٧٧ ـ ٧٨ ، ٨٥ ، دعوة التوحيد ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) سورة المؤمنون ٩١ .

(٣) جامع البيان حـ ١٨ ص ٤٩ ..

عن بعض بملكه ، اذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الاخر والعلو عليه ، فلابد من ثلاثة امـــور :

(أ) اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانـــه ..

(ب) واما أن يعلو بعضهم على بعـض ..

(جـ) واما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الالــه ، وهم العبيد المربوبون من كل وجه.

وانتظام امــر العالم كله ، واحكام امره ، من أدل الدليل على أن مدبــره اله واحد ، وملك واحد لا اله للخلق غيره ولا رب لهم سواه.

الى أن يقول : " فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر فى الفطر معلوم بصحيح العقل بطلانه ، فكذا تبطل الـهية اثنين فالأيـة الكريمة موافقة لما ثبت واستقر فى الفطر من توحيد الربوبية ، دالة مثبتة مستلزمـة لتوحيد الالــهية " (١) ..

(٢) توحيد الالهيـــة :ـ

ومعناه افراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة واخلاص الدين لـــــه.

فان الالــهية نسبة الى الاله بمعنى المعبود ، يقال آله يأله الـهـــة ، وألوهة ، وألوهية ، بمعنى عبد عبادة ، قال ابن عباس رضى الله عنهمـــا الله ذو الالــهية والعبودية على خلقه أجمعين والى هذا المعنى ذهب الامام ابن جرير (٢).

والالــه اسم للمعبود مطلقا بحق أو بغير حق ، فهو يطلق على الله عـــز وجل كما يطلق على غيره من المعبودات الباطلة وجمعه آلهــة ، واما اللــه سبحانة وتعالى فمختص بالمعبود بحق لا يطلق على غيره.

---

(١) شرح الطحاوية ص ٨٥ ـ ٨٦ ..

(٢) انظر جامع البيان جـ ١ ص ٥٤ ، دعـــوة التوحيد ص ٣٧ ..

يقـــول الامام ابن جرير فى هذا المعنى : " هو الحى الذى لا يموت الدائـم الحياة ، وكل شئ سواه فمنقطع الحياة غير دائمها ، لا معبود بحق تجـــوز عبادته ، وتصلح الالوهة له الا الله الذى هذه الصفات صفاته " (١)

وقد بينت سابقا أن توحيد الالهية وافراد الله سبحانة وتعالى بالعبادة هـــو المقصد الاعظم من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لان هذا التوحيـد هو الذى وقع الـــنزاع فيه بين الرسل وبين اممهم كما حكى ذلك القرآن الكريـم فالمشركون من كل أمة كانوا يتخذون من دون الله أندادا يشركونهم بالله فـــى العبادة ، ويعتقدون أن لهم حقا فيها مع الله عز وجل ، وكانوا يعبدونهـــم على جهة التقرب بهم الى الله ، واتخاذهم وسائط وشفعاء عنده زعما منهم أنـه لا تقضى لهم حاجة ، ولا يسمع لهم دعاء ، ولا تفتح لهم ابواب السماء الا بشفاعـه هؤلاء الـــوسطاء ..

وتوحيـــد الالوهيـــة : ـ

هو أول واجب على المكلف لا النظر ، ولا القصد الى النظر ، ولا الشك كما هى أقوال ارباب الكلام المذموم ، فهو أول واجب وآخر واجب ، وأول مـــا يدخل به الاسلام الفرد وآخر ما يخرج به من الدنيـا (٢) .

طريقـــة تحقيـق توحيـد الالهيـــة : ـ

وطريقة تحقيق هذا التوحيد ، هو بإفراد الله سبحانة وتعالى بالعبـادة والنفى والـبراءة من كل معبود دونه ، والتحقيق أن تعرف أن الله سبحانـــه وتعالى جعل العبادة انـــواعاً ..

---

(١) جامع البيان حـ ٢٤ ص ٨١ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٧٥ ..

(أ) عبادات اعتقاديـــــة :ـ

وأساس هذه العبادات هو أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالـــى هو الرب الواحد الأحد الذى له الخلق والأمر وبيده النفع والضر ، وأنه الذى لا شريك له ، ولا يشفع عنده أحد الا بأذنه ، وأنه لا معبـــود بحق غيره سبحانه وتعالى وغير ذلك من لوازم الالوهية ..

(ب) عبـادات قلبيـــــة :ـ

وهى التى ترجع الى عمل القلب وحده ، وهى أهم انواع العبادات ، وتعتبر أساسا لما وراءها من العبادات القولية والعملية ، ومنها الحب والخوف ، والرجاء ، والاخلاص ، والتوكل ، والصبر ، والرغبة والرهبـــه والخشية والانابـــة والخضوع وغيرهـــا ..

(جـ) عبـــادات لفظيـــة :ـ

وهى اللـــتى تتعلق باللسان ، وهى كثيرة جدا ومن أهمهـــا النطق بكلمة التوحيد ، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم تحقن دمـــه ولا ماله ، ومنها الدعاء ، والذكر والتسمية ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والحلـــف ..

(د) عبـــادات بدنيـــة :ـ

وهى العبادات التى تؤدى بالجوارح ، وهى كثيرة ومعلومة كالصـــلاة والصيام ، والحج والعمرة بما يشتملان عليه من مناسك كالطواف والسعـــى والوقوف بعرفه والمزدلفة ورمى الجمار ، والحلق والتقصير وسوق الهدايـا ومنها الجهاد بالنفس ، والرحلة فى طلب العلم أو الى أحد المساجـــد

الثلاثة ، وبالجملة فكل عبادة نيطت بالبدن أو بعضو منه فهي داخلة في هذا النوع من العبادات ..

(هـ) عبادات مالية :ـ

كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله به ، وانواع الواجبات والمندوبات في الأقوال والابدان والافعال (١) ،

احتياط الشرع لهذا التوحيد :ـ

رأينا سابقا أن توحيد الالوهية يقوم على اخلاص العبادة لله عز وجل ، وعدم الاشراك به ، ولما كان هذا التوحيد أعظم انواع التوحيد واشرفها ، وفي الوقت نفسه اخطرها ، فقد احتاط الشرع له اعظم الحيطة ، ونفى عنه كل شائبة شرك ، وحرم كل وسيله مفضية الى الاخلال بقواعده حتى يبقى مصون الحمى بعيدا عن عوامل الزيغ والانحراف ..

فقد نهى الشارع الحكيم عن الالفاظ التى توهم الندية والمساواه بين الله وبين احد من خلقه ، كقول بعض الناس مثلا أنا في حمى الله وحمى فلان ، وأنا متوكل على الله وفلان ، الى غير ذلك من الالفاظ الدارجة على السنة الكثيرين من الناس ، والتى لا تصح بحال من الاحوال ، الا أن الشارع بين للناس المخرج من ذلك وهو العطف بثم ، فيصح له ان يقول أنا في حمى الله ثم فلان ، وذلك لأن العطف بالواو يقتضى المساواة بين المعطوف والمعطوف عليه ، بخلاف العطف بثم فانه يقتضى تأخر المعطوف في الرتبة عن المعطوف عليه ، وكذلك نهى الشارع عن الالفاظ التى فيها تعظيم لغير الله أو نسبة تأثير اليه كقول بعض الناس وحياة أبيك ، أو لو لا فلان لكان كذا ،

---

(١) انظر حول هذا الموضوع دعوة التوحيد ص ٤٦ ـ ٧٠ ، في العقيدة السلفية جـ ١ ص ٢٢٠.

ونهى كذلك عن اتخاذ القبور مساجد ، خوفا من أن تتخذ ذريعة الى تعظيمها وعبادتها ، ونهى عن شد الرحال الى مكان من الأمكنة بقصد التقرب الى الله بالعبادة فيه الا الى المساجد الثلاثة ، الى غير ذلك من الامور التى نهى عنها الشارع احتياطا للتوحيد ،

وقد سار على هذا النهج الواضح من الحيطة للتوحيد سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وائمة الهدى والدين ، الذين لم يسمحوا لأحد أن يخرق سياج التوحيد أو يستبيح بيضته ، حتى نبتت طوائف الشيعة والمتصوفة ، فأعملوا فيه معاول هدمهم بغلوهم في ائمتهم ، وشيوخهم ، وتقديسهم للمشاهد والمزارات ، وتبركهم بالآثار والمخلفات ، وسجودهم على العتبات ، وتقديمهم النذور والقربانات (١) وما زال الامر يستفحل ، والخطر يشتد حتى وصل فى عصرنا الحاضر الى ما نشاهده الآن فى كثير من البلاد الاسلامية ، من اقامة القباب على القبور والتبرك بها ، والطواف حولها ، والنذر لها ، والتوسل بها ، ومناجاتها والاستغاثة باصحابها ، وذبح القرابين لها ، واقامة المهرجانات الجاهلية التى يسمونها " الموالد " الى غير ذلك من البدع والخرافات التى يئن منها الاسلام ، وتتفتت على صخرتها كل قواعد التوحيد والايمان ، ولكن الله عز وجل لا يتخلى عن عباده اذ يهيىء للناس فى كل فترة طائفة من العلماء الغيورين على عقيدة التوحيد ، يذبون عن حياضها ، وينصحون أمتهم بالاقلاع عن هذه العادات الشركية ، وينذرون الناس من سوء العاقبه ان استمروا على هذه الحال ، ولكن هذه الجهود كانت غالبا ما تضيع سدى لأن قوة السلطان لا تسندها بل تسند بكل ثقلها حجافل الشرك والطغيان ، وتضطهد كل داعية الى التوحيد والايمان ..

(٣) توحيد الاسماء والصفات :ـ

ومعناه أن يوصف الله عز وجل بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ،

---

(١) انظر دعوة التوحيد ص ٧٠ ـ ٧٤ ..

وسنفصـــل القول فى هذا الموضوع فى فصول قادمة من هذا البحث ان شاء الله تعالــــى ..

ملاحظـــات عامــــة

وينبغى أن أشير الى نقطـــة مهمة فى ختام هذا البحث وهى ، أننــا لاحظنا من خلال البحث أن الامام ابن جرير قد قسم التوحيد الى قسميـــن ، وهما توحيد الربوبيــة وتوحيد الالهية ، وفرق بين هذيــن النوعين تفريقـــا واضحا ، عبر عنه فى مواطن كثيرة من تفسيره ، فمن ذلك قوله مثلا " فالـــذ ى فعل هذه الافعال وانعم عليكم ايها الناس هذه النعم ، هو الله الذى لا تنبغـى الالوهة الا له ، وربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره " (١)

وقوله ايضا فى تفسير قوله تعالى : " فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون "(٢) " فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئا ، وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا لـــه ندا وعدلا فى الطاعة ، فقال كما لا شريك لى فى خلقكم ورزقكم الذى ارزقكـــم وملكى اياكم ، ونعمــتى التى انعمتها عليكم ، فكذلك فأفردوا لى الطاعة واخلصوا لى العبادة ولا تجعلوا لى شريكا وندا من خلقى ، فانكم تعلمون أن كل نعمــة عليكم منى " (٣) وقوله كذلك فى تفسير قوله تعالى : " وهو الذى خلـــــق السموات والارض بالحق " (٤) وهو الذى خلق أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولايقدر على شئ ، السموات والارض بالحق حجة على خلقه ليعرفوا بهــا صانعها ، وليستدلوا بها على عظيـــم قدرته وسلطانه فيخلصوا له العبادة" (٥) .

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٨١.

(٢) سورة البقرة ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه حـ ١ ص ١٦٣ .

(٤) سورة الانعام ٧٣ .

(٥) المصدر نفسه حـ ٧ ص ٢٤٠ ..

هذا وقد لاحظنا كذلك أن الامام ابن جرير كان يوجه الايات التى تدل على توحيد الربوبية ، ويخلص منها الى القول بأن الالوهية والعبادة لا يستحقها بحق الا الله سبحانه وتعالى ، ومما ينبغى ذكره فى هذا المقام أن تقسيم الامام ابن جرير التوحيد الى قسمين هما توحيد الربوبية وتوحيد الالهية والتفريق بينهما كما لاحظنا ذلك هو فى الوقت نفسه رد على من يزعم أن هذا التقسيم بدعة ابتدعها شيخ الاسلام ابن تيمية وأن السلف لم يقولوا بهذا التقسيم ، فهذا الامام ابن جرير واحد من علماء السلف المتقدمين قال بهذا التقسيم ، والله الهادى للصواب

العلاقة بين انواع التوحيد الثلاثة

بعد أن فرغنا من الكلام على حقيقة كل واحد من انواع التوحيد الثلاثة التى هى توحيد الربوبية والالهية والاسماء والصفات ، يحسن بنا أن نعرف النسبة بينهما ، وهل هى متلازمة فى الوجود بمعنى أن بعضها لا يوجد بدون الآخر أم غير متلازمة ، وهل يغنى اعتقاد بعضها فقط أم لا بد من اعتقاد جميعها .

فتوحيد الربوبية الذى يقوم كما بينا على اعتقاد أنه سبحانه وتعالى رب كل شئ وخالقه ومايكه ، وأنه القائم على أمور عبادة ، والكافل لها ، والمربى لهم بنعمه المادية والروحية ، هذا التوحيد مستلزم لتوحيد الالهية ، والعبادة ، فهو منه كالمقدمة من النتيجة ، فانه اذا علم أنه سبحانة هو الرب وحده لا شريك له فى ربوبيته كانت العبادة حقه الذى لا ينبغى الا له ، فانه لا يصلح أن يعبد الا من كان ربا خالقا مالكا مدبرا ، وما دام ذلك لله وحده فيجب أن يكون هو المعبود وحده الذى لا يجوز أن يكون معه لاحد شركة فى شئ من صور العبادة (١) .

وقد سار الامام ابن جرير على هذا المنهج كما اسلفنا ، حيث كان رحمة الله عليه يستدل بالايات القرآنية التى تدل على توحيد الربوبية ويخلص منها الى

---

(١) انظر دعوة التوحيد ص ٨٣ ..

الدعوة الى توحيد الالهية ، فيجعل التوحيد الاول برهانا على التوحيد الثانى وهو توحيد الالهية والعبادة جريا على طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال على ذلك ، واتباعا لمنهج السلف فى ذلك الامر أيضا .

واما توحيد الالهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية ، ومعنى كونه متضمنا له أن توحيد الربوبية داخل فى ضمن توحيد الالهية ، فان من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا لا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه ومالكه الذى لا رب غيره ولا مالك سواه ، فهو يعبد الله لا عتقاده أن أمره كله بيده ، وأنه سبحانه هو الذى يملك نفعه وضره ، وأن كل ما يدعى من دونه ، فهو لا يملك لعابديه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

واما توحيد الاسماء والصفات فانه شامل للنوعين السابقين ، فهو يقوم على افراد الله سبحانه وتعالى بكل ماله من الاسماء الحسنى ، والصفات العليا التى لا تنبغى الا له ، ومن جملتها كونه ربا واحدا لا شريك له فى ربوبيته ، وكونه الها واحدا لا شريك له فى الهيته وعبادته ،

فاسم الرب لا ينصرف عند الاطلاق الا اليه سبحانه وتعالى ، فله وحده الربوبية المطلقة الشاملة ، وكذلك اسم الجلالة " الله " لا يطلق كما بينا الا عليه وحده ، فهو ذو الالهية على خلقه أجمعين ليس لهم اله غيره ، وبالجملة فهذه الانواع الثلاثة من التوحيد متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضا ، ولا ينفع أحدها بدون الاخرين ، ولا يصح ، فكما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الالهية ، فكذلك لا يصح توحيد الالهية بدون توحيد الربوبية ، فان من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا فى عبادته ، ولكنه مع ذلك اعتقد أن لغيره تأثيرا فى شىء او قدرة على ما لا يقدر عليه الا الله ، أو أنه يملك نفع العباد أو ضرهم ونحو ذلك ، فهذا لا تصح عبادته ، لأن الاساس فى ذلك هو الايمان بالله ربا له شئون الربوبية كلها ..

وكذلك القول فى من وحد الله عز وجل فى ربوبيته والـهيته ، ولكنه سمى غيـره بأسمائه ، أو الحد فيها ، فلم يثبت مادلت عليه تلك الاسماء من صفات الكمـال ، أو اثبت لغير الله تعالى مثل صفته ، لم ينفعه توحيد الربوبية والالـهية ، فـلا يكمل لأحد توحيده حتى يجمع بين هذه الانواع الثلاثة من التوحيد ، والله الهادى الى بيان الحـق ...

المبحث الثالث

اثبات الوحدانية لله تعالى

ان توحيد الله سبحانه وتعالى وافراده بالعبادة هو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ،وأول منازل الطريق ،وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله سبحانه وتعالى . قال الله تبارك وتعالى : (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (١) وكان كل رسول يدعو قومه الى عبادة الله وحده ، ومحاربة الشرك بجميع صوره والوانه .

ولا ريب أن أول واجب يجب على المكلف هو شهادة أن لا اله الا الله ،لا النظر ولا القصد الى النظر ، ولا الشك كما هو عند أهل الكلام المذموم .(٢)

فالتوحيد هو أول ما يدخل به الاسلام ،وأخر ما يخرج به من الدنيا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة)(٣) وهو أول واجب وآخر واجب)(٤) .

هذا وقد استدل الامام ابن جرير بمجموعة من الادلة على اثبات الوحدانية لله تبارك وتعالى استنبطها من الايات القرآنية الكريمة وفيما يلى بيان لاهم هذه الادلة :

(١) أدلة عقلية وردت في القرآن الكريم تدل على وحدانية الله تعالى ، استدل الامام ابن جرير في اثبات الوحدانية لله تعالى بمجموعة من الايات القرآنية الكريمة جاءت الدلالة فيها على وحدانية الله سبحانه وتعالى في سياق عقلي محكم ومن بين هذه الايات مايلى :

---

(١) الاعراف ٥٩

(٢) انظر الارشاد ص ٣

(٣) اخرجه الامام احمد في المسند حـ ٥/ص٢٣٣ من طريق كثير بن مرة عن معاذ بن جبل مرفوعا ،والحاكم في المستدرك حـ ١ ص٣٥١ ، وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي واخرجه ابو داود في الجنائز باب في التلقين حـ٣ ص٤٨٦ ،وصححه شيخنا الالباني في الارواء حـ ٣ ص ١٤٨

(٤) انظر شرح الطحاوية ص ٧٥

أ ـ استدل بقوله تعالى (ماتخذ الله من ولد ، وما كان معه من الـه اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " (١) على اثبات الوحدانية لله عز وجل حيث يقول : (ما لله من ولد ، ولا كان معه في القديم ، ولا حين ابتدع الاشياء ، من تصلح عبادته ، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته اذا لذهب كل اله منهم بما خلق ، من شيء فانفرد به ، ولتغالبوا ، فلعلا بعضهم على بعض وغلب القوى منهم الضعيف ، لان القوى لا يرضى أن يعلوه ضعيف والضعيف لا يصلح أن يكون الهـا ، فسبحان الله ما أبلغها من حجة واوجزها لمن عقل وتدبر) (٢) .

نلاحظ في كلام الامام ابن جرير السابق تقريرا لوحدانية الله سبحانه وتعالى بنفي الولد والشريك عنه ، ببيان حال الكون مع التعدد في الالهة من تفرد كل منهم بخلقه ومغالبة بعضهم بعضا ، فلابد والحالة هذه ، أن ينشأ الفساد والاضطراب نتيجة ذهاب كل منهم بما خلق من شيء وانفراده به ، فيعلو بعضهم على بعض ، ويغلب القوى منهم الضعيف الذى لا يصلح أن يكون الها لضعفه وعجزه .

ب ـ واستدل بقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٣) على اثبات الوحدانية لله تعالى حيث يقول : (لو كان في السماوات والارض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذى هو خالق الاشياء ، وله العبادة والالوهية التي لا تصلح الا له لفسد أهل السماوات والارض) (٤) .

نلاحظ في كلام الامام ابن جرير مخالفة ضمنية للمتكلمين الذين استدلوا بهذه الاية على توحيد الربوبية ، وأنه لو كان هناك آلهة خالقون لادى ذلك الى فساد السماوات والارض ، لما يقع بين هذه الالهة المفروضة من

---

(١) المؤمنون ٩١
(٢) جامع البيان جـ ١٨ ص ٤٩
(٣) الانبياء ٢٢
(٤) المصدر نفسه جـ ١٧ ص ١٣

التمانع في الخلق ،فنحن نلاحظ أن هذه الاية في رأى الامام ابن جرير سيقت للاستدلال على توحيد الالهية المتضمن لتوحيد الربوبية ، وذلك ببيان ما يترتب على تعدد الالهة المعبودين من الفساد بين أهل السماوات والارض ، كما أن فيها بيانا واضحا في اثبات أن العبادة الحقة لاتنبغى الا لله سبحانه وتعالى • لما يترتب من الفساد على الاشراك بالله وتعدد الالهة المعبودين بغير حق ،لان الفساد الناشيء عن عبادة الالهة المتعددين المعبودين بغير حق دليل على بطلان القول بتعددهم وعبادتهم ، وأنه ليس في الوجود معبود بحق الا الله الواحد الأحد ، الذي ينبغى افراده بالعبادة والطاعة وحده بلا شريك • وقد ذهب الى هذا المعنى الذى ذهب اليه الامام ابن جرير شيخ الاسلام ابن تيمية حيث يقول في ذلك : (والمقصود هنا في هذه الاية بيان امتناع الالوهية من جهة الفساد الناشيء من عبادة ما سوى الله تعالى لانه لاصلاح للخلق الا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية افعالهم ونهاية حركاتهم ، وما سوى الله لايصلح ، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة فانه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته) (١) •

(٢) ادلة من الكون وردت في القرآن الكريم تدل على وحدانية الله تعالى : استدل الامام ابن جرير على اثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى بمجموعة من الايات القرآنية التى تحدثت عن المظاهر الكونية الكثيرة التى تدل دلالة واضحة على وحدانية الله سبحانه وتعالى • وفيما يلى بيان ذلك :

أ ـ استدل بقوله تعالى : (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) (٢) على اثبات الوحدانية لله عز وجل حيث يقول في

---

(١) منهاج السنة جـ ٢ ص ٩١

(٢) الاعراف ١٨٥

في تفسير هذه الاية : (أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السماوات وفي الارض ، وفيما خلق الله جل ثناؤه من شيء فيهما فيتدبروا ذلك ، ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك ممن لانظير له ولا شبيه ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة او الدين الخالص الا له ، فيؤمنوا به ، ويصدقوا رسوله ، وينيبوا الى طاعته ويخلعوا الانداد والأوثان) (١)

ب ـ واستدل بقوله تعالى (وكأين من أية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) (٢) على اثبات الوحدانية لله تعالى كذلك ، حيث يقول في تفسيرها : (وكم من أية في السماوات والارض لله ، وعبرة وحجة وذلك كالشمس والقمر والنجوم ، ونحو ذلك من أيات السماوات ، وكالجبال والبحار والنبات والاشجار ، وغير ذلك من أيات الارض .
يعاينونها فيمرون بها معرضين عنها ، لا يعتبرون بها ، ولا يفكرون فيها ، وفيما دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الالوهية لا تنبغي الا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء فدبرها) (٣) وهناك أدلة كونية كثيرة سوى ماذكرت هنا استدل بها الامام ابن جرير على اثبات الوحدانية لله تعالى ذكرها في معرض تفسيره لايات القرآن الكريم التي تحدثت عن ذلك .

(٣) ادلة من النفس وردت في القرآن الكريم تدل على وحدانية الله تعالى :

(استدل الامام ابن جرير بأدلة النفس التي وردت في القرآن الكريم على اثبات الوحدانية لله عز وجل . ومن بين هذه الادلة التي استدل بها على ذلك قوله تعالى : (وفي انفسكم أفلا تبصرون) (٤) حيث يقول في تفسيرها وبيان وجه

---

(١) جامع البيان حـ ٩ ص ١٣٦
(٢) يوسف ١٠٥
(٣) المصدر نفسه حـ ١٣ ص ٧٦
(٤) الذاريات ٢١

الدلالة فيها على وحدانية الله سبحانه وتعالى : (وفى انفسكم ايضا أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم ، وأنه لا اله لكم سواه اذكان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه لكم ، (افلاتبصرون) أفلا تنظرون فى ذلك فتتفكرون فيه ، فتعلمون حقيقة وحدانية خالقكم) (١)

(٤) ادلة وردت فى القرآن الكريم تبين عدم التسوية بين دينونة الانسان .لاله واحد ، ودينونته لالهة متعددين تدل على وحدانية الله تعالى :

استدل الامام ابن جرير بالادلة القرآنية التى بينت عدم التسوية بين دينونة الانسان لاله واحد ، ودينونته لالهة متعددين على اثبات الوحدانية لله عز وجل .ومن بين هذه الادلة التى استدل بها على ذلك قوله تعالى :

(ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) (٢) حيث يقول فى تفسير هذه الاية وبيان وجه الدلالة فيها على اثبات الوحدانية لله تعالى : (مثل الله مثلا للكافر بالله الذى يعبد آلهة شتى ، ويطيع جماعة من الشياطين ،والمؤمن الذى لايعبد الا الله الواحد ، يقول الله تعالى ذكره ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء ، يقول هو بين جماعة مالكين متشاكسين يعنى مختلفين متنازعين سيئة اخلاقهم ..وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه .. ورجلا خلوصا لرجل ، يعنى المؤمن الموحد الذى اخلص عبادته لله لا يعبد غيره، ولا يدين لشيء سواه بالربوبية .. فأى هذين احسن حالا واروح جسما ،واقل تعبا ونصبا ؟ وقوله تعالى (الحمد لله) الشكر الكامل والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه " بل اكثرهم لايعلمون) بل اكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أنهما يستويان ، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله) (٣) .

---

(١) المصدر نفسه حـ ٢٦ ص ٢٠٥

(٢) الزمر ٢٩

(٣) المصدر نفسه حـ ٢٣ ص ٢١٣ ــ ٢١٥

(٥) ادلة وردت في القرآن الكريم تثبت الوحدانية لله تعالى ببيان بطلان الوهية ما سواه استدل الامام ابن جرير بمجموعة من الايات القرآنية اثبتت الوحدانية لله عز وجل ببيان بطلان الوهية ما سواه • ومن بين هذه الايات ما يلي :

أ ـ استدل بقوله تعالى : (ايشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) (١) •

يقول في تفسير هذه الايات مبينا دلالتها على الوحدانية (ايشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله مالا يخلق شيئا من خلق الله ،ولا يستطيع أن ينصرهم ان أراد الله بهم سوءا أو أحل بهم عقوبته ، ولا هو قادر ان أراد به سوءا نصر نفسه ،ولا دفع ضر عنها ،وانما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه ،أو لدفع ضر منه عن نفسه وآلهتم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولاتضرهم بل لا تجلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فهي من نفع غير أنفسها ،أو دفع الضر عنها أبعد يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره) ثم يقول : (وانما الرب المعبود هو النافع من يعبده الضار من يعصيه الناصر وليه الخاذل عدوه الهادي الى الرشاد من أطاعه) (٢)

ب ـ واستدل بقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) (٣) على اثبات الوحدانية لله تعالى حيث يقول في تفسيرها : يقوله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه ادعوا أيها القوم الذين زعمتم انهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم ،فا نظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله

---

(١) الاعراف ١٩١ ـ ١٩٢

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ١٥٠

(٣) الاسراء ٥٦

عنكم الى غيركم فتدعوهم آلهة ،فانهم لا يقدرون على ذلك ،ولا يملكونه وانما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم) (١) .

جـ ـ واستدل بقوله تعالى : (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولانفعا والله هو السميع العليم) (٢) على اثبات الوحدانية لله تعالى حيث يقول في تفسيرها : (يخبرهم تعالى ذكره أن المسيح الذى زعم من زعم من النصارى أنه اله ،والذى زعم من زعم منهم أنه لله ابن لا يملك لهم ضرا يدفعه عنهم ان أحله الله بهم ، ولا نفعا يجلبه اليهم ان لم يقضه الله لهم ، فكيف يكون ربا والها من كانت هذه صفته ؟ بل الرب المعبود الذى بيده كل شيء والقادر على كل شيء ،فاياه فاعبدوا ،واخلصوا له العبادة دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرون) (٣) .

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الطريقة التي سار عليها الامام ابن جرير في بيان معنى الوحدانية ، وبيان انواعها واثباتها لله عز وجل ،وافراد الله سبحانه وتعالى بالالوهية والطاعة والعبادة واخلاص الدين له ، هي طريقة السلف السهلة الواضحة البعيدة عن التعقيدات الكلامية ،والمصطلحات الفلسفية الغامضة ، فالسلف يستدلون على وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وتفرده بالالوهية والعبادة بالادلة القرآنية التي تثبت الوحدانية لله تبارك وتعالى عن طريق الاتجاه بالحس والعقل معا الى التفكير بهذا الكون العظيم ، ودقة النظام الذى يسير عليه والعناية الفائقة به ، وتدبير اموره تدبيرا محكما لا يدخله أدنى خلل ، لانه لو اختل نظامه الذى يسير عليه ، لفسد أمره فيصل بالنهايه الى أن هذا الكون العظيم والمخلوقات العظيمة الموجودة فيه ، والعناية الفائقة والتدبير المحكم الذى يسير عليه هذا الكون ، لايمكن أن يصدر عن اكثر من آله ، بل لا بد أن يكون من صنع اله واحد يستحق الالوهية والعبادة بحق وحده وهو الله سبحانه وتعالى الذى اوجد هذا الكون على هذا النظام العجيب المترابط المتقن غاية الاتقان

(١)المصدر نفسه جـ ٩ ص ١٠٣

(٢) المائدة ٧٦

(٣) المصدر نفسه جـ ٦ ص ٣١٥ ـ ٣١٦

(صنع الله الذى اتقن كل شئ) (١) يقول شارح الطحاوية : (وكل من له عقل سليم ، وعقل يميز به لا يحتاج الاستدلال الى أوضاع أهل الكلام والجدل ، واصطلاحهم وطرقهم البتة ، بل ربما يقع بسببها فى شكوك وشبه يحصل له بسببها الحيرة والضلال والريبة فان التوحيد ينفع اذا سلم صاحبه من ذلك ، وهذا هو القلب السليم الذى لا يفلح الا من أتى الله بـه) (٢)

---

(١) سورة النمل ٨٨

(٢) شرح الطحاوية ص ٩٧ ـ ٩٨

الفصل الرابع

دفاعه عن عقيدة السلف في أسماء الله تعالى

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الاول : طريق اثبات أسماء الله الحسنى

المبحث الثاني : عدد اسماء الله الحسنى

المبحث الثالث: الاسم للمسمى

المبحث الرابع: صلة الاسماء بالصفات

المبحـــــث الأول

طريق اثبات اسماء الله الحســـنى

ان من تمام التوحيد ، ومن كمال معرفة الله سبحانه وتعالى اثبـــات اسمائه الحسنى ، كما وردت فى القرآن الكريم ، وفى سنة سيد المرسلين نبينـــا محمد صلى الله عليه وسلم يقول السيد محمد بن مرتضى الزبيدى : " مقام معرفـــه كمال هذا الرب الكريم وما يجب له من نعوته ، واسمائه الحسنى من تمام التوحيـــد الذى لا بد منه ، لأن كمال الذات بأسمائها الحسنى ونعوتها الشريفة ، ولا كمـــال لـــذات لا نعت لها ولا اسم ، ولذلك عد مذهب الملاحده فى مدح الرب بنفيهـا من أعظم مكائدهم للاسلام ، فانهم عكسوا المعلوم عقلا وسمعا ، فذموا الأمـــر المحمود ومدحوا الأمر المذموم القائم مقام النفى والجحد المحض ، وضادوا كتـــاب الله ونصوصه الساطعة " (١) ..

وقد كان ثبوت اسماء الله الحسنى بما ورد من أدله صريحة واضحة مصدرها القرآن الكريم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة أمرا واضحا ، اذ أصبح من المسلمات التى لا تحتاج الى امعان نظر ، ولا تقبل المراء والجدل .

ولكن بعض الفرق المنتسبة الى الاسلام خالفت ذلك ، وانكرت ثبوت اسماء اللــه الحسنى ثبوتا حقيقيا ، يقول الرازى : " اعلم أن من الناس من نفى ثبـــوت الاسماء لله تعالى ، وسلم ثبوت الصفات ، ومنهم من عكس ، سلم ثبوت الأسمـــاء وانكر ثبوت الصفات ، ومنهم من اعترف بالأسماء والصفات لله تعالى " (٢) .

ومن بين هذه الفرق التى انكرت ثبوت الاسماء فرقة الجهمية ، الذين نفوا كـــل اسم يرون جواز اطلاقه على المخلوق ، واثبت بعض الأسماء التى يرى أن اللــــه

---

(١) ايثار الحـــق على الخلق ص ١٦٨ .

(٢) شرح أسماء الله الحسنى ص ٢٩ ..

مختص بها ، ولا يجوز تسمية المخلوق بها كالخالق ، والمحيى ، والمميت والقادر ، والموجد ، والفاعل (١) . والمعروف عن الجهمية أنهم ينفون الصفات جميعا مع ما نفوه من أسماء الله تعالى ..

والملاحظة الجديدة بالانتباه فى هذا المقام هى أن هؤلاء النفاة لم ينكروا اطلاق الالفاظ على الله سبحانه وتعالى ، الا أنهم يقولون ان اطلاقها عليه سبحانه وتعالى على سبيل المجاز لا الحقيقة ، ولا شك أن هذا نفى محض. يقول الامام ابن القيم عن أصحاب هذا الرأى : " انهم لا يتمكنون بعد ذلك من اثبات حقيقة لله البتة لا فى اسمائه ، ولا فى الاخبار عنه بأفعاله وصفاته" (٢) أما الذين انكروا أسماء الله تعالى بالفاظها ومعانيها فهم الملاحدة ، وهؤلاء لم يعرفوا وجود الله فكيف يعرفون اسماءه ، ووافقهم على ذلك غلاة الفلاسفة والقرامطة (٣) . ويبرر الجهمية رأيهم فى عدم اثبات الاسماء والصفات لله تعالى على حقيقتها بأن اثباتها على حقيقتها يستلزم تشبيه الله بخلقه (٤) . لكن الرأى الذى ذهب اليه الامام ابن جرير يبطل ما ذهبت اليه الجهمية فقد ذهب الى أن الله سبحانه وتعالى أباح لخلقه أن يسمى بعضهم بعضا ببعض الأسماء التى سمى بها نفسه تعالى ، ولا يستلزم من اباحة الله لخلقه أن يتسموا ببعض أسمائه ، أو صفاته ، المشابهة بينه وبين خلقه ، ولا يستلزم كذلك تعطيل اسماء الله الحسنى .

يقول الامام ابن جرير فى ذلك : " فاذا كان ذلك كذلك ، وكان الله جل ذكره اسماء قد حرم على خلقه أن يتسموا بها ، خص بها نفسه دونهم ، وذلك مثل الله . والرحمن والخالق ، وأسماء وأباح لهم أن يسمى بعضهم بعضا بها

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢١٢ .
(٢) مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ١١٢ .
(٣) انظر الرسالة التدمرية ص ٦٣ .
(٤) انظر التوحيد لابن خزيمة ص ٢٨ ..

وذلك كالرحيم ، والسميع والبصير والكريم ، وما أشبه ذلك من الاسماء كان الواجب أن يقدم أسماءه التي هي له خاصة دون جميع خلقه ...

وذلك أنه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة وغير جائز أن يستحق بعض الالوهية احد دونه ، فلذلك جاء الرحمن ثانيا لاسمه الذي هو الله ، وأما اسمه الذي هو الرحيم ، فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به ، والرحمة من صفاته جل ذكره ." (١)

ونزيد رد الامام ابن جرير توضيحا بذكر رأى الامام ابن خزيمة الذى تولى صراحة الرد على رأى الجهمية السالف الذكر حيث يقول : " وليس فى تسميتنا بعض الخلق ببعض أسامى الله بموجب عند العقلاء الذين يعقلون عن الله خطابه أن يقال انكم شبهتم الله بخلقه اذا أوقعتم بعض أسامى الله على بعض خلقه ، وهل يمكن عند هؤلاء الجهال حل هذه الأسامى من المصحف ، أو محوها من صدور أهل القرآن ، أو ترك تلاوتها فى المحاريب والكتاتيب وفى الجدور والبيوت ، اليس قد أعلمنا منزل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه الملك ، وسمى بعض عبيده ملكا ، وخبرنا أنه السلام وسمى تحية المؤمنين بينهم سلاما فى الدنيا وفى الجنة فقال : " تحيتهم يوم يلقونه سلام " (٢) . ونبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم قد كان يقول بعد فراغه من تسليم الصلاة " اللهم أنت السلام ومنك السلام " (٣) وقال عز وجل " ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا " (٤) فثبت بخبر الله أن الله هو السلام كما فى قوله تعالى " السلام المؤمن المهيمن " (٥) وأوقع هذا الاسم على غير الخالق البارىء ، وأعلمنا عز وجل أنه المؤمن ، وسمى بعض عباده المؤمنين ." (٦)

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٥٨ ــ ٥٩ .
(٢) الاحزاب ٤٤ .
(٣) اخرجه مسلم فى كتاب المساجد حـ ٥ ص ٨٩ ــ ٩٠ .
(٤) سورة النساء ٩٤ .
(٥) سورة الحشر ٢٣ .
(٦) التوحيد ص ٢٨ ، ٢٩ ، وانظر مجموع الفتاوى حـ ٥ ص ٢٠٢ .

وغرض الامامان الجليلان ابن جرير وابن خزيمة أن يقولا ان تسمية الخلق ببعض أسامي الله عز وجل ، وبعض صفاته ، لا يقتضي تشبيها ولا تمثيلا ، لأن معناها في حق الله عز وجل على ما يليق بكماله وجلاله ، ومعناها في حق المخلوق على ما يناسب حاله من فقره وعجزه وفنائه ،

أما المثبتون لأسماء الله عز وجل فقد سلكوا في اثبات أسماء الله تعالى مسلكين ذكرهما الرازى بقوله : " مذهب اصحابنا ـ يعني الأشاعرة ـ أنها توقيفيه ، وقالت المعتزلة والكرامية : ان اللفظ اذا دل العقل على أن المعنى ثابت في حق الله سبحانه وتعالى جاز اطلاق ذلك اللفظ على الله تعالى سواء ورد التوقيف به ، أو لم يرد ، وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني من أصحابنا " (١) وهذا الرأى الاخير هو ما يسمى عند علماء الكلام بالطرق القياسية ، ويقول الامام البيهقي " اثبات اسماء الله تعالى ذكره بدلالة الكتاب والسنة واجماع الأمة " (٢) .. فالبيهقي يصرح بأن أسماء الله تبارك وتعالى لا يجوز اطلاقها عليه ما لم تدل عليها احدى هذه الطرق الثلاث ، لأن التوقيف هو مجال اثباتها .

هذا وقد سلك الامام ابن جرير طريق التوقيف في اثبات اسماء الله الحسنى فقد اثبت أسماء الله الحسنى كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبويه المطهره ، يقول في تفسير قوله تعالى : " قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى " (٣) " يقول الله تعالى ذكره لنبيه ، قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن (ادعوا الله) أيها القوم أو (ادعوا الرحمن) أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) بأى أسمائه جل جلاله تدعون ربكم فانما تدعون واحدا ، وله الأسماء الحسنى " (٤) ..

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى ص٣٦ .

(٢) الاسماء والصفات ص٢ .

(٣) سورة الاسراء ١١٠ .

(٤) جامع البيان جـ ١٥ ص ١٨٢ .

ويقول فى تفسير قوله تعالى : " فسبح باسم ربك العظيم " (١) أى " فسبح بتسمية ربك العظيم باسمائه الحسنى " (٢) .

ويقول فى تفسير قوله تعالى : " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا " (٣) " وهى كما قال ابن عباس : " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " ومن اسمائه العزيز الجبار وكل اسماء الله حسن (٤) ، واستشهد بحديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ان لله تسعة وتسعين اسما كلهن فى القرآن ، من أحصاهن دخل الجنة " (٥) ..

ويرى الامام ابن جرير صحة القسم باسماء الله وصفاته حيث يقول فى ذلك " ولا شك فى صحة القسم بالله ، واسمائه وصفاته " (٦) .

فهو فى هذا النص يثبت لله عز وجل الأسماء ، والصفات ، ولو لم تكن الأسماء والصفات ثابته لله عز وجل لما صح القسم بهن ،

هذا وقد عرفنا من منهج الامام ابن جرير أنه ، لا يقدم قول أحد على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح ، ولا يستجيز الخروج على منهج السلف اذا جاء الخبر عنهم مجيئا يقطع العذر ،

وبناء على ما ذكرنا سابقا ، فانا نلاحظ أن التوقيف فى اطلاق الاسماء والصفات على الله عز وجل هو المنهج الذى سار عليه الامام ابن جرير ، ولا ريب أن هذا منهج سلفى يؤكده الامام ابن جرير بوضوح تام ، كما رأينا ذلك فى كلامه السابق ، ويؤكد هذا المنهج السلفى الذى سار عليه الامام ابن جرير ابن أبى

---

(١) سورة الواقعة ٩٦ .
(٢) المصدر نفسه حـ ٢٧ ص ٢١٤ .
(٣) سورة الاعـراف ١٨٠ .
(٤) المصدر نفسه حـ ٩ ص ١٢٣ .
(٥) اخرجه البخارى حـ ٨ ص ١٦٩ ، ومسلم حـ ١٧ ص ٤ ـ ٥ والبيهقى فى الاسماء والصفات ص ٤ ، والامام ابن جرير فى تفسيره حـ ١٥ ص ١٨٣ ، وانظر حـ ٩ ص ١٣٣ .
(٦) جامع البيان حـ ١ ص ٩٤ ..

زمنين حيث يقول في ذلك " اعلم أن أهل العلم بالله ، وما جاءت به انبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما ، والعجز عن مالم يدع اليه ايمانا وانهم انما ينتهون من وصفه بصفاته واسمائه الى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه " (١) .

أما القياس الذى قال به المعتزله ، ومن نحا نحوهم ، فلا مكان له عند السلف، ومن بينهم الامام ابن جرير في مجال اثبات اسماء الله الحسنى ، لأن الاسماء التى قد تطلق على الله سبحانه وتعالى من طريق تصور العقل صحة اطلاقها قد لا تكون لا ئقه المعنى به سبحانه وتعالى وان تصور العقل صحة اطلاقها ، ويكفينا الاقتصار في هذا المجال على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ففيهما العصمة والنجاة من الزلل والخطأ .

والله سبحانه وتعالى لم يترك المجال لعقولنا في هذه التسميات ، بل أخبرنا بأسمائه في القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه ، ولو كان القياس في هذا المقام واردا لما كان هناك ثمة حاجة الى بيانها .

والله سبحانه وتعالى أعلم ...

---

(١) نقلا عن مجموع الفتاوى جـ ٥ ص ٥٧ ..

المبحث الثاني

عدد أسماء الله الحسنى

أخرج الامام ابن جرير فى تفسيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان لله تسعة وتسعين اسما مائه الا واحدا من أحصاها كلها دخل الجنة " وفى روايه أخرى : " ان لله تسعه وتسعين أسما كلهن فى القرآن من أحصاهن دخل الجنة " . والسؤال الذى يطرح فى هذا المقام ، هل هذا الحديث على ظاهره من حصر أسماء الله الحسنى فى هذا العدد أم لا ؟

يكاد الاجماع أن ينعقد على أن العدد الوارد فى هذا الحديث لامفهوم له يقتضى الحصر لأسماء الله تعالى الحسنى فى هذا العدد فقط ، ولم يخالف - على حد علمى - سوى الامام ابن حزم الظاهرى . الذى التزم فى أسماء الله الحسنى بما ورد فى هذا النص. يقول ابن حزم فى المحلى : " ان له عز وجل تسعه وتسعين اسما مائة غير واحد ، وهى اسماؤه الحسنى ، من زاد شيئا من عنده فقد ألحد فى اسمائه ، وهى الاسماء المذكورة فى القرآن والسنة ....
وقد صح أنها تسعه وتسعون اسما فقط ، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد ، لأنه عليه السلام قال " مائة غير واحد " فلو جاز أن يكون له تعالى أسم زائد لكانت مائة اسم ، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام " مائه الا واحدا " كذبا ، ومن أجاز هذا فهو كافر " . (١) .

وقد رد عليه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى بأن الحصر المذكور باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها ، فمن ادعى أن الوعد لمن أحصى زائدا على ذلك فقد

---

(١) المحلى جـ ١ ص ٣٦ ..

أخطأ ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد (١) . كما رد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية فى فتاواه (٢) .

اما الامام ابن جرير فلم يتعرض لقضية حصر أسماء الله الحسنى فى هذا العدد الوارد فى الحديث ، ولكن المنهج الذى سار عليه ، وهو الأخذ بالأحاديث الصحيحة ، يفيدنا أنه لا يقف عند هذا العدد فى اسماء الله الحسنى . هذا والحق فى مسألة عدد أسماء الله الحسنى هو ما قرره أئمة السلف من أن العدد الوارد فى الحديث لا يفيد الحصر ..

يقول ابو سليمان الخطابى : " قوله " أن لله تسعه وتسعين اسما " فيه اثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد ، وليس فيه نفى ما عداها من الزيادة عليها ، وانما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء ، لأنها أشهر الأسماء وأبينها معانى وأظهرها ، وجملة قوله " ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " قضية واحدة لا قضيتان ، ويكون تمام العمل بها فى خبر إن فى قوله " من أحصاها دخل الجنة " لا فى قوله " تسعة وتسعين اسما " وانما هو بمنزلة أن لزيد الف درهم أعدها للتصديق ، وكقولك ان لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه ، وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم اكثر من الف درهم ، ولا من الثياب اكثر من مائة ثوب ، وانما دلالته أن الذى أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم ، وأن الذى رصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب (٣) . واستدل بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن فقال : اللهم انى عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتى بيدك ، ماض فىّ حكمك ، عدل فىّ قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى — الا أذهب الله عنه همه ، وأبدله مكان همه فرحا ، قالوا يا رسول

(١) فتح البارى حـ ١١ ص ٢٢١ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى حـ ٢٢ ص ٤٨٢ وما بعدها ..

(٣) تفسير الاسماء والصفات ل ٦ — ٧ ..

الله الا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن " (١)
ووجه الاستدلال بهذا الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم " أسألك بكل اسم هولك سميت به نفسك ، أو انزلته فى كتابك أو علمته أحد من خلقك ، او استأثرت به فى علم الغيب عندك " وهذا يفيد بأن أسماء الله الحسنى كثيرة غير محصورة فى التسعة والتسعين اسما " (٢) . وممن ذهب الى القول بعدم الحصر فى العدد المذكور فى الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية وذكر توجيهاته القيمة للحديث ، فاجاد فيها وافاد ، وأوضح مستند القائلين بأن لله اسماء اخرى غير هذه الاسماء غاية الايضاح (٣) ، وقد سبقه فى ذلك الامام البيهقى (٤) كما ذهب الى عدم الحصر أيضا الامام ابن القيم (٥) ، والبغوى (٦) ، وعبد القاهر البغدادى (٧) ..

---

(١) اخرجه الامام احمد فى المسند حـ ١ ص ٣٩١ ، والبيهقى فى الاسماء والصفات ص ٦ ، والحاكم فى المستدرك حـ ١ ص ٥٠٩ ، وابن حبان فى صحيحه " رقم ٢٣٧٢ / موارد الظمآن ص ٥٨٩ ، وصححه شيخنا الالبانى وتتبع طرقه فى السلسلة الصحيحة المجلد الاول الجزء الثانى ص ١٧٦ ــ ١٧٧ تحت رقم ١٩٨ ..

(٢) انظر تفسير الاسماء والصفات ل ٧ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى حـ ٢٢ ص ٤٨٢ ــ ٤٨٦ .

(٤) انظر الاعتقاد ص ١٤ ــ ١٥ ، الاسماء والصفات ص ٦ .

(٥) انظر بدائع الفوائد حـ ١ ص ١٦٦ .

(٦) انظر شرح السنة حـ ٥ ص ٣٥ .

(٧) انظر أصول الدين ص ١٢٠ ..

المبحث الثالث

الاسم للمسمى

يرى الامام ابن جرير بأن الكلام فى الاسم والمسمى بدعة حادثة ، لا أثر فيها فيتبع ، ولا قول من امام فيستمع. حيث يقول فى ذلك : " وأما القول فى الاسم أهو المسمى أم هو غير المسمى فانه من الحماقات الحادثة التى لا اثر فيها فيتبع ، ولا قول من امام فيستمع فالخوض فيه شين ، والصمت عنه زين " (١)

والظاهر أن الكلام فى هذا القضية كان مبكرا ، وأنها فكرة دخيلة على المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى تأثر بها علماء الكلام وكانت موضع مناقشات كثيرة بينهم ، فقد روى السبكى فى طبقاته فى ترجمة يونس بن عبد الأعلى رواية عنه قال سمعت الشافعى يقول : " اذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى ،او الاسم المسمى فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له " وفى رواية اخرى " اذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة " (٢)

وقد اشتد النزاع فى هذه المسألة ، وكثر كلام الناس فيها بعد عصر الأئمة أحمد وغيره ، واستمر القول فى هذه المسألة واتخذ النظر فيها سبيله الى نفوس العامة ، فاصبحوا يناقشون فيها ، وامتدت هذه المناقشات حتى امتدت الى أقصى المملكة الاسلامية (٣) .

وقد ترك الامام ابن جرير رسالة فى الاسم والمسمى بعثها الى أهل طبرستان حين وقع الخلاف بينهم فى هذه القضية ، وهى التى سماها ياقوت البصير فى معالم الدين (٤) ، ولكنها ما تزال مفقودة ، غير أن الامام ابن جرير تعرض لقضية الاسم

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٧ .

(٢) طبقات الشافعية حـ ١ ص ٢٧٩ ، مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ١٨٧ ..

(٣) انظر الطبرى مفسرا ص ١٠٦ .

(٤) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨٠ ..

والمسمى فى بداية تفسيره ، واعتبرها من الحماقات التى خاض بها أهل الجهل والعناد والرعاع فى دهره ، حين تحدث عن الأمور التى يدين الله بها فى عقيدته . وقبل أن اتعرض لرفاعه عن عقيدة السلف فى هذه المسألة احب أن أبين مجمل الآراء فيها فأقول وبالله التوفيق ..

تعرض الامام ابن جرير بالنقد لرأى أبى عبيدة معمر بن المثنى القائل بأن الاسم هو المسمى ، ويبدوا كذلك أن الامام ابن جرير يرفض بطريقة غير مباشرة ، الرأى القائل بأن الاسم غير المسمى ، أو ان الاسم هو المسمى ، حيث يقول فى ذلك : " وليس هذا هو الموضع من مواضع الاكثار فى الابانة عن الاسم أهو المسمى ، أم غيره ، أم صفة له ، فتطيل الكتاب به " (١)

هذا وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الخلاف قد وقع فى هذه المسألة على أربعة مذاهب هى :ـ

(١) الاسم هو المسمى ، وهو رأى كثير من المنتسبين الى السنة ، مثل أبى بكر عبد العزيز ، وابى القاسم الطبرى ، واللالكائى ، والبغوى صاحب شرح السنة ، وغيرهم ، وهو أحد قولى اصحاب أبى الحسن الاشعرى اختاره أبو بكر بن فورك وغيره (٢) ، وقد قال به ابو عبيدة معمر بن المثنى والبيهقى (٣).

(٢) الاسم غير المسمى ، وهو رأى الجهمية ورأى المعتزلة ، وتابعهم فى ذلك جماعة من الاشاعرة كالغزالى والرازى وغيرهما . يقول الرازى : " واختيار الغزالى أن الاسم والمسمى والتسمية امور ثلاثية متباينة وهو الحق عندى . لان أسماء الله كثيرة ، فالاسم غير المسمى " (٤)

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٣) انظر مجاز القرآن حـ ١ ص ١٦ ، جامع البيان حـ ١ ص ٥٢ ، الجامع لشعب الايمان حـ ١ ل ١٥.

(٤) لوامع البينات ص ٣ ـ ٤.

وغرض الجهمية من قولهم ان الاسم غير المسمى هو أن أسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق ، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول ، لأن اسماء الله من كلامه ، وكلامه سبحانه وتعالى غير مخلوق بل هو المتكلم به ، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الاسماء . (١)

(٣) التفصيل ، وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري أن الاسماء ثلاثة أقسام ، تارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الموجود ، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق ، وتاره لا يكون هو ولا غيره كاسم العليم . (٢)

(٤) الاسم للمسمى وهو اختيار اكثر المنتسبين الى السنة من أصحاب الامام أحمد وغيره ، فقد كان اكثرهم ممسكا عن القول في هذه المسألة نفيا واثباتا ، اذ كان كل من الاطلاقين بدعة في نظرهم ، كما ذكره الخلال عن ابراهيم الحربي وغيره . (٣)

وهذا الرأى اختيار الامام ابن جرير حيث يقول : " أما القول في الاسم أهو المسمى أم هو غيره ، فانه من الحماقات الحادثة التي لا اثر فيها فيتبع ولا قول من امام فيستمع ، فالخوض فيه شين ، والصمت عنه زين ، وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهي الى قول الله جل ثناؤه الصادق ، وهو قوله عز وعلا " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى " (٤) وقوله تعالى " ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها " (٥)

نلاحظ في كلام الامام ابن جرير أنه يفضل السكوت في هذه المسألة على

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٦ ص١٨٦ .

(٢) المصدر نفسه حـ ٦ ص١٨٦ .

(٣) المصدر نفسه حـ ٦ ص١٨٧ .

(٤) سورة الاسراء ١١٠ .

(٥) سورة الاعراف ١٨٠ ، عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٧ ..

الخوض فيها ، مقتديا بالأئمة السابقين عليه الذين كانوا يكرهون الخوض فيها ، كالامام أحمد وغيره ، اذ كانوا لا يتحدثون عن هذه المسألة ، ولا يفصلون فيها الا اذا سئلوا عن الاسم أهو المسمى أم غيره (١) . وهذا المسلك السلفى السليم هو الذى سار عليه فى التفسير حين تحدث عن تفسير قوله تعالى " بسم الله الرحمن الرحيم " وتعرض لرأى أبى عبيدة وغيره القائلين بأن الاسم هو المسمى ، فقد ذكر أهم أدلتهم التى اعتمدوا عليها ، وفندها دليلا دليلا ، وناقشها مناقشة عظيمة تدل على غزارة علمه ،وسعة اطلاعه على علوم اللغة العربية وفيما يلى توضيح ذلك :

(١) رد الامام ابن جرير على قول من ذهب الى أن معنى قوله تعالى " بسم الله الرحمن الرحيم " أى بالله الرحمن الرحيم أول كل شىء وأن اسم الله هو الله . بمجموعة من الأدلة نذكرها فيما يلى

أ ـ ان دلالة قول القائل " بسم الله " الظاهرة أغنت عن اظهار ما بطن من مراده الذى هو محذوف، لأن الباء من بسم الله مقتضية فعلا يكون لها جالبا ، ولا فعل معها ظاهر . فأغنت سامع القائل " بسم الله " معرفته بمراد قائله ، عن اظهار قائل ذلك مراده قولا ، اذ كان كل ناطق به عند افتتاحه امرا قد احضر منطقه به ــ اما معه ، واما قبله بلا فصل ــ ما قد أغنى سامعه عن دلالة شاهدة على الذى من أجله افتتح قيله به فصار استغناء سامع ذلك منه عن اظهار ما حذف منه نظير استغنائه ــ اذا سمع قائلا قيل له " ما أكلت اليوم " فقال : " طعاما " عن أن يكرر المسئول مع قوله طعاما ، اكلت لما قد ظهر لديه من الدلالة على

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ٢٠٧ .

أن ذلك معناه (أى ما يعينه ويقصده " بتقدم مسألة السائل ايا ، عما أكل ، ومعقول اذا أن قول القائل اذا قال " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم افتتح تاليا سورة أن اتباعه " بسم الله الرحمن الرحيم " تلاوة السورة ينبئ عن معنى قوله " بسم الله الرحمن الرحيم " ومفهوم أنه مريد بذلك أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ومثلها قوله " بسم الله " عند نهوضه ، أو عند قعوده وسائر أفعاله ، ينبئ عن معنى مراده بقوله بسم الله ، وأنه أراد بقيله " بسم الله " أقوم باسم الله ، وأقعد بسم الله ، وكذلك سائر الافعال .

(ب) ان معنى قوله بسم الله ابدأ بتسميه الله وذكره قبل كل شئ وليس معناه أقرأ بالله أو أقوم واقعد بالله الرحمن الرحيم .

(جـ) ان العرب قد تخرج المصادر مبهمة على اسماء مختلفة كقولهم اكرمت فلانا كرامة ، وانما بناء مصدر " أفعلت " اذا خرج على فعله ـ " الافعال " وكقولهم أهنت فلانا هوانا ، وكلمته كلاما . وبناء مصدر فعلت التفعيل ، ومن ذلك قول الشاعر .

اكفرا بعد رد الموتى عنى * وبعد عطائك المئة الرتاعا (١)

يريد اعطائك ، ومنه قول الاخر :

اظليم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم (٢)

يريد اصابتكم والشواهد فى هذا المعنى كثيرة ،

---

(١) الشعر للقطامى ديوانه ، انظر تعليق محققى تفسير الطبرى حـ ١ ص ١١٦ ، احمد شاكر ، ومحمود شاكر ..

(٢) الشعر للحارث بن خالد المخزومى . الاغانى ٩ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، ونلاحظ هنا أن الامام ابن جرير يستشهد بهذه الابيات على أن الاسماء تقوم مقام المصادر فتعمل عملها فى النصب . انظر تعليق محققى تفسير الطبرى حـ ١ ص ١١٦ ، احمد شاكر ومحمود شاكر

فاذ كان الأمر ــ على ما وصفنا من اخراج العرب مصادر الافعال على غير بناء افعالها ــ كثيرا ، وكان تصديرها على مخارج الاسماء موجودا فاشيا ، فبين بذلك صواب ما قلنا من التأويل فى قول القائل " بسم الله " أن معناه فى ذلك عند ابتدائه فى فعل أو قول ، ابدا بتسمية الله ، قبل فعلى أو قبل قولى ، وكذ لك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن " بسم الله الرحمن الرحيم " انما معناه اقرأ مبتدأ بتسمية الله او ابتداء قراءتى بتسمية الله ، فجعل " الاسم " مكان " التسمية " كما جعل الكلام مكان التكليم ، والعطاء مكان الاعطاء .

(د) استخدم الامام ابن جرير دليلا فقهيا فى رده على القائلين بأن الاسم هو المسمى ، ويتلخص هذا الدليل فيما يلى . يذكر الامام ابن جرير أنه لا يوجد خلاف بين علماء الامة الاسلامية أن قائلا لو قال عند تذكية (١) بعض بهائم الانعام " بالله " ولم يقل " بسم الله "
أنه مخالف ــ بتركه قيل " بسم الله " ماسن له عند التذكية من القول ، وقد علم بذلك أنه لم يرد بقوله " بسم الله " " بالله " كما قال الزاعم ان اسم الله فى قول " بسم الله الرحمن الرحيم " هو الله ، لأن ذلك لو كان كما زعم لوجب أن يكون القائل عند تذكيته ذبيحته " بالله " قائلا ماسن له من القول على ذبيحته وفى اجماع الجميع على أن قائل ذلك تارك ماسن له من القول على ذبيحته ــ اذ لم يقل " بسم الله " دليل واضح على فساد ما

---

(١) التذكية تطلق على النحر والذبح ، ذكيت الشاة تذكية ذبحتها ..

ادعى من التأويل فى قول القائل : " بسم الله " أنه مراد بـه " بالله " وأن اسم الله هـو الله ..

(هـ) رد قول معمر بن المثنى فى بيت لبيد بن ربيعة

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أنه معني به ثم السلام عليكما ، وأن أسم السلام هو السلام (١)

بما يلـى : ـ

(١) لو جاز ذلك وصح تأويله على ما تأول لجاز أن يقال رأيـت اسم زيد ، واكلت اسم الطعام ، وشربت اسم الطعام ، وفـى اجماع العرب على احالة ذلك ما ينبىء عن فساد تأويل مـن تأول قـول لبيد " ثم اسم السلام عليكما " انه أراد ثـم السلام عليكما ، وادعائه ان ادخال الاسم فى ذلك واضافته الى السلام انما جاز اذا كان اسم المسمى هو المسمى بعينه .

(٢) يسأل القائلون قول من حكينا قوله هذا فيقال لهـم اتستجيزون فى العربية أن يقال " اكلت اسم العسل " كمـا جاز عندكم اسم السلام عليك وانتم تريدون السلام عليك ، فان قالوا نعم خرجوا من لسان العرب واجازوا فى لغتها مـا تخطئه جميع العرب فى لغتها ، وان قالوا لا سئلوا الفـرق بينهما ، فلن يقولوا فى احدهما قولا الا الزموا فى الآخـر مثلـه . (٢)

---

(١) انظر مجاز القرآن حـ ١ ص ١٦ .

(٢) انظر حول مناقشة الامام ابن جرير فى الاسم والمسمى جامع البيان ٥٠ ـ ٥٣ وتحقيق احمد شاكر و محمـود شاكر حـ ١ ص ١١٤ ـ ١٢٠ ..

مما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير يعتبر القول بأن الاسم هو المسمى • مخالف لوجوه تصاريف اللغة العربية ومخالف لاجماع الامة على تخطئة الذابح ان يقال " بالله " بدل التسمية ، وأن العرب لا تستجيز فى كلامها أن يقال اكلت اسم الطعام ، وشربت اسم الماء ، ورأيت اسم زيد ونحوها ، واثبت أن الاسماء تقوم مقام المصادر وأن دلالة ما ظهر من قول القائل " بسم الله " تغنى عن الذى بطن من مراده المحذوف وهو أقرأ باسم الله ان كانت التسمية بخصوص التلاوة ، أو أقوم باسم الله ، أو أقعد باسم الله ، وهكذا ، هذا وقد فسر الامام ابن جرير بيت لبيد تفسيرا جيدا ، حيث ذهب الى أن المقصود بقوله " ثم اسم السلام عليكما " هو ما يلى :

(أ) ان السلام " اسم من اسماء الله ، فجائز أن يكون لبيد عنى بقوله " ثم اسم السلام عليكما " ثم الزما اسم الله وذكره بعد ذلك ودعا ذكرى والبكاء على وجه الاغراء ، فرفع الاسم ، اذا أخر الحرف الذى يأتى بمعنى الاغراء ، وقد تفعل العرب ذلك ، اذا اخرت الاغراء وقدمت المغرى به ، وان كانت قد تنصب به وهو مؤخر ، ومن ذلك قول الشاعر :ـ

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا

فأغرى بدونك وهى موخرة وانما معناه دونك دلوى فكذلك قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ، يعنى عليكما اسم السلام ، أى الزما ذكر الله ، ودعا ذكرى والوجد بى لأن من بكى حولا على امرئ ميت فقد اعتذر •

(ب) ثم تسميتى الله عليكما ، كما يقول القائل للشئ يراه فيعجبه " اسم الله عليك " يعوذه بذلك من السوء • (١)

---

(١) جامع البيان بتحقيق احمد شاكر ومحمود شاكر جـ ١ ص ١٢٠ ـ ١٢١ ••

الا أن الامام ابن جرير رجح المعنى الأول ، وهو أن معنى " ثم اسم السلام عليكما " الزما ذكر الله ، ودعا ذكرى والبكا ، على والوجد بى ، ولا شك أن سياق بيت الشعر يقطع بترجيح الرأى الأول الذى رجحه الامام ابن جرير ، لأن من بكى حولا كاملا فقد بلغ أقصى ما يسعه العذر ، فلا معنى بعد ذلك ان يلقى السلام عليهما تحية المفارق بعد الحول .

وقد اتفق شيخ الاسلام ابن تيمية مع الامام ابن جرير فى تخطئة قول من قال بسم الله أفعل ، أى بالله أفعل ، وأن اسمه هو هو (١) . وذكر شيخ الاسلام رحمة الله السبب الذى ادى بهؤلاء الناس الى مجانبة الصواب فيما ذهبوا اليه بقوله : " قلت : لو اقتصروا على أن اسماء الشىء اذا ذكرت فى الكلام فالمراد بها المسميات كما ذكروه فى قوله " يا يحى " ونحو ذلك لكان ذلك معنى واضحا ، لا ينازعه فيه من فهمه ، لكن لم يقتصروا على ذلك ، ولهذا انكر قولهم جمهور أهل السنة وغيرهم ، لما فى قوله من الامور الباطلة مثل دعواهم أن لفظ اسم الذى هو " أ س م " معناه ذات الشىء ونفسه ، وأن الاسماء التى هى الاسماء مثل زيد وعمرو هى التسميات ليست هى اسماء المسميات وكلاهما باطل مخالف لما يعلمه جميع الناس من جميع الأمم ولما يقولونه ، فانهم يقولون ان زيدا وعمرا ونحو ذلك هى أسماء الناس ، والتسمية جعل الشىء اسما لغيره ، وهى مصدر سميته تسمية اذا جعلت له اسما ، والاسم هو القول الدال على المسمى ، ليس الاسم الذى هو لفظ اسم هو المسمى ، بل

---

(١) انظر مجموع الفتاوى جـ ٦ ص ١٩٠ .

قد يراد به المسمى لأنه حكم عليه ودليل عليه." (١)

وقد ناقش الامام ابن تيمية رحمة الله عليه جميع الاقوال التي قيلت في الاسم والمسمى ، ورد ما خالف منهج السلف منها ، وبين أن الحق والصواب في هذه المسألة هو الرأي القائل بأن الاسم للمسمى ، وهو الرأي الذى اختاره الامام ابن جرير رحمة الله عليه ، ولا ريب أن اختيار الامام ابن جرير لرأى السلف في أن الاسم للمسمى ، ومناقشة القائلين بأن الاسم هو المسمى ، وابطال رأيهم — وان كان من بين القائلين به بعض أهل السنة — هو دفاع عن عقيدة السلف .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ترجيح الرأى الذى اختاره الامام ابن جرير " وأما الذين يقولون " ان الاسم للمسمى " كما يقوله اكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول . قال الله تعالى : " ولله الاسماء الحسنى " وقال " اياما تدعوا فله الأسماء الحسنى " وقال صلى الله عليه وسلم " ان لله تسعة وتسعين اسما " وقال النبي صلى الله عليه وسلم " ان لى خمسة أسماء أنا محمد واحمد ، والماحي والحاشر والعاقب " (٢) وكلاهما مخرج في الصحيحين ، واذا قيل لهم أهو المسمى ام غيره ؟ فصلوا فقالوا ليس هو نفس المسمى ، ولكن يراد به المسمى ، واذا قيل انه غيره بمعنى انه يجب أن يكون مباينا له ، فهذا باطل ، فان المخلوق قد يتكلم باسماء نفسه فلا تكون بائنة عنه ، فكيف بالخالق ؟ واسماؤه من كلامه وليس كلامه بائنا عنه ، ولكن قد يكون الاسم نفسه بائنا ، مثل ان يسمى الرجل غيره باسم ، أو يتكلم باسمه ، فهذا الاسم نفسه ليس قائما بالمسمى ، لكن المقصود به المسمى ، فان الاسم مقصوده اظهار " المسمى " وبيانه " (٣)

---

(١) المصدر نفسه حـ ٦ ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٢) اخرجه البخاري في صحيحه حـ ٤ ص ١٦٢ ومسلم في صحيحه كذلك حـ ١٥ ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(٣) مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ..

المبحث الرابع

صلة الاسماء بالصفات

لم يتعرض الامام ابن جرير بصورة مباشرة للصلة بين الاسماء والصفات غير أن مجمل كلامه فى الاسماء والصفات يفيدنا بأنه يرى أن هناك علاقة وثيقه بين الاسماء والصفات ، لوجود التلازم بين الاسم والصفة ، فكما أن الاسم يدل على الصفة ، فكذلك الصفة تدل على الاسم ، بمعنى أن الاسم اذا ذكر مفردا دل بطريق اللزوم على الصفة التى اشتقت منه ، واذا ذكرت الصفة منفردة دلت بطريق اللزوم على الاسم الذى اشتق منها ، ونُعنى بالصفات فى هذا المقام الصفات الدالة على الاسماء الحسنى .

يقول الامام ابن جرير حول هذا المعنى : " واما اسمه الذى هو الرحيم فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به ، والرحمة من صفاته جل ذكره "(١) وهذا نص واضح فى اثبات اسم من أسماء الله الحسنى وهو اسمه الرحيم واثبات الصفة التى دل عليها هذا الاسم الكريم وهى صفة الرحمة .

ولا ريب أن ما ذهب اليه الامام ابن جرير بطريقة غير مباشرة فى اثبات العلاقة بين الاسماء والصفات هو الرأى السديد الذى سار عليه سلف الامة ، ولم يخالف فيه من مثبتى الاسماء سوى ابن حزم الظاهرى ـ على حد علمى ـ الذى يرى أن الاسماء جامدة ليست مشتقة اصلا ، فلا علاقة بينها وبين الصفات ، حيث يقول " ... وأما قولهم : هل يفهم من قول القائل " الله " كالذى يفهم من قوله عالم فقط ، أو يفهم من قوله عالم معنى غير ما يفهم من قوله " الله " فجوابنا وبالله نتأيد أننا لا نفهم من قولنا قدير وعالم اذا أردنا

---

(١) جامع البيان جـ١ ص٥٩ .

بذلك الله تعالى ألا لنفهم من قولنا فقط ، لأن كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة اصلا " (١) .

فابن حزم لا يرى ثمة علاقة بين الاسماء والصفات ، وهذا الرأى الذى ذهب اليه ابن حزم قول باطل ، وادعاء لا دليل عليه ، اذ أن اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم لا تساعده على ما أراد ، فانه لا يفهم من عالم وعليم ، وقادر وقدير الا ذات اتصفت بصفة . (٢)

ولا ريب أن هذا الرأى الذى ذهب اليه ابن حزم هو صريح مذهب المعتزلة الذين اثبتوا الاسماء ، ونفوا الصفات فرارا من تعدد القدماء (٣) ومعنى هذا أنهم لا يرون أن الصفة تثبت بثبوت الاسم ،

هذا وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الرأى الذى ذهب اليه ابن حزم ، واحتد فى ذلك ، حتى وصفه بأنه شبيه برأى القرامطة الباطنية ، حيث قال بعد ذلك : " ... فانا نعلم بالاضطرار الفرق بين الحى والقدير ، والعليم والملك والقدوس والغفور ، وان العبد اذا قال : رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الغفور كان قد احسن فى مناجاة ربه ، واذا قال اغفر لى وتب على انك انت الجبار المتكبر شديد العقاب لم يحسن فى مناجاته ، وان الله انكر على المشركين الذين امتنعوا من تسميته بالرحمن فقال تعالى " واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا " (٤) وقال تعالى : " ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " (٥) . ومعلوم أن الاسماء اذا كانت اعلاما وجامدات لا تدل على معنى لم يكن فرق بين اسم واسم ، فلا يلحد فى اسم

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل جـ ٢ ص ١١٩ .

(٢) انظر البيهقى وموقفه من الالهيات ص ١٥٩ .

(٣) انظر شرح الاصول الخمسة ص ١٨٢ ـ ٢٨٣ ، نهاية الاقدام ص ٢٠١ ، الفرق بين الفرق ص ١١٤ .

(٤) سورة الفرقان ٦٠ .

(٥) سورة الاعراف ١٨٠ ..

دون اسم ، ولا ينكر عاقل اسما دون اسم ، بل قد يمتنع عن تسميته مطلقا ، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه ، وانما امتنعوا عن بعضها ، وايضا فالله له الأسماء الحسنى دون السوأى وانما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيء بمعناه ، فلو كانت كلها بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى لم تنقسم الى حسنى وسوأى ، بل هذا القائل لو سمى معبوده بالميت والعاجز والجاهل ، بدل الحي والعالم والقادر لجاز ذلك عنده" (١) .

ويقول ابن القيم رحمة الله عليه في تقرير ما ذهب اليه الامام ابن جرير " ... لو لم تكن اسماؤه مشتملة على معان وصفات ، لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها فلا يقال يسمع ويرى ، ويعلم ويقدر ويريد ، فان ثبوت احكام الصفات فرع ثبوتها ، فاذا انتفى اصل الصفة استحال ثبوت حكمها ، فلو لم تكن أسماؤه ذوات معان واوصاف لكانت جامدة كالاعلام المحضة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به ، فكانت كلها سواء ، ولم يكن فرق بين مدلولاتها ، وهذه مكابرة صريحة وبهت بين ، فان من جعل معنى اسم " القدير " هو معنى اسم " السميع البصير " ومعنى اسم " التواب " هو معنى اسم " المنتقم " ومعنى اسم " المعطي " هو معنى اسم " المانع " فقد كابد العقل واللغة والفطرة " (٢) ..

---

(١) شرح العقيدة الاصفهانية ص٦٧ ـ ٦٨ .

(٢) مدارج السالكين جـ ١ ص٢٩ .

الفصل الخامـــس

====

دفاعه عن عقيدة السلف في صفات الله تعالى

ويشتمل على تمهيد وثمانية مباحث

تمهيـــــد : ـ

يعتبر الخلاف في مسائل الصفات من اكبر القضايا التي اشتد الـــنزاع فيها بين المذاهب الاسلامية ، ومن بين القضايا التي ثار النزاع حولهـــا قضية الاحكام العامة للصفات ، كالعلاقة بين الذات والصفات ، وزيادة الصفات على الذات ، وقدم الصفات ، وحلول الحوادث بذات الله عز وجل وغيرهـــا من المباحث المتعلقة باحكام الصفات.

ونظرا لان الامام ابن جرير لم يتعرض لهذه المسائل بالبحث ، ولـــم يرد فيها على وجهة نظر المخالفين لـمـــذهب السلف ، شانه شان كثيـــر من المحدثيـــين وائمة السلف الذين كانوا يكرهون الخوض في مثل هـــذه المسائل ، ولا يتكلمون بها الا اذا اضطروا لذلك (١) ، ولانه لم يكن مـن اصحاب الكتب المطولة في العقيـــدة ، ولم يصلنا من كتبه في العقيدة سوى الجزء الخاص بالاعتقاد . والذي لم يتعرض فيه لمثل هذه المسائل ، لذلـــك تركنا البحث فيها ، والحديث عنها ، وان كنا نعتقد ان الامام ابن جريـــر موافق للسلف في هذه المسائل حيث يرون ان الذات لا تنفـــك عن الصفات اصلاً ، ولا يمكن وجود ذات خالية عن الصفات كذلك ، وان صفات الله عز وجل قديمة ،، الا ان منهـا ما هو قديم الجنس حادث الاحاد ، بمعنى ان الصفة قديمة ، ولكن تحـــدث في ذاته احادها ، ومثال ذلك ان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد ، ويتكلم بما شاء ، متى شاء ، وكيف شاء ، ويغضب ، ويرضى لا كاحد من الورى . ويوصف بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الـــنزول والاتيان ، والاستواء كما يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٣ ص ٣٣٥ ، شرح الطحاوية ص ١٢٩ .

هذا وقد وجدت من خلال البحث ان الامام ابن جرير دافع عن عقيدة السلف في تسع صفات ، حيث ، عرض فيها شبه المخالفين لمذهب السلف بشكل مختصر جريا على عادة ائمة السلف في ذلك ، ووجه انتقاده لهم في بعضها بصورة مباشرة ، ووجدت في كلامه ما يخالف ما ذهب اليه المخالفون في بعض الصفات التي عرض شبههم فيها ، ولم يتوجه اليهم بالنقد فيها بصورة مباشرة.

وهذه الصفات هي : ــ

١ ــ صفة الحياة.

٢ ــ صفة الكلام.

٣ ــ صفة اليد.

٤ ــ صفة الاستواء.

٥ ــ صفة المجيء والاتيان.

٦ ــ صفة استهزاء الله بالمنافقين والكافرين.

٧ ــ صفة الغضب ، وصفة الرضا.

٨ ــ صفة الرؤية.

لذلك فاني ساقتصر في الحديث عن دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف في الصفات ، على هذه الصفات التي ذكر فيها اختلاف المختلفين دون غيرها من الصفات ، والتي قدمها كمثال لما شابهها من الصفات الاخرى. لان القول في هذه الصفات كالقول في بقية الصفات.

ومن الله سبحانه وتعالى استمد العون والتوفيق والسداد.

المبحـــــث الاول

صفـــة الحيـــاة :ـــ

عرض الامام ابن جرير فى تفسيره اراء بعض المخالفيـــن لمذهـــب السلف في اثبات صفة الحياة لله عز وجل ، كما ينبغى لجلاله وعظمته، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : " الله لا اله الا هو الحي القيوم" (١) حيث يقول في ذلك : " واختلف اهل البحث فى تاويل ذلك :
فقال بعضهم انما سمى الله نفسه حيا لصرفه الامور مصارمنها فهوحـــي بالتدبير لا بحياة ... وقال اخرون : بل ذلك اسم من الاسماء تسمى بـــه فقلناه تسليـــما لامره" (٢) .

وواضح مما تقدم ان الامام ابن جرير يقصد باصحاب هذين الرايـــن المعتزلة والجهمية . فالمعتزلة ينفون الصفات خوفا من تعدد القدماء مـــع الله سبحانه وتعالى ، ولان فى اثباتها ـ عندهم كما يزعمون ـ مشاركة للـــه سبحانه وتعالى في القـــدم.
الذى هو اخص صفاته ، فتشاركه فى الالهية (٣) . والجهمية يقرون باسمـــاء الله الحسنى فى الجملة ولكن ينفون صفاته ، وعلى الرغم من اقرارهم باسمـــاء الله الحسنى ، الا ان اقرارهم بها لا يقوم كله على الحقيقة ، بل يحملـــون كثيرا منها على سبيل المجاز. (٤)

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥.
(٢) جامع البيان حـ ٣ ص ٥.
(٣) انظر شرح الاصول الخمسة ١٨٢ ـ ٢١٣ ، الفرق بين الفرق ص ١١٤ ، نهاية الاقدام ص ٢٠١ ، لمع الادلة ص ٨٧.
(٤) انظر الرسالة التدمرية ص ٤٢ .

هذا وقد اتفق المعتزلة على ان الله سبحانه وتعالى ليس له صفات وجودية قائمة به ، لذلك نفوا ان يكون الله سبحانه وتعالى حيا بحياة ، لان القول بهذه الصفه يؤدى ـ بزعمهم ـ الى القول بالجسمية .

يقول القاضي عبد الجبار : " وجملة القول فى ذلك هو انه تعالى لو كان حيا بحياة ـ والحياة لا يصح الادراك بها الا بعد استعمال محلها ضربا من الاستعمال ، لوجب ان يكون القديم تعالى جسما وذلك محال " (١) .

ويقول الامام ابو الحسن الاشعرى فى تصوير مذهب المعتزلة فى صفات الله الازلية : " ... فقال اكثر المعتزلة والخوارج ، وكثير من المرجئة وبعض الزيدية : ان الله عالم قادر حي بنفسه ، لا بعلم وقدرة وحياة ، واطلقوا ان لله علما بمعنى انه عالم ، وله قدرة بمعنى انه قادر ، ولم يطلقوا ذلك على الحياة ، ولم يقولوا له حياة ...

وقال عباد بن سليمان هو عالم قادر حي ، ولا اثبت له علما ولا قدرة ولا حياة ، ولا اثبت سمعا ، ولا اثبت بصرا واقول هو عالم لا بعلم ، وقادر لا بقدرة وحي لا بحياة " (٢) .

وقبل ان ابين وجه الاعتراض الذى وجهه الامام ابن جرير الى المعتزلة وغيرهم احب ان ابين ما يلي ـ

لم يذكر الامام ابن جرير الادلة التى اعتمد عليها الجهمية والمعتزلة فى نفى صفة الحياة عن الله عز وجل ، وذلك راجع الى امرين :

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
(٢) مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

الامـر الاول : ـ

ان الامام ابن جرير اكتفى بعرض شبهتهم بصورة مختصرة جريـــا على عادة السلف فى ذلك ـ خوفا من افتتان الناس بها ، وهذا الصنيع من الامام ابن جرير تحقيق للمنهج الذى الزم نفسه به فى تقرير مسائـــل العقيدة

الامـر الثانـى : ـ

ان هذه المباحث تعرض لها فى تفسيره ، وهو لم يخصص التفسير لعرض ادلة المخالفيـن ، وحججهم ، والرد عليها بالتفصيل ، بـــل خصصه لبيان معانى اى القران الكريم ، اضف الى ذلك ان الجـــزء الذى تركه فى العقيدة لم يتعرض فيه بالتفصيل لمباحث العقيدة وادلـــة المخالفيـن والردود عليهم ، بل عقده لبيان عقيدته فى ضوء مذهب السلف.

وبناء على ذلك فان الامام ابن جرير لم يتعرض بصورة مباشـــرة للرد على المعـــتزلة والجهمية فى نفيهم لصفة الحياة.

الا ان القارئ الحصيف يلمس فى كلام الامام ابن جرير مخالفة صريحـة لهم ، ودفاعا واضحا عن عقيدة السلف ، ويتمثل ذلك فى الطريقة الـتى اثبت فيها صفة الحياة لله عز وجل. فهو بعد ان عرض راى المعتزلـــة والجهمية ، عرض راى السلف المقابل لارائهم (١) ، ثم خلص الـــى القول باعتماد راى السلف فى ذلك حيث يقول :

" ومعنى ذلك عندى انه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فنـــاء لها ولا انقطاع ، ونفى عنها ما هو حال بكل ذى حياة من خلقه مـــن

---

(١) انظر جامع البيان جـ٣ ص٥ ، ص ١٦٤.

الفناء وانقطاع الحياة عند مجئ اجله ، فاخبر عبادة انه المستوجب على خلقه العبادة والالوهة ، والحي الذى لا يبيد ولا يموت كما يموت كل من اتخذ من دونه ربا ، ويبيد كل من ادعى من دونه الـها ، واحتج على خلقه بان من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى فلا يكون الـها يستوجب ان يعبد دون الاله الذى لا يبيد ولا يموت ، وانه الاله هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيد ولا يفنى وذلك هو الله الذى لا اله الا هو" (١)

وقال فى تفسير قوله تعالى : " الله لا اله الا هو الحى القيوم"(٢) فان معناه النهى عن ان يعبد شئ غير الحي القيوم الذى صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره فى هذه الاية ، واما قوله الحى فانه يعنى الذى له الحياة الدائمة والبقاء الذى لا اول له بحد ، ولا اخر له بامد ، اذ كل ما سواه فانه وان كان حيا فلحياته اول محدود واخر مامود ينقطع بانقطاع امدها ، وينقضي بانقضاء غايتها " (٣) ٠

من خلال كلام الامام ابن جرير فى اثبات صفة الحياة لله تعالى نستطيع ان نلخص اعتراضه على المخالفين لمذهب السلف فى اثبات هذه الصفة فى النقاط التالية : ـ

(١) ان الله سبحانه وتعالى هو الذى وصف نفسه بالحياة الدائمة والحياة صفة من صفات ذاته المقدسة اشتقت من اسمه الحي ٠

(٢) لا يجوز ان ننفي صفة اثبتها الله لنفسه الا بحجه يجب التسليم لهـا ٠

---

(١) المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٦٣ ٠

(٢) سورة البقرة ٢٥٥ ٠

(٣) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٥ ٠

(٣) لا يجوز ان ننفى عن الله عز وجل صفة الحياة بحجة المشابهة بينه تعالى وبين خلقه ، وذلك لان حياة الله سبحانه وتعالى تليق بكماله وجلاله وعظمته ، وهى ازليه ابدية لا موت فيها ولا فناء ، بينما حياة المخلوق تناسب فقره وعجزه وفناءه وهي محدثة خاينة ، مصيرها الى الفناء والانقطاع .

(٤) الحياة الدائمة الابدية صفة كمال ، والحياة التى يعتريها الموت صفة نقص ، والله سبحانه وتعالى حي لا يموت له الكمال المطلق الذى لا نقص فيه ، ومنزه عن كل عيب ونقصان .

فهو سبحانه وتعالى احق بكل كمال مطلق لا نقص فيه من المخلوق واولى بالتنزيه عن النقص كذلك .

(٥) لو لم يكن الله سبحانه وتعالى متصفا بصفة الحياة الدائمة لا تصف بضدها وهو الموت ، وهذا منفى عن الله عز وجل ،

(٦) ان الله سبحانه وتعالى هو وحده المعبود بحق الذى يستحق الالوهية والعبادة من جميع خلقه لانه لا يستحق الالوهية والعبادة الحقة الا من كان متصفا بصفة الحياة الدائمة ، ولا يستحق هذا الوصف الا الله سبحانه وتعالى .

اما الذى يعترى حياته الموت والفناء فلا يستحق الالوهية والعبادة لان ذلك نقص فيه ، والناقص لا يستحق العبادة .

ولا ريب ان هذا المنهج الذى سار عليه الامام ابن جرير في اثبات صفة الحياة لله عز وجل كما وصف بها تعالى نفسه ونفى مانفى الله عن نفسه ، هو دفاع عن عقيدة السلف من جهة وتقرير لمذهب السلف فى اثبات الصفات من جهة ثانية .

ونزيد رأى الامام ابن جرير توضيحا فى صفة الحياة ببيان رأى أئمة السلف فى اثبات هذه الصفة ، ومناقشة المعتزلة والجهمية فى نفيهم للصفات عموما ، ولصفة الحياة خصوصا ، فنقول وبالله التوفيق ،

يمكننا الرد على من يقول ان الله تعالى " حي " ولم يقل بان له حياة ، اننا وجدنا اسم حي اشتق من حياة ، وكذلك سميع وبصير من سمع وبصر ، ولا تخلوا اسماؤه سبحانه وتعالى من ان تكون مشتقة او لافادة معناه ، او تكون على طريق التلقيب فلا يجوز أن يسمى الله سبحانه وتعالى على طريق التلقيب باسم ليس فيه افادة معناه ، وليس مشتقا من صفة كقولنا : زيد وعمرو على مسمى بهما ، واذا كان قولنا عن الله عزوجل حي ، سميع بصير ليس تلقيبا بل ذلك مشتق من حياة و سمع وبصر ، فقد وجب اثبات الحياة ، وان كان ذلك لافادة معناه فلا يختلف ما هو لافادة معناه ، ووجب اذا كان معنى الحى انه له حياة ان يكون :كل حي فهو ذو حياة ، ولا محذور هنا اذا كان قولنا موجود مفيدا فينا الاثبات ، كان البارى تعالى واجبا اثباته ، لانه سبحانه وتعالى موجود ، وهذا الدليل ، يدل على اثبات صفات الله تعالى لذاته من القدرة والعلم والسمع والبصر(١) ومما هو جدير بالذكر ان اثبات الصفات لله عزوجل ومنها الحياة ليس فيه اثبات قديم مع الله غيره كما ذهبت المعتزلة الى ذلك ، لان الممنوع هو وجود ذوات قديمة متعددة وهذا هو الشرك المنافى للتوحيد ، وقد حكم الله سبحانه وتعالى بكفر النصارى لقولهم بالذوات المتعددة المستحقة للعبادة عندهم فقالوا " ان الله ثالث ثلاثة " فقال تعالى ردا عليهم " وما من اله الا اله واحد "(٢) فحكم الله تعالى بان

---

(١) انظر الابانه ص٤٨ وابن حزم وموقفه من الالـهيات ص ٢٢٣ .

(٢) سورة المائدة ص ٧٣ .

الاله المستحق للعبادة واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، ولم يقل وما من قديم الا قديم واحد (١) لذلك ذهب سلف الامة الى القول بوجود ذات واحدة قديمة قبل كل شيئ لان الله هو الاول ، والاخر ، والظاهر والباطن ،

ولهذه الذات المقدسة صفات قديمة ومتعددة ، لان الموجود المعبود بحق هو الله تبارك وتعالى • الموصوف بالصفات اللائقة بكماله وجلاله ، وليس للصفات وجود مستقل ، وانما وجودها به تعالى ،

والصفات زائدة على الذات المجردة عن الصفات ، لا على الذات المتصفة بالصفات ، يقول شارح الطحاوية : " ... وان اريد به ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من الصفة ـ فهذا حق ـ ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات ، بل الذات موصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها " (٢) ويقرر كذلك ان اسم الله تعالى يتناول الذات والصفات بل الذات والصفة حيث يقول :

" وقد يقول بعضهم الصفة لا عين الموصوف ولا غيره ، هذا له معنى صحيح ، بل هو غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شيئ واحد غير متعدد ، فاذا قلت اعوذ بالله فقد عذت بالذات المقدسة ، الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابته ، التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه ، واذا قلت اعوذ بقوة الله فقد عذت بصفة من صفات الله تعالى ولم اعذ بغير الله ... الى ان يقول ـ فعلم ان الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه " (٣) .

---

(١) انظر مسائل العقيدة بين التفويض والتاويل ٣٧٥.

(٢) شرح الطحاوية ص ١٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٠ .

وكما ان الذات ملازمة للصفات ، والصفات ملازمة للذات فكذلك كل صفة ملازمة للاخرى لا تنفك عنها ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك : " فان البارى تعالى خالق لكل ما سواه ، فله تعلق بمخلوقاته ، وذاته ملازمة لصفاته ، وصفاته ملازمة لذاته ، وكل من صفاته اللازمة ملازمة لصفته الاخرى " (١) ويرفض علماء السلف اطلاق لفظ الغير على الصفات لانه لفظ مجمل ، ولا لفظ العين لانه يوهم نفيها ، ولا لفظ الصفة هل هي زائدة على الذات ام لا لما فيه من الاجمال كذلك ، بل يستفسرون ممن اثبت او نفى . فان اريد بالغير ان ذلك شيء بائن عنه سبحانه وتعالى فهذا باطل ، وان اريد به ما يمكن الشعور باحدهما دون الاخر ، فقد يذكر الله تعالى من لا يشعر حينئذ بكل معانى اسمائه بل وقد لا يخطر له حينئذ انه عزيز ، وانه حكيم ، واذا اريد هذا فانما يفيد المباينة في ذهن الانسان ، لكونه قد يعلم هذا دون هذا ، وذلك لا ينفى التلازم فى نفس الامر ، فهى معانى متلازمة لا يمكن وجود الذات دون هذه المعانى ، ولا وجود هذه المعانى دون وجود الذات ، واسم الله اذا قيل الحمد لله ، او قيل باسم الله يتناول ذاته وصفاته ، ولا يتناول ذاتا مجردة عن الصفات ، ولا صفات مجردة عن الذات ، فصفاته سبحانه وتعالى داخله فى مسمى اسمائه ، فلا يقال انها غيره ، على معنى ان هناك ذاتا وصفات كل وحده لان هذا غير موجود فى الخارج ، وانما هو ما يعرض للذهن . فليس هناك كثرة على ما يدعون ، ولا يقال انها زائدة على الذات ، الا اذا اريد انها زائدة على ما اثبته اهل النفى من الذات المجردة

---

(١) منهاج السنة جـ ١ ص ٢٤٠ .

فان ذلك صحيح ، لان اولئك النفاة قصروا فى الاثبات ، فزاد المثبتون عليهم ، فقالوا ان الرب له صفات زائدة على ما علمتموه . وان اريد بالتكثير والزيادة مع الذات وعليها ، اى على الموجودة فى نفس الامر فهو كلام متناقض لانه ليس فى نفس الامر ذات مجردة حتى يقال ان الصفات زائدة عليها ــ كما وضحنا ذلك قريبا ــ ولا يمكن أن توجد الذات الا بما تصير به ذاتا من الصفات ، كما لا يمكن الا بما تصير به صفات من الذات ، لذلك فان تخيل وجود احدهما دون الاخر ثم كثرته معه او زيادته عليه تخيل باطل .(١)

وقد وجه شيخ الاسلام ابن تيمية النقد الى الذين انكروا ان يكون الله حيا بحياة ، وبين ان جمهور مثبتة الصفات يمتنع عندهم ان يكون حيا من لا حياة له . حيث يقول فى ذلك : " واما جمهور مثبتة الصفات فيقولون ان العلم هو كونه عالما ، ويقولون لا يكون عالما الا بعلم ، ولا قادرا الا بقدرة ، اى يمتنع ان يكون عالما من لا علم له ، وان يكون قادرا من لا قدرة له ، وان يكون حيا من لا حياة له . ولا ريب ان هذا معلوم ضرورة فان وجود اسم الفاعل بدون مسمى المصدر ممتنع . وهذا كما لو قيل مصل بلا صلاة ، وصائم بلا صيام ، وناطق بلا نطق ..... فمن انكر هذه الصفات ــ صفات الكمال ــ وقال هو حي بلا حياة وعالم بلا علم ، وقادر بلا قدرة كان قوله ظاهر البطلان " .(٢)

وقد توجه شيخ الاسلام ابن تيمية بالنقد الى منكرى الصفات كذلك ، وقرر ان الذات المجردة عن الصفات ــ التى يتحدثون عنها ــ ،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٥ ص٦ ٣٢ ، حـ٦ ص٩٧ ، ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ، شرح الطحاوية ص١٣٠ ، فى العقيدة الاسلامية حـ ١ ص٦٣ ٢ ــ ٢٦٤ ، ابن حزم وموقفه من الالــهيات ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

(٢) منهاج السنة حـ ١ ص٣١٣ ــ ٣١٤ .

لا وجود لها الا فى الاذهان وليس لها وجود خارج الذهن وليست هي الله سبحانه وتعالى . ولا تستحق العبادة . فقال : " .. لان الذات المجردة عن العلم والقدرة لا حقيقة لها فى الخارج ، ولا هي الله ولا تستحق العبادة." (١) .

بعد ان بينا بطلان ما ذهب اليه نفاة الصفات ، من القول بان اثبات الصفات يعنى مشاركة الله فى القدم ، ويؤدى الى تعدد القدماء. نسوق بعض الادلة التى استدل بها ائمة السلف على اثبات صفة الحياة لله عز وجل . وفيما يلي بيان ذلك.

ا ـ سلكوا طريق الاولى الذى يتضمن القول بان صفة الحياة اذا كانت ثابتة فى حق المخلوق وهى صفة كمال فالخالق سبحانه وتعالى اولى بلا تصاف بها ، واذا تنزه المخلوق عن الاتصاف بها فان الخالق اولى بالتنزه عنها .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " ان الكمال ثابت لله ، بل الثابت له هو اقصى ما يمكن من الاكملية ، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه الا وهو ثابت للرب يستحقه بنفسه المقدسة ، وثبوت ذلك مستلزم نفى نقيضه ، فثبوت الحياة يستلزم نفى الموت ، وثبوت العلم يستلزم نفى الجهل ، وثبوت القدرة يستلزم نفى العجز وان هذا الكمال ثابت له بمقتضى الادلة العقلية والبراهين اليقينية وادلة السمع " (٢) .

وصفة الحياة من صفات الكمال بل هى مستلزمة لجميع صفات الكمال . يقول شارح الطحاوية : " فان الحياة مستلزمة لجميع

---

(١) المصدر نفسه حـ ١ ص ٢١٥ .

(٢) مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ٧١ .

صفات الكمال فلا يتخلف عنها صفة منها الا لضعف الحياة ،
فاذا كانت حياته تعالى اكمل حياة واتمها استلزم اثباتها
اثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة " (١) .

ب ـ لو لم يتصف الله سبحانه وتعالى باحدى الصفتين المتقابلتين
لكان متصفا بالاخرى لا محالة . فاذا لم يكن حيا كان ميتا ،
واذا لم يكن عالما كان جاهلا ، واذا لم يكن قادرا كان عاجزا .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى توضيح هذا الامر :
" من الطرق التى يسلكها الائمة ومن اتبعهم من نظار
السنة فى هذا الباب انه لو لم يكن موصوفا باحدى الصفتين
المتقابلتين للزم اتصافه بالاخرى . فلو لم يوصف بالحياة لوصف
بالموت . ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز ، ولو لم يوصف
بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصم والخرس والبكم ، وطرد ذلك
انه لو لم يوصف بانه مباين للعالم لكان داخلا فيه ، فسلب
احدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم بثبوت الاخرى ، وتلك
صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها
اولى ." (٢)

ويقول البيهقي : " فان قال قائل ، وما الدليل على انه
حي عالم قادر ؟ قيل ظهور فعله دليل حياته ، وقدرته وعلمه ،
لان ذلك لا يصح وقوعه من ميت ولا عاجز ولا جاهل به ، دل ذلك

---

(١) شرح الطحاوية ص ١٢٥ .
(٢) مجموع الفتاوى حـ ٣ ص د ـ هـ .

على انه بخلاف وصف من لا يتاتى ذلك منه ، ولا يكون بخلاف ذلك الا وهو حي قادر عالم " (١) .

من خلال ما تقدم نلاحظ الاتفاق التام بين الامام ابن جرير ، وبين علماء السلف فى استخدام طريق الاولى فى اثبات صفة الحياة لله عز وجل ، واستخدام الطريقة القائلة : بانه لو لم يتصف باحدى الصفتين المتقابلتين لا تصف بضدها .

ولا ريب ان اثبات الامام ابن جرير صفة الحياة لله عز وجل كما اثبتها سبحانه وتعالى لنفسه ، ومخالفته للجهمية والمعتزلة ، فيما ذهبوا اليه من التاويل والتعطيل ، وموافقته للسلف وسلوك طريقهم فى الاثبات هو دفاع عن عقيدة السلف من وجه وتقرير وتاكيد لها من وجه اخر ، لان الامام ابن جرير امام من ائمة السلف المتقدمين ، اشتهر باهتمامه باثار السلف .

---

(١) الجامع لشعب الايمان جـ ١ ل ١٧ .

المبحـــث الثانـــي

صفـــة الكـــلام

تـــمهيد :ـ

اهتم علماء السلف بصفة الكلام اهتماما كبيرا ، واولوها عناية فائقـــة لاتصالها الوثيق بالمسالة الخطيرة التى اثارها الجهمية والمعتزلة. والـــتى شغلت فكر المسلمين ردحا من الزمان ، الا وهي مسالة القول بخلق القـران ، التى تبـــنى الجهمية والمعتزلة ترويجها بين الناس ونشرها بينهم بشـــتى الوسائل والطرق ، واستعانوا بقوة السلطان المتمثلة بالمامون والمعتصم والواثق لحمل الناس على اعتناقها والقول بها بالقوة ، الا ان كثير من علماء السلـــف وقفوا بصلابة وقوة امام هذه البدعة ، ولم يابهوا للمحنة التى تعرضوا لها مـــن جراء معارضتهم لها . ولم يبالوا بما نالهم من الاذى والعذاب والتنكيل مـــن دعاتها ، فقد ضرب الامام احمد بن حنبل رحمة الله عليه ، وطيف به فـــى الاسواق ولكنه صبر على الاذى والعذاب ، واحتسب ما ناله فى سبيل اللـــه ، حتى ضرب به المثل فى الصبر على البلاء والمحنة ، فاعز الله به دينه ، واعلى كلـمته ، ورد كيد المعتزلة واتباعهم فى نحورهم ـ وكفى الله المسلمين مـــن شرورهم .

هذا وقد تصدى لهذه البدعة بالنقض والرفض ثلة من علماء السلف الاجـــلا ، كان الامام ابن جرير واحدا منهم ، ودافعوا عن عقيدة السلف ضد هذه البدعة دفاعا مجيدا، جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجـــزاء .

وبما ان مسالة القول بخلق القران وثيقة الصلة بصفة الكلام ، فانه ينبغـــى ان نعرف راى المعتزلة فى كلام الله عزوجل ، لانه الاساس الذى بنوا عليه بدعتهم

فى القول بخلق القران • واهم الانتقادات التى وجهها علماء السلف واهل السنة اليهم • وفيما يلى بيان ذلك : ـ

رأى المعتزلة والجهمية فى كلام الله تعالى ذكره : ـ

ذهب المعتزلة والجهمية الى ان معنى كونه سبحانه وتعالى متكلما انه خالق الكلام فى غيره ، وليس الكلام صفة قائمة به ، فقد ذهب جمهور المعتزلة الى أن الله تعالى متكلم وله كلام ، ألا ان كلامه لا يجوز أن يكون قديما ، لان فى ذلك اثبات القدماء مع الله تعالى • (١)

وحقيقة المتكلم عندهم هو من فعل الكلام لا من قام به الكلام (٢) • ولذلك قالوا ان الله سبحانه وتعالى متكلم بكلام هو فعل من افعاله ، وهو مخلوق محدث ، يحدثه الله وقت الحاجة ، وهذا الكلام لا يصح ان يكون قائما به سبحانه وتعالى ، والا كان محلا للحوادث وانما يحدثه الله تعالى فى محل فيسمع من المحل ، وهذا المحل لا بد ان يكون جسما جمادا حتى لا يكون هو المتكلم به ، بل المتكلم به هو الله سبحانه وتعالى • (٣)

وقد وجد من بين المعتزلة من لم يجز ان يقال ان الله تعالى متكلم ، فقد كان الاسكافى يجيز ان يقال ان الله يكلم العباد ، ولا يجيز ان يقال بانه متكلم ، وقد سمى الله مكلما ، ولم يسمه متكلما ، لان متكلما يوهم ان الكلام قام به ، ومكلما لا يوهم ذلك ، كما ان متحركا يقتضى قيام الحركة ، ومتكلما يقتضي قيام الكلام به • (٤)

---

(١) انظر نهاية الاقدام ص ٢٨٠ •

(٢) انظر المحيط بالتكليف ص ٣٠٩ •

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٣١٦ ، اصول الدين ص ١٠٦ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٢٢ •

(٤) انظر التبصير فى الدين ص ٤٨ ، الفرق بين الفرق ص ١٧٠ •

مناقشة راى المعتزلة فى صفة الكلام

بعد ان فرغنا من بيان راى المعتزلة فى صفة الكلام ، وبينا انهم يقولون ان الله متكلم وله كلام ، غير أن كلامه مخلوق محدث ، لانه لوكان كلامه تعالى قديما ، للزم منه تعدد القدماء ، وحقيقة المتكلم عندهم هو من فعل الكلام لا من قام به الكلام ، والكلام — عندهم — فعل من افعاله تعالى يحدثه وقت الحاجة ، وهو مخلوق محدث ، فلو كان الكلام قائما بذاته تعالى — عندهم — للزم منه ان يكون الله محلا للحوادث .

بعد ذلك نذكر اهم الاعتراضات التى وجهت الى راى المعتزلة والجهمية من قبل ائمة السلف وعلمائهم ، وغيرهم من علماء السنة . وفيما يلى بيان ذلك :

(١) بينا عند حديثنا عن صفة الحياة بطلان ما ذهب اليه اهل التعطيل والتاويل من ان اثبات الصفات يعنى مشاركة الله فى القدم ، ويؤدى الى تعدد القدماء ، وبينا ان الممنوع هو وجود ذوات قديمة متعددة ، لان القول بوجود ذوات قديمة متعددة شرك ينافى التوحيد . اما اثبات الصفات لله عز وجل ، فليس فيه اثبات قديم معه سبحانه وتعالى ، فالموجود ذات واحدة قديمة قبل كل شئ ، ولها صفات قديمة ومتعددة .

لذلك فان قول المعتزلة ان كلام الله مخلوق محدث لانه لو كان قديما للزم منه تعدد القدماء مرفوض من وجهة نظر سلف الامة الذين يقولون بان الله متصف بصفات قديمة لائقة بكماله وجلاله ، ومن بين هذه الصفات ما هو قديم النوع حادث الاحاد ، بمعنى ان الصفة قديمة . ولكن تحدث فى ذاته تعالى احادها ، ومثال ذلك ان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد ، ويتكلم بما شاء متى شاء ، وكيف شاء

ويغضب ويرضى لا كاحد من الورى ، ويوصف بما وصف به تعالى نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من النزول والاتيان والاستواء والضحك وغيرها من الصفات كما يليق بكماله وعظمته سبحانه وتعالى •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى معرض رده على المعتزلة وغيرهم : " ••• اذ المتكلم من قام به الكلام ، فلا يكون متكلما بكلام يكون فى غيره كسائر الصفات ، والافعال ، فانه لا يكون عالما بعلم يقوم بغيره ، ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره ، ولا حيا بحياة تقوم بغيره ، وكسائر الموصوفين ، فان الشئ لا يكون حيا عالما قادرا بحياة او علم او قدره تقوم بغيره ، ولا يكون متحركا او ساكنا بحركة او سكون تقوم بغيره ، كما لا يكون متلونا بلون يقوم بغيره " (١) •

هذا وقد وجه شيخ الاسلام انتباهنا الى ان المعتزلة يموهون على الناس فيقولون اجمع المسلمون على ان الله متكلم، ولكنهم اختلفوا فى معنى المتكلم • هل هو من فعل الكلام او من قام به الكلام •

وقد ذكر شيخ الاسلام ان قول المعتزلة ان المتكلم يكون متكلما بكلام قائم بغيره • قول خرجوا به عن العقل والشرع واللغة •

ثم كيف يصح ان يكون البارى سبحانه وتعالى متكلما بكلام يقوم بغيره اذ لو صح ذلك للزم ان يكون ما احدثه من الكلام فى الجمادات كلامه ، وكذلك ايضا ما خلقه فى الحيوانات ، ولا يفرق حينئذ بين نطق وانطق ، وانما قالت الجلود " انطقنا الله " (٢) ولم تقل نطق الله ، بل

---

(١) شرح العقيدة الاصفهانية ص ٥٥ •

(٢) سورة فصلت ٢١ •

يلزم ان يكون متكلما بكل كلام خلقه فى غيره ، زورا كان اوكذبا اوكفرا او هذيانا ، ـ تعالى الله عن ذلك ـ

وقد طرد ذلك الاتحادية فقال ابن عربي :

وكل كلام فى الوجود كلامه ** سواء علينا نثره ونظامه

ولو صح ان يوصف احد بصفة قامت بغيره لصح ان يقال للبصير اعمى ، وللاعمى بصير ، لان البصير قد قام وصف العمى بغيره والاعمى قد قام وصف البصر بغيره ، ولصح ان يوصف الله تعالى بالصفات التى خلقها فى غيره من الالوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك (١) . ولا ريب ان الرسل الذين خاطبوا الناس واخبروهم ان الله قال ونادى وناجى ويقول ، لم يفهموهم ان هذه مخلوقات منفصلة عنه ، بل الذى افهموهم ياه ان الله تعالى نفسه هو الذى تكلم ، والكلام قائم به لا بغيره ، وانه هو الذى تكلم به وقاله ، كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حديث الافك " ولشاني فى نفسي كان احقر من ان يتكلم الله فى بوحى يتلى " (٢) .

ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه لوجب بيانه ، اذ تاخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ، ولا يعرف فى لغة ولا عقل قائل " متكلم " لا يقوم به القول والكلام .

اما ان زعموا انهم فروا من ذلك حذرا من التشبيه فينبغي عليهم ان لا يثبتوا صفة غيره ، فانهم اذا قالوا يعلم لا كعلمنا ، قلنا ويتكلم

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١٨٤ ، منهاج السنة حـ ١ ص ٢٩٨ ، شرح الاصفهانية ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) اخرجه البخارى فى الصحيح ١٩٨/٨ ، ومسلم ٢١٢٩/٤ ، وابو داود فى السنن حـ ٥ ص ١٠٤ ، واحمد فى المسند من حديث طويل فى الافك حـ ٦ ص ١٩٧ .

لا كتكلمنا ، وكذلك سائر الصفات ، ثم هل يعقل قادر لا تقوم به قدره؟ او حي لا تقوم به الحياة (١) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم " اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر " (٢) .

فهل يقول عاقل انه صلى الله عليه وسلم عاذ بمخلوق بل هذا كقوله صلى الله عليه وسلم " اعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بمعافاتك من عقوبتك " (٣) .

(٢) اما رأيهم القائل بانه لا يصح ان يكون الكلام قائما به تعالى والاكان محلا للحوادث ، فان السلف لم يهملوا هذه المسالة وبينوا ان النفاة الذين انكروا قيام الحوادث بذات الله تعالى تمسكوا بشبهة هي : انه لو قامت به الحوادث لم يخل عنها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث .

غير ان هذا الكلام لا دليل لهم فيه على هذه القضية ، فهو كلام مجمل يشتمل على حق وباطل ، لانه ان اريد بالنفي انه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة ، اولا يحدث له وصف متجدد لم يكن ، فهذا نفي صحيح ، وان اريد به نفي الصفات الاختيارية من انه لا يفعل ما يريد ، ولا يتكلم بما شاء اذا شاء ، ومتى شاء وكيف شاء ،

---

(١) انظر منهاج السنة جـ ١ ص٢٩٨ ، وشرح الطحاوية ص١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) اخرجه احمد في المسند جـ ٣ ص٤١٩ ، وابن السني ص٦٣١ ، عن عبد الرحمن بن حنيش مرفوعا بسند صحيح ، واخرج نحوه الامام مالك في الموطا ص٦٧٨ عن ابي هريرة ، ويحيى بن سعيد والقمقاع بن حكيم ، وقال الالباني سنده صحيح انظر شرح الطحاوية ص١٩١ .

(٣) اخرجه مسلم جـ ١ ص٣٥٢ من حديث ابي هريرة عن عائشة ، والترمذي جـ ٥ ص٥٢٤ . وقال هذا حديث حسن روى من غير وجه عن عائشة ، ورواه عن علي ايضا ص٥٦١ وقال لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمه . واخرجه احمد في المسند عن علي جـ ١ ص٩٦ ، ١١٨ والنسائي في سننه جـ ١ ص١٠٢ .

ولا انه يغضب ويرضى لا كاحد من الورى ، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفي باطل ، وهو ما قصده النفاة من معتزلة وجهمية واشاعرة . ووجه بطلانه انه ينفي اتصاف الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال المتعلقة بمشيئته وقدرته ، مما يؤدى الى اضافة العجز الى البارى سبحانه وتعالى .

هذا وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمة الله عليه ان القول بحلول الحوادث بذات الله تعالى " هو مذهب اكثر اهل الحديث بل قول ائمة الحديث ، وهو الذى نقلوه عن سلف الامة وائمتها ، وكثير من الفقهاء والصوفية ، وفيهم من الطوائف الاربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية من لا يحصى عدده الا الله " (١) .

وقد سلك علماء السلف طريق النقل والعقل فى اثبات قيام الحوادث بذاته سبحانه وتعالى . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى ذلك : " ولا ريب ان الطرق الدالة على الاثبات والنفى اما السمع واما العقل ، اما السمع فليس مع النفاة منه شئ ، بل القران والاحاديث هي من جانب الاثبات كقوله تعالى : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " (٢) وقوله تعالى " ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين " (٣) وقوله " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " (٤) وقوله " خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش " (٥) ... وامثال ذلك مما ورد فى القران فانه كثير ...

---

(١) نقض التاسيس ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) سورة يس ٨٢ .

(٣) سورة القصص ٦٥ .

(٤) سورة التوبة ١٠٥ .

(٥) سورة الاعراف ٥٤ .

واما الطرق العقلية فالمثبتون يقولون انها من جانبهم دون جانب النفاة ، كما تزعم النفاه انها من جانبهم ، وذلك انهم قالوا ان قدرته على ان يفعل ويتكلم اكمل ممن لا يقدر على ذلك ، كما انه قدرته على ما يقوم به من الكلام والفعل صفة كمال ، ومن المعلوم ان من قدر على ان يفعل ويتكلم اكمل ممن لا يقدر على ذلك ، كما ان قدرته على ان يبدع الاشياء صفة كمال ، والقادر على الخلق اكمل ممن لا يقدر على الخلق ، وقالوا الحي لا يخلو عن هذا ، والحياة هي المصححة لسائر الصفات ، واذا قدر حي لا يقدر على ان يفعل بنفسه ويتكلم بنفسه كان عاجزا بمنزلة الزمن والاخرس" (١) .

بعد ان لاحظنا اهم الاعتراضات الواردة على المعتزلة فى صفة الكلام وان ما ذهبوا اليه من القول فى هذه الصفة مخالف لادلة السمع والعقل ، اذكر اهم الادلة التى اعتمد عليها ائمة السلف وعلماؤهم — ومن بينهم الامام ابن جرير فى اثبات صفة الكلام لله عز وجل ، والتى تتضمن كذلك ردا على راى المعتزلة فى النفي والتعطيل ، وفيما يلى بيان ذلك .

ذهب الامام ابن جرير الى ان الله سبحانه وتعالى متكلم حقيقة بصوت مسموع فهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلما اذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء . والكلام صفة من صفاته سبحانه وتعالى القديمة القائمة بذاته المقدسة ، وان كانت تحدث بمشيئته وقدرته احادها ، بمعنى ان جنس كلامه قديم ، وافراده حادثه ، والكلام صفة كمال لان من يتكلم اكمل ممن لا يتكلم ، كما ان من يعلم ويقدر اكمل ممن ليس كذلك ، ومن يتكلم بمشيئته

---

(١) شرح الاصفهانية ضمن الفتاوى الكبرى حـ ٥ ص ٦١ .

وقدرته اكمل ممن يكون الكلام لازما لذاته ليس له عليه قدرة ، ولا لـه فيها مشيئة ، والكمال انما يكون بالصفات القائمة بالموصوف، لا بالامور المباينة له ، ومن لم يزل موصوفا بصفات الكمال اكمل ممن حدثت لـه بعد ان لم يكن متصفا بها ، ولو كان حدوثها ممكنا ، فكيف اذا كـان ممتنعا . فتبين ان الرب سبحانه وتعالى لم يزل ، ولا يزال موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال ، ومن اجلها صفة الكلام ، فالله تعالـى متكلم حقيقة بكلام هو صفة من صفاته المقدسة .

هذا وقد جاء معتقد الامام ابن جرير فى اثبات صفة الكلام للـه عزوجل موافقا ومؤيدا لمذهب السلف فى الاثبات يدل على ذلك تفسيره لكثير من الايات القرانية الكريمة حيث وضح فيها مذهبه السلفي فى اثبـات صفة الكلام لله عزوجل كما اثبتها الله تعالى لنفسه ، واثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم . وفيما يلى بيان ذلك .

(١) يرى الامام ابن جرير ان الله سبحانه وتعالى متكلم بكلام حقيقـى مسموع يدل على ذلك تفسيره لقوله تعالى : " وما كان لبشـر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب اويرسل رسولا فيوحـي باذنه ما يشـاء " (١) .

حيث يقول فى تفسير هذه الاية : " اويكلمه الله بحيـث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم ." (٢) والشاهد فى هذه الاية ان الله سبحانه وتعالى بين لعباده انـه متكلم حقيقه ، وان تكليمه لرسله اما ان يكون وحيا ، واما ان يكـون بكلام مسموع بدون واسطة من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السـلام ،

---

(١) سورة الشورى ٥١ .

(٢) جامع البيان جـ ٢٥ ص ٤٥ .

او بواسطة الوحي يرسله لمن يشاء من عباده يبلغه كلام اللـــه ووحيه اليه •

(٢) يرى الامام ابن جرير ان تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام بدون واسطة فضيلة خص الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام ، على غيره من العباد ممن لم يكلمهم الله عز وجل بدون واسطة في الدنيا ، حيث يقول في تفسير قوله تعالى " قال يـا موسى اني اصطفيتك على الناس برسلاتي وبكلامي " (١)

" يقول اخترتك على الناس برسالاتي الى خلقي ارسلتك بهـا اليهم ، وبكلامي كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي " (٢)

ويقول في تفسير قوله تعالى : " وكلـــم الله موسى تكليما " (٣)

" فانه يعني جل ثناؤه بذلك وخاطب الله بكلامه موســـى خطابا " (٤)

(٣) وقد استخدم الامام ابن جرير الادلة العقلية لاثبات صفة الكلام لله عز وجل ، حيث استنبطها من بعض الايات القرانية ، ســـ سالكاً في هذه الادلة العقلية طريق الاولى ، فاثبت ان الكلام صفة كمال ، لان من يتكلم اكمل ممن لا يتكلم وكل كمال لا نقـــص فيه فالله سبحانه وتعالى اولى به ، وعدم الكلام صفة نقص واللـــه سبحانه وتعالى احق بالتنزيه عن كل نقص ، يقول الامام ابن جرير

---

(١) سورة الاعراف ١٤٤ •

(٢) المصدر نفسه جـ ٩ ص ٥٦ •

(٣) سورة النساء ١٦٤ •

(٤) المصدر نفسه جـ ٦ ص ٢٩ •

في تفسير قوله تعالى : " واتخذ قوم موسى ، من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا " (١) " يخبر جل ذكره عنهم انهم ضلوا بما لا يضل بمثله اهل العقل ، وذلك ان الرب الذى له ملك السماوات والارض ومدبر ذلك لا يجوز ان يكون جسدا له خوار لا يكلم احدا ، ولا يرشد الى خير ... ثم يقول ـ الم ير الذين عكفوا على العجل الذى اتخذوه من حليهم يعبدونه أن العجل لا يكلمهم ، ولايرشدهم الى طريق ، وليس ذلك من صفة ربهم الذى له العبادة حقا ، بل صفته انه يكلم انبياءه ورسله ، ويرشد خلقه الى سبيل الخير ، وينهاهم عن سبيل المهالك والردى." (٢)

نلاحظ في تفسير الامام ابن جرير لهذه الاية ما يلي : ـ

(أ) ينزه الامام ابن جرير الله سبحانه وتعالى عن صفات النقص التي لا تليق به ، مثل ان يكون جسدا له خوار، لا يتكلم ولا يرشد الى الخير لان الله سبحانه وتعالى احق بالتنزيه عن كل نقص.

(ب) بين احتجاج الله على الذين عبدوا العجل من بني اسرائيل بان هذا العجل الذى اتخذوه من حليهم لا يتكلم ، ولا يرشد الى طريق الخير ، لذلك فانه لا يستحق العبادة ، لانه عاجز عن الكلام والارشاد الى الخير، والعاجز

---

(١) سورة الاعراف ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه جـ ٩ ص ٦٢.

والناقص لا يصلح ان يكون الـها يعبد ، بل العبادة بحـــق تكون لله الواحد القهار الذى صفته انه يكلم عباده ، ويرشدهـــم الى طريق الخيـــر ٠

جـ ـ ان الله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق للعبادة بحق ، وما دام انه سبحانه وتعالى هو وحده المستحق للعبادة بحـــق ، فمن الواجب علينا فى حقه تعالى ان نثبت له كل صفات الكمــــال التى لا تؤدى الى نقص بحال من الاحوال ، ومن كمال اللـــه سبحانه وتعالى ان نصفه بأنه متكلم كلم انبياءه ورسله ، وسيكلــم الناس يوم القيامة ، كما وصف نفسه سبحانه وتعالى بذلك ، وكمــا وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم ٠

(٤) كما اثبت الامام ابن جرير صفة الكلام لله عز وجل فى معرض تفسيـــره لقوله تعالى " وضرب الله مثلا رجليـــن احدهما ابكم لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه ، اينما يوجهه لا يات بخير ، هل يستوى هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم " (١) ٠

يقول الامام ابن جرير فى تفسير هذه الاية : " وضرب اللـــه لنفسه والالهة التى تعبد من دونه فقال تعالى ذكره " وضرب اللـــه مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء " يعنى بذلك الصنم انــه لا يسمع شيئا ولا ينطق ، لانه اما من خشب منحوت واما من نحاس مصنوع ، لا يقدر على نفع لمن خدمه ، ولا دفع ضر عنه ، " وهو كل على مولاه " يقول وهو عيال على ابن عمه وحلفائه واهل ولايته ٠ فكذلك الصنـــم كل على من يعبده يحتاج ان يحمله ويضعه ويخدمه كالابكم من النـــاس

---

(١) سورة النحـــل ٧٦٠

الذى لا يقدر على شيء ، فهو كل على اوليائه من بني اعمامه وغيرهـم ، " اينما يوجهه لايات بخير ." يقول حيثما يوجهه لايات بخير لانـه لا يفهم ما يقال له ، ولا يقدر ان يعبر عن نفسه ما يريده فهو لا يفهـم ولا يفهم عنه ، فكذلك الصنم لا يعقل ما يقال له ، فياتمر لامر من امـره ، ولا ينطق فيامر وينهى ، يقول تعالى " هل يستوى هو ومن يامـر بالعدل " هذا الابكم الكل على مولاه الذى لا يات بخير حيثيوجه ، ومن هو ناطق متكلم يامر بالحق ويدعو اليه ، وهو الواحد القهار الذى يدعو عباده الى توحيده وطاعته، يقول لا يستوى هو تعالى ذكره والصنم الذى صفته ما وصف " (١)

وغرض الامام ابن جرير من ذلك هو ان يبين ان الصنم كل علـى عابديه ، لا يدفع عنهم ولا عن نفسه ضرا ، ولا يجلب لهم ولا لنفسـه نفعا ، فهو بحاجة الى من يحمله ، وينظف الاوساخ والقاذورات عنـه ، لانه عاجز عن النطق ، لا يامر ولا ينهى ، ولا يفهم ما يقال له كالابكـم من الناس الذى يحتاج الى مساعدة اهله لانه لا يفهم ما يقال له ، ولا يامر ولا ينهى ، وهذه الامور صفات نقص فى المخلوق ، والناقص لا يصلح ا ن يكون الـها يعبد .

والله سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص ، وهو احق بالتنزيه مـن المخلوق ، وهو سبحانه وتعالى متكلم يامر وينهى ليس بحاجه لاحد من خلقه ، بل خلقه محتاجون اليه ، لذلك فهو سبحانه وتعالى وحـده المستحق للعبادة الخالصة بحق. لان المستقر فى الفطر ان ما لا يسمـع ولا يبصر ، ولا يتكلم ، ولا يغنى شيئا و ولا يهدى ، ولا يملـك

---

(١) جامع البيان حـ ١٤ ص ١٥٠ .

ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا ، بل الرب المعبود بحق هو الله عزوجل الذى ينفع عباده بالرزق وغيره ، ويهديهم ، وهو الذى يملك ان يضرهم بانواع الضرر ، وهو سبحانه وتعالى متكلم يامر بالخير ، وينهى عن الشر .

(٥) كما اثبت الامام ابن جرير صفة الكلام لله عزوجل ، وانه سيكلم عبادة يوم القيامة ليس بينه وبينهم حجاب ، وسيكلم الكفار بما يسوؤهم ويكرهونه ، وذلك فى تفسيره لقوله تعالى " فلنقصّن عليهم بعلم " (١) حيث يقول فى بيان ذلك :

" وقد روى عن ابن عباس انه كان يقول فى معنى قوله "فلنقصّ عليهم بعلم " انه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم باعمالهم ، وهذا قول غير بعيد من الحق غير ان الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قال " ما منكم من احد الا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ، فيقول له اتذكر يوم فعلت كذا ، وفعلت كذا ، حتى يذكره ما فعل فى الدنيا " (٢) والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى من التسليم لغيره " (٣)

وروى بسنده عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة

---

(١) سورة الاعراف ٧ .

(٢) اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره حـ ٨ ص ١٢٢ ، والبخارى حـ ٧ ص ١٩٨ ، ومسلم حـ ٢ ص ٧٠٣ ، والامام احمد فى مسنده حـ ٤ ص ٢٥٦ ، والترمذى حـ ٤ ص ٦١١ ، وابن ماجة فى المقدمة ص ٦٦ .

فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ، فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا يا رب ، واى شيء افضل من ذلك ، قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا " (١) .

وقال فى تفسير قوله تعالى : " ولا يكلمهم الله يوم القيامة " (٢) اى " ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون ، فاما بما يسوؤهم ويكرهون فانه سيكلمهم " (٣)

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان الامام ابن جرير يثبت لله سبحانه وتعالى صفة الكلام ، كما وصف بها سبحانه نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم لانها صفة كمال ، فمن يتكلم اكمل ممن لا يتكلم ، وكل كمال لا نقص فيه فالله سبحانه وتعالى به اولى ، وعدم الكلام صفة نقص ، والله سبحانه وتعالى اولى بالتنزيه عن كل نقص ، فهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلما اذا شاء متى شاء وكيف شاء ، حيث تكلم سبحانه وتعالى بالوحى بصوته ، وكلم موسى عليه السلام وخاطبه مشافهة بكلام مسموع بصوته ، وسيكلم عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان .

ولا ريب ان ما ذهب اليه الامام ابن جرير فى اثبات صفة الكلام لله عزوجل ، هو تقرير لعقيدة السلف وتاكيد لها من جهة ودفاع عنها

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره حـ ١٠ ص ١٨٢ ، والبخارى حـ ٨ ص ٢٠٥ ، ومسلم حـ ٤ ص ٢١٧٦ ، والترمذى حـ ٤ ص ٦٨٩ .

(٢) سورة البقرة ١٧٤ .

(٣) جامع البيان حـ ٢ ص ٩٠ .

من جهة اخرى ، لانه واحد من ائمة السلف المتقدمين الذين يحتج بقولهم ، ويعتد برأيهم فى هذا المقام ، فقد قال بقول السلف فى صفة الكلام ، واقتفى اثرهم فى الاستدل على اثبات الصفات ومن بينها صفة الكلام بالادلة السمعية ، وسلوك طريق الاولى عند الاستدلال بالادلة العقلية ، وخالف الجهمية والمعتزلة مخالفة جذرية فيما ذهبوا اليه بزعمهم ان كلام الله مخلوق محدث .

ونزيد راى الامام ابن جرير فى اثبات صفة الكلام لله عز وجل بعرض كلام ائمة السلف وعلمائهم فى اثبات هذه الصفة لله عز وجل كما يليق بكماله وعظمته ،

يقول الامام الدارمى رحمة الله عليه فى الرد على الجهمية ، واثبات صفة الكلام لله عزوجل : " فالله المتكلم اولا واخرا لم يزل له الكلام ولا يزال له الكلام ، اذ لا يبقى متكلم غيره فيقول " لمن الملك اليوم "(١) انا الملك اين ملوك الارض (٢) ، وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام ، وانطق الانام . قال الله فى كتابه " وكلم الله موسى تكليما " فهذا لا يحتمل تاويلا غير نفس الكلام . وقال لقوم موسى حين اتخذوا العجل فقال " افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " (٣) وقال " عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين " (٤) .

ففى كل ما ذكرنا تحقيق كلام الله وتثبيته نصا بلا تاويل ، ففيم عاب الله به العجل فى عجزه عن القول والكلام بيان بين ان الله

---

(١) سورة غافر ١٦ .

(٢) جزء من حديث سنأتى على تخريجه فى صفة اليد ان شاء الله تعالى

(٣) سورة طه ٨٩ .

(٤) سورة الاعراف ١٤٨ .

عز وجل غير عاجز عنه ، وانه متكلم وقائل ، لانه لم يكن يعيب العجل بشـــيء موجود فيه "(١) .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " الرسل الذين خاطبوا النا س، واخبروهم أن الله قال . ونادى ، وناجى ويقول ، لم يفهموهم ان هذه مخلوقات منفصلة عنه ، بل الذى افهموهم اياه ان الله نفسه هـــو الذى تكلم ، والكلام قائم به لا بغيره ، ولهذا عاب الله من يعبـــد الــها لا يتكلم فقال " افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهـــم ضرا ولا نفعاً " وقال " الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيـــلا " ولا يحمد شيء بانه متكلم ، ويذم بانه غير متكلم الا من يقوم به القـول والكلام ، كما لا يعقل حي الا من تقوم به الحياة ، ولا عالم الا من يقـوم به العلم ، ولا متحرك الا من تقوم به الحركة ، ولا فاعل الا من يقـوم به الفعل ، فمن قال ان المتكلم هو الذى يكون كلامه منفصلا عنه قال مالا يعقل . ولم يفهم الرسل للناس هذا ، بل كل من سمع ما بلغتــه الرسل عن الله يعلم بالضرورة ان الرسل لم ترد بكلام الله ما هـــو منفصـــل ، بل ما هو متصف به "(٢) .

---

(١) الرد على الجهميـــة ص ٧٢ ـ ٧٣ . وانظـــر مجموع الفتـــاوى جـ ١٢ ص٥٤ ، ٥٢٩ .

(٢) منهـــاج السنة جـ ١ ص٢٩٨ .

مسالة الحرف والصـــوت : ــ

ذهب الامام ابن جرير الى ان الله سبحانه وتعالى متكلم بكلام حقيقى مـسموع ، وانه سبحانه وتعالى متكلم بحرف وصوت ، ولا يشبه اصوات المخلوقين ، مقتفيا فى ذلك طريق ائمة السلف الصالح، ومخالفا فى ذلك منهج المؤوليـــــن الذين نفوا ان يكون الله سبحانه وتعالى متكلما بحرف وصوت (١) • يدل على ذلك قوله فى تفسير قوله تعالى " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيـــا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء " •

يقول فى تفسير هذه الاية " او يكلمه الله بحيث يسمع كلامه ولا يــراه كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم " والشاهد فى تفسيره لهذه الايـــة هو ان الله كلم موسى عليه السلام بكلام مسموع •

امـــا مسالة اثبات الحرف والصوت فقد جاء ذلك واضحا فى تفسيره لقوله تعالى : " حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحـق وهو العلي الكبيـــر " (٢) حيث يقول فى تفسير هذه الاية " واولى الاقوال

---

(١) الاشاعرة هم الذين نفوا ان يكون الله متكلما بحرف وصوف ، لان كـــلام الله سبحانه وتعالى عندهم نفسـي ، اما الكلام الذى انزل على رسـول الله صلى الله عليه وسلم والذى نتلوه ،فيقرون بانه بحرف وصوت ، الا انهم يرون انه مخلوقا محدثا ، لانه ليس كلام الله الحقيقي ، بل هو عبـــارة عن كـــلام الله القديم •

انظر المواقف بشرح الجرجانى " قسم الاليهيات " ص١٤٩ ــ ١٥٠ وشـرح ام البراهيـن للسنوسي ص٣١ ، الاسماء والصفات ص ٢٧٢ •

(٢) سورة سبا ٢٣ •

فى ذلك بالصواب القول الذى ذكره الشعبي عن ابن مسعود لصحة الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتاييده ، واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام ، لا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له ان يشفع عنده ، فاذا أذن الله لمن اذن له ان يشفع فزع لسماعه اذنه ، حتى اذا فزع عن قلوبهم فجلى عنها ، وكشف الفزع عنهم قالوا ماذا قال ربكم قالت الملائكة الحق " وهو العلي " على كل شيء " الكبير الذى لا شيء دونه "(١) ؛

والقول الذى ذكره الشعبي عن ابن مسعود رواه الامام ابن جرير عن ابن مسعود بسنده حيث يقول ابن مسعود فى هذه الاية : " اذا حدث عند ذى العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم ، فاذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا " ماذا قال ربكم " قال : فيقول من شاء قال الحق وهو العلي الكبير "(٢) .

وقد روى بسنده عن ابن عباس فى تفسير هذه الاية . قال " لما اوحى الله تعالى ذكره الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة فبعث بالوحى ، سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي ، فلما كشف عن قلوبهم سالوا عما قال الله ، فقالوا الحق ، وعلموا ان الله لا يقول الا حقا ، وانه منجز ما وعد ، وقال ابن عباس : وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا ، فلما سمعوه خروا سجدا ، فلما رفعوا رؤوسهم " قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ، ثم امر الله نبيه ان يسال الناس" قل

---

(١) جامع البيان حـ ٢ ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) حديث الصوت اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره حـ ٢٢ ص ٩٠ ، والبخارى عن ابن مسعود حـ ٨ ص ١٩٤ ، وعن ابى هريرة مرفوعا ، واخرجه ابو داود عن ابن مسعود مرفوعا حـ ٥ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، وابن ماجة عن ابى هريرة فى المقدمة ص ٧٠ .

من يرزقكم من السموات "... الى قوله " فى صلال مبين " (١).

ونلاحظ ان الامام ابن جرير استشهد على صحة معتقده فى اثبات الصوت لله عز وجل بالاحاديث الصحيحة والاثار المروية عن بعض الصحابة والتابعين ، فقد ذكر كذلك روايات اخرى تثبت الصوت لله سبحانه وتعالى غير التى ذكرناها. (٢)

ومن الواضح جدا ان اثبات الامام ابن جرير للصوت هو امتداد لمذهب السلف فى الاثبات ، وهو تاييد لمقيدة السلف ودفاع عنها ، وان المسلك الذى سار عليه الامام ابن جرير فى الاثبات هو مسلك سلفى سار عليه ائمة السلف رضوان الله عليهم.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " وقد نص ائمة الاسلام احمد ومن قبله من الائمة على ما نطق به الكتاب والسنة من ان الله ينادى بصوت وان القران كلامه تكلم به بحرف وصوت ، وليس منه شيء كلاما لغيره ، لا جبريل ولا غيره ، وان العباد يقراونه باصوات انفسهم وافعالهم ، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ ، والكلام كلام البارئ. " (٣)

وقد بين شيخ الاسلام ان الكلام فى هذه القضية قد حدث فى زمن متاخر فى حدود المئة الثالثة ، وانتشر فى المئة الرابعة ، بمعنى ان الكلام فيها حدث بعد ان لم يكن موجودا فى عهد الصحابة والتابعين بسبب ما وقع من جدال بين السلف والمعتزلة فى مسالة القول بخلق القران

---

(١) سورة سبا ٢٤ ، والحديث اخرجه ابن جرير فى تفسيره جـ ٢٢ ص٩١.
(٢) انظر جامع البيان جـ ٢٢ص ٩٠ ـ ٩٢.
(٣) مجموع الفتاوى جـ ٢ص ٥٨٤.

وبين ان منشا الخطا فى هذه المساله راجع الى عدم التفريق بين الخالق وصفاته ، والمخلوق وصفاته؟ والا فان السلف متفقون على التمييز بين صوت الرب ، وصوت العبد ، ومتفقون على ان الله سبحانه وتعالى تكلم بالقران الذى انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم بحروفه ومعانيه ، وانه ينادى عباده بصوت ٠ (١)

هذا ومن بين الادلة التي استدل بها السلف على رايهم القائل بان الله سبحانه وتعالى يتكلم بصوت الحديث الذى رواه البخارى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال النبى صلى الله عليه وسلم " يقول الله يا ادم فيقول لبيك وسعديك ، فينادى بصوت ٠ ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار " (٢) وقد رد الحافظ ابن حجر على نفاة الصوت بناء على القياس على اصوات المخلوقين بقوله " وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق ، واذا ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة وجب الايمان به ، ثم التاويل واما التفويض " (٣) ولكن السلف لم يثبت عنهم انهم قالوا بالتفويض ، ولا بالتاويل ، بل اثبتوا الصوت لله تعالى على الحقيقه دون ان يتصوروا مشابهة او تمثيلا ، فقد رد الامام احمد رحمة الله عليه هذه الشبهة الفاسدة ردا قويا مفحما ، لا يدع مجالا لمتاول او منكر حيث يقول : " ٠٠٠ واما قولهم " ان الكلام لا يكون الا من جوف ، وفم وشفتين ولسان اليس الله قال للسماوات والارض " ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين " (٤) وقال " وسخرنا مع داود الجبال يسبحن " (٥) اتراها

---

(١) انظر المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٨٥ ٠

(٢) اخرجه البخارى ج ٨ ص ١٩٥ ، واخرج احمد نحوه فى المسند عن عبد الله ابن مسعود ج ١ ص ٣٨٨ ، ج ٢ ص ٣٧٨ ٠

(٣) فتح البارى ج ١٣ ص ٢٧٤ ٠

(٤) سورة فصلت ١١ ٠ (٥) سورة الانبياء ٧٩ ٠

سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين ، والجوارح اذا شهدت على الكافر فقالوا " لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء " (١) اتراها انها نطقت بجوف وفم ولسان ؟ ولكن الله يُنطقها من غير ان يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان " (٢) ويعنى انه ليس من شرط المتكلم ان يكون ذا مخارج ، لذلك فأن التمسك بهذه الشبهة باطل ، لقوة الادلة التى قدمها وصراحتها .

اثبت الامام البخارى الصوت لله عز وجل ، ونفى المشابهة بينه وبين اصوات المخلوقين حيث يقول فى ذلك : " ... ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان كان يحب ان يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون رفيع الصوت ، وان الله عز وجل ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، فليس هذا لغير الله جل ذكره ، وفى هذا دليل ان صوت الله لا يشبه اصوات الخلق لان صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، وان الملائكة يصعقون من صوته ، فاذا تنادى الملائكة لم يصعقوا وقال الله عز وجل " فلا تجعلوا لله اندادا " (٣) ، فليس لصفة الله ند ولا مثل ، ولا يوجد شيء من صفاته فى المخلوقين " (٤) ، وذكر الاحاديث التى تدل على ذلك .(٥)

وغاية ما يمكن ان نقول فى هذا المقام هو ان السلف يرون ان الله سبحانه وتعالى يتكلم بصوت يسمع كما دلت على ذلك الادلة القاطعة من

---

(١) سورة فصلت ٢١ .

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة للامام احمد ص ١٣١ .

(٣) سورة البقرة ٢٢ .

(٤) خلق افعال العباد للبخارى ص ٥٩ .

(٥) انظر المصدر نفسه ص ٥٩ ـ ٦٠ .

من كتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان صوته سبحانه وتعالى لا يشبه اصوات خلقه ، لان ذاته سبحانه لا تشبه ذواتهم ، فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم . وان كلام الله سبحانه وتعالى ليس الحروف فقط ، ولا المعانى فقط ، بل مجموع الامرين يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى ذلك :

" والصواب الذى عليه سلف الامه ـ كالامام احمد والبخارى صاحب الصحيح فى كتاب خلق افعال العباد وغيره ، وسائر الائمة قبلهم وبعدهم ، اتباع النصوص الثابتة ، واجماع الامة ، وهو ان القران جميعه كلام الله حروفه ومعانية ليس شيء من ذلك كلاما لغيره ، ولكن انزله على رسوله ، وليس القران اسما لمجرد المعنى ، ولا لمجرد الحروف ، بل لمجموعهما ، وكذلك سائر كلام الله ليس هو الحروف فقط ، ولا المعانى فقط ، كما ان الانسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ، ولا مجرد الجسد ، بل مجموعهما ، وان الله يتكلم بصوت كما جاءت به الاحاديث الصحاح . وليس ذلك كاصوات العباد ، لا صوت القارئ ، ولا غيره .

وان الله ليس كمثله شيء ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى افعاله ، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته ، علم المخلوق وقدرته وحياته ، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ، ولا معانية تشبه معانيه ، ولا حروفه تشبه حروفه ، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد " (١) .

---

(١) مجموع الفتاوى حـ ١٢ ص٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، وانظر شذرات البلاتين ص ٣٩٥ .

مسالة القول بخلق القـران

اشتهر عن الجهمية والمعتزلة قولهم فى القران انه مخلوق محدث ، وقد قرر القاضي عبد الجبار هذا الراى بقوله : " واما مذهبنا فى ذلك فهـــو ان القران كلام الله ووحيه وهو مخلوق محدث " (١) بمعنى ان الله سبحانـــه وتعالى لم يكن متكلما ، وحينما اراد الكلام خلقه فى محل ، واسمعه مـن اراد ، كما قالوا عن موسى عليه السلام ان سماعه لكلام الله تبارك وتعالى انما كان من الشجرة التى خلق الله كلامه فيها ، وهذا هو راى الجهمية كذلك (٢) .

وقد ايدوا بدعتهم ببعض الايات القرانية الكريمة ، زاعمين دلالتها علـى ما ذهبوا اليه ، فالقاضي عبد الجبار عقب على راى المعتزلة الذى ذكـــره بالاستدلال له بقوله تعالى " ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث " (٣) وقوله تعالى " انا جعلناه قرانا عربيـــا " (٤) الى غير ذلك من الايات الـــتى زعموا دلالتها على صحة مذهبهـم .

وقد كان لهذه البدعة الخطيرة التى تبناها الجهمية ، وتابعهم عليهـا المعتزلة اثرها الكبير فى المحن القاسية التى ابتلى بها المسلمون ردحـــا من الزمن ، كان علماء السلف فى ذلك الوقت بمناى عـن كل راى يوجـــد الفرقة والعداوة والبغضاء بين صفوف المسلمين ، الا ان المعتزلة ابو الا اشاعة

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٥٢٨ .

(٢) انظر الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٩٣ التنبية والرد على اهل الاهواء والبدع للملطي ص ١٢٥ ، مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٢٣٨ .

(٣) سورة الانبياء ٢ .

(٤) سورة الزخرف ٣ .

هذه البدعة المضلة ، والمقالة الفاسدة محاولين ايصالها الى كل ذهن ، وترسيخها في كل عقل ، حتى لو اقتضى ذلك استخدام القوة ، واكراه الناس على اعتناق بدعتهم في القران ، ومذهبهم في العقيدة ، وقد حدث ذلك بالفعل واستعانوا بقوة بعض الخلفاء العباسيين كما ذكرنا سابقا • لتحقيق هدفهم ، ونشر بدعتهم ، وظلت الفتنه قائمة ، ونارها متاجحه تاكل الاخضر واليابس ، الا ان الله سبحانه وتعالى سدد خطى ائمة السلف ، واعانهم على الصمود في وجه هذه البدعة ، والتصدى لاصحابها بكل ما يملكون من وسائل متحملين في سبيل الله ، لنصرة دينه واعلاء كلمته اقسى صنوف العذاب واعتى انواع التنكيل • حتى انكشفت المحنة على يد المتوكل ، وازال الله عن المسلمين وعن علماء السلف الغمة •

وقد كان لانتشار هذه البدعة التى مست صميم العقيدة الاسلامية بين صفوف المسلمين اكبر الاثر في دفع علماء السلف للاشتغال بتنفيدها وبيان زيفها ، وترسيخ دعائم الحق بالحجة الساطعة ، والبرهان القوى القاطع المعتمد على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ورأى اهل العلم من الصحابة والتابعين. وقد ادرك الامام ابن جرير خطورة هذه البدعة ، كما ادركها غيره من ائمة السلف ، فشدد رحمة الله عليه النكير على اصحابها ، ووقف منهم موقفا حازما وجريئا • اسال الله ان يجزيه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ••

وقبل بيان دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف ضد هذه البدعة ينبغى ان اشير الى اننا ابطلنا فيما سبق الاساس الذى اعتمد عليه اصحاب هذه البدعة ، وهو القول بان الله متكلم وله كلام غير ان كلامه مخلوق محدث ، لان حقيقة المتكلم عندهم هو من فعل الكلام لا من قام به الكلام ، فلو كان

كلامه قديما للزم تعدد القدماء ، ولو كان الكلام قائما به لكان الله محـــــلا للحوادث • وبينا ان اثبات الصفات لله سبحانه وتعالى لا يلزم منه تعدد القدماء لان الممنوع هو وجود ذوات قديمة متعددة ، لان هذا هو الشرك المنافـــي للتوحيد فالموجود ذات قديمة واحدة موجودة قبل كل شيء ، ولها صفات قديمة متعددة منها ما هو قديم الجنس حادث الاحاد ، بمعنى ان الله سبحانـــــه وتعالى يفعل ما يريد ، ويتكلم بما شـاء ، اذا شاء متى شاء ، وكيف شاء ، ويغضب ويرضى ، لا كاحد من الورى • ويوصف بما وصف به نفسه ، ووصفة بـــــه رسوله صلى الله عليه وسلم من النزول والاتيان والمجيء والاستواء والضحـــــك وغيرها من الصفات كما يليق بكماله وجلاله بدون تشبيه• وبينا ان القول بقيـا م الحوادث بذات الله عزوجل بمعنى انه يفعل ما يريد ، ويتكلم بما شاء ، اذا شاء متى شاء وكيف شاء ، وغير ذلك من الصفات اللائقة بكماله وجلاله ، والـتى اشرنا الى بعضها سابقا ، هو مذهب سلف الامة ، واثبتنا كذلك ان اللــــه سبحانه وتعالى متكلم حقيقة بكلام مسموع هو صفة من صفاته اللائقة بكماله وجلاله، وكلامه سبحانه وتعالى قديم النوع حادث الاحاد ، وهو سبحانه وتعالى متكلـــم بحرف وصوت ، من غير تكييف او تمثيل ، ومن غير تحريف او تعطيل " ليـــــس كمثله شيء وهو السميع البصير "

بعد بيان ذلك اقول وبالله التوفيـــق •

يذهب الامام ابن جرير في معتقده في القران الكريم مذهب السلــــف، حيث يرى رحمة الله عليه ، ان القران كلام الله غير مخلوق منه بدا ، واليـــه يعود ، وقد وضح ذلك في معرض بيان عقيدته حيث يقول موضحا عقيدته فـــي القران الكريم ، بعد ان ذكر اهم مسائل العقيدة التى اختلف فيها السلــــف وخصومهم ، من اهل التعطيل ، والتمثيل والتاويل : " فاول ما نبدا بالقول فيـــه من ذلك عندنا القران الكريم انه كلام الله وتنزيله اذ كان من معاني توحيـده ،

فالصواب من القول فى ذلك عندنا ، انه كلام الله غير مخلوق كيف كتب ، وحيث تلي ، وفى اى موضع قرئ ، فى السماء وجد ، وفى الارض حفظ ، فى اللوح المحفوظ كان مكتوبا ، اوفى الواح صبيان الكتاتيب مرسوما ، فى حجر نقش ، اوفى ورق خط ، اوفى القلب حفظ اوباللسان لفظ ، يقول الله عزوجل " بل هو قران مجيد فى لوح محفوظ " (١) وقال عزوجل " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله " (٢) فاخبر انه فى اللوح المحفوظ مكتوب ، وانه من لسان محمد صلى الله عليه وسلم مسموع ، وهو قران واحد ، من محمد مسموع ، وفى اللوح المحفوظ مكتوب ، وكذلك هو فى الصدر محفوظ ، وبالسن الشيوخ والشبان متلو " (٣) .

هذا وقد فسر الامام ابن جرير بعض الايات القرانية التى تتضمن الحديث عن القران بما يوافق مذهب السلف فى الاثبات ، ويخالف الجهمية والمعتزلة فيما ذهبوا اليه . ومن بين هذه الايات التى اعتبرها دليلا على القول بان القران غير مخلوق كما راينا سابقا قوله تعالى " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله " يقول فى تفسير هذه الاية " وان استامنك يا محمد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم احد ليسمع كلام الله منك ، وهو القران الذى انزله الله عليك ، فامنه حتى يسمع كلام اللهوتتلوه عليه" (٤) .

وقال فى تفسير قول الله تعالى " وما هو بقول شيطان رجيم " (٥) " وما

---

(١) سورة البروج ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) سورة التوبه ٦ .

(٣) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٣ ـ ١٦٤ . وانظر شرح السنن حـ ١ ص ١٨١ مجموع الفتاوى حـ ٦ ص ١٨٧ .

(٤) جامع البيان حـ ١٠ ص ٧٩ .

(٥) سورة التكوير ٢٥ .

هـــذا القران بقول شيطان ملعون مطرود ، ولكنه كلام الله ووحيه " (١)

واستشهد الامام ابن جرير لصحة ما ذهب اليه بقول طائفة من ائمـــة السلف • فقد روى بسنده عن معاوية بن عمار الداهني قال قلت لجعفـــر ابن محمد رضي الله عنهما انهم يتساءلون القران مخلوق او خالق فقـــال انه ليس بخالق ، ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله عز وجل " (٢)

وروى بسنده كذلك عن عمرو بن دينار قال ادركت مشائخنا منذ سبعين سنة يقولون القران كلام الله منه بدا واليه يعود " (٣)

وقد رفض الامام ابن جرير بشدة ان ينسب اليه احد من الناس غير هـــذا الاعتقاد السلفى • فى وقت كان النزاع فيه على اشده بين السلف واصحـــاب الكلام • وتبـــرا رحمة الله عليه من كل قول او معتقد غير معتقدة السلفـــى الذى ذكره فى بيان عقيدته فى مسالة القران الكريم ، حيث يقول فى ذلـــك " فمن روى علينا اوحكى عنا اوتقول علينا فادعى انا قلنا غير ذلك فعليـــه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة والناس اجمعين ، لا قبل الله منـــه صرفا ولا عدلا ، وهتك ستره وفضحه على رؤوس الاشهاد ــ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار " (٤)

---

(١) المصدر نفسه حـ ٣٠ ص ٨٣ وانظر حول هذا الموضوع حـ١٥ ص٢٣٣ ، حـ ١٨ ص ١٤٣ •

(٢) اخرجه الامام ابن جرير فى عقيدته ل ١٦٤ ، والبخارى فى خلق افعـــال العباد ص ٨ ، والبيهقى فى الاسماء والصفات ص ٢٤٧ • واللالكائـــى فى السنن حـ ١ ص٢٣٦ ، وعبد الله بن احمد فى السنه ص ٢٣ •

(٣) اخرجه ابن جرير فى عقيدته ، والبخارى فى خلق افعال العباد ص١١٧ واللالكائى فى السنن حـ ١ ص ٢٢٧ ، والحافظ عبد الغنى المقدســـي فى عقيدته ضمن المجموعة العلمية السعودية ص ٣٢ •

(٤) سورة غافر ٥٢ ، عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٤ •

فالامام ابن جرير بعد ان بين معتقده فى القران الكريم ، ودلل على صحته بالايات القرانية ، واقوال اهل العلم ، شرع فى بيان موقفه من الجهمية والمعتزلة . حيث يرى ان من يقول بان القران مخلوق كيف كتب ، وكيف تلى ، وفى اى موضع قرئ ، فى السماء وجد ، وفى الارض حفظ فى اللوح المحفوظ كان مكتوبا ، وفى الواح صبيان الكتاتيب كان مرسوما فى حجر نقش ، او فى ورق خط ، فى القلب حفظ ، او باللسان لفظ ، ان كان معتقدا ذلك بقلبه ، او اضمره فى نفسه وقاله بلسانه دانيا به فهو بالله كافر حلال الدم ، وبرئ من الله ، والله برئ منه . وكذلك حكم من زعم ان قرانا فى الارض او فى السماء سوى القران الذى نتلوه بالسنتنا ، ونكتبه فى مصاحفنا ، ان اعتقد ذلك بقلبه او اضمره فى نفسه وقال به بلسانه دانيا الله به فهو كافر حلال الدم كذلك ، والله برئ منه . (١)

وحين ساله ابوبكر بن كامل عمن سبقه الى تكفير اهل الاهواء ، فقال سبقنى امامان عادلان عبد الرحمن بن مهدى ، وسعيد بن القطان (٢) .

بعد ان بينا ان الامام ابن جرير خالف مذهب الجهمية والمعتزلة والرافضة فى القول بخلق القران ، وحكم على القائلين به ان كانوا معتقدين ذلك بقلوبهم بالكفر ، واستحلال دماءهم ، نبين ان الامام ابن جرير خالفهم كذلك فى الادلة التى اعتبروها دليلا على صحة ما ذهبوا اليه .

فقد ذكرنا ان من بين الادلة التى اعتمدوا عليها قول الله تعالى " ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث " وقوله تعالى " انا جعلناه قرانا عربيا " فقد بين رحمة الله عليه ان الاية الاولى ليس المراد منها ان القران

---

(١) انظر عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٣ .

(٢) انظر معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨٣ .

نفسه محدث ، انما اراد بالمحدث التنزيل .

يقول الامام ابن جرير فى تفسير الاية الاولى " يقول تعالى ذكره ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القران للناس، ويذكرهم به ، يعظهم الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم " (١) ويقول فى تفسير قوله تعالى " انا جعلناه قرانا عربيا " (انا انزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب)(٢)

من خلال ما تقدم نلاحظ فى دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف فى هذا المقام ما يلي :

(١) خالف الامام ابن جرير المعتزلة والجهمية والرافضة ومن سار على نهجهم في قولهم ان كلام الله مخلوق ، وايد مذهب السلف في ذلك واثبت ان الكلام صفة من صفات الله اللائقة بكماله وجلاله ، وان كلامه سبحانه وتعالى قديم النوع حادث الاحاد ، وانه سبحانه وتعالى متكلم حقيقة بكلام مسموع بحرف وصوت دون تشبيه ، واستدل على ذلك بادلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، واقوال اهل العلم من الصحابة والتابعين ، والادلة العقلية التى تشهد لصحة ما ذهب اليه .

(٢) خالف الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم القائلين بخلق القران واثبت ان القران كلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه يعود ، واستدل على صحة ما ذهب اليه بادلة من الكتاب والسنة واقوال بعض ائمة السلف ، وايد مذهبهم فى ذلك .

(٣) خالف المعتزلة فى تفسير الايات التى استدلوا بها على بدعتهم وبين ان المقصود منها خلاف ما راموه من معنى ، وايد تفسير السلف لهما

(٤) تبرا من كل قول او اعتقاد نسب اليه يخالف عقيدة السلف مما يؤكد لنا براءته من التهم التى الصقها به اعداؤه كتهمة التشيع مثلا .

---

(١) جامع البيان حـ ١٧ ص ٢٧ ، وقد رأى الامام أحمد أن التنزيل هو المحدث انظر الاعتقاد ص ٣٤ ــ ٣٥

(٢) جامع البيان حـ ٢٥ ص ٤٥

(٥) حكم بتكفير كل من يقول بخلق القران ان كان يعتقد ذلك واستحل دمه.

ولا ريب أن تاييد الامام ابن جرير لمذهب السلف ، وموافقته لهم فيما ذهبو اليه في الاثبات ، ومخالفته للجهمية والمعتزلة وغيرهم في صفة الكلام ، وفي بدعة القول بخلق القرآن هو دفاع عن عقيدة السلف من جهة ، وتأكيد لها من جهة ثانية.

هذا وقد حكم الامام الدارمي على الجهمية والمعتزلة بالكفر لقولهم بخلق القرآن ، حيث يقول في ذلك : " اما من الكتاب فما اخبر الله عز وجل عن مشركي قريش من تكذيبهم بالقران ، فكان من اشد ما اخبر عنهم من التكذيب بالقرآن انهم قالوا " هو مخلوق " كما قالت الجهمية سواء قال الوحيد وهو الوليد بن المغيرة المخزومي " ان هذا الاقول البشر " (١) وهذا قول جهم ان هذا الا مخلوق ، وكذلك قول من يقول بقوله ، وقول من قال " ان هذا الا افك افتراه " (٢) و " ان هذا الا اساطير الاولين " (٣) و " ان هذا الا اختلاق " (٤) معناهم في جميع ذلك ومعنى جهم في قوله يرجعان الى انه مخلوق ليس بينهما فيه من البون كفر زابره ، ولا قيس شعرة ، فبهذا نكفرهم كما اكفر الله به ائمتهم من قريش " (٥)

فالامام الدارمي يرى ان صريح مذهبهم هو القول بخلق القران لذلك سواهم في هذا القول بكفار قريش .. وقد رد الامام ابن قتيبة على استدلال المعتزلة والجهمية بالايتين السالفتين حيث قال " انا جعلناه

---

(١) سورة المدثر ٢٥.

(٢) سورة الفرقان ٤.

(٣) سورة المؤمنون ٨٣.

(٤) سورة ص ٧.

(٥) الرد على الجهمية ص ٩٣ ـ ٩٤.

قرانا عربيا " فان الجعل يكون بمعنيين احدهما خلق ، والاخر غير خلق ، فاما الموضع الذى يكون فيه خلقا ، فاذا رايته متعديا الى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله " خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور" (١) فهذا بمعنى خلق ... واما الموضع الذى يكون فيه غير الخلق فاذا رايته متعديا الى مفعولين كقوله " وقد جعلتم الله عليكم كفيلا " (٢) اى صيرتم وكقوله " فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها " (٣) ..فان هم وجدوا فى القران كله (جعل) متعدية الى القران وحده ليقضوا عليه بالخلق فنحن نتابعهم ، وكذلك المحدث ليس هو فى موضع بمعنى مخلوق ، فان انكروا ذلك فليقولوا فى قول الله " لعل الله يحدث بعد ذلك امرا " (٤) انه يخلق ... كذلك قوله " ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث " اى ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك." (٥)

ويقول الامام ابو الحسن الاشعرى فى معرض رده على المعتزلة : " فلو كان القران مخلوقا لوجب ان يقول له كن فيكون ، ولو كان الله عزوجل قائلا للقول كن ، كان للقول قولا ، وهذا يوجب احد امرين :ـ
اما ان يؤول الامر الى ان قول الله غير مخلوق ، او يكون كل قول واقع يقول لا الى غاية وذلك محال . واذا استحال ذلك صح وثبت ان لله عزوجل قولا غير مخلوق " (٦) . ويقول الاجرى " من زعم ان القران مخلوق

---

(١) سورة الانعام ١.
(٢) سورة النحل ٩١.
(٣) سورة البقرة ٦٦.
(٤) سورة الطلاق ١.
(٥) الاختلاف فى اللفظ ضمن عقائد السلف ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٦) الابانه للاشعرى ص ٢٢ . وانظر اللمع له ص ٣٣ ـ ٣٥. الاعتقاد للبيهقي ص ٣٢ ـ ٣٣.

فقد زعم ان الله عز وجل مخلوق . يقول الله عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم ، فالرحمن لا يكون مخلوقا ، والرحيم لا يكون مخلوقا ، والله لا يكون مخلوقا "(١) .

بعد ذلك نقول : أن ائمة السلف ومن بينهم الامام ابن جرير - يرون ان القران الذى بين ايدينا هو كلام الله تعالى غير مخلوق ، منه بدا - اى هو المتكلم به ابتداء لم يخلقه فى غيره ، واليه يعود ؛ اى انه يسرى به حتى لا يبقى فى المصحف منه حرف ، ولا فى القلوب منه اية ، وقد تكلم الله سبحانه وتعالى بلفظه ومعناه بصوت نفسه قال تعالى " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله " فبين ان الكلام المسموع هو كلام الله تعالى ، وقد سمعه النبى صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام الذى سمعه من الله عز وجل ، ونزل به اليه ، واسمعه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لاصحابه ، وهو الذى نتلوه نحن بالسنتنا كما قال عليه الصلاة والسلام " زينوا القران باصواتكم "(٢) وهو الذى ما بين الدفتين وما فى صدورنا مسموعا ومكتوبا كله كلام الله غير مخلوق .(٣) .

والله سبحانه وتعالى هو المتكلم بالقران والتوراة والانجيل ، وغير ذلك من كلامه ، بكلام لم يكن قديما بقدم الله تبارك وتعالى ، وان كان جنس كلامه

---

(١) الشريعة للاجرى ص ٧٨ .

(٢) اخرجه البخارى فى الصحيح جـ ٤ ص ٢١٦ ، وابو داود فى سننه جـ ٢ ص٧٤ ، واحمد فى المسند جـ ٤ ص٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، وابن ماجه فى سننه جـ ١ ص ٤٢٦ ، والدارمي فى سننه جـ ٢ ص٤٧٤ .

(٣) انظر خلق افعال العباد ص ٧ ، ومذهب السلف القويم ضمن الرسائل والمسائل جـ ٣ ص ٢١ ، ٢٣ ، ٤٥ .

سبحانه وتعالى قديما غير مخلوق ، ولا منفصل عنه ، وهو سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته وقدرته ، متى شاء ، وكيف شاء ، ويرون كذلك ان القرا ، اذا قراوا القران فانهم يقراونه بأصوات انفسهم لا بصوت الله ، والكلام المسموع منهم هو كلام الله لا كلام القارى ، فالكلام كلام البارى ، والصوت صوت القارى .

يقول الامام احمد " نقول ان القران كلام الله غير مخلوق حيث تصرف ، اى حيث تلي وكتب وقرئ ، مما هو فى نفس الامر كلام الله فهو كلامه ، وكلامه غير مخلوق . وما كان من صفات العباد وافعالهم التى يقراون ويكتبون بها كلامه ، كاصواتهم ومدادهم فهو مخلوق ، ولهذا من لم يهتد الى هذا الفرق يحار ، فانه معلوم ان القران واحد ، ويقرؤه خلق كثير . والقران لا يكثر فى نفسه بكثرة قراءة القراء ، وانما يكثر ما يقراون به القران ، فما يكثر ويحدث فى العباد فهو مخلوق ، والقران نفسه لفظه ومعناه الذى تكلم به وسمعه جبريل من الله ، وسمعه محمد من جبريل ، وبلغه محمد الى الناس ، وانذر به الامم لقوله " لانذركم به ومن بلغ " (١) قران واحد ، وهو كلام الله ليس بمخلوق " (٢) .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية " السلف قالوا القران كلام الله منزل غير مخلوق ، وقالوا لم يزل متكلما اذا شاء ، فبينوا ان كلام الله قديم ، اى جنسه قديم لم يزل ، ولم يقل احد منهم ان نفس الكلام المعين قديم ، ولا قال احد منهم القران قديم ، بل قالوا انه كلام الله منزل غير مخلوق ، واذا كان الله تكلم بالقران بمشيئته كان القران كلامه ، وكان منزلا منه غير مخلوق ولم يكن مع ذلك ازليا قديما بقدم الله ، وان كان الله متكلما اذا شاء فجنس كلامه قديم " (٣) ويقول ايضا : " فان القران كلام الله تكلم به

---

(١) سورة الانعام ١٩ .

(٢) نقلا عن مجموع الفتاوى حـ ١٢ ص ٧٥ .

(٣) المصدر نفسه حـ ١٢ ص ٥٤ .

بلفظه ومعناه بصوت نفسه فاذا قراه القراء قراوه باصوات انفسهم ، فاذا قال القارئ " الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم "(١) كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه ، وكان هو قراه بصوت نفسه لا بصوت الله ، فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " زينوا القران باصواتكم "(٢) .

اما عن تكفير الامام ابن جرير للقائلين بخلق القران ، فهو بلا شك امام متبع لائمة السلف الذين سبقوه الى تكفيرهم ، فقد كفرهم قبله ائمة اجلاء ، كالامام ابى حنيفة ومالك ، والشافعي واحمد وعبد الله بن المبارك والبخارى وغيرهم من ائمة وعلماء السلف.

وينبغى ان نشير الى نقطة مهمة فى هذا البحث وهى : ان التكفير العام جائز القول باطلاقه وعمومه ، اما الحكم على شخص معين بانه كافر او مشهود له بالنار ، فهذا يقف على الدليل المعين ، فان الحكم يقف على ثبوت شروطه ، وانتفاء موانعه . وقد بين الامام احمد رحمة الله عليه ان التكفير له شروط وموانع قد تنتفى فى حق المعين ، وان تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين الا اذا وجدت الشروط ، وانتفت الموانع ، فالسلف لم يكفروا اكثر من تكلم بهذا الكلام " وهو القول بخلق القران " بعينه .(٣)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية موضحا هذه القضية توضيحا شافيا :

" واما التكفير ، فالصواب انه من اجتهد من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقصد الحق فاخطا لم يكفر ، بل يغفر له خطاه ، ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، واتبع غير سبيل

---

(١) سورة الفاتحة ١ ـ ٢ .

(٢) المصدر نفسه جـ ١٢ ص ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه جـ ١٢ ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

المؤمنين فهو كافر ، ومن اتبع هواه ، وقصر فى طلب الحق ، وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقا ، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته ، فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص ، فليس كل مخطىء ولا مبتدع ، ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا ، بل ولا فاسقا ، بل ولا عاصيا ، لا سيما فى مثل مسالة القران ، وقد غلط فيها خلق من ائمة الطوائف المعروفين عند الناس بالعلم والدين وغالبهم يقصد وجها من الحق فيتبعه ، ويعزب عنه وجه اخر لا يحققه فيبقى عارفا ببعض الحق جاهلا ببعضه ، بل منكرا له ." (١)

ولا ريب ان هذا التفصيل الجميل الذى ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية فى التكفير هو الذى ترتاح اليه النفوس ، وتميل اليه القلوب ، وهو المذهب الحق باذن الله تعالى ـ وهو الاولى بالاتباع . والله سبحانه وتعالى اعلم .

موقف الامام ابن جرير من مسالة الفاظ العباد بالقران

يرى الامام ابن جرير نسبة كل من يقول لفظى بالقران مخلوق الى الجهمية ، وكل من يقول لفظى بالقران غير مخلوق الى المشبهة . اقتداء بقول امام اهل السنة والجماعة الامام احمد رحمة الله عليه فى ذلك .

ويرى الامام ابن جرير كذلك ان القول بهذه المسالة لم يكن معروفا فى زمن الصحابة والتابعين ، لانه لا يوجد اثر ـ على حد علمه ـ عن واحد منهم بالحكم على من يقول لفظى بالقران غير مخلوق ، او من يقول لفظى بالقران مخلوق ، الا ما صح عن الامام احمد فى ذلك ، حيث حكم على اصحاب القول الاول بانهم جهمية ، وعلى اصحاب القول الثانى بانهم مبتدعة .

---

(١) المصدر نفسه جـ ١٢ ص ١٨٠ .

يقول الامام ابن جرير " اما القول في الفاظ العباد بالقران فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ، ولا عن تابعي قضا ، الا عمن في قوله الغنى والشفا ، وفي اتباعه الرشد والهدى ، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الائمة الاولى ، الامام المرتضى ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه .

" قال ابو جعفر : اخبرنا ابو اسماعيل الترمذي قال : سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل يقول اللفظية جهمية ، يقول الله "حتى يسمع كلام الله " فممن يسمع ؟ ثم سمعت جماعة من اصحابنا لا احفظ اسماءهم يذكرون عنه انه كان يقول من قال لفظي بالقران مخلوق فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع ، ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان نقوله غير قوله ، اذ لم يكن لنا فيه امام نأتم به سواه ، وفيه الكفاية والمقنع ، وهو الامام المتبع رحمه الله " (١)

والذى يظهر لي من كلام الامام ابن جرير ما يلي :—

(١) ان القول بالفاظ العباد بالقران بدعة ظهرت على يد الجهمية والمعتزلة حيث لم تكن معروفة في عهد الصحابة والتابعين .

(٢) الالتزام التام بمذهب السلف وبخاصة اتباع امام اهل السنة والجماعة الامام احمد بن حنبل — الذى جعل الله على يده نصرة مذهب السلف في ثباته امام محنة اهل الزيغ والضلال له ولامثاله من ائمة وعلماء السلف . حين امتحنوا العلماء ، واجبروهم على القول بخلق القران . الا انه رحمة الله عليه ابى الا احدى الحسنيين اما نصر مذهب السلف وابطال كيد المعتزلة والجهمية وغيرهم ، او الشهادة في سبيل الله

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٦ — ١٦٧ .

وقد حقق الله عز وجل له ما اراد فنصر مذهب السلف واعلى شـــان المحدثيــن •

ولا ريب ان اتباع مذهب الامام احمد فى العقيدة بعامة ، وفى صفـة الكلام والقول بان القران كلام الله غير مخلوق ، واثبات الرؤية للـــه عز وجل بصفة خاصة • هو اتباع لمنهج السلف•

والامام ابن جرير واحد من ائمة السلف الذين جندوا انفسهم لخدمة العقيدة ، والدفاع عنها ، وقد سار فى منهجه فى الاثبات والدفـــاع على درب ائمة السلف ، وبخاصة الامام احمد بن حنبل ، حيث صرح كما راينا سابقا ، بانه لا يوجد امام يأتم به سوى الامام احمد ، ولا يجوز له ان يقول فى مسالة الفاظ العباد بالقران سوى قوله• لانه فى نظرة الامام المتبع وفيه الكفاية والمقنـــع•

(٣) ويظهر لى من كلام الامام ابن جرير السابق كذلك ، انه لا يجيـــز اطلاق اللفظ على القران الكريم ، فلا يقال لفظى ، او اللفظ بالقـــرا ن الكريم مخلوق اوغير مخلوق ، لان معنى اللفظ فى اللغة العربيـــة أن ترمـــى •• فى الشيء كان في فيك ، ولفظ بالشيء يلفظ لفظا أي تكلـــم ، يقول عز من قائل " ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد " (١) ولفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به • (٢) •

---

(١) سورة ق : ١٨

(٢) انظر لسان العرب حـ ٩ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ ، مختار الصحاح ص ٦٠

وقول القائل ان لفظي بالقرآن مخلوق ، يشعر بأن هذا القرآن الذى يقرؤه ويلفظ به مخلوق ،من اللفظ وهو الرمي ، لأن كلمة اللفظ فيها اجمال ، وغرض القائلين بهذا القول هو اثبات أن القرآن مخلوق ، لذلك زينوا بدعتهم بالقول لفظي بالقرآن مخلوق .

والصحيح الذى ينبغي أن يقال عن القرآن ،هو ما قاله ائمة السلف في ذلك ، وهو أن القرآن يقرأ ، ويتلى ، ويكتب ويحفظ (١) . لأن في هذا القول السلامة والعصمة من الوقوع في البدع . والله الموفق لاصابة الحق .

---

(١) انظر كتاب السنة للامام احمد ص ٢٨ ـ ٢٩ ، مقالات الاسلاميين حـ ٢ ص ٢٧١ ، الشريعة ص ٨٩ ، عقيدة السلف واصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية المجلد الاول ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، المعتمد في اصول الدين ص ٨٩ ـ ٩٠ ، مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ٤٣٨ ـ ٤٤١ المدخل الى مذهب الامام احمد لابن بدران ص ١٠ ،ابن حزم وموقفه من الالهيات ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

المبحث الثالث

صفة اليد

عرض الامام ابن جرير فى تفسيرة اراء بعض الفرق الكلامية كالجهمية والمعتزلة الذين لم يثبتوا لله عز وجل يدا ، ولم يصفوه بها كما يليق بكماله وجلاله من غير تشبيه ، بل اولوها بالنعمة مرة ، وبالقوة مرة ثانية ، وبالملك مرة ثالثة ، وقد عرض الامام ابن جرير اراءهم بصورة موجزة جريا على عادة السلف فى ذلك ـ وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : " وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت ايديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " (١) حيث يقول فى ذلك " فقال بعضهم : عنى بذلك نعمتاه ، وقال ذلك بمعنى يد الله على خلقه ، اوتلك نعمة عليهم ، وقال ان العرب تقول لك عندى يد يعنون بذلك نعمة .

وقال اخرون منهم . عنى بذلك القوة ، وقالوا ذلك نظير قوله تعالى ذكره " واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدى " (٢)
وقال اخرون منهم ، بل يده ملكه ، وقالوا معنى قوله " وقالت اليهود يد الله مغلولة " ملكه وخزائنه وقالوا وذلك كقول العرب للملوك هو ملك يمينه ، وفلان بيده عقدة نكاح فلانة اى يملك ذلك ، وكقوله تعالى ذكره . " فقدموا بين يدى نجواكم صدقة " (٣) .

والظاهر ان الامام ابن جرير يقصد باصحاب الراى الاول المعتزلة والجهمية الذين اولوا اليد بالنعمة . (٤) .

---

(١) سورة المائدة ٦٤ .
(٢) سورة ص ٤٥ .
(٣) سورة المجادلة ، جامع البيان جـ ٦ ص ٣٠١ .
(٤) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٨ ، مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٧١ ، اصول الدين ص ١١١ ـ ١١٢ ، مختصر الصواعق جـ ٢ ص ١٥٣ ، ١٦٥ .

يقول القاضي عبد الجبار : " وقد تعلقوا ايضا بقوله تعالى " بله يداه مبسوطتان " قالوا : فاثبت لنفسه اليد ، وذو اليد لا يكون الا جسما ، والاصل في الجواب عن ذلك ان اليد هاهنا بمعنى النعمة ، وذلك ظاهر في اللغة يقال لفلان علي منة؛ اى منة ونعمة" (١) .

اما الراى الثاني الذى عرضة الامام ابن جرير فانه يمثل وجهة نظر المعتزلة (٢) وبعض الاشاعرة . الذين اولوا اليد بمعنى القدرة .

يقول البغدادى " وزعم بعض القدرية ان اليد المضافة اليه بمعنى القدرة " (٣) وقال عن اصحابه من الاشاعرة : " وزعم بعض اصحابنا ان اليدين صفتان لله سبحانه وتعالى ، وقال القلانسي هما صفة واحدة ، وتأولهما بعض اصحابنا على معنى القدرة (٤) ، وقد تاول اصحابنا هذا التاويل وذلك صحيح على المذهب اذا اثبتنا لله القدرة ، وبها خلق كل شيء " (٥)

اما الراى الثالث الذى عرضة الامام ابن جرير فانه يمثل وجهة نظر بعض الاشاعرة الذين اولوا اليد بالملك (٦) .

غير ان الامام ابن جرير لم يتوجه بالنقد بصورة مباشرة لتاويلات الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم في التاويل ، بل اقتصر على مخالفتهم فيما ذهبوا اليه من التاويل والتعطيل ، باثبات هذه الصفة لله عز وجل

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٨ .

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٢٢٨ .

(٣) اصول الدين ص ١١٢ .

(٤) كالجويني والبغدادى والامدى والرازى وغيرهم ، انظر اصول الدين ص ١١١ . العقيدة النظامية ص ٢٥ ، اساس التقديس ص ١٢٥ ، غاية المرام ص ١٣٩ الاسماء والصفات ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

(٥) اصول الدين ص ١١١ .

(٦) انظر الاسماء والصفات ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

كما اثبتها تعالى لنفسه واثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تشبيه
او تكييف ، مقتديا فى ذلك بائمة السلف وعلمائهم الذين اثبتوا لله
تعالى جميع الصفات التى وصف بها تعالى ذكره نفسه ، ووصفه بها
رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تشبيه او تكييف ، وبدون تمثيل ، او تعطيل ،
ومن بين هذه الصفات صفة اليد .

ويبدوا ان عدم مناقشة الامام ابن جرير لاراء المؤولين بصورة مباشرة
راجع الى الامور التالية :-

(١) اكتفاء الامام ابن جرير بعرض راى السلف فى اثبات صفة اليد لله عز وجل على ما يليق بكماله وجلاله بعد عرض ارائهم مباشرة ، وقد تضمن راى السلف مناقشة موجزة لراى النفاة .

(٢) مخالفة المؤولين فيما ذهبوا اليه من التاويل والتعطيل ، واثبات هذه الصفة لله عز وجل كما اثبتها الله لنفسه ، واثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم والاستدلال على اثباتها بالادلة السمعية من الكتاب والسنة اقتداء بائمة وعلماء السلف فى الاثبات .

(٣) ان الخلاف فى هذه الصفة لم يكن شديدا بين السلف من جهة ، وبين النفاة والمؤولين من جهة ثانية - فى عصر الامام ابن جرير لذلك لم يعلق عليه اهمية كبيرة ، ولم يوله عناية فائقة كما فعل فى بعض الصفات التى سنتعرض لها خلال البحث ان شاء الله تعالى .

(٤) ان الامام ابن جرير لم يترك كتابا مستقلا فى العقيدة ، سوى الجزء المخطوط الذى اشرنا اليه سابقا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الامام ابن جرير حين عرض اقوال المخالفين لمذهب السلف كان بصدد بيان معانى ايات القران الكريم ولم يكن بصدد الرد على ا[illegible]

الاهواء والجدل ، اذ لم يكن غرضة ان يستقصى ادلتهم كلها ، ويرد عليها جميعها بصورة مباشرة لان ذلك يطيل الكتاب كما صرح هو نفسه فى كثير من المواطن ، وانما كان يشير احيانا فى بعض الصفات التى ناقش فيها الى ان قولهم مخالف لقول اهل الحق — وهم السلف — وان فى رده عليهم كفاية لمن وفقه الله لفهمه ، وكان يعتذر عن اطاله المناقشة وعرض كل ارائهم خوفا من اطالة الكتاب بذلك ، يقول الامام ابن جرير فى ذلك : " ولاهل هذه المقالة — يعنى المعتزلة — مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها واطالة الكتاب بها وبالجواب عنها ، اذ لم يكن قصدنا فى كتابنا هذا الكشف عن تمويهاتهم بل قصدنا فيه البيان عن تاويل اى الفرقان ، ولكنا ذكرنا ، القدر الذى ذكرنا — ليعلم الناظر فى كتابنا هذا انهم لا يرجعون من قولهم الا الى ما لبس عليهم الشيطان مما يسهل على اهل الحق البيان عن فساده وانهم لا يرجعون فى قولهم الى اية من التنزيل محكمة ، ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة ، فهم فى الظلمات يخبطون وفى العمياء يترددون ، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة " (١) .

ويقول فى موطن اخر " ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لانبانا عن فساد قول كل قائل فى ذلك قولا لقول اهل الحق مخالفا ، وفيما بينا منه ، ما يشرف بذى الفهم على ما فيه له الكفاية ان شاء الله تعالى " (٢) .

---

(١) جامع البيان جـ ٧ ص ٣٠٣ — ٣٠٤ .

(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٩٢ .

مناقشة المؤولين

ان غاية ما يذهب اليه المؤولون من تاويل صفة اليد ، وما شابهها من صفات الذات الخبرية ، كالوجه والعين واليمين ، والكف ، والاصابع ، والقبضة وغيرها من الصفات هو ان اثبات هذه الصفات على حقيقتها يقتضى التشبيه والتجسيم ، ويرون ان الادلة التى ثبتت بها هذه الصفات . وهى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، ادلة ظنية ، وما لم يقم عليها دليل عقلي - الذى هو الدليل القطعى عندهم - فلا يجوز اثباتها ، بل الواجب تاويلها ، كما ان هذه الادلة الظنية معارضة - عندهم - بالدليل القطعى وهو دليل العقل القائم على ان الله سبحانه وتعالى ليس جسما . واثبات هذه الصفات فى نظرهم يرونه تجسيما ، لذلك اولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة والقدرة ، والعين بالعلم غير ذلك من التاويلات التى طرحوها لامثال هذه الصفات (١) .

هذا وقد اثبت ائمة وعلماء السلف ومن بينهم الامام ابن جرير لله تبارك وتعالى كل الصفات التى وردت فى القران الكريم والسنة المطهرة ، ولم يفرقوا بين صفات ثبتت عن طريق العقل ، واخرى ورد بها السمع ، ولم يحصروا صفات الله تبارك وتعالى فى عدد معين ، كما فعل الاشاعرة مثلا ،

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " حصر الصفات فى ثمانية وان كان يقول به بعض المثبتين من الاشعرية ونحوهم ، فالصواب عند جماهير المثبتة ، وائمة الاشعرية ، ان الصفات لا تنحصر فى ثمانية بل لا يحصرها العباد فى عدد " (٢) .

---

(١) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٦ - ٢٢٩ .

(٢) منهاج السنة جـ ١ ص ٣١٧ .

وراوا انه يجب اثبات كل ما اثبته الله عز وجل لنفسه من اسماء وصفات، وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الاسماء والصفات، بما يليق بكماله تعالى ذكره وجلاله، وقرروا ان الرب سبحانه وتعالى مستحق للكمال المطلق على وجه التفصيل كما اخبرت بذلك رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لذلك فان كل ما اتصف به المخلوق من كمال، فالله سبحانه وتعالى اولى به، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق اولى بالتنزيه عنه، والكمال الذى استفادة المخلوق انما استفاده من خالقه لذلك فالله سبحانه وتعالى اولى ان يوصف به.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك : " ان كل كمال ثبت للمكن او المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو ما كان كمالا للموجود غير مستلزم للعدم - فالواجب القديم اولى به، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المملول المدبر، فانما استفادة من خالقه ومدبره، فهو احق به" (١).

كما ذهب ائمة وعلماء السلف الى ان اثبات الصفات لله عز وجل ومن بينها الصفات الخبرية لا يقتضى ذلك مماثلة صفات الله تعالى لصفات المخلوقين، وبالتالى مماثلته سبحانه وتعالى ومشابهته للمخلوقين، وقد اشار الامام ابن جرير الى هذا المعنى بقوله : " ... فاذا كان ذلك كذلك، وكان لله جل ذكره اسماء قد حرم على خلقه ان يتسموا بها، خص بها نفسه دونهم وذلك مثل الله، والرحمن، والخالق، واسماء اباح لهم ان يسمى بعضهم بعضا بها، وذلك كالرحيم، والسميع والبصير والكريم، كان الواجب ان يقدم اسماءه التى هي له خاصة دون جميع خلقة،

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول حـ ١ ص ١٤، ١٥.

ليعرف السامع ذلك من توجه اليه الحمد والتمجيد ، ثم يتبع ذلك باسمائه التى قد تسمى بها غيره بعد علم المخاطب او السامع من توجه اليه ما يتلو ذلك من المعانى ... الى ان يقول ـ واما اسمه الذى هو الرحيم فقد ذكرنا انه مما هو جائز وصف غيره به ، والرحمة من صفاته جل ذكره" (١) .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية موضحا مذهب السلف فى هذه القضية ، " كما يجب تنزيه الرب عن كل نقص وعيب ، يجب تنزيهه عن ان يماثله شئ من المخلوقات فى شئ من صفات الكمال الثابته له ...

فالنقائص جنسها منفى عن الله تعالى ، وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التى يجب تنزيه الرب عنها ، بخلاف ما يوصف به الرب ، ويوصف به العبد بما يليق به مثل العلم ، والقدرة ، والرحمة ونحو ذلك ، فان هذه ليست نقائص ، بل ما يثبت لله تعالى من هذه المعانى فانه يثبت لله على وجه لا يقاربه فيه احد من المخلوقات ، فضلا عن ان يماثله فيه ... وقد سمى الله نفسه حليما سميعا بصيرا ... وسمى بعض المخلوقات بهذه الاسماء ، مع العلم انه ليس المسمى بهذه الاسماء من المخلوقين مماثلا للخالق ـ جل جلاله ـ فى شئ من الاشياء "(٢).

ويقول فى موطن اخر : " فمن المعلوم ان ما يتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال مباين لصفات خلقه اعظم من مباينة مخلوق لمخلوق " (٣) .

وقد استدل ائمة وعلماء السلف بادلة من السمع والعقل على نفى مماثلة صفات الله عزوجل لصفات المخلوقين ، تعرضنا للحديث عن بعضها فيما

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) تفسير سورة الاخلاص ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٣) منهاج السنة حـ ١ ص ٢٤٩ .

سبق ، ونضيف اليها استدلال شيخ الاسلام ابن تيمية حيث يقول : " فهو يعني الله تعالى ـ منزه عن النقص ، وعن مساواة شيء من الاشياء له في صفات الكمال بل هذه المساواة من النقص ايضا ، وذلك لان المتماثلين يجوز على احدهما ما يجوز على الاخر ، ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، فلو قدر انه ماثل شيئا من الاشياء للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع على ذلك الشيء ، وكل ما سواه ممكن قابل للعدم ، بل معدوم ـ مفتقر الى فاعل ـ مصنوع مربوب محدث ، فلو ماثل غيره في شيء من الاشياء للزم ان يكون هو والشيء الذى ماثله فيه ممكنا قابلا للعدم ، بل معدوما ، مفتقرا الى فاعل ، مصنوعا ، مربوبا محدثا " (١) .

ويرى ائمة وعلماء السلف . انه لما كان الله عز وجل لا يشبه المخلوقات لا في ذاته ، ولا في صفاته باى وجه من وجوه المشابهة ، ولما وجب ان يتصف سبحانه وتعالى بكل صفات الكمال وان ينزه عن كل صفات العيب والنقصان ، فانه يجب اثبات كل الصفات الواردة في الكتاب والسنة لله تعالى بدون تشبيه ، او بعبارة ثانية اثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ، وقالوا لا بد من اجراء الصفات على ظاهرها ، وحملها على الحقيقة لا المجازه مخالفين في ذلك ائمة التعطيل والتاويل من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " ومذهب سلف الامة وائمتها ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما اثبته

---

(١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٦٠ .

من الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الامثال ، وينزهونه عن النقص والتعطيل ، ومن التشبيه والتمثيل ، اثبات بلا تعطيل ، " ليس كمثله شيء " رد على الممثلة " وهو السميع البصير " رد على المعطلة ومن جمل صفات الخالق مثل صفات المخلوق ، فهو المشبه المبطل المذموم " (١) .

فسلف الامة رضوان الله عليهم ، وائمتهم وعلماؤهم وسط فى اثبات الصفات بين المشبهة الذين يشبهون صفاته سبحانه بصفات خلقه ، والمعطلة الذين ينفون صفاته اويؤولونها من الحقيقة الى المجاز ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " ان الفرقة الناجية ، اهل السنة والجماعة ، يؤمنون بما اخبر به فى كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل هم الوسط فى فرق الامة ، كما ان الامة هى الوسط فى الامم ، فهم وسط فى باب صفات الله تعالى ، بين اهل التعطيل الجهمية ، واهل التمثيل المشبهة " (٢) .

ويقول العلامة ابن القيم : " ان الله ليس كمثله شيء لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ولا فى افعاله ، فالعارفون بالله ، المصدقون لرسله ، المقرون بكماله يثبتون له الاسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الاثبات ونفى التشبيه ، وبين التنزية وعدم التعطيل ، فمذهبهم حسنة بين سيئتين ، وهدى بين ضلالتين " (٣) .

---

(١) منهاج السنة جـ ١ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
(٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ١ ص ٤٠٠ .
(٣) مدارج السالكين جـ ٣ ص ٣٥٩ .

من خلال ما تقدم نلاحظ ان ائمة وعلماء السلف انكروا على المؤولين تاويلهم لايات الصفات واحاديثها ، وصرفها عن حقيقتها وظاهرها الى المجاز بحجة ان اثباتها لله سبحانه وتعالى يقتضي تشبيهه بخلقه ، فقد بينوا ان الله سبحانه وتعالى هو الذى اباح لخلقه ان يتسموا ببعض اسمائه وبعض صفاته ، كما بينوا كذلك ان الاشتراك فى الاسماء لا يقتضى المماثلة او التشبيه ، لان صفات الله عز وجل تليق بجلاله وكماله ، وصفات المخلوقين تناسب حالهم وفقرهم ، وفناءهم ، فكما ان ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين .

هذا وقد ناقش علماء السلف شبهة المؤولين الذين زعموا ان اثبات الصفات واجراءها على ظاهرها يستلزم التشبيه والتجسيم ، وبين علماء السلف ان هذه الشبهة لا تقوم على اساس صحيح ، لان اثبات الصفات واجراءها على ظاهرها وعدم صرف معانيها من الحقيقة الى المجاز هو مذهب سلف الامة من الصحابه والتابعين وتابعيهم وان اثباتها لا يقتضى التشبيه ولا يستلزم التجسيم ، لان صفات الله عز وجل كذاته ، فكما ان ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ، وقد جاءت هذه المناقشة على لسان شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه المحقق ابن القيم الجوزى ، فى معرض ردهما على المؤولين الذين اثبتوا صفات المعانى ولم يثبتوا الصفات الخبرية بحجة ان اثباتها لله عز وجل يقتضى التشبيه والتجسيم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " قال ابو عمر بن عبد البر: اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها فى القران والسنة والايمان

بهـا • وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، الا انهم لا يكيفون شيئا مـن ذلك " (١)

وروى كذلك ان ابا يعلى الحنبلي قال : " لا يجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتاويلها ، والواجب حملها على ظاهرها ، وانها صفات الله لا تشبه بسائر الموصوفين بها ، ولا يعتقد التشبيه فيها ••• ويدل على ابطال التاويل ان الصحابه ومن بعدهم من التابعـين حملوها على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتاويلها وصرفها عن ظاهرها، ولو كان التاويل سائغا لكانـوا اليه اسبق ، لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة" (٢) •

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية أيضاً : " ان صفاتنا منها ما هى أعيان واجسام ، وهى أبعاض لنا كالوجه واليد ، ومنها ما هو معان واعـراض قائمة بنا كالسمع والبصر والكلام والعلم والارادة • ثم ان من المعلوم ان الـرب لما وصف نفسه بانه حي عليم قدير ، لم يقل المسلمون ان ظاهر هـذا غير مراد ، لان مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه فى حقنا فكذلك لما وصف بانه خلق ادم بيده لم يوجب ذلك ان يكون ظاهره غير مراد لان مفهـوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا ، بل صفة الموصوف تناسبه ، فاذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقـين ، فصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين "(٣)

ويقول كذلك : " ومن الناس من يجريها " الصفات " على ظاهرهـا اللائق بجلال الله كما يجرى اسم العليم ، والقدير ، والرب والالـه ، والموجود والذات ، ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله ، فان ظواهر هـذه

---

(١) الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ١ ص ٤٥٣ •
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ •
(٣) التدمرية ص ٥٠ •

الصفات فى حق المخلوق اما جوهــــر واما عرض ، فالعلم والقدرة والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك فى حق العبد اعراض ، والوجه واليـــــد والعــين فى حقه اجسام فاذا كان الله موصوفا عند عامة اهل الاثبات بأ ن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم يكن ذلك عرضا ، يجوز عليه ما يجــــوز على صفات المخلوقـــين جاز ان يكون وجه الله ويداه ليست اجساما ، يجوز علـيها ما يجوز على صفات المخلوقـين ، وكما ان ذات الله ثابته حقيقـــة من غير ان تكون من جنس المخلوقات فكذلك الصفات كالذات ... فمـــن قال لا اعقل علما ويدا الا من جنس العلم واليد المعهودتـين قيل لـــــه : فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقـين .

ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته ، فمــن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء الا ما يناسب المخلوق فقـــد ضل فى عقله ودينـــه " (١) .

ويقول العلامة ابن القيم فى معرض مناقشة من اثبت صفات المعانـــى ونفى الصفات الخبرية : " فما الذى سوغ لك تاويل بعضها دون بعـض ؟ وما الفرق بين ما اثبتها وما نفيتهـا من جهـــة السمع او الـعقـــل ، ودلالة النصوص على ان له سمعا وبصـيرا ، وعلما وقدرة وحياة وكلاما ، كدلالتها على أن له محبة ، ورحمة ، وغضبا ، ورضا ، وفرحا وضحكا ووجها ويديـن ؟ فدلالة النصوص على ذلك سواء ، فلم نفيـت حقيقة رحمته ومحبته ورضاه وغضبه ، وفرحه وضحكه ، واولتها بنفس الارادة ، فان قلت ان اثبات الارادة والمشيئة لا يستلزم تشبيها وتجسيما ، واثبات حقائق هذه الصفات يستلزم التشبيـــه والتجسـيم ، فانها لا تعقل الا فى الاجسام » فان الرحمة رقة تعتـــرى

---

(١) الحموية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى حـ ١ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ .

طبيعة الحيوان ، والمحبة ميـل النفس لجلب ما ينفعها ، والغضب غليان د م القلب لورود ما يرد عليه .

قيل لك ، وكذلك الارادة هى ميل النفس الى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها وكذلك جميع ما اثبته من الصفات انما هى اعراض قائمة بالاجسام فى الشاهد ، فان العلم انطباع صورة المعلوم فى نفس العالم ، او صفة عرضية قائمة بـه ، وكذلك السمع والبصر والحياة اعراض قائمة بالموصوف ، فكيف لزم التشبيـه والتجسيم من اثبات تلك الصفات ، ولم يلزم من هذه " (١) .

اما قولهم ان هذه الاحاديث اخبار احاد لا يحتج بها لانها تعارض دليل العقل القطعي ، بان الله ليس جسما ، فقد بينا فيما سبق ان اثبات الصفات لله عز وجل على ظاهرها وحقيقتها لا يلزم منه التشبيه والتجسيم . أما رفضهم لاحاديث الاحاد وعدم الاحتجاج بها فى أمور العقيدة ، فـلا نوافقهم عليه ، للاسباب التاليـة :-

(١) ان عدم الاخذ بخبر الواحد قضية خطيرة والقول بها مرفوض تماما ، لانه قول مبتدع لم يقل به احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او التابعيـن لهم باحسان .

(٢) يلزم من هذا القول الخاطئ رد مئات الاحاديث الصحيحة الثابتـة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد انها لم تتواتـر .

(٣) ان التواتر ليس شرطا لصحة الاستدلال بالحديث ، لان المهم فـى الاستدلال هو صحة ثبوت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح الحديث وجب علينا العمل به اعتقادا اوتشريعا .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة حـ ١ ص ٢٣ .

وفي هذا المعنى يقول الامام ابن جرير رحمة الله عليه . " وليس لاحد مع قوله الذى يصح عنه قول " ويقول ايضا ، والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى من التسليم لغيره "

هذا وقد تناول الامام ابن القيم هذه القضية بالبحث والتمحيص ، وفصل القول في الرد على زعم المرء ولبين الباطل من وجوه كثيرة ، ومن اراد المزيد فعليه بمراجعة كتاب مختصر الصواعق المرسلة للامام ابن القيم . (١) .

رأى الامام ابن جرير فى اثبات صفة اليد لله عز وجل

وجلاله

يثبت الامام ابن جرير صفةاليد لله عز وجل على ما يليق بكماله وجلاله مقتفيا في ذلك طريق ائمة السلف في الاثبات . وقد جاء معتقده في اثبات صفة اليد لله عز وجل في مواطن كثيرة من تفسيرة ، وذلك في معرض تفسيره لكثير من الايات المتضمنة لاثبات اليد ، واليدين لله عز وجل حقيقة بدون تشبيه ، وقد عبر عن معتقده هذا في الاثبات في كتابه التبصر في معالم الدين حيث يقول " القول فيما ادرك علمه من الصفات خبرا ، وذلك نحو اخباره عز وجل انه سميع بصير ، وان له يدين بقوله " بل يداه مبسوطتان " الى ان يقول - وان له اصبعا بقول رسوله صلى الله عليه وسلم " ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن (٢) فان هذه المعاني التى وصفت ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله ما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية ، لا نكفر بالجهل بها احدا الا بعد انتهائها اليه (٣) .

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة جـ ٢ ص ٣٩٤ وما بعدها هذا وقد افرد الشيخ الالباني رسالة بعنوان وجوب الاخذ بخبر الواحد .

(٢) اخرجه احمد في المسند عن النواس بن سمعان جـ ٤ ص ١٨٢ ، وابن ماجه في المقدمة ص ١١٢ ، والحاكم في المستدرك جـ ٤ ص ٣٢١ .

(٣) مختصر العلو ص ٢٢٤ نقلا عن ابطال التأويل لابي يعلى .

فى هذا النص نلاحظ ان الامام ابن جرير يثبت صفة اليدين للـــه عزوجل ، ويعتبرها من الصفات الخبرية التى لا يجوز ان يكفر احد بها بسبب الجهل الا بعد انتهائها اليه ــ كما نلاحظ انه يثبت لله عزوجل ما اثبتـــه لنفسه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويصف الله بما وصف به تعالـــى ذكره نفسه ، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد فسر الامام ابن جرير كثيرا من الايات القرانية الكريمة الـتى تضمنت اثبات صفة اليد لله عزوجل بما يوافق مذهب السلف فى الاثبـــات . ومن بين هذه الايات القرانية التى فسرها فى اثبات صفة اليد لله عـــز وجل نذكر ما يلــــي :

(١) قال فى تفسير قوله تعالى " قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لمـــا خلقت بيـــدى "(١) " يقول اى شيء منعك من السجود لمـــا خلقت بيدى ، يقول لخلق يدى . يخبر الله تعالى ذكره بذلـــك انه خلق ادم بيديـــه "(٢) .

(٢) وقال فى تفسير قوله تعالى " قل ان الفضل بيد الله يؤتيه مـــن يشـــاء "(٣) " قل لهم ليس ذلك اليكم انما هو الى الله الـذى بيده الاشياء كلها واليه الفضل ، وبيده يعطيه من يشاء "(٤) .

(٣) وقال فى تفسيـــر قوله تعالى : " وقالت اليهود يد الله مغلولـــة ، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء "(٥) " وقالت اليهود من بنى اسرائيل يد الله مغلولة يعنون ان خيـــره

---

(١) سورة ص ٧٥ .

(٢) جامع البيان حـ ٢٣ ص ١٨٥ .

(٣) سورة ال عمران ٧٤ .

(٤) المصدر نفسه حـ ٣ ص ٣١٦ .

(٥) سورة المائدة ٦٤ .

ممسك ، وعطاءكا محبوس عن الاتساع عليهم ، كما قال تعالى ذكره في تاديب نبيه صلى الله عليه وسلم " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط " (١) وانما وصف تعالى ذكره اليد بذلك والمعنى العطاء ، لان عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بايديهم ، فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم بعضا اذا وصفوه بجود وكرم . او ببخل وشح وضيق باضافة ما كان ذلك من صفة الموصوف الى يديه ، كما قال الاعشى فى مدح رجل

يداك يدا مجد فكف مفيده ** وكف اذا ما ظن بالزاد تنفق

فاضاف ما كان صفة صاحب اليد من انفاق ، وافادة الى اليد ، ومثل ذلك من كلام العرب فى اشعارها وامثالها اكثر من ان يحصى ، فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم فى كلامهم فقال : " وقالت اليهود يد الله مغلولة " يعنى بذلك انهم قالوا ان الله يبخل علينا ويمنعنا فضله فلا يفضل كالمغلولة يده الذى لا يقدران يبسطها بعطاء ولا بذل معروف ، تعالى الله عما يقول اعداء الله . فقال الله مكذبهم ومخبرهم بسخطه عليهم " غلت ايديهم " يقول امسكت ايديهم عن الخيرات ، وقبضت عن الانبساط بالعطيات ، ولعنوا بما قالوا ، وابعدوا من رحمة الله وفضله بالذى قالوا من الكفر وافتروا على الله ووصفوه به من الكذب والافك " بل يداه مبسوطتان " يقول بل يداه مبسوطتان بالبذل والاعطاء ، وارزاق عباده ، واقوات خلقه ، غير مغلولتين ولا مقبوضتين ينفق كيف يشاء " (٢) .

---

(١) سورة الاسراء ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه حـ ٦ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

(٤) وقال فى تفسير قوله تعالى : " وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامه ، والسموات مطويات بيمنه" (١)

" يقول تعالى ذكره والارض كلها قبضته فى يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمنه ." (٢)

هذا وقد روى مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة التى تثبت لله سبحانه وتعالى اليدين ، واليمين ، والكف والاصابع، وفيما يلى بيان ذلك :

ا ـ روى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : ياخذ الجبار سمواته وارضه بيديه ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، وجعل يقبضهما ويبسطهما قال ، ثم يقول انا الرحمن ، انا الملك اين الجبارون ، اين المتكبرون وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله ، حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه ، حتى انى لا قول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣) .

ب ـ وروى بسنده كذلك عن عبد الله بن مسعود قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه حبر من احبار اليهود فجلس

---

(١) سورة الزمر ٦٧ .

(٢) المصدر نفسه حـ ٢٤ ص ٢٥ .

(٣) اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيرة حـ ٢٤ ص ٢٧ . والبخارى حـ ٨ ص ١٧٣ ، وفى روايه عن ابى هريرة حـ ٦ ص ٣٣ ، واخرجه مسلم حـ ٤ ص ٢١٤٩ ، وابو داود حـ ٥ ص ١١٠ . وابن ماجه فى المقدمة ص ٧٢ ، والبيهقى فى الاسماء والصفات ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، وابن منده فى الرد على الجهمية ص ٧٥ .

حدثنا قال

اليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة جعل السموات على اصبع والارض على اصبع ، والجبال على اصبع ، والماء والشجر على اصبع ، وجميع الخلائق على اصبع ، ثم يهزهن ، ثم يقول انا الملك ، قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لما قال . ثم قرا هذه الايه " وما قدروا الله حق قدرة " (١)

جـ - وروى بسنده عن عبد الله بن عمر انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب فمر بهذه الاية " وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ السموات والارضين السبع فيجعلها في كفه ثم يقول بها كما يقول الغلام بالكرة ، انا الله الواحد ، انا الله العزيز حتى لقد راينا المنبر ، وانه ليكاد ان يسقط به " (٢) .

كما ذكر في تفسيره مجموعة من الاثار عن بعض الصحابة والتابعين في اثبات صفة اليدين لله عز وجل ، واثبات اليمين والقبضة .

(١) فقد روى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال " خلق الله اربعة بيده ، العرش ، وعدن ، والقلم ، وادم ، ثم قال لكل شيء كن فكان . " (٣)

---

(١) هذا الحديث اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره حـ ٢٤ ص ٢٦ ، والبخارى في صحيحه حـ ٨ ص ١٧٤ ، ومسلم في صحيحه ٢١٤٧/٤ ، ٢١٤٨ ، والترمذى في سننه وقال حسن صحيح ٣٧١/٥ ، والامام احمد في مسنده ٣٧٨/١ ، ٣٧٨/١ ، ٤٢٩ ، ٤٥٧ ، والاجرى في الشريعة ٣١٨ ، ٣١٩ ، وابن خزيمة في التوحيد ص ٧٦ ، ٧٨ ، والبيهقى في الاسماء والصفات ٣٣٤ .

(٢) اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره حـ ٢٤ ص ٢٦ ، وابن منده في الرد على الجهمية ص ٨١ .

(٣) اخرجه ابن جرير في تفسيره ١٨٥/٢٣ ، وعبد الله بن احمد في السنة بمعناه ٦٧ - ٦٩ . والبيهقى في الاسماء والصفات ص ٣١٩ .

(٢) وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى " والارض جميعا قبضته يوم القيامة " يقول قد قبض الارضين والسموات جميعا بيمينه ، الم تسمع انه قال " مطويات بيمينه " يعني الارض والسموات بيمينه جميعا قال ابن عباس، وانما يتسعين بشمالة المشغولة يمينه." (١)

وروى بسنده عنه كذلك انه قال " ما السموات السبع والارضون السبع في يد الله الا كخردلة في يد احدكم " (٢).

(٣) وروى بسنده عن الضحاك في تفسير قوله تعالى " والارض جميعا قبضته يوم القيامة " انه قال : " يقول : والسموات والارض مطويات بيمينه جميعا " وكان ابن عباس يقول : انما يستعين بشماله المشغوله يمينه، وانما الارض والسموات كلها بيمينه ، وليس في شماله شيء" (٣).

رده على من أول اليمين بالقدرة

ذكر الامام ابن جرير في معرض تفسيره للاية السابقة قول الاخفش في تاويل اليمين بالقدرة. يقول الامام ابن جرير في ذلك : " وقال بعض اهل العربية من اهل البصرة " والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون " يقول في قدرته نحو قوله " وما ملكت ايمانكم " (٤) اي وما كانت لكم عليه قدرة ، وليس الملك لليمين

---

(١) اخرجه ابن جرير في تفسيره جـ ٢٤ ص ٢٥.
(٢) المصدر نفسه جـ ٢٤ ص ٢٥.
(٣) المصدر نفسه جـ ٢٤ ص ٢٦.
(٤) سورة النساء ٣٦.

دون سائر الجسد قال وقوله " قبضته " نحو قولك للرجل هذا في يدك وفي قبضتك "(١) •

وقد رد الامام ابن جرير على الاخفش برد بليغ موجز لخصه في كلمات مفيدة هي " والاخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على بطول هذا القول "(٢) •

ونلمس في هذا النص ان الامام ابن جرير يثبت ما جاء في النصوص التي ذكرها من صفات وردت فيها ، ولو لم يكن يثبت الصفات التي وردت في تلك النصوص لما جعلها دليلا للرد على اهل التاويل ، مما يؤكد لنا في هذا المقام ان اثبات الامام ابن جرير لصفة اليدين ، واليمين والقبضه والكف والاصابع ، والاستدلال على اثباتها بالاحاديث الصحيحة ، والاثار المروية عن الصحابة والتابعين واستخدام ادلة الاثبات ، في الرد على شبه الخصوم هو امتداد لمذهب السلف ، وتقرير له وتاكيد وتاييد من جهة ، ودفاع عنه من جهة ثانية ، ولا ريب ان تعليق الامام ابن جرير على الاخفش بهذه الطريقة السلفية هو توضيح لمنهج الامام ابن جرير في العقيدة وبيان لمدى حرصه على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزامه منهج السلف وبخاصة في مسائل العقيدة •

ومن هنا يتضح لنا ان دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف في اثبات صفة اليدين واليمين والكف والاصابع والقبضة وما شابهها من الصفات ، حقيقة لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله بدون تشبيه. قد قام

---

(١) المصدر نفسه حـ ٢٤ ص ٢٨ وانظر راى الاخفش في معاني القران حـ ٢ ص ٤٥٧ ، والاسماء والصفات ص ٣٣١ •

(٢) المصدر نفسه حـ ٢٤ ص ٢٨ •

على الاسس التاليـــة :

(١) اثبات ما اثبت الله سبحانه وتعالى وما اثبته له رسوله صلى الله عليه من الصفات .

(٢) موافقة ائمة السلف فيما ذهبـوا اليه من الاثبات ، ونفى التشبيه والتجسيم عن الله تبارك وتعالى . واجراء الصفات على ظاهرهـا اللائق بكمال الله عز وجل ، واثبات معانيها له على الحقيقة بدون تشبيه ، وتفويض كيفيتهـا .

(٣) عدم التفريق بيـن صفات ثبتت بطـريق العقل واخرى وردت بطريق السـمع ، او صفات وردت بخبـر متواتر واخـرى بخبر الواحـد لان المهم فى الاثبات هو ورود الخبر بطريق صحيح .

(٤) اكتفـاؤه بالرد على شبه الخصوم ، باثبات هذه الصفات كما جـاءت بالادلة السمعية ، والاحتجاج بها على تاويلاتهم الفاسدة .

وزيادة فى توضيح دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف نذكر اهم الاعتراضات الواردة على المؤولين فى هذا المقام ، فنقول وبالله التوفيـق .

فى الايات والاحاديث ، والاثار المروية عن بعض الصحابـة والتابعـين رضوان الله عليهم وغيرهم ـ التى ذكرها الامام ابـن جرير فى تفسيره ـ الدلالة الواضحة على اثبـات اليدين لله تبـارك وتعالى حقيقة- هما صفة ذاتيه له سبحانه وتعالى ، ليستا ~~جارحتين~~ ولا قدرتين ، ولا نعمـتين لكنهما يدان لا كالا يدى .

(١) اما كونهما ليستا جارحـــتين فراجع الى ان الجوارح من صفـــات الاجسام (١) وهى لا تكون الا مركبه من اجزاء منفردة ، او من مادة وصورة او مما يقبل الانقسام ، اى ما كان مفرقا فاجتمع او نحو هذا ، والله سبحانه وتعالى منزه عن كل ذلك ، ولم يرد اثبـــات الجسم ولا نفيه لا فى القـــران الكريم ، ولا فى السنة المطهرة ، فـــلا نثبته ولا نفيه تمشيا مع النص ، لكن الواجب علينا ان ننزه اللـــه تبارك وتعالى عن كل عيـــب ونقص وا فـــة ، فانه القدوس السلام السيد الكامل فى كل نعت من نعوت الكمال ، كمالا لا يدرك الخلق حقيقـته ، منزها عن كل نقص تـنزيها لا يدرك الخلق كما له ، وكـل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى احق بـــه واكمل فيه منه ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق احق بالتـــنزه عنه واولى ببراءتـــه منه .(٢)

(٢) اما كونهما ليستا بمعنى النعمة فذلك راجع الى انه لا يجـوز فـــى لسان العـــرب ، ولا فى عادة اهل الخطاب ان يقول القائـــل عملت كذا بيدى ، ويعنى به النعمة ، واذا كان الله تبـــارك وتعالى ، انما خاطب العرب بلغتها ، وما يجرى مفهومها فى كلامها ، ومعقولا فى خطابها ، وكان لا يجوز فى لسان اهل البيان ان يقـــــول

---

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٨٦ ، فتح البارى حـ ١٣ ص ٣٩٣

(٢) انظر رسالة الارادة والامر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى حـ ١ ص ٣٨٢ ، شرح الواسطية للهراس ص ٢٣ ، ٢٤ ، الاسئلة والاجوبة الاصوليـــة لابن سليمان ص ٥٣ ، ابن حزم وموقفه من الالـهيات ص ٣٢٠ .

القائل فعلت بيدى ، وبمعنى النعمة بطل ان يكون معنى قوله عز وجل ، " خلقت بيدى " النعمة (١) .

(٣) وننفى كونهما بمعنى القوة والقدرة ، لان الله سبحانه وتعالى لو عنى ذلك لم يكن لادم عليه السلام على ابليس خصوصية يتميز بها وقد اراد الله عز وجل ان يرى ابليس ان لادم فضل عليه ، وهو خلقه له بيديه دونه ، ولو كانت اليدين بمعنى القوة لم يكن لهذا التفضيل وجه ، لان ابليس ايضا خلقه الله سبحانه وتعالى بقدرته هو وسائر مخلوقاته .

يقول الامام ابن جرير حاكيا مذهب السلف فى ذلك كله :

" وقال اخرون منهم (٢) : بل يد الله صفة من صفاته هى يد غير انها ليست بجارحه كجوارح بنى ادم ، قالوا وذلك ان الله تعالى ذكره اخبر عن خصوصه ادم بما خصه به من خلقه اياه بيده ، قالوا ولو كان معنى اليد النعمة او القوة او الملك ما كان لخصوصه ادم بذلك وجه مفهوم ، اذ كان جميع خلقه مخلوقين بقدرته ، ومشيئته فى خلقه نعمة وهو لجميعهم مالك ، قالوا واذا كان تعالى ذكره قد خص ادم بذكره

---

(١) انظر العقيدة الحموية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى حـ ١ ص ٤٦١ .

(٢) تشعر هذه الكلمة ان الامام ابن جرير يعتبر اصحاب هذا القول السلفي من اهل الجدل وكان الاولى به رحمه الله ان كانت هذه الكلمة صادرة عنه ، ان يفصل بين السلف واهل الجدل بعبارة غيرها . ولكن الذى يبدو لى ـ والله اعلم ـ ان هذه الكلمة من النساخ ، لان صنيع الامام ابن جرير فى ابحاث سابقة يخالف هذا حيث كان يفصل بين راى السلف واهل الجدل بقوله وقال اخرون ، ولا يقول منهم ، والامام ابن جرير اجل من ان يعتبر ائمة السلف والمدافعين عن عقيدتهم من اهل الجدل . وهو واحد من ائمتهم المشهورين بالدفاع عن عقيدتهم .

خلقه اياه بيده دون غيره من عباده كان معلوما انه انما خصه بذلك لمعنى به فارق غيره من سائر الخلق قالوا واذا كان ذلك كذلك بطل قول من قال معنى اليد من الله القوة والنعمة او الملك في هذا الموضع.

" قالوا واحرى ان ذلك لوكان كما قال الزاعمون ان يد الله في قوله " وقالت اليهود يد الله مغلولة " هي نعمته ، لقيل بل يده مبسوطة ، ولم يقل بل يداه ، لان نعمة الله لا تحصى كثرة ، وبذلك جاء التنزيل يقول الله تعالى " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها " (١) قالوا ولو كانت نعمتين كانتا محصاتين.

" قالوا فان ظن ظان ان النعمتين بمعنى النعم الكثيرة ، فذلك منه خطأ.

وذلك ان العرب قد تخرج الجميع بلفظ واحد ، لاداء الواحد عن جميع جنسه وذلك كقول الله تعالى ذكره " والعصر ان الانسان لفي خسر " (٢) وكقوله " لقد خلقنا الانسان " (٣) وقوله " وكان الكافر على ربه ظهيرا " (٤) قال : فلم يرد بالانسان والكافر في هذه الاماكن انسان بعينه ، ولا كافر مشار اليه حاضر ، بل عني به جميع الانس وجميع الكفار ، ولكن الواحد ادى عن جنسه كما تقول العرب : ما اكثر الدرهم في ايدى الناس ، وكذلك قوله " وكان الكافر " معناه وكان الذين كفروا.

" قالوا فاما اذا ثني الاسم فلا يؤدى عن الجنس ، ولا يؤدى الا عن اثنين باعيانهما دون الجميع ودون غيرهما. قالوا وخطأ في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم

---

(١) سورة ابراهيم ٣٤.
(٢) سورة العصر ١ ـ ٢.
(٣) سورة التين ٤.
(٤) " الفرقان ٥٥.

فى ايديهم ، قالوا وذلك ان الدرهم اذا ثنى لا يؤدى فى كلامها الا عن اثنين باعيانهمـــا .

" قالوا وغير محال ما اكثر الدرهم فى ايدى الناس ، وما اكثر الدراهـــم فى ايديهم لان الواحد يؤدى عن الجميع. قالوا ففى قول الله تعالى " بـل يداه مبسوطتان " مع اعلامه ان نعمه لا تحصى ، ومع ما وصفنا من انه غيـــر معقول فى كلام العرب ان اثنين يؤديان عن الجميع ما ينبئ عن خـــــطا قول من قال معنى اليد فى هذا الموضع النعمة ، وصحة قول من قـــــال ان يد الله هى له صفة ، قالوا وبذلك تظاهرت الاخبار عن رسول اللـــــه صلى الله عليه وسلم وبه قال العلماء واهل التاويل " (١)

ومما يبعد حمل اليدين على المجاز كذلك ، ورود الاحاديث الصحيحة باثبات اليمين ، والكف ، والاصابع ، والقبضة مما لا يكون الا لليد الحقيقيـــة ، كما أنه لا يجوز اطلاق اليدين بمعنى النعمة اوالقدرة او غيرهما الا فـــى حق من اتصف باليدين على الحقيقة ، ولذلك لا يقال للماء يد ، ولا للريـــح يــــد . (٢)

من خلال ما تقدم نستطيع القول ان ما ذهب اليه الامام ابن جريـــر فى دفاعة عن عقيدة السلف فى اثبات صفة اليد لله عزوجل ، واليميـــــن ، والكف ، والاصابع والقبضة ، هو المذهب الحق الذى ينبغى الالتزام بـــــه

---

(١) جامع البيان حـ ٦ ص٣٠١ ـ ٣٠٢ وانظر الابانه للاشعرى ص ٤٠ ـ ٤٥ ، التوحيد لابن خزيمة ٨٦ ـ ٨٧ ، الاعتقاد للبيهقى ٢٩ ـ ٣٠ ، فتـــح البارى حـ ١٣ ص٣٩٤ ، شرح الواسطية للهراس ص ٥٦ ، الشريعـــــة للاجرى ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥ ، التفسير القيم ص ٤٢٢ .

(٢) انظر شرح الواسطية للهراس ص ٥٦ ـ ٥٧ .

وذلـــك للامـــور التاليـــة :

(١) لاعتماده في الاثبات على الادلة السمعية من كتاب الله وسنة رســوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابته التي تثبت بصراحة ووضوح تـــام تلك الصفات لله عزوجل بدون تشبيـــه •

(٢) لموافقتـــه اقوال اهل العلم من الصحابة والتابعين وائمة وعلمـــاء السلف في الاثبـــات •

(٣) لان مذهب السلف في الاثبات يقوم على نفي التشبيه عن الله تعالـــى والتجسيم ، وتنزيه الله تعالى عن كل نقص •

(٤) واخيرا لقوة ادلة الاثبات التي ساقها ائمة السلف وعلماؤهم ومـــن ضمنهم الامام ابن جرير ، ولضعف ادلة التاويل والتعطيل ، وورود الاعتراضات عليها من كل جانب ، والله الهادي الى سواء السبيل •

المبحـــــث الرابـــــع

صفـــة الاستـــواء

تعرض الامام ابن جرير لاراء بعض المخالفيـن لمذهب السلف فـــي صفة استواء الله عز وجل ، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى " هـــــو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبـــع سمـــوات " (١) .

فقد ذكر رحمة الله عليه انهم اختلفوا في معنى الاستواء ، فمنهـــم من قال ان معنى استوى اقبل ، ومنهم من قال ان معنى استوى بانـــه لم يكن من الله تعالى بتحول ، ولكنه بمعنى تحول فعله .

يقول الامام ابن جرير " اختلف في تاويل قوله " ثم استوى الـــى السمـــاء "

(١) فقال بعضهم : معنى استوى الى السماء اقبل عليها ، كما تقـــول كان فلان مقبلا على فلان ، ثم استوى علي يشاتمني ، واستوى الـــى يشاتمني بمعنى اقبل علي والي يشاتمني ، واستشهد على ان الاستواء بمعنى الاقبال بـــقول الشاعـر:

اقول وقد قطعن بنا شـروري ** سوامد واستوين من الضجـــوع

فزعم انه عنى بهن انهن خرجـــن من الضجوع ، وكان ذلك عنـــــد ه بمـــعنى اقبلـــن .

---

(١) سورة البقـــرة ٢٩.

(٢) " وقال بعضهم لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحول ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول كان الخليفة فى العراق يواليهم ثم تحول الى الشام انما يريد تحول فعله " .

(٣) " وقال بعضهم : قوله ثم استوى الى السماء يعنى به استوت(١) ، كما قال الشاعر :

اقول له لما استوى فى ترابه * على اى دين قتل الرأس مصعب (٢)

ويظهر ان الامام ابن جرير عنى بصاحب القول الاول الفراء الذى ذهب الى تاويل الاستواء بالاقبال . (٣)

وقول الفراء موافق لقول المعتزلة الذين ذهبوا الى تاويل الاستواء تاره بمعنى قصد واقبل على خلق العرش (٤) وتاره بالاستيلاء والغلبة والقهر (٥) ، وذهب بعض الاشاعرة الى قول قريب من هذا القول حيث فسروا الاستواء بعلو المكانه والقهر (٦) .

---

(١) يقول الشيخ احمد شاكر ان هذه العبارة مقحمة وليست فى المخطوطة انظر جامع البيان تحقيق احمد شاكر حـ ١ ص ٤٢٩ .

(٢) المصدر نفسه طبعة الحلبى حـ ١ ص ١٩١ .

(٣) انظر معانى القران للفراء حـ ١ ص ٢٥ وانظر الاسماء والصفات ص ٤١٢ .

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ١٢٦ .

(٥) انظر متشابه القران حـ ١ ص ٧٣ ، ص ٣٥١ تنزيه القران عن المطاعن ص ١٧٦ ، ٢٥٣ ، شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٦ .

(٦) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ١٥٧ ، اصول الدين ١١٢ ، الشامل ص ٥٥٣ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٠٤ مشكل الحديث لابن فورك ص ١٤٦ ، الاسماء والصفات ص ٤١٢ ، غاية المرام ص ١٤١ ، اساس التقديس ص ١٥٧ .

وقد اختار الامام البيهقى من الاشاعرة التفسير القائل بان معنى استوى اقبل . فقد قال رحمة الله عليه : " ان استوى بمعنى اقبل صحيح ، لان الاقبال هو القصد الى خلق السماء ، والقصد هو الارادة ، وذلك هو جائز فى صفات الله تعالى ، ولفظ ثم تعلق بالخلق لا بالارادة " (١) .

اما الراى الثانى الذى ذكره الامام ابن جرير فهو قريب من راى الاشاعرة حيث تاول بعضهم الاستواء بمعنى الفعل ، ونسب الامام البيهقى هذا التاويل الى الامام ابى الحسن الاشعرى (٢) . وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية ان سبب تاويل الامام الاشعرى للاستواء بمعنى الفعل راجع الى انه يجعل افعال الله اللازمة كافعاله المتعدية . دون ان يقوم به فعل

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى ذلك : " ومعنى ذلك عنده ـ الاشعرى ـ وعند من ينفى قيام الافعال الاختيارية بذاته انه يخلق اعراضا فى بعض المخلوقات يسميها نزولا ، كما قال انه يخلق فى العرش معنى يسميه استواء ، وهو عند الاشعرى تقريب العرش الى ذاته من غير ان يقوم به فعل ، بل يجعل افعاله اللازمة كالنزول والاستواء ، كافعاله المتعدية كالخلق والاحسان ، وكل ذلك عنده هو المفعول المنفصل عنه " (٣)

غير ان الامام ابن جرير لم يناقش من الاراء التى ذكرها الا الراى الاول ، واكتفى بمناقشته كمثال قدمه لقارئ تفسيره فى ابطال قول

---

(١) الاسماء والصفات ص ٤١٢ .

(٢) انظر الاسماء والصفات ص ٤١٠ .

(٣) مجموع الفتاوى جـ ٥ ص ٣٨٦ .

المخالفين لمذهب اهل الحق ، ويعنى بهم السلف وذكر ان سبب عدم مناقشته للاقوال الاخرى المخالفة لمذهب السلف راجع الى خوفه من اطالة الكتاب بما ليس من جنسه .

يقول الامام ابن جرير " ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لانبانا عن فساد قول كل قائل فى ذلك قولا لقول اهل الحق مخالفا ، وفيما بينا منه يشرف بذى الفهم على ما فيه الكفاية ان شاء الله تعالى "(١) .

هذا وقد اورد الامام ابن جرير على الفراء صاحب الراى الاول مجموعة من الالزامات العقلية تبين فساد ما ذهب اليه من التاويل ، ومن بين هذه الالزامات ما يلى :

ا ـ اذا اجزت بعقلك ان يكون هناك اقبال ليس من لوازمه حركة وانتقال ، فلم لا يجوز ذلك بالنسبة للعلو .

ب ـ وما دمت قد اثبت اقبالا ليس من لوازمه حركة وانتقال ، وهو اقبال التدبير ، فاثبت الاستواء بمعنى علو الملك والسلطان بدون الانتقال والزوال ، ولا تخرج عن مدلول اللفظ اللغوى الذى هو بمعنى العلو .

جـ ـ ان القول بان معنى ثم " استوى الى السماء " اقبل عليها لازمه ان يسال ، هل كان الله مدبرا عن السماء ثم اقبل اليها ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك .

يقول الامام ابن جرير : " والعجب ممن انكر المعنى المفهوم من كلام العرب فى تاويل قول الله " ثم استوى الى السماء " الذى هو

---

(١) جامع البيان جـ ١ ص ١٩٢ .

بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من ان يلزمه بزعمه اذا تاولـــه،
بمعناه المفهوم كذلك ان يكون انما علا وارتفع بعد ان كان تحتهـــا
الى ان تاوله بالمجهول من تاويله المستنكر ، ثم لم ينج مما هـــرب
منه فيقال له زعمت ان تاويل قوله " استوى " اقبل افكان مدبـــرا
عن السماء فاقبل اليها ، فان زعم ان ذلك ليس باقبال فعل ولكنـــه
اقبال تدبيـــر ، قيل له فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان لا علــو
انتقال وزوال ، ثم لن يقول فى شيء من ذلك قولا الا الزم فـــى الاخر
مثلـــه " (١)

وبعد ان فرغ من ايراد الالزامات العقلية الـتى تلزم الفراء بالقـــول
بان معنى الاستواء هو العلو والارتفاع ، شرع فى مناقشته من ناحيـــه
مفهوم اللغة ، وتوجه بالنقد الى بيت الشعر الذى استشهد به الفـــراء
على صحة ما ذهب اليه ، وبين انه اخطأ فى تفسير بيت الشعـــر ،
وان الصواب فى معنى استـــويـــن من الضجوع هو استقمن .

يقول الامام ابن جرير فى ذلك : " فزعم انه عنى به انهـــن
خرجـــن من الضجوع ، وكان ذلك عنده بمعنى اقبلن ، وهذا مـــن
التاويل فى هذا البيت خطأ ، وانما معنى قوله ، واستوين مـــن
الضجوع عندى استوين على الطريق من الضجوع خارجات ، بمعـــنى
استقمن عليه " (٢) .

وغرض الامام ابن جرير من هذه المناقشة هو بيان موضع خطأ الفـــراء
من تاويل الاستواء بالاقبال ، وهو الخروج عن مدلول لفظ الاستواء فى اللغة

---

(١) المصدر نفسه حـ ١ ص ١٩٢ .
(٢) المصدر نفسه حـ ١ ص ١٩١ .

هذا وقد ظهر معتقد الامام ابن جرير السلفي بجلاء تام من خلال تفسيره لجميع الايات التي تضمنت اثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل • حيث فسر هذه الايات بما يوافق مذهب السلف في الاثبات واستشهد لصحة ما ذهب اليه بالاحاديث النبوية الشريفة واقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف•

يقول الامام ابن جرير في بيان عقيدته السلفية : " ويعلم ان ربه هو الذي على العرش استوى " له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى "(١) فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر ، وضل وهلك"(٢)

اما الايات التي تضمنت اثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل والتي فسرها الامام ابن جرير بما يوافق مذهب السلف فكثيرة جدا غير اني اقتصر على ذكر بعضها وتفسيره لها •

فاقول وبالله التوفيق •

(١) فسر الامام ابن جرير قوله تعالى " الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش "(٣) باثبات صفة العلو لله تعالى على العرش حيث يقول في ذلك " اما قوله ثم استوى على العرش فانه يعني علا عليه "(٤)•

(٢) بين ان الله سبحانه وتعالى في السماء يدبر امر خلقه منها ، واليه يصعد الكلم الطيب من خلال تفسيره لقوله تعالى " وقال فرعون

---

(١) سورة طه ٦ •

(٢) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٧ •

(٣) سورة الرعد ٢ •

(٤) جامع البيان جـ ١٣ ص ٩٤ •

يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب ، اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا " (١) وقوله تعالى " يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون " (٢) فقد قال في تفسير الاية الاولى حكاية عن قول فرعون " واني لا ظن موسى كاذبا فيما يقول ويدعى من ان له في السماء ربا ارسله الينا " (٣)

وقال في تفسير الاية الثانية : " يقول تعالى ذكره الله هو الذي يدبر الامر من امر خلقه من السماء ثم يعرج اليه " (٤)
وقال في تفسير قوله تعالى " اليه يصعد الكلم الطيب " (٥) اى " الى الله يصعد ذكر العبد اياه وثناؤه عليه " (٦) .

بعد أن عرفنا ان الامام ابن جرير يثبت صفة الاستواء بمعنى ـ العلو والارتفاع ـ لله عز وجل نتعرض للاراء التى ذكرها في صفة علو الله عز وجل وفوقيته وموقفه منها ، فاقول وبالله التوفيق، عرض الامام ابن جرير قول الجهمية والمعتزلة بان الله في كل مكان (٧) ،ولا يجوز ان يخلو منه مكان ، لان وصفه سبحانه بعلو المكان يترتب عليه ان يكون الله في مكان دون مكان .

---

(١) سورة غافر ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) سورة السجدة ٥ .
(٣) المصدر نفسه حـ ٢٤ ص ٦٦ .
(٤) المصدر نفسه حـ ٢١ ص ٩١ .
(٥) سورة فاطر ١٠ .
(٦) المصدر نفسه حـ ٢٢ ص ١٢٠ .
(٧) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٢٨٦ ، ومجموع الفتاوى حـ ٥ ص ١٨٧ .

يقول الامام ابن جرير : " واختلف اهل البحث فى معنى قولـــه " وهو العلي " (١) فقال بعضهم يعنى بذلك• وهو العلي عـــن النظير والاشباه ، وانكروا ان يكون معنى ذلك وهو العلي المكـــان، وقالوا وغير جائز ان يخلو منه مكان ، ولا معنى لوصفه بعلو المكان لان ذلك وصفه بانه فى مكان دون مكان " (٢) •

غير انه لم يناقش الجهمية والمعتزلة فيما ذهبوا اليه من ان اللـــه لا يجوز ان يخلو منه مكان• وواضح انه اكتفى باثبات صفة العلو للـه عز وجل وانه فوق عرشه في السماء ، وعرض راى السلف بعد قولهـــم مباشـــرة حيث يقول فى ذلك : " واما تاويل قوله " وهو العلى " فانه يعنى والله العلي ، والعلي : الفعيل من قولك علا يعلو علوا اذا ارتفع فهو عال وعلي ، والعلي ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته " (٣) •

اما راى السلف فقد ذكره بقوله " وقال اخرون " معنى ذلك وهـــو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن اماكن خلقه لانه تعالى ذكره فـــوق جميع خلقه ، وخلقه دونه كما وصف به نفسه انه على العرش ، فهـــو عال بذلك عليهـــم • " (٤)

وهذا وقد ذكر الامام ابن جرير فى معرض حديثه عن الاختـــلاف فى معنى الاستواء راى بعض علماء السلف كابن قتيبة والربيع بن انس ، فقد فسر الامام ابن قتيبـــة معنى قوله تعالى " ثم استوى الــــى السماء " اى عمد لها • كما فسر الربيع بن انس الاستواء بالا رتفـــاع• يقول الامام ابن جرير فى ذلك•

---

(١) وتمامها العظـــيم ـ سورة البقرة ٢٥٥•
(٢) جامع البيان حـ ٣ ص ١٣ •
(٣) المصدر نفسه حـ ٣ ص ١٣ •
(٤) المصدر نفسه حـ ٣ ص ١٣ •

" وقال بعضهم : ثم استوى الى السماء عمد لها ، وقال بل كل تارك عملا كان فيه الى اخره فهو مستو لما عمد له ومستو اليه "(١)
وقال بعضهم الاستواء هو العلو ، والعلو هو الارتفاع ، وممن قال ذلك الربيع بن انس ، فقد روى الامام ابن جرير بسنده عن الربيع ابن انس " ثم استوى الى السماء " يقول ارتفع الى السماء " (٢) .

وبعد أن ذكر اقوال المختلفين في معنى الاستواء ، ذكر اقوالهم في الذى استوى الى السماء ، وعلا عليها ، فقال بعضهم الذى استوى الى السماء وعلا عليها هو خالقها ، ومنشؤها وقال بعضهم العالي اليها الدخان الذى جعله الله للارض سماء (٣) .
وقد نسب الامام البيهقي القول الاخير الى ابى العالية ، يقول البيهقي " ويذكر عن ابى العالية فى هذه الاية انه قال استوى يعنى ارتفع، ومراده بذلك والله اعلم ارتفاع امره ، وهو بخار الماء الذى فيه وقع خلق السماء " (٤) وهذا تاويل من الامام البيهقي لكلام ابى العالية لم اجده ــ على حد علمي ــ عند غيره ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابى العالية ان معنى استوى ارتفع (٥) ، ولم يؤول تاويل البيهقى ، والذى يظهر لي ــ والله اعلم بالصواب ــ ان الامام ابن جرير يرفض القول الثانى بغض النظر عن عدم مناقشته له ، لانه كما يظهر ــ فى نظره باطل ، حيث اعتبر ان اولى المعانى

---

(١) المصدر نفسه حـ ١ ص ١٩١ ، وانظر تفسير غريب القران لابن قتيبة ص ٤٥ .
(٢) جامع البيان حـ ١ ص ١٩١ .
(٣) المصدر نفسه حـ ١ ص١٩١ .
(٤) الاسماء والصفات ص ٢ ٤١ .
(٥) انظر فتح البارى حـ ١٣ ص ٤٠٣ .

بالصواب في تفسير قوله تعالى " ثم استوى الى السماء " هو العلو والارتفاع ، وان الذى علا وارتفع الى السماء هو الله سبحانه وتعالى فترجيح الامام ابن جرير للقول الاول واعتباره اولى المعاني بالصواب يفهم منه رفضه للقول الثاني .

يقول الامام ابن جرير مبينا معنى الاستواء في اللغة ، وموجحا اولى المعاني بالصواب ومثبتا صفة الاستواء لله عز وجل بمعنى العلو والارتفاع في معرض تفسيره لقوله تعالى " ثم استوى الى السماء " يقول رحمة الله عليه في ذلك : " الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه منها : انتهاء شباب الرجل وقوته ، فيقال اذا صار كذلك قد استوى الرجل ، ومنها استقامة ما كان فيه من اود من الامور والاسباب ، يقال منه استوى لفلان امره اذا استقام بعد اود ، ومنه قول الطرماح بن حكيم

طال على رسم مهدد ابده ** وعفا واستوى به بلده

يعني استقام به ، ومنها الاقبال على الشيء بالفعل ، كما يقال فلان استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بعد الاحسان اليه ، ومنها الاحتياز والاستيلاء كقولهم استوى فلان على المملكة ، يعني احتوى عليها وحازها ومنها العلو والارتفاع كقول القائل استوى فلان على سريره يعني به علوه عليه . واولى المعاني بقول الله جل ثناؤه " ثم استوى الى السماء فسواهن " علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات " (١) .

---

(١) المصدر نفسه حـ ١ ص ١٩١ ــ ١٩٢ .



ويقول ايضا : " فان قال لنا قائل اخبرنا عن استواء الله جل ثناؤه الى السماء كان قبل خلق السماء ام بعده ، قيل بعده ، وقبل ان يسويهن سبع سموات كما قال جل ثناؤه " ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها " (١) والاستواء كان بعد ان خلقها دخانا ، وقبل ان يسويها سبع سماوات" (٢) .

وكلام الامام ابن جرير السابق واضح فى تقرير ان الذى استوى الى السماء بمعنى علا وارتفع هو الله سبحانه وتعالى .

ولا يتوهم أن مراد السلف بالمكان انه مكان وجودى ، لان الله سبحانه لا تحوزه المخلوقات ، اذ هو اعظم واكبر ، بل قد وسع كرسيه السموات والارض ، فهو سبحانه وتعالى منزه عن المكان باعتبار ان المكان امر وجودى ، الا ان مقصود السلف من اطلاق المكان الامر العدمى وهو ما وراء هذا العالم من العلو ، ويريدون به اثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى ، والرد على الجهمية والمعطلة الذين نفوا عن الله سبحانه وتعالى هذه الصفة ، فالله سبحانه وتعالى فوق العالم وليس فى مكان بالمعنى الوجودى .

هذا وقد ضمن تفسيره كثيرا من العبارات الصريحة التى توافق مذهب السلف فى اثبات صفة العلو والفوقية لله عز وجل ، وتخالف مذهب المؤولين والمعطلين ، خلافا لما توهمه بعض المؤلفين (٣) الذين زعموا ان الامام ابن جرير اول الاستواء بعلو الملك والسلطان واستغله بعضهم للتشهير بعلماء السلف ومذهبهم ، وفيما يلى توضيح ذلك .

---

(١) سورة فصلت ١١ .

(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٩٢ .

(٣) كالدكتور احمد مكى الانصارى فى كتابه " ابو زكريا الفراء " ص ٨١ .

زعم الشيخ القضاعى (١) ، تلميذ الشيخ الكوثرى حامل لواء التجهم والتعطيل فى القرن الحديث ، ان الامام ابن جرير لم يثبت لله عز وجل علو الذات ، بل اثبت علو الملك والسلطان ، وغرضه من هذا ان ينسب الجهل وعدم الامانة العلمية الى الذين جندوا انفسهم لخدمة عقيدة السلف والدفاع عنها ، ونشرها بين الناس ،

كالامام ابن خزيمة ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم والذهبى وغيرهم من ائمة السلف وعلمائهم ومن سار على نهجهم من العلماء والمحققين ، فاخذ ـ عامله الله بما يستحق ـ يكيل التهم والمطاعن لهم ، وينسبهم الى التشبيه والتجسيم ، تقليدا لشيخه الكوثرى عدو السلفية اللدود ، وذلك لان شيخ الاسلام بخاصة وجميع السلفيين بعامة ، يحاربون البدع والخرافة ، ويجاهدون ضد الشرك بجميع انواعه والوانه واشكاله ، وينكرون الاستغاثة بالمخلوقات والطواف حول القبور والتبرك بهما والذبح لها وطلب العون من سكانها سواء اكانوا انبياء ام اولياء ام غيرهم ، وينكرون على القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها من البدع والخرافات المخالفة للدين ،

---

(١) هو الشيخ القضاعى العزامى صوفى متكلم كتب كتابه المسمى بفرقان القران بين صفات الخالق وصفات الاكوان ، ونشر مع كتاب الاسماء والصفات للبيهقى ، وكتاب القضاعى محشو بالضلالات والخرافات ، والهجوم على ائمة السلف وعلمائهم ، فهو يؤول فى الصفات ، ويجيز التوسل وقد تتلمذ على يد الشيخ محمد بن زاهد الكوثرى عدو السلفية اللدود فى القرن العشرين

والقضاعي غارق في هذه الضلالات ، وكتابه مليء بكثير من امثال هـذه الترهات • ومن هنا جاء حقده على السلفيين عموما • وعلى شيخ الاسلام خصوصا • وفيما يلي بيان بعض حقده على السلفيين ، يقول القضاعـى في كتابه فرقان القران في التشنيع على السلفية ودعاتها : " ودونـك كلام ترجمان السلف وامام المفسرين ـ ابي جعفر ـ في الاستواء علـى العرش الذى دندن حوله ادعياء السلف ، واغبياء الخلف ، وتشبثـوا به في القول بالجهة والمكان في حق الله تعالى الله عما قالوا " (١)

ثم ذكر الامام ابن جرير في تفسير اية الاستواء في سورة البقـرة الذى ذكرنا سابقا ، وعقب عليه بقوله " وانت تراه لم يفسر الاسـتواء على العرش بالجلوس والاستقرار ، بل فسره بعلو الملك والسلطان ، وكذلك فسر العلو في حق الله تعالى حيث ذكر من القران" (٢) •

كما نقل كلام الامام ابن جرير في تفسير قوله تعالى " وهو العلـى العظـيم " وقوله تعالى " عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " (٣)

وسوف نلاحظ مدى فهم القضاعي لكلام الامام ابن جرير من الصحـة او البطلان عند عرض راى الامام في اثبات صفة العلو والفوقية لله عـز وجل باذن الله تعالى • وحتى لا يتهمنـى احد بالتحامل علـى القضاعـى اقدم بعض النماذج من تحامل القضاعي وهجومه على ائمـة وعلماء السلـف •

١ ـ يقول القضاعـى عن سبب تاليف الامام البيهقي لكتاب الاسماء والصفـات في معرض طعنه في الامام ابن خزيمة " كانه ـ يعني البيهقي ـ رضـى

---

(١) فرقـان القران ص ٩٨ ، وانظر ص ١٧ ـ ١٨ •

(٢) المصدر نفسه ص ٩٩ •

(٣) سورة الرعـد ٩ •

الله عنه قصد بكتابه هذا غسل العار الذى الحقه ابن خزيمة باهل الحديث فانه الف كتابا سماه " كتاب التوحيد " وليته اقتصر فيه على جمع الاحاديث المتشابهة ، ولكنه فسرها بما لا يصح ان يعتقد فى الله تعالى ." (١)

ثم ذكر طعن الرازى فى الامام ابن خزيمة ، وعقب عليه بنصيحة قال فيها : " فنصيحتى لك ان تكون فى عقائدك على ما دونه الامامان ابو منصور الماتريدى ، وابو الحسن الاشعرى ، فانه هو ما يهدى اليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم" (٢) .

٢ ـ ويطعن فى شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : " والعجب انك ترى امام المدافعين عن بيضة اهل التشبيه (٣) ، وشيخ اسلام اهل التجسيم ممن سبقه من الكرامية وجهلة المحدثين ، الذين يحفظون وليس لهم فقه فيما يحفظون احمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية يرمى امام الحرمين وحجة الاسلام الغزالى بانهما اشد كفرا من اليهود والنصارى " (٤) .

هذا غيض من فيض من هجومه على ائمة السلف ومن سار على نهجهم(٥) ذكرته لابين للقارئ الكريم مدى تعصب هذا الكاتب للهوى والتعطيل ،

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٩ .

(٣) الذين دافع شيخ الاسلام عن بيضتهم هم الصحابه ومن سار على نهجهم من التابعين والعلماء والفقهاء والمحدثين . فهل يصح ان يقال عنهم اهل التشبيه ؟ " وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا " المجادلة ٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦١ .

(٥) انظر المصدر نفسه الصفحات ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ـ ١٣٧ .

لذلك فانى لن اناقشه فى هجومه وافترائه على ائمة السلف ومن سار على نهجهم فان الله سينتصر لهم يوم القيامة بانتقامه لهم منه ، وسوف يعامله بما يستحق لقاء بغضه وهجومه عليهم . ولن اناقشه فى عقيدته الخرافية (١) ، وانما ساتحدث عن مدى فهمه لكلام الامام ابن جرير فى الاستواء والعلو والفوقية ، لان طبيعة البحث تحتم ذلك ، والله الهادى الى الحق .

ان هدف القضاعى من قوله ان الامام ابن جرير فسر الاستواء بعلو الملك والسلطان ان يثبت ان الامام ابن جرير ، وهو احد ائمة السلف المتقدمين ـ لم يثبت علو الذات والفوقية لله عز وجل وفق طريقة السلف " اهل التشبيه فى نظر القضاعى ـ) فى الاثبات ، ليجد مبررا يخدم مذهبه فى التاويل من كلام الائمة السابقين يوافق هواه ويروى حقده على المثبتين صفة العلو والفوقية لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله ، ولكن الله يظهر الحق ولو كره المؤولون والمعطلون .

ان الباحث المنصف الذى يمعن النظر فى تفسير الامام ابن جرير للايات التى تتضمن اثبات الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل ، يلاحظ ان الامام ابن جرير يثبت لله عز وجل الاستواء بعلو الذات ، وليس علو الملك والسلطان ، وانه رحمة الله عليه ، يثبت لله عز وجل صفة العلو والفوقية جريا على عادة السلف فى الاثبات الذين يثبتون ما اثبت الله لنفسه وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تاويل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، خلافا لما

---

(١) انظر المصدر نفسه الصفحات ٧٩ ، ١١٩ ، ١٢١ـ ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٨ .

زعـــم القضاعى ومن نحانحـــوه (١) ، وفيما يلى توضيح ذلك.

أ ـ ظن القضاعى ان الادلة التى ساقها من كلام الامام ابـــن جرير تخدمه فيما ذهب اليه ، والحقيقة انها حجة عليه لان الامام ابن جرير لم يقصد بتفسير الاستواء بالعلو والارتفاع، علـــو الملك والسلطان لانه لوكان يريد هذا التفسير لصرح به فـــى مواطن أخرى من تفسيره ، وانما اراد الامام ابن جرير علـــو الذات ، ولعل القضاعى لم يفهم قول الامام ابن جرير فـــى معرض الالزامات العقلية التى ساقها لمناقشة الفراء ، أو انـــه فهم أن الامام ابن جرير كان فى مـــعرض الالـــزام لا الالـــتزام ، لكنه تعمد القول بان الامام ابن جرير يقـــول بعلو الملك والسلطان لحاجة فى نفسه.

الا أن المدقق فى كلام الامام ابن جرير فى ذلك الموطـــن يرى انه رحمة الله عليه لم يقصد ما اراد القضاعى وغيره أن ينسبوه اليه لحاجة فى نفوسهم.

فقد كان الامام ابن جرير يسوق الالزامات العقلية التى رد بها على من ينكر معنى الاستواء المفهوم من كلام العرب والـــذى هو بمعنى العلو والارتفاع. وفرق كبير جدا بين الالــــزام

---

(١) وقد ذهب الدكتور محمد محمود شبكة فى رسالته الامام الطبرى ومنهجة فى التفسير الى ما ذهب اليه القضاعى من ان الامام ابن جريـــــر اول الاستواء بمعنى علو الملك والسلطان حيث يقول فى ذلك: " ثـــم احال الطبرى تفسير الاستواء على العرش حيث ذكر فى القران الـــى ما فسر به الاستواء فى هذا الموضع من انه علو الملك والسلطان ، لا علو الجهـــة والمكان " ص ٢٢٣.

بالشيء والالتزام به .

ويبــدو هذا واضحا من كلامه حيث يقول " ثم لن يقــول في ذلك شيئا الا الزم في الاخر مثله " ، كما توجد اشــارة فيه ان الامام ابن جرير يثبت الفوقية لله عز وجل تلمسهــا في بيانه للسبب الذى جعل الفراء يؤول الاستواء بالاقبــال وليس بالعلو والارتفاع .

يقول الامام ابن جرير " والعجب ممن انكر المعنى المفهــوم من كلام العرب في تاويل قول الله " ثم استوى الى السماء " الذى هو بمعنى العلو والارتفاع هربــا عند نفسه مــــن ان يلزمه بزعمه اذا تاوله بمعناه المفهوم كذلك ان يكون انمــا علا وارتفع بعد ان كان تحتها ، الى ان تاوله بالمجهــــول من تاويله المستنكر ، ثم لم ينج مما هرب منه " فكـــأن الامام ابن جرير أراد من تعجبه ان يقول ان من يثبت العلــو والارتفاع لله سبحانه وتعالى لا يلزمه ان يعتقد ان الله كـــان تحت السماء ، لان الله سبحانه وتعالى له العلو المطلق .

ب ـــ اخذ القضاعي من كلام الامام ابن جرير ما يوافق هواه ، وتجاهـل كثيرا من كلام الامام ابن جرير الصريح في اثبات صفة العلــو والفوقية لله عز وجل ، ومما تجاهله القضاعي ما يلي :

(١) تجاهل القضاعي تفسير الامام ابن جرير لقوله تعالى " انه علي حكـــيم " (١) . لان في تفسيره لهذه الاية اثباتـــا

---

(١) سورة الشـــورى ٥١ .

صريحا للعلو والفوقية والقدرة المطلقة لله تبارك وتعالى على كل شيء ،

يقول الامام ابن جرير فى تفسير هذه الاية : " انه يعنى نفسه جل ثناؤه ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه واقتدار" (١) .

(٢) ويقول مثبتا صفة العلو والفوقية لله عزوجل فى تفسيره لقوله تعالى " له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم "(٢) يقول وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء ، والاشياء كلها دونه لانهم فى سلطانه جارية عليهم قدرته ماضية فيهم مشيئته" (٣)

ولو كان رحمة الله عليه يقصد بالعلو علو الملك والسلطان لما قال والاشياء كلها دونه لانهم فى سلطانه ، ومعلوم ان الاشياء كلها فى ملك الله وسلطانه .

(٣) ويقول مثبتا صفة العلو والفوقية لله عز وجل كذلك فى تفسيره لقوله تعالى " ذلك بان الله هو الحق ، وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير " (٤) " يعنى بقوله العلي ذو العلو على كل شيء ، وهو فوق كل شيء وكل شيء دونه" (٥)

ونحن نلمس فى تفسير الامام ابن جرير لهذه الاية الوضوح التام ، والتصريح الجلي الصريح باثبات صفة العلو والفوقية لله عز وجل بذاته المقدسة ، ولو كان الامام ابن جرير يقصد علو

---

(١) جامع البيان جـ ٢٥ ص ٤٦ .

(٢) سورة الشورى ٤ .

(٣) المصدر نفسه جـ ٢٥ ص ٧ .

(٤) سورة الحج ٦٢ .

(٥) المصدر نفسه جـ ١٧ ص ١٩٦ .

الملك والسلطان لا علو الذات لصح بذلك بدون تردد لما عهدنا عنه من الجراة فى ابداء رأيه فى الامور والمسائل التى يظهر فيها وجه الحق.

(٤) كما اثبت الفوقية والعلو لله عز وجل فى تفسيره لقوله تعالى " هو الاول والاخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم " (١) يقول الامام ابن جرير فى تفسير هذه ألاية : " يقول تعالى ذكرة هو الاول قبل كل شيء بغير حد ، والاخر بعد كل شيء بغير نهاية ، وانما قيل ذلك كذلك لانه كان ولا شيء موجود سواه ، وهو كائن بعد فناء الاشياء كلها ، كما قال جل ثناؤه " كل شيء هالك الا وجهه " (٢) وقوله " والظاهر " يقول وهو الظاهر على كل شيء دونه وهو العالى فوق كل شيء ، فلا شيء اعلى منه " والباطن " يقول وهو الباطن جميع الاشياء فلا شيء اقرب الى شيء منه كما قال " ونحن اقرب اليه من حبل الوريد " (٣) ...

" وقوله " هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش " يقول تعالى ذكره هو الذى انشا السماوات السبع والارضين فدبرهن وما فيهن ثم استوى على

---

(١) سورة الحديد ٣ ـ ٤.

(٢) سورة القصص ٨٨.

(٣) سورة ق ١٦.

عرشه فارتفع عليه وعلا ، وقوله " يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها " يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته ، وانه لا يخفى عليه خافيه من خلقه يعلم ما يلج فى الارض من خلقه - يعنى بقوله يلج يدخل وما يخرج منها وما ينزل من السماء الى الارض من شيء قط وما يعرج فيها فيصعد اليها من الارض " وهو معكم اينما كنتم " يقول وهو شاهد لكم ايها الناس يعلمكم ويعلم اعمالكم ومتقلبكم ومثواكم وهو على عرشه فوق سماواته السبع" (١) .

ونحن نلاحظ فى هذا النص ما يلى :

(ا) التصريح الواضح باثبات علو الله عزوجل بذاته على عرشه فوق سمواته السبع.

(ب) اثبات صفة العلم لله عز وجل وانه لا يخفى عليه خافية

(جـ) اثبات ان معية الله عزوجل مع عباده معية مطلقة، وهى معية العلم وفى ذلك رد صريح على الذين استشهدوا بهذه الاية واستدلوا بها على صحة القول بالحلول والاتحاد ، وان الله فى كل مكان "سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا " (٢) .

فهل يبقى بعد هذا الوضوح التام والتصريح الواضح من الامام ابن جرير باثبات علو الله عزوجل بذاته واثبات الفوقية له سبحانه وتعالى . وانه على عرشه فوق سماواته السبع حجة لمن يزعم إن الامام ابن جرير اول الاستواء بعلو الملك والسلطان؟ .

---

(١) المصدر نفسه جـ ٢٧ ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) سورة الاسراء ٤٣ .

(٥) كما اثبت الامام ابن جرير صفة العلو لله عز وجل في تفسيره لقوله تعالى " الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم " (١) يقول في تفسير هذه الاية : " ثم وصف سبحانه قربه من عباده وسماعه نجواهم وما يكتمونه الناس من احاديثهم فيتحدثونه سرا بينهم فقال " ما يكون من نجوى ثلاثة " من خلقه " الا هو رابعهم " يسمع سرهم ونجواهم لا يخفى عليه شيء من اسرارهم ...

وعنى بقوله " هو رابعهم " بمعنى انه مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه " (٢) .

(٦) كما اثبت صفة الفوقية لله عز وجل في تفسيره لقوله تعالى " وهو القاهر فوق عباده " (٣) يقول الامام ابن جرير في تفسير هذه الاية " ويعني بقوله القاهر المذلل المستعبد خلقه ، العالي عليهم ، وانما قال " فوق عباده " لانه وصف نفسه تعالى بقهره اياهم ، ومن صفة كل قاهر شيئا ان يكون مستعليا عليه ، بمعنى الكلام اذن . والله الغالب عباده المذللهم العالي عليهم بتذليله لهم ، وخلقه اياهم ، فهو فوقهم بقهره اياهم ، وهم دونه " (٤) .

هذا وقد روى الامام ابن جرير في تفسيره مجموعة الاحاديث النبوية الشريفة ، واقوال بعض الصحابة والتابعين ، وعلماء السلف

---

(١) سورة المجادلة ٧ .
(٢) المصدر نفسه حـ ٢٨ ص ١٢ .
(٣) سورة الانعام ١٨ .
(٤) المصدر نفسه حـ ٧ ص ١٦١ .

فى اثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله نذكر فيما يلى بعضا منها .

١ ـ روى بسنده عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله " ثم استوى الى السماء " قال ان الله تعالى كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء ، فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه ، فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع ارضين فى يومين ، الاحد والاثنين ـ الى ان قال ـ فلما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش "(١) .

فهل يفهم من هذا الحديث ان الله لم يكن عاليا علو ملك وسلطان وقهر على المخلوقات التى خلقها قبل ان يستوى على العرش ، ام يفهم منه انه كان عاليا عليها بهذا المعنى ؟ وانه مما لاشك فيه انه سبحانه وتعالى كان عاليا على المخلوقات علو ملك وسلطان وقهر ، قبل ان يستوى على عرشه ، وعلى هذا الاساس لا يكون معنى الاستواء على العرش علو الملك والسلطان ، لان الاستواء كان بعد فراغ الله سبحانه وتعالى من خلق ما احب ، بل ان معنى استواء الله على عرشه ، هو علوه وارتفاعه عليه بذاته المقدسة .

---

(١) هذا الحديث اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره جـ ١ ص ١٩٤ ، والبيهقى فى الاسماء والصفات ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ، وابن خزيمة فى التوحيد ص ٢٤٣ ، والذهبى فى العلو وقال شيخنا الالبانى اسناده جيد .
انظر مختصر العلو ص ١٠٥ .

يقول الامام ابن جرير " فمعنى الكلام اذن : هو الذى انعم عليكم فخلق لكم ما فى الارض جميعا ، وسخره لكم تفضلا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغا فى دنياكم ومتاعا الى موافاة اجالكم ، ودليلا لكم على وحدانية ربكم ، ثم علا الى السماوات السبع وهى دخان ، فسواهن وحبكهن ، واجرى فى بعضهن شمسه وقمره ونجومه ، وقدر فى كل واحدة منهن ما قدر من خلقه " (١)

ب ـ وروى بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان الميت تحضرة الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى ايتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة ، وابشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان . قال فيقولون ذلك حتى يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ، فيقولون فلان ، فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة ، وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان ، فيقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء التى فيها الله .. " (٢) وذكر بقية الحديث .

ونلاحظ فى هذا الحديث اثبات الفوقية لله سبحانه وتعالى ، وانه فى السماء بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان روح المؤمن تعرج بها الملائكة

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ١٩٥ .

(٢) اخرجه الامام ابن جرير فى التفسير حـ ٨ ص ١٧٧ ، والامام احمد فى المسند حـ ٢ ص ٣٦٤ ، وابن ماجه فى السنن حـ ٢ ص ١٤٢٤ ، والحاكم فى المستدرك حـ ١ ص ٣٥٢ ، والذهبى فى العلو . انظر مختصر العلو ص ٨٥ .

حتى تنتهى الى السماء التى فيها الله سبحانه وتعالى • ومعنى فيها الله اى عليها ، لان فى تاتى بمعنى على كما هو معلوم فى اللغة ، وليس المقصود بفي هنا الظرفية • لان الله سبحانه وتعالى فوق عرشه بائن من خلقه ، ليس حالا فى شيء من مخلوقاته •

وقد ذكر الامام ابن جرير قول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قول الله عز وجل " ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء " (١) مستدلا به على اثبات العلو والفوقية لله عز وجل •

يقول ابن عباس فى تفسير هذه الاية " يعنى لا يصعد الى الله من عملهم شيء " (٢) ومعلوم ان الصعود يكون من أسفل الى اعلى وذكر كذلك قول الحسن فى تفسير قوله تعالى " يا عيسى انى متوفيك ورافعك الي " (٣) قال الحسن " رفعه الله اليه فهو عنده فى السماء " (٤) وذكر اخيرا قول الضحاك فى تفسير قوله تعالى " ما يكون من نجوى ثلاثة ••• الى قوله هو معهم " قال الضحاك " هو فوق العرش ، وعلمه معهم " (٥) •

من خلال ما تقدم نلاحظ فى كلام الامام ابن جرير عن الاستواء والعلو والفوقية ما يلى :

(١) يثبت الامام ابن جرير لله عز وجل استواء حقيقيا ـ بمعنى

---

(١) سورة الاعراف ٤٠ •

(٢) جامع البيان حـ ٨ ص ١٧٦ •

(٣) سورة ال عمران ٥٥ •

(٤) المصدر نفسه حـ ٣ ص ٢٩٠ •

(٥) المصدر نفسه حـ ٢٨ ص ١٣ وانظر الشريعة للاجرى ص ٢٨٩ الاسماء والصفات ص ٤٣٠ ومختصر العلو ص ١٣٨ •

العلو والارتفاع ، يليق بذاته المقدسة .

كما يثبت له صفة العلو والفوقية ، وفق مذهب السلف في الاثبات .

(٢) يثبت الامام ابن جرير أن الله سبحانه وتعالى استوى الى السماء ، وعلا على العرش بذاته المقدسة .

(٣) يثبت الامام ابن جرير لله عز وجل المعية الشاملة مع عباده ، وهي معية العلم ، وان الله سبحانه وتعالى يعلم اعمال عباده ما ظهر منها وما بطن لا يخفى عليه شيء منها وهو على عرشه فوق سماواته السبع .

(٤) سلك الامام ابن جرير في الرد على المخالفين وفي اثبات الاستواء طريق ائمة وعلماء السلف في الاثبات ، حيث استعان باساليب اللغة العربية ، والادلة السمعية من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ودعم رايه بذكر اقوال بعض الصحابة والتابعين وائمة السلف السابقين .

(٥) ان اثبات الامام ابن جرير معية الله مع خلقه بعلمه وهو على عرشه فوق سماواته السبع رد على من يقول ان الله في كل مكان ، ولا يجوز ان يخلو منه مكان ، ورد كذلك على القائلين بالحلول والاتحاد ، وهو كذلك في الوقت نفسه اثبات لعلو الله عز وجل وفوقيته على خلقه بذاته المقدسة ، وهو رد كذلك على من زعم ان الامام ابن جرير فسر الاستواء بعلو الملك والسلطان . لا علو الذات .

(٦) واخيرا فان تفسير الامام ابن جرير للاستواء بمعنى العلو والارتفاع بذاته فوق عرشه ، والادلة التي ساقها على اثبات صفة الاستواء لله عز وجل وصفة العلو والفوقية هو دفاع عن عقيدة السلف ضد تاويلات الجهمية والمعتزلة ومن منهج نهجهم ، من جهة ، وتقرير لعقيدة

السلف وتاكيد لما قال به ائمتهم وعلماؤهم من جهة اخرى. وامتـــداد لمذهب السلف من جهة ثالثـــة.

وفيما نقلت عن الامام ابن جرير فى تفسير الاستواء بمعنى العلـــو والارتفاع واثبات ان الله سبحانه وتعالى فى السماء فوق عرشه بائــــن من خلقه وهو معهم بعلمه ، والادلة التى ساقها ...... على اثبات ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واقوال الصحابه والتابعين التى رواها فى تفسيره كذلك ، كفاية فى بيـــــان دفاعه عن عقيدة السلف فى صفة الاستواء.

وارى ان من تمام فائدة البحث ان ادعم دفاع الامام ابن جريـــر عن عقيدة السلف بنقل بعض الادلة من سنة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم التى تثبت ان الله سبحانه وتعالى فى السماء فوق عرشه، وبعـــض اقوال ائمة السلف ومن سار على نهجهم من العلماء والمحققين فــــى اثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل. وفيما يلى بيان ذلـــك اثبت ائمة السلف ومن سار على نهجهم من الفقهاء والمحدثين والعلمـاء والمحققين صفة الاستواء لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله ، وانــــه سبحانه وتعالى فى السماء فوق العرش ، وان معنى الاستواء عندهـــم هو العلو والارتفاع ، وقد استندوا فيما ذهبوا اليه الى نصوص القـرا ن الكريم والاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلـــم. أما الأحاديث فهى كثيرة جدا ، ساق الامام ابن جرير طرفا منها ، وساذكر بعضهـــا فيما يلــى :

(١) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم يقول : ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلـــــق

ان رحمتي سبقت غضبي ، وهو عنده فوق العرش " (١) .

(٢) عن معاوية بن الحكم السمي قال : كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل احد الجوانية (٢) ، فاطلعت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، وانا رجل من بني ادم اسف كما ياسفون ، لكني صككتها صكة ، فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي ، قلت يا رسول الله افلا اعتقها ، قال ائتني بها فاتيته بها ، فقال لها اين الله قالت في السماء قال من انا قالت انت رسول الله ، قال اعتقها فانها مؤمنة " (٣) .

والاحاديث الدالة على أثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية للـه عز وجل كثيرة جدا . ذكر الامام الذهبي في العلو والامام ابن القيم في اجتماع الجيوش كثيرا منها .

هذا وقد ثبت عن كثير من ائمة السلف وعلمائهم اثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله وكلامهم في ذلك كثير جدا نذكر منه ما يلي :

---

(١) اخرجه البخاري حـ ٨ ص ١٧١ ، ٢١٦ ، ومسلم حـ ٤ ص ٢١٠٧ ـ ٢١٠٨ والامام احمد في المسند حـ ٢ ص ٢٥٨ ، وابن ماجه في السنن ص ١٤٣٥ . والامام ابن جرير في التفسير حـ ٧ ص ١٥٦

(٢) الجوانية موضع بقرب جبل احد الى الشمال من المدينة المنورة ، انظر معجم البلدان لياقوت حـ ٢ ص ١٧٥ .

(٣) اخرجه الامام مسلم حـ ١ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ ، والامام احمد في المسند حـ ٢ ص ٢٩١ ، والامام مالك في الموطا حـ ٢ ص ٧٧٦ ـ ٧٧٧ ، والدارمي في سننه حـ ٢ ص ٨٧ ، وابن خزيمة في التوحيد ص ١٢١ .

(١) روى عبد الله بن احمد بن حنبل بسنده عن مالك بن انس قال الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء" (١) .

(٢) وقال الامام الدارمي " فالله تعالى فوق عرشه ، فوق سماواته بائن من خلقه . فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف الهه الذي يعبد ، وعلمه من فوق العرش باقصى خلقه وادناهم واحد لا يبعد عنه شيء " لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض" (٢) سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوا كبيرا " (٣) .

(٣) وقيل لابي عبد الله احمد بن حنبل " الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ، قال نعم هو على عرشه ، ولا يخلو شيء من علمه" (٤) .

(٤) وقال الامام ابن خزيمة : " فنحن نؤمن بخبر الله تعالى انه خالقنا مستو على عرشه ، لا نبدل كلام الله ، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية انه استولى على العرش لا استوى ، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم ، كفعل اليهود لما امروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة ، مخالفين لامر الله جل وعلا كذلك الجهمية" (٥) .

---

(١) اخرجه عبد الله بن احمد في السنة ص ٥ ، والاجري في الشريعة ص ٢٨٩ ، والذهبي في العلو انظر مختصر العلو ص ١٤٠ وقال شيخنا الالباني اسناده صحيح انظر المصدر السابق ص ١٤٠ .

(٢) سورة سبا ٣ .

(٣) الرد على الجهمية ص ١٨ .

(٤) اخرجه اللالكائي في السنن جـ ٢ ص ٣٨٥ ، والذهبي في العلو انظر مختصر العلو ص ١٨٩ ، وقال الالباني عن هذا الاثر اسناده صحيح انظر المصدر نفسه ص ١٩٠ .

(٥) التوحيد ص ١٠١ .

(٥) ويقول الامام ابو الحسن الاشعرى : " فالسماوات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السماوات ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش اعلى السماوات وليس اذا قال "ءامنتم من فى السماء" (١) يعنى جميع السماوات ، وانما اراد العرش الذى هو اعلى السماوات ، الا ترى ان الله عز وجل ذكر السماوات فقال " وجعل القمر فيهن نورا " (٢) ولم يرد ان القمر يملاهن جميعا ، وانه فيهن جميعا ، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون ايديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله عز وجل مستو على العرش الذى هو فوق السموات ، فلولا ان الله عز وجل على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش كما لا يحطونها اذا دعوا الى الارض. (٣)

الدليل على ان استواء الله عز وجل الوارد بالنص بمعنى العلو

وينبغى ان نشير الى نقطة مهمة فى هذا البحث وهي ان استواء الله تبارك وتعالى على العرش الوارد بالنص جاء مقيدا بعلى ، واذا قيد بها فلا يحتمل من المعانى الا العلو والارتفاع والاعتدال ، ونحو هذا ، ولا يكون بمعنى الانتهاء الا اذا جاء مطلقا .

---

(١) سورة الملك ١٦ .

(٢) سورة نوح ١٦ .

(٣) الابانة ص ٣٦ .

يقول الامام ابن القيم : ان لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم ، وانزل بها كلامه نوعان ـ مطلق ومقيد ، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله " ولما بلغ اشده واستوى " (١) وهذا معناه كمل وتم ، يقال استوى النبات ، واستوى الطعام.

واما المقيد فثلاثة اضرب :

احدها مقيد بالى كقوله " ثم استوى الى السماء ، واستوى فلان الى السطح والى الغرفة ، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بالى في موضعين من كتابه في البقرة في قوله تعالى " هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء " (٢) والثاني في سورة السجدة (فصلت) " ثم استوى الى السماء وهي دخان " (٣) وهذا بمعنى العلو والارتفاع باجماع السلف .

والثاني مقيد بعلى كقوله " لتستووا على ظهوره " (٤) وقوله " واستوت على الجودي " (٥) وقوله " فاستوى على سوقه " (٦) وهذا ايضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال باجماع اهل اللغة.

الثالث : المقرون بواو مع التي تعدى الفعل الى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها . وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ، وليس فيها معنى استولى البتة ، ولا نقله احد من ائمة اللغة

---

(١) سورة القصص ١٤.

(٢) سورة البقرة ٢٩.

(٣) سورة فصلت ١١.

(٤) سورة الزخرف ١٣.

(٥) سورة هود ٤٤.

(٦) سورة الفتح ٢٩.

الذين يعتمد قولهم ، وانما قاله متاخروا النحاه ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية "(١) . ولا ريب ان الاستيلاء عبارة عن غلبة مع توقع ضعف ، والله سبحانه وتعالى لا يغالبه احد .

يقول ابن الاعرابي من علماء اللغة في رده على رجل قال له انما معنى استوى استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك ؟ العرب لا تقول استولى على العرش فلان حتى يكون له فيه مضاد ، فايهما غلب قيل قد استولى عليه ، والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر" (٢) .

ويقول الامام ابو الحسن الاشعري في معرض رده على الجهمية والمعتزلة الذين زعموا ان معنى قوله " الرحمن على العرش استوى " انه استولى وملك وقهر ، وانه عز وجل في كل مكان ، وجحدوا ان يكون الله عز وجل على عرشه كما قال اهل الحق ، يقول في الرد عليهم : " ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والارض فالله سبحانه وتعالى قادر عليهما ، وعلى الحشوش ، وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء — وهو سبحانه مستول على الاشياء كلها — لكان مستويا على العرش وعلى الارض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش ، والاقراد ، لانه قادر على الاشياء مستول عليها ، واذا كان قادرا على الاشياء كلها ولم يجز عند احد من المسلمين ان يقول ان الله عز وجل مستو على الحشوش والاخلية — لم يجز ان يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ، ووجب ان يكون معناه استواء يختص العرش دون الاشياء

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة جـ ٢ ص ١٢٦ — ١٢٧

(٢) الاسماء والصفات ص ٤١٥ وانظر لسان العرب جـ ١٤ ص ٤١٤ ، فتح الباري جـ ١٣ ص ٤٠٦ نقلا عن السهروي في كتابه الفاروق ، سنن اللالكائي جـ ٢ ص ٣٨٠ .

كلها ، وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية ان الله عز وجل فى كل مكان ، فلزمهم انه فى بطن مريم ، وفى الحشوش والاخلية ، وهذا خلاف الدين تعالى الله عن قولهم "(١) .

ويقول الشيخ محمد الامين الشنقيطى رحمة الله عليه ، فى معرض رده على اهل التاويل بعد ان ذكر الايات المثبته للاستواء " انه ينبغى للمؤولين ان يتاملوا اية من سورة الفرقان وهى قوله تعالى " ثم استوى العرش الرحمن فأسئل به خبيرا "(٢) ويتاملوا معها قوله تعالى فى سورة فاطر " ولا ينبئك مثل خبير "(٣) فان قوله فى الفرقان " فاسئل به خبيرا " بعد قوله " ثم استوى على العرش الرحمن " يدل دلالة واضحة ان الله الذى وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه لا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها ويفهم منه ان الذى ينفى عنه صفة الاستواء ليس بخبير ، نعم والله هو ليس بخبير "(٤) ويقول فى موطن اخر : " وقالوا على العرش استوى مجاز فنفوا الاستواء ، لانه مجاز ، وقالوا معنى استوى استولى ، وشبهوا استيلاءه باستيلاء بشر بن مروان على العراق ، ولو تدبروا كتاب الله لمنعهم ذلك من تبديل الاستواء بالاستيلاء ، وتبديل اليد بالقدرة او النعمة ، لان الله جل وعلا يقول فى محكم كتابه فى سورة البقرة فبدل الذين كفروا قولا غير الذى قيل لهم ، فانزلنا على الذين ظلموا رجسا من السماء بما كانوا يفسقون "(٥) ويقول فى الاعراف " فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون "(٦) .

---

(١) الابانه ص ٣٧ .
(٢) سورة الفرقان ٥٩ .
(٣) سورة فاطر ١٤ .
(٤) منهج ودراسات لايات الصفات ص ٢٦ .
(٥) سورة البقرة ٥٩ .
(٦) سورة الاعراف ١٦٢ .

فالقول الذى قال الله لهم هو : حطة ، وهى فعلة بمعنى الوضع او بمعنى طلب المغفرة. وفى بعض الروايات فى شانهم انهم بدلوا هذا القول بان زادوا نونا ، فقالوا : حنطة ، وهى القمح ، وأهل التأويل قيل لهم على العرش استوى فزادوا لاما فقالوا : استولى ، وهذه اللام التى زادوها اشبه بالنون التى زادها اليهود فى قوله " وقولوا حطة " (١) وكلمة استوى فى زعمهم توهم غير اللائق ، وكلمة استولى فى زعمهم هي المنزهة اللائقة بالله ، مع انه لا يعقل تشبيه أبشع من تشبيه استيلاء الله تعالى على عرشه المزعوم بشر على العراق قال الله تعالى " فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون (٢) " (٣) .

وفيما نقلناه من كلام ائمة السلف وعلمائهم ، والادلة التى استشهدوا بها على اثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله ، واثبات ان الله عزوجل فى السماء مستو على عرشه بائن من خلقه وهو معهم بعلمه ، وردودهم على المؤولين فى ذلك كفاية لمن وفقه الله لفهمه ، وتدبر الحق فلزمه ، وقد ذكر اللالكائى فى سننه والذهبى فى العلو ، كثيرا من الروايات والنقول عن ائمة السلف وعلمائهم فى اثبات صفة الاستواء والعلو لله عزوجل ، كما الف الامام ابن القيم كتابا خاصا رد فيه على من اول الاستواء بمعنى يخالف ما عليه سلف الامة وهو كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية ، وقد الفه للرد على المعتزلة والجهمية ومن سار على نهجهم فى التاويل . كما ان كتب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمة الله عليه حافلة

---

(١) سورة البقرة ٥٨ .

(٢) سورة النحل ٧٤ .

(٣) مبحث جليل على آية من التنزيل ص ٢٧ ـ ٢٨ .

بالنصوص الصريحة فى اثبات صفة الاستواء والعلو والفوقية لله عز وجل ، وانـه فوق عرشه فى السماء بائن من خلقه وهو معهم بعلمه ، وكذلك فان كتبـه حافلة بالردود العلمية ، والمناقشات القوية على المؤولين من الجهميـة والمعتزلة والاشاعرة وغيرهم.

الادلة العقلية على اثبات صفة الاستواء لله عز وجل وانه بمعنى العلو والارتفاع يثبت العقل لله عز وجل صفة الاستواء كما يليق بكماله وجلالـه من عدة وجوه نذكر اهمها فيما ياتى :

(١) العلم البديهى القاطع بان كل موجودين اما ان يكون احدهمـا ساريا فى الاخر قائما به كالصفات ، واما ان يكون قائما بنفسه بائنـا من الاخر.

(٢) انه سبحانه وتعالى لما خلق العالم ، فاما ان يكون خلقه فى ذاتـه او خارجا عن ذاته ، اما الاول فباطل بالاتفاق من جهة، ومـن جهة اخرى فلانه يلزم منه ان يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالـى الله عن ذلك علوا كبيرا ، والثانى يقتضى كون العالم واقعا خـارج ذاته فتعيـن المباينـة ، لان القول بانه غير متصل بالعالـم وغير منفصل عنه غير معقول .

(٣) ان كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه لازمه نفى وجوده بالكلية لانه غير معقول ، فيكون موجودا اما داخله واما خارجه ، وكونـه داخل العالم باطل ، فتعين الثانى وهو انه خارج العالـم فلزمت المباينـه (١) .

هذا وكما ان الاستواء بمعنى العلو والارتفاع ثابت لله عز وجـل بدلالة السمع والعقل فانه ثابت بالفطرة كذلك ، لان الخلق جميعا بطباعهـم

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٣٢٥.

وقلوبهم السليمة يرفعون ايديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع الى الله سبحانه وتعالى .(١)

الرد على من تأول العرش بالملك

بيد ان اصحاب التاويل لكي يتخلصوا من ظاهر اية الاستواء التي راوا ان معناها محال في حق الله تعالى ، فانهم ذهبوا الى تاويل العرش في اية الاستواء على معنى الملك ، وبناء عليه يكون معنى قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى "(٢) ان الملك ما استوى لاحد غيره ، وقد استشهدوا على تاويلهم هذا باللغة ، فانه يقال ثل عرش بني فلان اذا زال ملكهم ، وقال الشاعر :

اذا ما بنو مروان ثلت عروشهم ** واودت كما اودت اياد وحمير (٣)

واقل ما يمكن ان نرد به عليهم هو : كيف يصنعون بقوله تعالى " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية "(٤) وبقوله تعالى " وكان عرشه على الماء "(٥) ايقولون ويحمل ملكه يومئذ ثمانية ؟ وكان ملكه على الماء ، ويكون موسى عليه السلام اخذ بقائمة من قوائم الملك ، ايقول هذا عاقل يدري ما يقول (٦) ؟ " فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور "(٧) .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٢٢٥ .
(٢) سورة طه ٥ .
(٣) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٧ ، اصول الدين ص ١١٣ ـ ١١٤ ، التبصير في الدين ص ١٥ .
(٤) سورة الحاقة ١٧ .
(٥) سورة هود ٧ .
(٦) شرح الطحاوية ص ٣١٢ .
(٧) سورة الحج ٤٦ .

هذا وقد فسر الامام ابن جرير العرش بالسرير مقتضيا فى ذلك سلف الامة الذين فسروه بذلك.

يقول الامام ابن جرير فى تفسير قوله تعالى : " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم "(١) " وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن ، ويعنى بالعرش السرير " (٢)

والى هذا المعنى الذى ذهب اليه الامام ابن جرير من تفسير العرش بالسرير ذهب شارح الطحاوية ، حيث يقول فى ذلك.

" والعرش فى اللغة عبارة عن السرير الذى للملك ، كما قال تعالى عن بلقيس " ولها عرش عظيم " (٣) وليس هو ملكا ، ولا تفهم منه العرب ذلك ، والقران انما نزل بلغة العرب ، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات فمن شعر امية بن ابى الصلت :

مجدوا الله فهو للمجد اهل ** ربنا فى السماء امسى كبيرا

بالبناء العالى الذى بهر النا ** س وسوى فوق السماء سريرا (٤)

وفى ختام هذا البحث احب ان افند بعض الشبه التى اثارها اهل التاويل والتعطيل ضد ائمة السلف وعلمائهم. الذين اثبتوا صفة الاستواء لله عز وجل ، واثبتوا له العلو والفوقية كما يليق بكماله وجلاله من غير تشبيه، ومن بين هذه الشبه ما يلى :ـ

(١) شبهه التشبيه :ـ

اشتهر عن الجهمية والمعطلة واهل التاويل اطلاق لفظ المشبهة او المجسمة على الذين يثبتون لله عز وجل الاستواء الى السماء

---

(١) سورة الزمر ٧٥.

(٢) جامع البيان جـ ٢٤ ص ٣٧.

(٣) سورة النمل ٢٣.

(٤) شرح الطحاوية ص ٣١١.

بمعنى العلو والارتفاع ، وصفة العلو فوق العرش ، ويمكن الاجابة على هذه الشبهة بكلام ائمة السلف ومن سار على نهجهم ، وفيما يلي بيان ذلك :

(١) يقول نعيم بن حماد الحافظ : " من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن انكر ما وصف به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيها " (١) تشبيه

(٢) وقال اسحاق بن راهويه " انما يكون التشبيه اذا قال يد مثل يدى او سمع كسمعى ، اما اذا قال كما قال الله يد وسمع وبصر ، فلا يقول كيف ، ولا يقول مثل ، فهذا لا يكون تشبيها ، قال تعالى " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير " (٢) ٠

(٣) ويقول الامام احمد : " التشبيه ان تقول يد كيد ، او وجه كوجه ، فاما اثبات يد ليست كالايدى ، ووجه ليس كالوجوه فهو اثبات ذات ليست كالذوات ، وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كغيره من الاسماع والابصار ، وليس الا هذا المسلك ومسلك التعطيل المحض ، والتناقض الذى لا يثبت لصاحبه قدم فى النفى ولا فى الاثبات " (٣) ٠

(٤) ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فالمعتزلة والجهمية ونحوهم من نفاة الصفات يجعلون كل من اثبتها مجسما مشبها ، ومن هؤلاء من يعد من المجسمة والمشبهة الائمة المشهورين كمالك

---

(١) مختصر العلو ص ١٨٤ ٠

(٢) سورة الشورى ١١ ، المصدر نفسه ص ٦٩ ٠

(٣) مختصر الصواعق حـ ١ ص ٢٧ ٠

والشافعي واحمد ، واصحابهم ، كما ذكر ذلك ابو حاتم صاحب كتاب الزينة وغيره.

وشبهة هؤلاء ان الائمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى ، ويقولون ان القران كلام الله ليس بمخلوق ، ويقولون ان الله يرى في الاخرة ، هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان من اهل البيت وغيرهم ، وهذا مذهب الائمة المتبوعين مثل مالك بن انس والثوري والليث بن سعد والاوزاعي وابي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق وداود ، ومحمد بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي وابي بكر بن المنذر ومحمد بن جرير الطبري واصحابهم...

" والمقصود هنا ان اهل السنة متفقون على ان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في افعاله ، ولكن لفظ التشبيه في كلام الناس لفظ مجمل ، فان اراد بنفي التشبيه ما نفاه القران ودل عليه العقل فهذا حق ، فان خصائص الرب لا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته ، وان اراد بالتشبيه ان لا يثبت لله شيئا من الصفات ، فلا يقال له علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، لان العبد موصوف بهذه الصفات فيلزم ان لا يقال له حي عليم قدير لان العبد يسمى بهذه الاسماء ، وكذلك في كلامه وسمعه وبصره ورؤيته وغير ذلك ، وهم يوافقون اهل السنة ان الله موجود حي عليم قادر والمخلوق يقال له موجود حي عليم قادر ، ولا يقال هذا تشبيه يجب نفيه " (١)

---

(١) منهاج السنة مقتطفات حـ ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣.

(٢) شبهـة الجـهـة :

ومن بين الشبه التي اثارها خصوم السلف انهم ينسبون كـل من يثبت الفوقية لله تعالى الى انه ينسب لله الجهة والمكان ، ولازالة الغموض في هذه المسالة ، احب ان ابين ما يلي :

ان لفظ الجهة فيه اجمال وتفصيل ، فنحن نوافق على نفيـه عن الله تبارك وتعالى من وجـه ، ونثبته من وجه اخر ، ذلـك انه قديراد بنفى الجهة ان الله سبحانه وتعالى غير موجود فـي داخل هذا العالم ، فان اريد هذا المعنى فان الله سبحانه وتعالى منـزه عن ان يكون في شيء من مخلوقاته ، وان كان المقصود بنفـي الجهة العدميـة التي هي عبارة عن ان الله سبحانه وتعالى فـوق خلقه فهذا الامر مرفوض تماما لانه لا يجوز ان يقال انه سبحانـه وتعالى ليس في جهة بقصد نفي علوه وفوقيته على خلقه ، وبناء علـى ما تقدم فان الجهة قسمـان .

ا ـ جـهـة يجب ان ينزه الله تبارك وتعالى عنها ، وهى هـذا العالم الوجودي فان الله تبارك وتعالى ليس حالا في شيء من مخلوقاته ، وعـلى هذا مضى سلف الامة .

ب ـ جهة ثانية وهي عدم محض ، وهي ما فوق العالم ، فاثبـات جهة لله تبارك وتعالى بمعنى انه فوق العالم مستو على عرشـه بائن من خلقـه فهذا واجب شرعا ، مع مراعاة عدم التشبيـه والتكييف ، لان هذه الجهة ثابته لله تبارك وتعالى بما تواتـر من نصوص القران الكريم والسنة المطهرة واجماع سلف الامة ، بـل جميع الاديان السماويـة والكتب المنزلة ، فمن قال ان اللـه تبارك وتعالى فوق العالم لم يقل بجهة وجودية بل بجهة عدميـة

اثبتها الشرع ، واثبتتها الفطرة ، واثبتها العقل كذلك. يقول شيخ الاسلام ابن تيمية موضحا هذا المعنى : " فاذا كان سبحانه فوق الموجودات كلها ، وهو غنى عنها لم يكن عنده جهة وجودية يكون فيها فضلا عن ان يحتاج اليها ، وان اريد بالجهة ما فوق العالم فذلك ليس بشيء ولا هو امر وجودى ، وهؤلاء اخذوا لفظ الجهة بالاشتراك ، وتوهموا واوهموا اذا كان في جهة كان فى شيء غيره ، كما يكون الانسان فى بيته ، ثم رتبوا على ذلك ان يكون الله محتاجا الى غيره ، والله تعالى غنى عن كل ما سواه "(١) .

وجملة القول فى الجهة ان اريد بها امر وجودى فهذا ينبغى نفيه لان الله تبارك وتعالى لا يحصره ولا يحيط به شيء من خلقه ، فهو سبحانه وتعالى فوق عرشه بائن من خلقه وهو معهم بعلمه ، وان اريد بالجهة امر عدمى وهو ما فوق العالم فهذا ينبغى اثباته لانه ليس هنالك فوق العالم لا الله وحده وينطبق هذا القول بالنسبة للمكان ايضا ، وقد تكلمنا عنه سابقا بما فيه الكفاية .

---

(١) نقض تاسيس الجهمية حـ ١ ص ٥٢٠ ، وانظر الرسالة التدمرية ص ٤٥ ، مختصر الملو ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧ ، مناهج الادلة ص ١٧٨ ، البيهقى وموقفه من الالهيات ص ٣٥٣ .

المبحث الخامس

صفة المجيء والاتيان

عرض الامام ابن جرير في تفسيره أقوال بعض المخالفين لمذهب السلف في مجيء الله سبحانه وتعالى واتيانه . وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة " (١) .

حيث أول بعضهم اتيان الله عز وجل نظير ما يعرف من مجيء الجائي وانتقاله من مكان الى مكان ، وأوله بعضهم باتيان امره ، وأوله بعضهم بمجيء ثوابه وحسابه . يقول الامام ابن جرير بعد أن ذكر أقوال المختلفين في صفة اتيان الرب تبارك وتعالى الذى ذكره في هذه الآية" ..... وقال آخرون : اتيانه عز وجل نظير ما يعرف من مجيء الجائي من موضع الى موضع وانتقاله من مكان الى مكان .

وقال آخرون : معنى قوله " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله " يعنى به : هل ينظرون الا أن يأتيهم أمر الله ، كما يقال : قد خشينا أن يأتينا بنو امية يراد به حكمهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك هل ينظرون الا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه ، كما قال عز وجل " بل مكر الليل والنهار " (٢) وكما يقال قطع الوالى اللص أو ضربه ، وانما قطعه أعوانه " (٣) .

ومن الواضح أن الامام ابن جرير يعنى بأصحاب القول الأول المشبهة الذين يشبهون صفات الله عز وجل بصفات خلقه تعالى الله عما قالوا ، ويعنى بصاحب

---

(١) سورة البقرة آيه ٢١٠

(٢) سورة سبأ آيه ٣٣

(٣) جامع البيان حـ ٢ ص ٣٢٩ .

القول الثاني الأخفش الذي ذهب الى ذلك القول ، حيث يقول الأخفش في تأويل قوله تعالى " الا أن يأتيهم الله " " يعني امره ، لأن الله تبارك وتعالى لا يزول ، كما تقول قد خشينا أن يأتينا بنو أمية ، وانما تعني حكمهم " (١) ويعني بصاحب القول الثالث الزجاج ، فقد ذكر القرطبي أن الزجاج ذهب الى تأويل اتيان الله عز وجل باتيانه بما جاءهم من الحساب والعذاب (٢) ولا ريب أن القولين الثاني والثالث يمثلان وجهة نظر الجهمية والمعتزلة . الذين أولوا اتيان الله عز وجل باتيان امره ، أو اتيان ثوابه وحسابه (٣) .

ويرى أصحاب التأويل انه يجب صرف نصوص المجيء والاتيان عن ظاهرها الذي يقتضي الحركة والانتقال من مكان الى مكان لأن هذا لا يتصور الا في الأجسام وهو سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون جسما . (٤) ، وكذلك فان ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون ، وهما حادثان وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث . فيلزم أن كل ما يصح عليه المجيء والاتيان يجب أن يكون مخلوقا محدثا والله سبحانه وتعالى يستحيل أن يكون كذلك . (٥)

الا أن الامام ابن جرير لم يناقش المؤولين فيما ذهبوا اليه ، ولعل ذلك راجع الى الاسباب التالية :-

(١) اكتفاؤه بعرض رأي السلف في اثبات صفة المجيء والاتيان وتأييد رأيهم بأدلة شرعية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، والأثار المرويه عن بعض

---

(١) معاني القرآن جـ ١ ص ١٧٠

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن جـ ٣ ص ٢٥

(٣) انظر متشابه القرآن جـ ١ ص ١٢١ ، ورد الدارمي على المريسي ضمن عقائد السلف ص ٣٧٨

(٤) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٩

(٥) انظر اساس التقديس ص ١٠٢

الصحابة والتابعين في اثبات المجيء والاتيان لله عز وجل من غير تحريف او تعطيل ومن غير تكييف او تمثيل • حيث فسر الآيات المتعلقة بصفة المجيء والاتيان بما يوافق مذهب السلف في الاثبات ، وروى مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الاثار المروية عن الصحابة والتابعين تشهد لصحة ما ذهب اليه •

(٢) ان صفة المجيء والاتيان من الصفات الخبرية التي لا تثبت الا بأدلة السمع • ولا مجال لتدخل العقل فيها •

(٣) ان الخلاف في هذه المسألة لم يكن قويا بين السلف والمؤولين في عصره ، لذلك لم يول تأويلاتهم اهتماما كبيراً ، واكتفى بمخالفتهم وذلك باثبات صفة المجيء والاتيان لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله ،واستدل على ذلك بأدلة السمع •

وقبل أن نعرض رأي الامام ابن جرير في اثبات صفة المجيء والاتيان يجدر بنا أن نبين أهم الاعتراضات الواردة على مذهب المؤولين في تأويل صفة المجيء والاتيان • فنقول وبالله التوفيق •

(١) بينا فيما سبق أن اثبات الصفات لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله لا يستلزم التشبيه والتجسيم بناء على القاعدة المشهورة عند السلف وهي اذا كانت ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات ،وهو سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله •

(٢) وبينا كذلك أن أهل السنة والجماعة يثبتون حلول الحوادث بذاته سبحانه وتعالى ،أو قيام الافعال الاختيارية • وبينا أن اثباتهم له ذلك على ما يليق به ،ويناسب كمال جلاله وعظمته ، ونزيد هذا الأمر وضوحا فنقول وبالله التوفيق •

ان أدلة الشرع ، والعقل تثبت أن افعال الله سبحانه وتعالى تقوم بــــه ، فالعقل يثبت أن من يفعل بمشيئته واختياره فان شاء فعل ، وان لم يشأ لم يفعل ، اكمل ممن يكون الفعل لازما له ،والفاعل لابد له من فعل يقوم به ، ولا يكون فاعـــــلا الا من قام به الفعل ، ولو لم يتصف الله سبحانه وتعالى بالنزول والمجيء والاتيـــان وغير ذلك من صفات الافعال التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم لكان من يتصف بذلك من خلقه اكمل منه وأتم ، ولا يقول بهذا القـــــول احد . وفي القاعدة الكلامية المشهورة أن كل كمال ثبت لمخلوق من غير أن يستلـــزم نقصا بوجـــه من الوجـــوه فالله سبحانه وتعالى أولى به من كل مخلوق ، وكل نقـــص تنزه عنه مخلوق فالله سبحانه وتعالى أولى بتنزهه عنه من كل مخلوق . (١)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض استدلاله على قيام الأفعال الاختياريه بذات الله سبحانه وتعالى " فان المثبتين يقولون كونه قادرا على الفعل بنفســـه صفة كمال ، كما أن قدرته على المفعول المنفصل صفة كمال ، فانا اذا عرضنا علـــى صريح العقل من يقدر على الفعل القائم به ، والمنفصل عنه ، ومن لا يقدر الا علـــى أحدهما علم أن الأول اكمل ، كما اذا عرضنا عليه من يعلم نفسه وغيره ، ومن لا يعلـــم الا أحدهما ، وامثال ذلك ، ويقول من يجوز دوام الحوادث وتسلسلها ، اذا عرضنا على صريح العقل من يقدر على الافعال المتعاقبة الدائمة ، ويفعلها دائمة ومتعاقبـة ومن لا يقدر على الدائمة المتعاقبة كان الأول اكمل . وكذلك اذا عرضنا على العقـل من فعل الافعال المتعاقبة مع حدوثها ومن لا يفعل حادثا أصلا ، لئلا يكون عدمـــه قبل وجوده عدم كمال ، شهد صريح العقل بأن الأول اكمـل " (٢)

فشيخ الاسلام ابن تيمية بين أن الكمال كامن في اثبات قيام الافعال بذات اللـــه

---

(١) انظر موافقة صريح المعقول جـ ٢ص ١١٩

(٢) المصدر نفسه جـ ٢ص ١١٧ ـ ١١٨

سبحانه وتعالى وقدرته على الفعل القائم به ، والمنفصل عنه ، والقدرة على الافعال الدائمة والمتعاقبة ، وفعلها دائمة متعاقبة مع حدوثها ، بخلاف من لا يفعل حادثا اصلا فانه ليس في هذا كمال ، لأن فيه نفى للقدرة والفعل ، مع أن سبب نفيهم للفعل الحادث هو الخوف من عدم الفعل في الأزل ، فعطلوا لذلك الباري سبحانه وتعالى عن الفعل مطلقا .

وفي اثبات الفعل الحادث بقدرته سبحانه وتعالى اثبات كمال لله تعالى وهو قدرته وفعله لهذه الافعال ، وان لزم من ذلك عدم الفعل في الأزل قبل هذا الفعل الحادث ، اذ أن عدم القدرة والفعل المطلقين ليس كالفعل والقدرة المستمرين في الكمال وان سبقهما العدم . (١)

ومما تجدر الاشارة اليه أن أهل السنة والجماعة يثبتون لله سبحانه وتعالى ما يقوم به من الصفات والافعال التي يشاؤها ويقدر عليها . (٢) ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة منها :-

قوله تعالى " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة" وقوله تعالى " وجاء ربك والملك صفا صفا " (٣)

يقول الامام الدارمي بعد سياق هذه الآيات " وهذا يوم القيامة اذا نزل ليحكم بين العباد " (٤) .

وقوله تعالى " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش " (٥) وفي الآيات التي ذكرنا بيان لفعل كان من الله سبحانه وتعالى هو استواؤه على العرش بعد أن خلق السموات والارض ، وفعل سيكون هو

---

(١) انظر ابن حزم وموقفه من الالهيات ص ٣٩٠

(٢) انظر موافقة صريح المعقول ج ٢ ص ٥ ، شرح حديث النزول ص ٩٩ - ١٠٥ ، ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣) سورة الفجر ٢٢

(٤) الرد على الجهمية ص ٣١

(٥) سورة الاعراف آية ٥٤

مجيئه واتيانه يوم القيامة • فدلت هذه الآيات على اتصاف الله تعالى بالافعال الاختيارية ، وغير هذه من الآيات كثير جدا مما هو مشتمل على الصفات الدالة على أن الله تبارك وتعالى يفعل بقدرته ومشيئته وكذلك الاحاديث النبوية الشريفة المتضمنة لمثل ذلك ، كأحاديث النزول وغيرها ، لان الفعل لابد له من فاعل سواء أكان الفعل متعديا الى مفعول أم لم يكن ،والفاعل لابد له من فعل سواء أكان فعله مقتصرا عليه أم متعديا الى غيره •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك : " فان الله تعالى وصف نفسه بالافعال اللازمة كالاستواء ، وبالأفعال المتعدية كالخلق • والفعل المتعدى مستلزم للفعل اللازم ، فان الفعل لابد له من فاعل سواء كان متعديا الى مفعول أولم يكن ،والفاعل لابد له من فعل سواء كان فعله مقتصرا عليه أومتعديا الى غيره ، والفعل المتعدى الى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله •• فقوله " هو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش " تضمن فعلين أولهما متعد الى المفعول به ،والثانى مقتصر لا يتعدى فاذا كان الثاني وهو قوله (ثم استوى) فعلا متعلقا بالفاعل ، فقوله خلق كذلك بلا نزاع بين أهل العربية ، ولو قال قائل : خلق لم يتعلق بالفاعل بل نصب المفعول به ابتداء كان جاهلا بل في " خلق " ضمير يعود الى الفاعل كما في " استوى " (١) •

(٣) بعد أن بينا أن أهل السنة والجماعة يثبتون قيام الافعال الاختيارية بذات الله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته ، كذلك اثبات مجيئه واتيانه ونزوله على الوجه الذى يليق به • فلا يثبتون له مجيئا واتيانا ونزولا كما يكون للخلق اذا فعلوا ذلك من شغل محل ، وتفريغ آخر ، ومن كون ما نزلوا عنه فوق ما نزلوا اليه ، وغير ذلك مما هو لازم للمخلوقين اذا فعلوا

---

(١) موافقة صريح المعقول حـ ٢ ص ٣ ، ٤ وانظر مختصر الصواعق المرسله حـ ٢ ص ٢٥٨ •

شيئا من ذلك ،ومثل هذا ممتنع في حقه سبحانه وتعالى ، لأنه سبحانه وتعالى منزه عما يكون من صفات المحدثين ، وسمات المخلوقين .

وعلى هذا فان مجيء الله سبحانه وتعالى ، واتيانه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، ونزوله كل ليلة كما في الآحاديث النبوية الشريفة كل ذلك حقيقة من غير أن يلزم فعله سبحانه وتعالى ما يلزم المخلوق اذا فعل مثل ذلك فالله سبحانه وتعالى يفعل ما ذكر ،ولا يخلو منه العرش ، ولا يكون شيئا من مخلوقاته أعلى منه ،لأنه سبحانه وتعالى فوق عرشه بائن من خلقه ، عال عليهم ومحيط بهم، ومن المؤكد أن سلف الأمة وائمتها يعلمون أن الله سبحانه وتعالى اذا وصف نفسه بصفة أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك أنه ثابت له على ما يليق به سبحانه وتعالى . فلا يشبه شيئا من صفات خلقه ، كما لا تشبه ذاته سبحانه وتعالى ذواتهم ، وكذلك القول بالنسبة لأفعاله سبحانه وتعالى .

كما أن في صفات الخلق ما يختلف بعضها عن بعض ، فيكون من بعضها ما لا يكون من الآخر ، كما في حركة ارواح بني آدم ،والملائكة فالروح توصف بما يستحيل اتصاف البدن به . فاذا كان هذا في حق المخلوقات فكيف يستحيل اتصاف الخالق سبحانه وتعالى بما هو مستحيل بالنسبة للمخلوقات . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك : " واذا قيل الصعود والنزول والمجيء والاتيان انواع جنس حركة ، قيل والحركة ايضا اصناف مختلفة ، فليست حركة الروح كحركة البدن ولا حركة الملائكة كحركة البدن ، والحركة يراد بها انتقال البدن والجسم من حيز ، ويراد بها امور أخرى ، كما يقول كثير من الطبائعية والفلاسفة منها الحركة في الحكم كالحركة في النمو ، والحركة في الكيف كحركة الانسان من جهل الى علم وحركة اللون والثياب من سواد الى بياض ، والحركة في الأين كالحركة تكون بالاجسام النامية من النبات والحيوان في النمو والزيادة ، أو في الذبول

والنقصان ، وليس هناك انتقال جسم من حيز الى حيز " (١)٠

وبما أن الاختلاف قد تبين لنا أنه يقع فيما هو داخل تحت مسمى واحد في المخلوقات لكل منها بحسبه ٠ فان ما يوصف به البارى سبحانه وتعالى يناسب عظمته وكماله ، فصفاته سبحانه وتعالى أكمل واتم وأعلى من كل ما يتصف به خلقه ، لأنه واهب الكمال ومبدعه ٠ وبناء على هذا الاساس فانه لا يمكن أن يكون سواه أتم فيه منه واكمل ٠

وبناء على ما تقدم نقول ان نفي حقيقة نزوله سبحانه وتعالى ومجيئه واتيانه ، والقول بأنه يلزم ذلك ما يلزم الخلق عند نزولهم ومجيئهم واتيانهم ، لأن اثبات المجيء والاتيان في نظرهم يقتضي الحركة والانتقال من مكان الى مكان ، وهذا لا يتصور الافي الاجسام والله منزه عن الجسمية ، وكذلك القول بأن ما يصح عليه المجيء والاتيان لا ينفك عن الحركة والسكون ٠ وهما حادثان ، ومالا ينفك عن الحوادث فهو حادث ٠ فيلزم أن كل ما يصح عليه المجيء والاتيان يجب أن يكون مخلوقا محدثا ٠ والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ٠ نقول ان القول بهذا كله باطل من أساسه لما بينا ، ولأنه لا يرد على اثبات المجيء والاتيان والنزول وما في معناه محذور ، ولا يلزم لوازم تمتنع في حق الله تعالى من اثبات ما اثبت البارى عز وجل لنفسه من الصفات والافعال ، ولا ما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ ودعوى أن هناك لوازم تلزم أهل الاثبات عند التزام القول باثبات ما ورد في الكتاب والسنة ليست صحيحة ، اذ لو كان الآخر كذلك فهي لازمة لمن جاء باثبات ذلك ، وهو أعلم الخلق بربه ٠ فالمثبتون لم يثبتوا شيئا من قبل انفسهم ، بل أخذوا بالنصوص وصدقوها ، وآمنوا بما جاء فيها على مراد قائلها ، فاللوازم تلزم من أولها بتأويله لها عن مدلولها (٢)٠

---

(١) شرح حديث النزول ص ٩٨

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ٢٥٤ ـ ٥٥٥

وبناء على ما تقدم نقول : ان[1] أول المجيء والاتيان والنزول وغير ذلك من صفات الله عز وجل وأفعاله ، خوفا من أن يلزم ذلك ما يلزم المخلوق اذا فعل مثل ذلك أو اتصف به ، فقد جانب الصواب واخطأ خطأ فاحشا حيث ظن أن أفعال الله تعالى وصفاته كافعال خلقه وصفاتهم ، فشبه الله بخلقه فوقع فيما فرمنه ، وجمع بين التشبيه والتعطيل .

يقول الامام ابن القيم : (ان الصفة يلزمها لوازم لنفسها وذاتها فلا يجوز نفي هذه اللوازم عنها لافي حق الرب ولا في حق العبد ، ويلزمها لوازم من حيث اختصاصها بالرب فلا يجوز سلبها عنه ولا اثباتها للعبد ..

" وقد دل القرآن والسنة والاجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ... وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين فانها ليست من لوازم أفعاله المختصة به ، فما كان من لوازم افعاله لم يجز نفيه عنه ، وما كان من خصائص الخلق لم يجز اثباته له ، وحركة الحي من لوازم ذاته ، ولا فرق بين الحي والميت الا بالحركة والشعور ، فكل حي متحرك بالارادة وله شعور فنفي الحركة عنه كنفي الشعور وذلك يستلزم نفي الحياة " (١) .

بعد أن بينا أن الشبه التي أثارها المؤولون ، ورأوا أنها مانعة من ارادة المجيء والاتيان والنزول الحقيقي اللائق بكمال الله وعظمته ، وأنها لا ترد الا على المشبهة الذين يشبهون الباري بخلقه فيرون أن مجيئه واتيانه كمجيئهم واتيانهم ، وأن صفاته كصفاتهم . نبين خطأ تأويلهم الذي ذهبوا اليه في المجيء والاتيان وهو القول بمجيء أمره ، أو مجيء حسابه وعذابه ، فنقول وبالله التوفيق .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩

أنه مما يبعد حمل المجيء والاتيان والنزول على مجيء أمر الله ورحمته وحسابه وعذابه أن حمل المجيء والاتيان والنزول على الحقيقة قد تواترت الاخبار عن اعلم الخلق بربه سبحانه وتعالى باثبات ذلك ، وليس في جميعها ما يدل على أن المراد بالمجيء والاتيان والنزول المجاز ، وانما جاء فيها ما يدل على الحقيقة .

فان اريد باتيان امر الله ورحمته أن الله اذا كان جاء أو نزل حلت رحمته وأمره فهذا حق ، وان اريد أن النزول والاتيان للأمر والرحمة فقط ، وأن الله تعالى لا يأتي ولا ينزل فهذا باطل لكون نزول الله سبحانه وتعالى واتيانه حقيقة كما صرحت الاخبار بذلك ، ولأنه ان أريد بنزول الرحمة والأمر الصفة القائمة بذات الله تعالى . فنزول الامر والرحمة يستلزم نزول الذات ومجيئها قطعا ، وان اريد بها مخلوق منفصلا عن الله سبحانه وتعالى ، وسمى هذا المخلوق رحمة وأمرا لزم أن يكون الذى يأتي لفصل القضاء مخلوقا محدثا لا رب العالمين . وفي هذا تكذيب للخبر الوارد بالاثبات وهذا معلوم البطلان. ومما يبطل تأويل النزول والاتيان باتيان الأمر والرحمة كذلك أن نزول ذلك لا يختص بوقت محدد فلا تنقطع رحمته ولا أمره عن العالم العلوى والسفلى طرفة عين . (١) وكذلك القول بالنسبة لمن تأول الاتيان والمجيء باتيان ثوابه وحسابه وعذابه .

يقول ابو سعيد الدارمي في معرض رده على الجهمية : " فاما مجيئه يوم القيامه واتيانه في ظلل من الغمام والملائكة فلا اختلاف بين الأمة أنه انما يأتيهم يومئذ كذلك لمحاسبتهم ، وليصدع بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ، ويجزيهم بها ، ولينصف المظلوم منهم من الظالم ، لا يتولى ذلك أحد غيره تبارك اسمه وتعالى جده ، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب . ولكن ان كنتم محقين في تأويلكم هذا وما ادعيتم من باطلكم — ولستم كذلك — فأتوا بحديث يقوى مذهبكم فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بتفسير تأثرونه صحيحا عن أحد من الصحابة أو التابعين كما

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ورد الدارمي على المريسي ص ٢٠

أتيناكم به غيرهم نحن لمذهبنا " (١) .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض رده على المؤولين : " والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها ، ولا أحد من التابعين لهم باحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن ائمة السنة والحديث أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة " (٢) .

هذا وقد ذهب ائمة السلف وعلماؤهم - ومن بينهم الامام ابن جرير - الى مخالفة المؤولين ، وذلك باثبات صفة النزول والمجيء والاتيان لله عز وجل وماشابهها من الصفات على الحقيقة ، مع اعتقادهم عدم مشابهة نزوله لنزول خلقه ، ومجيئه لمجيئهم ، واتيانه لاتيانهم ، واستدلوا على ذلك بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واقوال الصحابة والتابعين في اثبات ذلك ، وفيما يلي توضيح ذلك :

يثبت الامام ابن جرير صفات المجيء والاتيان والنزول والهبوط وماشابهها لله عز وجل على الحقيقة اثباتا يليق بكماله وعظمته على ضوء مذهب السلف في الاثبات حيث يثبتون ما أثبت لله سبحانه وتعالى لنفسه من الصفات وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويصفونه بما وصف به تعالى ذكره نفسه ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . وقد وضح الامام ابن جرير رأيه في ذلك في معرض بيان معتقده حيث يقول : " القول فيما ادرك علمه من الصفات خبرا وذلك نحو اخباره عز وجل - وذكر مجموعة من الصفات - الى أن يقول - وأنه يهبط الى سماء الدنيا لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك (٣)

وقد فسر الآيات القرآنية التي تضمنت اثبات صفة المجيء والاتيان لله عز وجل بما يوافق مذهب السلف في الاثبات واستدل على صحة ما ذهب اليه من التفسير بالاحاديث

---

(١) الرد على الجهمية ضمن عقائد السلف ص ٢٩٣

(٢) شرح حديث النزول ص ٦٢

(٣) مختصر العلو ص ٢٢٤ نقلا عن ابطال التأويل لابي يعلى الذي اخرج هذا الكلام لابن جرير من كتابه التبصير في معالم الدين . وانظر مختصر الصواعق ج٢ ص ٢٥٠

النبوية الشريفة ، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين في اثبات ذلك • فقد فسر قوله تعالى " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) باثبات صفة الاتيان لله عز وجل •

يقول الامام ابن جرير فى تفسير هذه الآية :

" وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من وجه قوله (فى ظلل من الغمام) الى أنه من صلة فعل الرب عز وجل ، وأن معناه هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ، وتأتيهم الملائكة) (١) •

وبين أن سبب ترجيحه لهذا القول هو ورود الخبر عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ان من الغمام طاقات يأتى الله فيها محفوفا) (٢) •

---

(١) جامع البيان حـ ٢ ص ٣٢٩

(٢) اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره حـ ٢/ ٣٢٩ ، والحديث ضعيف وعلته زمعة بن صالح ، وابراهيم بن المختار عن ابن حميد ، اما زمعة بن صالح فقد ضعفه أحمد وابن معين وابو داود ، وقال البخارى فى تاريخه الكبير حـ ٣ ص ٤٥١ يخالف فى حديثه تركه ابن مهدى اخيرا ، وقال النسائى فى الضعفاء ص ١٣ ، ليس بالقوى ، مكي ، كثير الغلط عن الزهرى واخرج له مسلم ولكن مقرونا بغيره ، وفيه سلمة بن وهرام ثقة ، وثقه ابن معين وابو زرعة ، وضعفه ابو داود ، وقال ابن حبان فى الثقات يعتبر حديثه من غير رواية زمعة بن صالح عنه ، انظر التهذيب ٤/ ٦٤ ، مسند احمد تحقيق احمد شاكر حـ ٤ / ٢٦٥ ، وهذه رواية زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام أما ابراهيم بن المختار فقد قال عنه ابن معين ليس بذاك ، وقال البخارى فيه نظر ، وروى له ابن حبان وقال يتقى حديثه من رواية ابن حميد عنه انظر التهذيب ١/ ١٦٢ ، وهذه رواية ابن حميد عنه ، وابن حميد قال عنه البخارى فيه نظر ، واتهمه بعضهم بالكذب ، ووثقه أخرون وقد ترجمت له ضمن شيوخ الامام ابن جرير •

كما فسر قوله تعالى " هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ، أو بعض آيات ربك " (١) ، باثبات صفة الاتيان لله عز وجل ، يقول الامام ابن جرير في تفسير هذه الآية : (هل ينظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والاصنام ، الا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة) (٢) كما فسر قوله تعالى " وجاء ربك والملك صفا صفا " باثبات صفة المجيء لله عز وجل ، يقول الامام ابن جرير في تفسير هذه الآية " يقول تعالى ذكره واذا جاء ربك يامحمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صف " (٣) وقد روى بسنده مجموعة من الأحاديث والآثار عن بعض الصحابة والتابعين تشهد لصحة ما ذهب اليه من التفسير نذكر منها ما يلي :

روى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه – في حديث الشفاعة الطويل :–
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " توقفون موقفا واحدا يوم القيامة مقدار سبعين عاما لا ينظر اليكم ولا يقضى بينكم قد حصر عليكم فتبكون حتى ينقطع الدمع ، ثم تدمعون دما وتبكون حتى يبلغ ذلك منكم الأذقان ، أو يلجمكم فتضجون ثم تقولون من يشفع لنا الى ربنا فيقضي بيننا ، فيقولون من أحق بذلك من أبيكم جعل الله تربته ، وخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلا ، فيؤتى آدم صلى الله عليه وسلم ، فيطلب ذلك اليه فيأبى ، ثم يستقرون الانبياء نبيا نبيا كلما جاؤا نبيا أبى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوني ، فاذا جاءوني خرجت حتى آتي الفحص ، قال ابو هريرة يارسول الله وما الفحص : قال قدام العرش فأخر ساجدا ، فلا أزال ساجدا حتى يبعث الله الي ملكا ، فيأخذ بعضدي فيرفعني ثم يقول الله لي : محمد وهو أعلم فأقول نعم ، فيقول ما شأنك ، فأقول يارب وعدتني الشفاعة ، شفعني في خلقك فاقض بينهم ، فيقول قد شفعتك أنا آتيكم فأقضي بينكم . قال رسول الله

---

(١) سورة الانعام ١٥٨

(٢) جامع البيان جـ ٨ ص ٩٦

(٣) المصدر نفسه جـ ٣٠ ص ١٨٥

صلى الله عليه وسلم فانصرف حتى أقف مع الناس فبينا نحن وقوف ، سمعنا حسا من السماء شديدا ، فهالنا ، فنزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والانس ، حتى اذا دنوا من الأرض اشرقت الارض بنورهم وأخذوا مصافهم ، وقلنا لهم أفيكم ربنا ، قالوا لا وهو آت ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة ، ومثلي من فيها من الجن والانس ، حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم ، وقلنا لهم أفيكم ربنا قالوا لا وهو آت ، ثم نزل أهل السموات على قدر ذلك من الضعف حتى نزل الجبار في ظلل من الغمام والملائكة ، ولهم زجل من تسبيحهم يقولون سبحان ذي الملك والملكوت سبحان رب العرش ذي الجبروت سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح ....) (١) وذكر بقية الحديث . وعقب عليه بقوله

" وهذا الخبر يدل على خطأ قول قتادة في تأويله قوله " والملائكة " أنه يعني بهم الملائكة تأتيهم عند الموت لانه صلى الله عليه وسلم ذكر أنهم يأتونهم بعد قيام الساعة في موقف الحساب حين تشقق السماء . ومثل ذلك روى الخبر عن جماعة من الصحابة والتابعين كرهنا اطالة الكتاب بذكرهم وذكر ما قالوا في ذلك ، ويوضح أيضا صحة ما اخترنا في قراءة قوله (والملائكة) بالرفع على معنى ، وتأتيهم الملائكة ويبين عن خطأ قراءة من قرأ ذلك بالخفض ، لانه اخبر صلى الله عليه وسلم أن الملائكة

---

(١) هذا الحديث اخرجه الامام بن جرير في تفسيره حـ ٢ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، حـ ٣٠ ص ١٨٦ ـ ١٨٨ واسناده ضعيف لانه من طريق اسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد وكلاهما ضعيف بسندهما عن رجل من الانصار وهو مجهول لم يسم . وقول الامام ابن كثير في تفسيره حـ ١ ص ٤٢٨ ، حـ ٤ ص ٦٣ ، انه حديث مشهور لا يستلزم صحته كما لا يخفى على أهل العلم ، انظر تعليق الشيخ الالباني على شرح الطحاوية ص ٢٥٦ .

تأتي أهل القيامة في موقفهم حين تفطر السماء قبل أن يأتيهم ربهم في ظلل من الغمام الا أن يكون قارئ ذلك ذهب الى أنه عز وجل عنى بقوله ذلك الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام . وفي الملائكة الذين يأتون أهل الموقف حين يأتيهم الله في ظلل من الغمام فيكون ذلك وجها من التأويل ، وان كان بعيدا من قول أهل العلم ، ودلالة الكتاب ، وآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة" (١) ونحن نلاحظ في هذا النص تصريحا واضحا من الامام ابن جرير باثبات اتيان الله عز وجل في ظلل من الغمام يوم القيامة .

وروى بسنده عن مجاهد " أو يأتي ربك " ذلك يوم القيامه (٢)

وروى بسنده عن قتادة (أو يأتي ربك) وذلك يوم القيامه (٣)

وبناء على ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير خالف الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم في التأويل والتعطيل . وذلك باثبات صفة المجيء والاتيان لله عز وجل على ما يليق بكماله وجلاله . على طريقة ائمة السلف في الاثبات ومخالفته لهم في ذلك تأكيد لعقيدة السلف ، وامتداد لمنهجهم في الاثبات من جهة ودفاع عن عقيدتهم من جهة اخرى . اذ أن كثيرا من أئمة السلف كانوا يردون على شبه الخصوم بذكر أدلة الاثبات من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، واقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ، بدون أن يخوضوا معهم في مناقشات عقلية عقيمة لا تجدى نفعا ، وزيادة في توضيح معتقد الامام ابن جرير في صفة المجيء والاتيان والنزول وما شابهها ، فنذكر بعض أقوال ائمة السلف وعلمائهم في ذلك .

يقول الامام ابو سعيد الدارمي بعد أن ذكر احاديث النزول : (فهذه الأحاديث قد جاءت كلها أو كثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن وعلى تصديقها والايمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر في مشايخنا لا ينكرها منهم

---

(١) جامع البيان جـ ٢ ص ٣٣١

(٢) المصدر نفسه جـ ٨ ص ٩٦

(٣) المصدر نفسه جـ ٨ ص ٩٦

أحد - ، ولا يمتنع من روايتها ، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتشمروا لدفعها بجد فقالوا كيف نزوله هذا قلنا لم نكلف كيفية نزوله في ديننا ، ولا تعقله قلوبنا ، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفتهم ، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء ، - فالكيف منه غير معقول ، والايمان بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزوله واجب ، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون ، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء ، وانما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذى لا قدرة له الا ما اقدره الله تعالى عليه كيف يصنع وكيف قدر ....

" وليس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزوله باعجب من قول الله تبارك وتعالى " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة " ومن قوله "وجاء ربك والملك صفا صفا " فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك فهذا الناطق من قول الله عز وجل ، وذلك المحفوظ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم باخبار ليس عليها غبار ، فان كنتم من عباد الله المؤمنين لزمكم الايمان بها ، كما أمن بها المؤمنون ، والا فصرحوا بما تضمرون ، ودعوا هذه الاغلوطات التي تلوون بها السنتكم ، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمركم ان اهل العلم من أمركم لعلى يقين " (١) .

ويقول الامام ابن خزيمة : " نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم - لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل ، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته او صفة الكيفية ، اذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية

---

(١) الرد على الجهمية ضمن عقائد السلف ص ٢٩١ - ٢٩٢

النزول ، وفى هذه الأخبار ما أبان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذى اخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنه ينزل اليه ، اذ محال فى لغة العرب أن يقول ينزل من أسفل الى أعلا ومفهوم فى الخطاب أن النزول من أعلا الى أسفل (١) .

وواضح مما تقدم أن ائمة السلف يثبتون المجيء والاتيان والنزول لله تبارك وتعالى اثباتا حقيقيا على ما هو متبادر من ظاهر اللفظ الوارد فلا يؤولون ، ولا يفوضون الا الكيفية ، ولا يشبهون صفاته سبحانه وتعالى وافعاله ، بصفات خلقه وافعالهم .

يقول الامام ابو عثمان الصابونى فى ذلك : " ويثبت اصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف ، بل يثبتون ما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه فى كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين فى قوله عز وجل " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة" وقوله عز اسمه (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٢) .

وقال ايضا (فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر ، واثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه ، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه وتعالى لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا " (٣) .

---

(١) كتاب التوحيد ص ١٢٥ ــ ١٢٦

(٢) عقيدة السلف واصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيريه جـ ١ ص ١١٢

(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١١٧

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (فالنزول والاتيان والمجيء صفات ثابتة لله تبارك وتعالى على الحقيقة ، فهو سبحانه ينزل ويجيء ويأتي وهو لا يزال فوق عرشه ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله الى السماء الدنيا ، ولا يكون العرش فوقه وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب وليس نزوله كنزول اجسام بنى آدم من السطح الى الارض بحيث يبقى السقف فوقهم ، بل الله منزه عن ذلك . (١) .

---

(١) شرح حديث النزول ص ٦٦

المبحث السادس

"صفة استهزاء اللـــه بالمنافقين والكافريـــن "

تعرض الامام ابن جرير في تفسيره لآراء بعض المذاهب المخالفة لمذهـــب السلف في صفة استهزاء الله عز وجل الذى ذكر أنه فاعلـه بالمنافقين والكافريـــن ، حيث أولوا الاستهزاء وما شابهه من الالفاظ كالمكـر ، والخديعة والسخرية بلازمـــه من العقوبة أو الاملاء أو التوبيخ ، ونفوا أن يكون من الله هزء أو مكر أو سخريـــة او خديعة بالمنافقين والكافرين ، لأن اثبات هذه الالفاظ واطلاقها كما وردت فـــي القرآن الكريم على الله تعالى يوهم التشبيه ، لذلك حملوها على غير معناها الحقيقـي الذى وردت به ، وأولوها الى المجاز ، يقول الامام ابن جرير: (اختلف فى صفـــة استهزاء الله جل جلاله الذى ذكر أنه فاعله بالمنافقين الذين وصف صفتهم ..

" وقال آخرون : بل استهزاؤه بهم توبيخه اياهم ولومه لهم على ما ركبـــوا من معاصي الله والكفر به ، كما يقال ان فلانا ليهزأ منه اليوم ويسخر منه ، يـــراد توبيخ الناس اياه ولومهم له ، او اهلاكه اياهم وتدميره بهم ، كما قال عبيد بـــن الابرص :ـ

سائل بنا حجر ابن ام قطام اذ ظلت به السمر النواهل تلعب فزعموا أن السمر وهى القنا لا لعب منها ، ولكنها لما قتلتهم وشردتهم جعل ذلك من فعلها لعبا بمن فعلت ذلك به ، قالوا فكذلك استهزاء الله جل ثناؤه بمن استهزأ به من أهـــل النفاق والكفر به ، اما اهلاكه اياهم وتدميره بهم ، واما املاؤه لهم ليأخذهم فـــي حال أمنهم عند أنفسهم بغتة ، أو توبيخه لهم ولائمته اياهم. قالوا وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسخرية ، وقال آخرون : قوله " يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعـــون الا انفسهم " (١) على الجواب كقول الرجل لمن كان يخدعه اذا ظفر به أنا الـــذى

---

(١) سورة البقرة آيه (٩)

خدعتك ولم تكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك اذا صار الأمر اليه ، قالوا وكذلك قوله " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " (١) و " الله يستهزئ بهم " (٢) على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزء ، والمعنى أن المكر والهزء حاق بهم (٣)"

والذى يبدو لي أن الامام ابن جرير يعنى باصحاب هذين الرأيين الجهمية والمعتزلة ، الذين نفوا أن يكون من الله هزء أو مكر او سخرية او خديعة بالمنافقين والكافرين ، وحملوا هذه الالفاظ على غير معناها الحقيقي الذى سيقت له ، وفسروها بلازمها من العقوبة أو الاملاء أو التوبيخ ظنا منهم أن حملها على حقيقتها يوهم التشبيه (٤)

هذا وقد توجه الامام ابن جرير بالنقد الى رأى المعتزلة والجهمية بصورة مباشرة ، وأورد عليه مجموعة من الالزامات العقلية تبين تفاهة رأيهم ، وتكشف لنا عن عوار منطقهم ، فقد بين رحمة الله عليه أن نفي هذه الالفاظ نفي لما اثبته الله لنفسه ، وأن الله سبحانه وتعالى أخبر انه مكر واستهزأ بأقوام مضوا قبلنا واخبرنا بأنه أغرق وخسف باقوام قبلنا فصدقنا الله سبحانه وتعالى فى ذلك كله ، والنافى لهذه الالفاظ لا يملك دليلا على التفريق بين من أخبر الله عنهم انه أغرقهم وخسف بهم من الأمم السابقة ، وبين من مكر بهم واستهزأ ، كما بين رحمة الله عليه أن القول بأن الاستهزاء عبث ولعب هو وصف لله تعالى بغير ما وصف به نفسه ، لأن المسلمين اجمعوا على نفى اللعب والعبث عن الله سبحانه وتعالى ، وبناء على ذلك فانه يجب أن نفرق بين معنى العبث واللعب ، وبين الاستهزاء والمكر والخديعة والسخرية ، لان لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر .

---

(١) سورة آل عمران آيه ٥٤

(٢) سورة البقرة آيه ١٥

(٣) جامع البيان حـ ١ ص ١٣٢

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ٣٠ ـ ٣١

يقول الامام ابن جرير : " واما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره " الله يستهزئ بهم " انما هو على وجه الجواب ، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة ، فنافون عن الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه وأوجبه لها وسواء قال قائل لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به ، أو قال لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم ، ويقال لقائل ذلك ان الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم ، وأخبر عن أخرين أنه خسف بهم ، وعن آخرين أنه اغرقهم فصدقنا الله تعالى ذكره فيما اخبرنا به من ذلك . ولم نفرق بين شيء منه ، فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد اغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به ، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به ثم نعكس عليه القول في ذلك ، فلن يقول في أحدهما شيئا الا الزم في الآخر مثله فان لجأ الى أن يقول ان الاستهزاء عبث ولعب — وذلك عن الله عز وجل منفي — قيل له ان كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء أفلست تقول " الله يستهزئ بهم " " وسخر الله منهم " (١) ، ومكر الله بهم وان لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية فان قال لا كذب بالقرآن وخرج عن ملة الاسلام ، وان قال بلى قيل له أفتقول من الوجه الذي قلت " الله يستهزئ بهم " وسخر الله منهم ، يلعب الله بهم ويعبث ولا لعب من الله ولا عبث ، فان قال نعم وصف الله بما أجمع المسلمون على نفيه عنه ، وعلى تخطئة واصفه به ، وأضاف اليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه اليه ، وان قال لا أقول يلعب الله بهم ولا يعبث . وقد أقول يستهزئ بهم ويسخر منهم ، قيل فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث والهزء والسخرية والمكر والخديعة ، ومن الوجه الذي جاز قيل هذا ، ولم يجز قيل هذا افترق معنياهما فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الاخر . وللكلام فى هذا النوع موضع غير هذا كرهنا اطالة الكتاب باستقصائه وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه " (٢) .

---

(١) سورة التوبة ٧٩

(٢) جامع البيان جـ ١ ص ١٣٤

هذا وقد عرض الامام ابن جرير رأى بعض علماء السلف ، وبعض علماء النحو في بيان معنى الاستهزاء بعد أن عرض رأى الجهمية والمعتزلة وأفاد من آرائهم فوائد كبيرة ضمنها شرحه لمعنى استهزاء الله بالمنافقين ، يقول الامام ابن جرير " وقال آخرون : قوله " انما نحن مستهزءون ، الله يستهزئ بهم " (١) وقوله " يخادعون الله وهو خادعهم " (٢) وقوله " فيسخرون منهم سخر الله منهم " (٣) " ونسوا الله فنسيهم " (٤) وما اشبه ذلك اخبار من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع ، فاخرج خبره عن جزائه اياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذى استحقوا عليه العقاب في اللفظ ، وان اختلف المعنيان كما قال جل ثناؤه " وجزاء سيئة سيئة مثلها " (٥) ومعلوم أن الأولى من صاحبها سيئة اذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية وأن الآخرى عدل لأنها من الله جزاء للعاصي على المعصية . فهما وان اتفق لفظاهما مختلفا المعنى ، وكذلك قوله " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " (٦) فالعدوان الأول ظلم ، والثانى جزاء لا ظلم بل هو عدل لانه عقوبة للظالم على ظلمه ، وان وافق لفظ الأول ، والى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك مما هو خبر عن مكر الله جل وعز بقوم وما اشبه ذلك (٧)

---

(١) سورة البقرة آيه ١٤ ـ ١٥

(٢) سورة النساء آيه ١٤٢

(٣) سورة التوبة آيه ٧٩

(٤) " " " ٦٧

(٥) سورة الشورى آيه ٤٠

(٦) سورة البقرة ١٩٤

(٧) جامع البيان حـ ١ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ وقد ذكر الامام البيهقي نحو هذا القول عن قطرب النحوى انظر الاسماء والصفات ص ٤٨٧ ، وذكره نحوه ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٤١ ، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧٧ ولم ينسبه لاحد .

" وقال أخرون : ان معنى ذلك أن الله جل وعز أخبر عن المنافقين أنهم اذا خلوا الى مردتهم قالوا انا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وانما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم صدقنا بمحمد عليه الصلاة والسلام وما جاء به مستهزءون ، يعنون أنا نظهر لهم ما هو عندنا باطل لا حق ولا هدى قالوا وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء ، فأخبر الله أنه يستهزىء بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف الذى لهم عنده في الآخره كما أظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في الدين ما هم على خلافه في سرائرهم) (١)

وقد انتصر الامام ابن جرير لمذهب السلف ، وصوب رأيهم في بيان معنى استهزاء الله بالمنافقين ، واستعان بأساليب اللغة العربية ، وبالآثار المروية عن بعض ائمة السلف في فهمه لمعنى الاستهزاء ، ورده على شبه المؤولين ، وبين أن معنى الاستهزاء في كلام العرب هو اظهار المستهزىء للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرا ، وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنا ، وكذلك معنى الخداع والسخرية .

كما بين أن الله سبحانه وتعالى جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأمور التي اظهرها لهم من الحاقهم احكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له اعداء ، وحشرهم في الآخرة مع المؤمنين الى أن ميز بين اوليائه المؤمنين وبينهم ، وهو بهم مستهزئا وساخرا ولهم خادعا وماكرا ، وهو غير ظالم لهم .

هذا وقد افاد الامام ابن جرير في شرحه لمعنى استهزاء الله بالمنافقين من رأى علماء السلف ، وعلماء النحو الذين ذكرهم سابقا ، واستشهد لصحة ماذهب اليه بالأثر الذى رواه بسنده عن ابن عباس في بيان معنى الاستهزاء .

---

(١) جامع البيان جـ ١ ص ١٢٣ وقد ذكر الامام البيهقى نحو هذا القول عن مجاهد ، والحسن بن الفضل البجلي ، وابو الحسن بن مهدى انظر الاسماء والصفات ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨

يقول الامام ابن جرير : " والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا أن معنى الاستهزاء في كلام العرب : اظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرا ، وهو بذلك من قيله وفعله مورثه مساءة باطنا ، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر واذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الاحكام بما اظهروا بألسنتهم من الاقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله المدخل لهم في عداد من يشمله اسم الاسلام ، وان كانوا لغير ذلك مستبطنين من احكام المسلمين – المصدقين اقرارهم بالسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم وصحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة ايمانهم – مع علم الله عز وجل بكذبهم واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدقون حتى ظنوا في الأخرة اذا حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا أنهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم ، والله جل جلاله مع اظهاره ما قد أظهر لهم من الاحكام الملحقهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة الى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه ، وتفريقه بينهم وبينهم معد لهم من أليم عقابه ، ونكال عذابه ما اعد منه لأعدى اعدائه ، واشر عباده ، حتى ميز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الاسفل ، كان معلوما أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم ، وان كان جزاء لهم على أفعالهم ، وعدلا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم اياه منه بعصيانهم له ، كان بهم بما أظهر لهم من الأمور التي اظهرها لهم من الحاقه احكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له اعداء ، وحشره اياهم في الأخرة مع المؤمنين ، وهم به من المكذبين الى أن ميز بينهم وبينهم مستهزئا وساخرا ولهم خادعا وبهم ماكرا ، اذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل دون أن يكون ذلك معنا ، في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير عادل ، بل ذلك معناه في كل أحواله اذا وجدت الصفات التي قدمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما اشبهه من نظائره ، وبنحو ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس الذي رواه ابن جرير بسنده – في قوله (الله يستهزئ بهم) قال يسخر بهم للنقمة منهم) (١) .

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ١٢٣ – ١٢٤

من خلال ما تقدم نلاحظ أن دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف في هذا المقام قد قام على الأمور التاليـة :ـ

أ ـ قرر الامام ابن جرير في معرض رده على الجهمية والمعتزلة قاعدتين من قواعد مذهب السلف في العقيدة ، وهما اثبات ما اثبت الله لنفسه وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف أو تمثيل ، ومن غير تحريف أو تعطيل ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عن رسولـه صلى الله عليه وسلم ، وبين أن النفـاة الذين انكروا أن يكون من الله هزء او سخرية أو خداع او مكر بالمنافقين والكافرين نافون عن الله عز وجل ما اثبته لنفسه ، وقرر كذلك في معرض الالزامات العقلية التي اوردها عليهم أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف الا بما وصف به نفسـه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

ب ـ استعان في معرض الرد ومعرض الفهم لمعنى الاستهزاء باساليب اللغة العربية وآراء علماء السلف وعلماء اللغة والنحـو .

جـ ـ تابع ائمة وعلماء السلف فيما ذهبوا اليه ، وخالف الجهمية والمعتزلة في التأويل وبين أن الاستهزاء من الله سبحانه وتعالى حق لأنه مجازاة للمنافقين علـى المعاصي ، وفرق بين العبث واللهو من جهة وبين الاستهزاء والمكر والسخريـة والخديعة من جهة ثانية ، وأثبت أن لكل واحد من هذه الالفاظ معنى يختلف عن الآخـر ولا ريب أن مخالفة الامام ابن جرير للجهمية والمعتزلة ، وموافقتـه للسلف والانتصار لرأيهم هو دفاع عن مذهب السلف لأن الامام ابن جريـر امام من ائمة المسلمين قريب عهد بالصحابة والتابعين يعتد بقوله ويحتج برأيه .

وزيادة في توضيح دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلـف احب أن أبين مايلي :

(١) ان هذه الالفاظ تنقسم الى محمود ومذموم ، فما كان منها متضمنـا للكذب والظلم فهو مذموم ـ وهذا هو المنفي عن الله سبحانه وتعالـى وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمـود وهذا هو الذي يطلق على الله سبحانه وتعالى .

(٢) ان مجازاة المسيء بمثل اساءته جائز في جميع الملل مستحسن ، في جميع العقول ، ولهذا كاد الله سبحانه وتعالى ليوسف حين اظهر لأخوته ما ابطن خلافه جزاء على كيد هم له مع أبيه .

(٣) لا يجوز ذم هذه الافعال على الاطلاق كما لا يجوز مدحها على الاطلاق .

(٤) المكر والكيد والخداع والاستهزاء لا يذم من جهة العلم ولا من جهة القدرة ، لأن العلم والقدرة من صفات الكمال ، وانما يذم من جهة سوء القصد وفساد الارادة .

(٥) ان الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقا ولا ذلك داخل في اسمائه الحسنى ومن ظن ذلك من الجهلة فقد افترى على الله كذبا ، وفاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود ، وتكاد الاسماع تصم عند سماعه .

(٦) ان هذه الافعال ليست ممدوحة مطلقا فلا يقال انه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد ، فكذلك بطريق الاولى لا يشتق له منها اسماء .

(٧) ان الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والهزء والسخرية الا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق ، فاذا كانت المجازاة على ذلك من المخلوق حسنة فكيف من الخالق، هذا اذا نزلنا على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وأنه سبحانه منزه عما يقدر عليه مما لا يليق بكماله ، ولكنه لا يفعله لقبحه وغناه عنه ، وان نزلنا ذلك على نفي التحسين والتقبيح عقلا ، وأنه – يجوز عليه كل ممكن ، ولا يكون قبيحا فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحا البتة فلا يمتنع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة على هذا التقدير ، وعلى التقديرين فاطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجاز ، اذ الموجب للمجاز

منتف على التقديرين (١)

(٨) واخيرا فان دعوى اطلاق هذه الالفاظ على الله سبحانه وتعالى بالشروط السابقة ـ على سبيل المجاز لانها توهم التشبيه باطلة للامور السابقة التي ذكرناها من جهة ، ولأن صفات الخالق سبحانه وتعالى لا تشبه صفات المخلوقين من جهة ثانية كما وضحنا هذا الامر سابقا ، وغرض الجهمية والمعتزلة من نفي اطلاق هذه الالفاظ هو نفي قيام الافعال الاختيارية بذات الله سبحانه وتعالى • وقد بينا بطلان ذلك فيما سبق والله الموفق للصواب •

---

(١) انظر حول هذا الموضوع مختصر الصواعق المرسلة حـ ٢ ص ٣٢ ـ ٣٤ ، مدارج السالكين حـ ٣ ص ٢٢٦ ، طريق الهجرتين ص ٤٢٧ ـ ٤٢٩ ، اعلام الموقعين حـ ٣ ص ١٩٠

المبحث السابـــع

صفة الغضـــب وصفة الرضــــا

تعرض الامام ابن جرير في تفسيره لآراء بعض المذاهب الكلامية في صفتي الغضب والرضا • وقد جاء ذلك في تفسيره لقوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (١) حيث يقول :

" واختلف في صفة الغضب من الله جل ذكره ، فقال بعضهم ، غضب اللـــــه على من غضب عليه من خلقه احلال عقوبته بمن غضب عليه اما في دنياه ،واما في آخرته كما وصف به نفسه جل ذكره في كتابه فقال " فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهـــــم أجمعين " (٢) ، وكما قال " قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنـــه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير " (٣) •

وقال بعضهم : غضب الله على من غضب عليه من عباده ، ذم منه لهم ولأفعالهـــم وشتم منه لهم بالقول " (٤) •

هذا عن صفة الغضب ، أما صفة الرضا فقد ذكر رأيهم فيها عند تفسيره لقولـــه تعالى : " يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام " (٥) حيث يقول في ذلك :

" واختلف في معنى الرضا من الله جل وعز ، فقال بعضهم : الرضا منه بالشيء القبول له والمدح والثناء فهو قابل الايمان ومزكٍ له ومثنٍ على المؤمن بالايمان ، وواصف الايمان بأنه نور وهدى وفضل " (٦) •

---

(١) سورة الفاتحة آية ٧

(٢) سورة الزخرف آية ٥٥

(٣) سورة المائدة آية ٦٠

(٤) جامع البيان جـ ١ ص ٨٠ ـ ٨١

(٥) سورة المائدة آية ١٦

(٦) المصدر نفسه جـ ١٦ ص ١٦٢

وهذه الآراء التي ذكرها الامام ابن جرير في صفة الغضب والرضا قريبة من آراء بعض الاشاعرة والمعتزلة ، الذين أولوا هاتين الصفتين ، وما شابههما من الصفات الفعلية كالمحبة والسخط والفرح ، والضحك والمقت والاسف ، عن حقيقتها وصرفوها عن ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته بحجة أن اثباتها لله عز وجل يقتضي التشبيه والتجسيم ، لذلك فقد ارجع الاشاعرة هذه الصفات كلها الى الارادة فالرضا عندهم ارادة الثواب والغضب ارادة العقاب (١) • ومن الذين ذهبوا الى تأويل هذه الصفات وردوها الى الارادة القاضي ابو بكر الباقلاني • فقد قال في ذلك " فان قال قائل : فهل تقولون انه تعالى غضبان راض ، وأنه موصوف بذلك قيل له : أجل وغضبه على من غضب عليه ، ورضاه عمن رضي عنه هما ارادته لاثابة المرضى عنه ، وعقوبة المغضوب عليه لاغير ذلك ،والدليل على ذلك أن الغضب والرضا اما أن يكونا ارادة للنفع والضرر أو يكون الغضب تغير الطبع ونفور النفس ،والرضا السكون بعد تغير الطبع ،ولا يجوز أن يكون الباري – جل وعز – ذا طبع يتغير وينفر ويسكن ولا ممن يألم ويرق ، من حيث ثبت قدمه وغناه عن اللذة وامتناع تألمه بشيء ينفر عنه ويتألم لادراكه • فثبت بذلك أن رضاه وغضبه وسخطه انما هي ارادته وقصده الى نفع في المعلوم أنه ينفعه وضرر من سبق علمه وخبره ،أنه يضره لا غير ذلك ، وكذلك الحب والبغض والعداوة هو نفس الارادة للنفع والاضرار فقط " (٢) •

ويقول الامام البيهقي : " الرضا والسخط عند بعض اصحابنا من صفات الفعل وهما عند ابي الحسن – الاشعري – يرجعان الى الارادة فالرضا ارادته اكرام المؤمنين واثابتهم على التأبيد ، والسخط ارادته تعذيب الكفار ، وعقوبتهم على التأبيد وارادته تعذيب الفساق " (٣) والكلام في الغضب كالكلام في السخط •(٤) •

---

(١) انظر شرح الواسطية للهراس ص ٥٠ – ٥١

(٢) التمهيد ص ٤٨ ،وانظر الانصاف ص ٤٠

(٣) الاسماء والصفات ص ٥٠٣

(٤) المصدر نفسه ص ٥٠٤

ويقول رحمه الله " المحبة والبغض والكراهية عند بعض اصحابنا من صفات الفعل فالمحبة عنده بمعنى المدح له باكرام مكتسبه والبغض والكراهية بمعنى الذم له باهانة مكتسبه " (١) .

اما المعتزلة فانهم ارجعوها الى نفس الثواب والعقاب (٢) غير أن الامام ابن جرير لم يناقش المؤولين فيما ذهبلوا اليه من نفي صفتي الغضب والرضا وتأويلهما بارادة الثواب والعقاب أو ارجاعهما الى نفس الثواب والعقاب بصورة مباشرة ، بل اكتفى بعرض مذهب السلف في اثبات هاتين الصفتين لله عز وجل .

يقول الامام ابن جرير في بيان مذهب السلف في اثبات صفة الغضب :

" وقال بعضهم : الغضب منه معنى مفهوم كالذى يعرف من معانى الغضب ، غير أنه وان كان كذلك من جهة الاثبات فمخالف معناه منه معنى ما يكون من غضب الآدميين الذين يزعجهم ويحركهم ويشق عليهم ويؤذيهم ، لأن الله جل ثناؤه لا تحل ذاته الأفات ، ولكنه له صفة كما العلم له صفة ، والقدرة له صفة على ما يعقل من جهة الاثبات ، وان خالفت معانى ذلك علوم العباد التى هي معارف القلوب وقواهم التى توجد مع وجود الافعال وتعدم مع عدمها " (٣) .

ويقول في بيان مذهب السلف في اثبات صفة الرضا :

" وقال آخرون : معنى الرضا من الله جل وعز معنى مفهوم هو خلاف السخط ، وهو صفة من صفاته على ما يعقل من معاني الرضا الذى هو خلاف السخط ، وليس ذلك بالمدح ، لان المدح والثناء قول ، وانما يثنى ويمدح ما قد رضي ، قالوا فالرضا معنى والمدح والثناء معنى ليس به " (٤) .

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٠٢

(٢) انظر شرح الواسطية للهراس ص ٥١

(٣) جامع البيان جـ ١ ص ٨١

(٤) المصدر نفسه جـ ٦ ص ١٦٢

الا انه ينبغي علي قبل أن أبين رأي الامام ابن جرير في اثبات هاتين الصفتين أن ـ ابين بعض الاعتراضات الواردة على المؤولين في ذلك فأقول وبالله التوفيق :

بينا فيما سبق أن أئمة السلف وعلماءهم يرون أن اثبات الصفات لله عز وجل كما اثبتها لنفسه ، وكما اثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا يستلزم تشبيها ولا يقتضي تجسيما ، لأن صفات الله سبحانه وتعالى لا تشبه صفات المخلوقين هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان ائمة السلف وعلماءهم يرون أن لله عز وجل غضبا ورضا ، وأنه موصوف بذلك حقيقة ، وان اعترض شخص على أن وصف الله عز وجل بذلك يقتضي تشبيها لأن الغضب غليان دم القلب فانهم يجيبون بأن هذا هو غضب المخلوق ، ولله تعالى غضب يناسبه ، وكذلك القول في الرضا ، فان لله رضا يناسبه .

يقول شارح الطحاوية : " ويقال لمن تأول الغضب والرضا بارادة الاحسان لم تأولت ذلك ، فلابد أن يقول ان الغضب غليان دم القلب ، والرضا الميل والشهوة وذلك لا يليق بالله تعالى ، فيقال له غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب لا أنه الغضب ، ويقال له ايضا ، وكذلك الارادة والمشيئة فينا ، فهي ميل الحي الى الشيء أو الى ما يلائمه ويناسبه ، وهو محتاج الى ما يريده ، ومفتقر اليه ويزداد بوجوده ، وينقص بعدمه ، فالمعنى الذي صرفت اليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء ، فان جاز هذا جاز ذاك ، وان امتنع هذا امتنع ذاك ، فان قال الارادة التي يوصف الله بها مخالفة للارادة التي يوصف بها العبد ، وان كان كل منهما حقيقة فقل ان الغضب والرضا الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد ، وان كان كل منهما حقيقة ، فاذا كان ما يقوله في الارادة يمكن أن يقال في هذه الصفات لم يتعين التأويل بل يجب تركه ، لأنك تسلم من التناقض ، وتسلم ايضا من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب ، فان صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام ، ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله اذ العقول مختلفة فكل يقول ان عقله دله على خلاف ما يقوله الآخر .

" وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى لامتناع مسمى ذلك في المخلوق ، فانه لابد أن يثبت شيئا لله تعالى على خلاف ما يعهده حتى في صفة الوجود ، فان وجود العبد كما يليق به ، ووجود الباري تعالى كما يليق به ، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم ، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم ، وما سمى به الرب نفسه ، وسمى به مخلوقاته مثل الحي والعليم والقدير ، أو سمى به بعض صفاته كالغضب والرضا وسمى به بعض صفات عباده ، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى وأنه حق ثابت موجود ، ونعقل ايضا معاني هذه الاسماء في حق المخلوق ، ونعقل أن بين المعنيين قدرا مشتركا ، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركا ، اذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد مشتركا الا في الأذهان ، ولا يوجد في الخارج الا معينا مختصا فيثبت في كل منهما كما يليق به " (١) .

ويتوجه شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بالنقد الى من يعترض على وصف الله عز وجل بالغضب والرضا على حقيقته بأن وصفه بذلك يقتضي التشبيه لان الغضب غليان دم القلب ، فيقولان بأن هذا غضب المخلوق ، والله سبحانه وتعالى له غضب يناسبه ، فكما أن ذاته لاتشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات كما ناقشا اللذين اثبتوا صفات المعاني ، كالسمع والبصر والارادة ، وأولوا الغضب والرضا ، وقالوا ان المراد بهما الارادة وقالا بأنه لا يوجد بين ما اثبتوه من الصفات وما نفوه فرق فان اقتضى الغضب والرضا التشبيه فان صفات المعاني تقتضيه كذلك .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك : " فان كان المخاطب ممن يقول بأن الله حي بحياة ، عليم بعلم ، قدير بقدرة سميع بسمع ، بصير ببصر ، متكلم بكلام ، ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه ، وغضبه وكراهته ، فيجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة ، واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات ، فيقال له لا فرق بين ما نفيته

---

(١) شرح الطحاوية ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ وانظر مجموع الفتاوى جـ ٣ ص ١٧ ـ ١٨ ، جـ ٦ ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

وما اثبته ، بل القول فى أحدهما كالقول فى الآخر ، فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين ، فكذلك محبته ورضاه وغضبه ، وهذا هو التمثيل ،وان قلت ان له ارادة تليق به ، كما أن للمخلوق ارادة تليق به ، قيل لك وكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضاء وغضب يليق به وللمخلوق رضا وغضب يليق به ، وان قلت الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة او دفع مضرة ، فان قلت هذه ارادة المخلوق ، قيل لك وهذا غضب المخلوق " (١) .

ويقول ابن القيم فى ذلك أيضا : " فان قلت ان اثبات الارادة والمشيئة لا يستلزم تشبيها وتجسيما ، واثبات حقائق هذه الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم فانها لا تعقل الا فى الاجسام فان الرحمة رقة تعترى طبيعة الحيوان ، والمحبة ميل النفس لجلب ما ينفعها ، والغضب غليان دم القلب لورود ما يرد عليه .
قيل لك ، وكذلك الارادة هي ميل النفس الى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها ، وكذلك جميع ما اثبته من الصفات انما هي اعراض قائمة بالاجسام فى الشاهد ، فان العلم انطباع صورة المعلوم فى نفس العالم أو صفة عرضية قائمة به ، وكذلك السمع والبصر والحياة اعراض قائمة بالموصوف ، فكيف لزم التشبيه والتجسيم من اثبات تلك الصفات ولم يلزم من اثبات هذه ؟ " (٢) .

اما الامام ابن جرير فقد سلك طريق السلف فى اثبات صفتي الغضب والرضا لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله ، وقد تجلى معتقده السلفي بوضوح تام من خلال تفسيره لبعض الآيات الكريمة التى تضمنت اثبات صفتي الغضب والرضا لله عز وجل وغيرهما من الصفات الفعلية ، كما أورد فى تفسيره مجموعة من الأحاديث النبوية

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٧ ـ ١٨

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٢٣

الشريفة واقوال الصحابة التابعين تشهد لصحة ما ذهب اليه من الاثبات • وفيما يلي بيان ذلك •

(١) يقول الامام ابن جرير في تفسير قوله تعالى " فلما آسفونا انتقمنا منهم " (١) مثبتا صفة الغضب لله عز وجل •

" فلما أسفونا يعني بقوله أسفونا أغضبونا " (٢)

(٢) وقال في تفسير قوله تعالى " ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى " (٣)

" يقول تعالى ذكره ومن يجب عليه غضبي فينزل به فقد تردى فشقي " (٤)

(٣) وقال في تفسير قوله تعالى " وباؤا بغضب من الله " (٥)

" يعني تعالى ذكره وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه " (٦) •

(٤) وقال في تفسير قوله تعالى " ورضوان من الله اكبر " (٧) مستدلا بها على اثبات صفة الرضا لله عز وجل : " فان معناه ورضا الله عنهم اكبر من ذلك كله • وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى بسنده — عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الله يقول لاهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لانرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا يارب وأى شيء افضل من ذلك ؟ قال أحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده أبدا " (٨) •

---

(١) سورة الزخرف آيه ٥٥

(٢) جامع البيان حـ ٢٥ ص ٨٤

(٣) سورة طه ٨١

(٤) المصدر نفسه حـ ١٦ ص ١٩٤

(٥) سورة آل عمران ١١٢

(٦) المصدر نفسه حـ ٤ ص ٥٠ ، وانظر حـ ٩ ص ٢٠٣

(٧) سورة التوبة آية ٧٢

(٨) المصدر نفسه حـ ١٠ ص ١٨٢ وقد سبق تخريج هذا الحديث •

وروى بسنده ، عن ابن عباس موقوفا في تفسير قوله تعالى " فلما آسفونا " يقول لما اغضبونا " (١) وروى مثل هذا التفسير عن مجاهد وقتادة وغيرهم من علماء السلف.(٢)

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير استدل على اثبات صفتي الغضب والرضا لله عز وجل بالأدلة السمعية ، مقتفيا في ذلك طريق السلف في الاثبات ، فقد اكتفى رحمة الله عليه بقراءتها وتفسيرها كما وردت ، وهذا منهج سلفي سار عليه كثير من علماء السلف في الاثبات اذ أن قراءة الآية أو الحديث عندهم تفسيرها ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك " وقد فسر الامام أحمد النصوص التي تسميها الجهمية متشابهات ، فبين معانيها آية آية ، وحديثا حديثا ، ولم يتوقف في شيء منها هو والائمة قبله ، مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الالفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهبا لائمة السنة ، وهم اعرف بمذهب السلف ، وانما مذهب السلف اجراء آيات الصفات على ظاهرها باثبات الصفات له حقيقة ، وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها ." (٣).

ولا ريب أن موافقة الامام ابن جرير لائمة وعلماء السلف في اثبات هاتين الصفتين لله عز وجل ، والاستدلال على اثباتهما بأدلتهم المستمدة من كتاب الله الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومخالفته للمؤولين فيما ذهبوا اليه من نفي هاتين الصفتين هو تقرير لعقيدة السلف من جهة ، ودفاع عنها من جهة أخرى .

ويظهر لي أن عدم مناقشة الامام ابن جرير للمؤولين في هاتين الصفتين راجع الى الامور التالية :

أ ـ اكتفاؤه بسرد الأدلة التي تثبت هاتين الصفتين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه طريقة سلفية سار عليها بعض علماء السلف كما ذكرنا

---

(١) المصدر نفسه حـ ٢٤ ص ٨٥

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ٢٤ ص ٨٥

(٣) تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٤ ـ ١٣٥ وانظر الاكليل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى حـ ٢ ص ٢٢ ـ ٢٣

ذلك سابقا في منهج السلف في تقرير العقيدة .

ب ـ ان الخلاف بين علماء السلف والمؤولين لم يكن شديدا في هاتين الصفتين في عصره .

جـ ـ اكتفاؤه بعرض وجهة نظر السلف بعد عرض وجهة نظر المؤولين وموافقتهم فيما ذهبوا اليه من الاثبات مما يؤكد لنا رضاه عن مناقشة السلف للمؤولين وحرصه الكبير على الالتزام بمنهج السلف في تقرير العقيدة ، والدفاع عنها ،هـذا وقد قام دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف في اثبات هاتين الصفتيـن لله عز وجـل على ما يلـي :

(١) الاستدلال على اثبات هاتين الصفتين بالادلة السمعية من القـرآن الكريم والسنة المطهرة ، والاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعيـن لصحة ما ذهب اليه من الاثبات .

(٢) شارك ائمة وعلماء السلف في اثبات هاتين الصفتين وغيرهما مـن الصفات الخبرية ، كما اثبتها الله لنفسه ، واثبتها له رسوله صلـى الله عليه وسلم من غير تحريف او تمثيل ومن غير تكييف أو تعطيـل وأن اثبات هذه الصفات لله عز وجل كما يليق بكماله وجلاله لا يقتضي التشبيه ، ولا يستلزم التجسيم .

(٣) اكتفى ببيان معناهما الحقيقي اللائق بكمال الله وجلاله مخالفـا في ذلك آراء المؤولين ،ومقتفيا طريق الهداة المرشدين من سلفنـا الصالح ، الذين كانوا يرون أن قراءة الاية أو الحديث هو تفسيرهـا ويثبتون لله عز وجـل جميع الصفات التي اثبتها لنفسه واثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تشبيه ، ولم يفرقوا بين صفات وردت بطريق العقل والسمع ، أو صفات وردت بطريق السمع وحده ، او صفات وردت بخبر متواتر واخرى وردت بخبر أحاد . والله الهادي للصواب .

المبحث الثامن

الرؤية

عرض الامام ابن جرير بعض أدلة المعتزلة العقلية التى احتجوا بها على نفي رؤية الله عز وجل ، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " (١) حيث ذهبوا الى أن الله عز وجل لا يمكن أن يرى بالابصار فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وتأولوا قوله سبحانه وتعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٢) بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه ، كما تأولوا الأحاديث التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات بعيدة عن الحق ، ولم يأذن الله بها ، وانكر بعضهم مجيئها ، ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وردوا القول فى ذلك الى عقولهم ، وزعموا أن الرؤية مستحيلة ، يقول القاضي عبد الجبار : " وأما أهل العدل بأسرهم ، والزيدية والخوارج واكثر المرجئة فانهم قالوا لا يجوز أن يرى الله تعالي بالبصر ولا يدرك به على وجه لا لحجاب ومانع ، لكن لأن ذلك يستحيل " (٤) وعللوا اسباب استحالة الرؤية بأسباب كثيرة منها :ـ

---

(١) سورة الانعام ١٠٣

(٢) سورة القيامة ٢٢ـ٢٣

(٣) انظر تأويلات المعتزلة لاحاديث الرؤية فى المغنى لعبد الجبار حـ ٤ ص ٢٢٥ ـ ٢٣١ ، شرح الاصول الخمسة ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، التوحيد للنيسابوري ص ٦١٤

(٤) المغنى حـ ٤ ص ١٣٩

أ - قالوا لابد في المرئي أن يكون على مسافة معينة ليس بعيدا جدا ، ولا قريبا جدا ، لأن الابصار لا ترى الا ما باينها دون مالاصقها وكان بينها وبينه فضاء وفرجة . وعلى هذا الاساس فان الابصار ان كانت سترى ربها يوم القيامة على ما ترى الاشخاص اليوم ، فقد وجب أن يكون الصانع محدودا . ومن وصفه بذلك فقد وصفه بصفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك . (١)

ب - ان من شأن الابصار أن تدرك الالوان ، فلو أن الله سبحانه وتعالى يرى لكان ذا لون ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ، لأن من شأن الابصار أن تدرك الألوان ، ومن شأن الاسماع أن تدرك الاصوات ، ومن شأن المتنسم أن يدرك الاعراف . فكما لا يقضى للاسماع ان تدرك الا الاصوات ، وللمتنسم الا بادراك الاعراف ، فكذلك لا يقضى للبصر الا بادراك الالوان وبما أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأنه ذو لون ، فقد صح أنه غير جائز أن يكون موصوفا بأنه مرئي (٢) .

وذهب بعضهم الى أن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها (٣) ، واستدلوا لقولهم هذا بأن الله تعالى ذكره نفى عن الابصار أن تدركه من غير أن يدل فيها أو بآية غيرها على خصوصها ، قالوا وكذلك أخبر سبحانه في آية أخرى أن وجوها اليه يوم القيامة ناظرة ، واخبار الله سبحانه وتعالى لا تتعارض ، وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل ، واحتجوا بالادلة العقلية لتبرير مذهبهم فقالوا : ان كان جائزا أن نرى الله سبحانه وتعالى في الاخرة بأبصارنا هذه وان زيد في قواها ، وجب أن نراه في الدنيا وان ضعفت ، لان كل حاسة خلقت لادراك معنى من المعاني فهي وان ضعفت كل الضعف فقد تدرك

---

(١) انظر المصدر نفسه حـ ٤ ص ١٤٠ ، شرح الاصول الخمسة ص ٢٤٨ جامع البيان حـ ٧ ص ٣٠١

(٢) انظر اصول الدين ص ٩٨ ، جامع البيان حـ ٧ ص ٣٠١

(٣) وممن ذهب الى ذلك القول ضرار ابن عمرو ، وحفص الفرد ومن تبعهما انظر المغنى لعبد الجبار حـ ٤ ص ١٣٩ ، مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٢٨٩

مع ضعفها ما خلقت لادراكه ، وان ضعف ادراكه اياه ما لم تعدم ، فلو كان في البصر أن يدرك صانعه في حال من الأحوال ، او وقت من الاوقات ويراه وجب أن يدركه في الدنيا ويراه فيها ، وان ضعف ادراكه اياه فلما كان ذلك غير موجود في ابصارنا في الدنيا ، كان غير جائز أن تكون في الآخرة الا بهيئتها في الدنيا في أنها لا تدرك الا ماكان من شأنها ادراكه في الدنيا ،قالوا فلما كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد اخبر أن وجوها في الاخرة تراه علم أنها تراه بغير حاسة البصر اذ كان غير جائز أن يكون خبره الا حقا " (١) .

هذا وتوجد شبه كثيرة للمعتزلة على نفي الرؤية ، لا حاجة بنا لذكرها لأن التوسع في عرض الشبه ليس من منهج السلف في شيء ، بل ذموه لأن فيه ما فيه من تلبيس على الناس، حتى لو اقتضى الأمر أن تذكر الشبهة مع تفنيدها ، لأنه قد تنقدح الشبهة في ذهن شخص ما لم يطلع عليها من قبل ، ولم يصادف الرد عليها عنده محلا قابلا فتؤثر فيه، الا أن الأفضل في ذلك والأسلم لدين الانسان هو أن يعرض الحق بدليله ، لأن الحق اذا تمكن من قلب انسان اعطاه الله حصانة ضد قبول الباطل .

مناقشة أدلة المعتزلة :

بعد أن عرض الامام ابن جرير رأى المعتزلة ، وأدلتهم العقلية ، على نفي الرؤية ، توجه بالنقد لأدلتهم العقلية بصوره مباشرة ، واستخدم طريقتهم نفسها في رده عليهم، فقد استخدم دليلهم نفسه الذى ساقوه على نفي الرؤية ، وهو قياس الغائب على الشاهد ، حيث زعموا أننا حين ننظر الى الشاهد نرى أن الابصار

(١) انظر جامع البيان جـ ٧ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣

لا ترى الاما لا صقها اوكان بعيدا جدا عن مجال ادراكها ، فهي لا ترى الا ماباينها وكان بينها وبينه فضاء وفرجة ، لهذا فانه غير جائز أن تكون رؤية الله تعالى بالأبصار لأن في ذلك اثبات حد ونهاية للـه عز وجل ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك .

أ ـ وجه اليهم في بداية المناقشة سؤالا هو :

هل علمتم موصوفا بالتدبير سوى صانعكم الاما سالكم أو مباينا ؟

وانطلق من خلال هذا السؤال بتوجيه الالزامات العقلية عليهم فقال :

ان زعموا أنهم يعلمون موصوفا بالتدبير سوى الصانع غير مماس ولا مباين كلفوا تبينه ، ولا سبيل لهم الى ذلك ، لأنه لا يوجد سوى الصانع الا مماس ومباين . وان قالوا لا يتوقف العلم بالمدبر على المماسة والمباينة ، بل يجوز العلم به بدونهما ، يقال لهم حينئذ اذا أثبتم علما بمدبر لا مماس ولا مباين يلزمكم كذلك أن تثبتوا جواز رؤيته تعالى بدون الأمرين الذين ذكرتم ، فكما لاتعلم القلوب موصوفا بالتدبير الاماسالها أو مباينا ، وقد علمته عندكم لا مماسا لها ولامباينا ، فما تنكرون أن تكون الابصار كذلك ـ لا ترى الامابابنها ، وكانت بينها وبينه فضاء وفرجة ـ قد تراه وهو غير مباين لها ، ولا فرجة بينها وبينه ، اذ لا فرق بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفا بالتدبير والفعل معلوما لا مماسا للعالم به او مباينا وأجاز أن يكون موصوفا برؤية الابصار لا مماسا لها . (١)

ب ـ وقد استخدم اسلوبهم نفسه كذلك في رد شبهتهم الثانية أيضا ، وتتلخص شبهتهم في أن العين ـ بالنظر الى الشاهد ـ لا ترى الا الالوان فلما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفا بأنه ذو لون صح أنه غير جائز أن يكون موصوفا بأنه مرئي عندهم .

---

(١) انظر المصدر نفسه حـ ٧ ص ٣٠٢

وقد وجه الامام ابن جرير الى هذا الدليل الالزامات العقلية التالية :ـ

١ ـ حين ننظر الى الشاهد نقول لكم اليس العلم بالمدبر بالنسبة للشاهد يختص بما كان له لون ، فان كذبوا وقالوا لا فانا نطالبهم بالدليل ، ولا سبيل امامهم الى انكار ذلك .

٢ ـ واذا اختص العلم به شاهدا وجب أن يكون غير معلوم لكونه غير ذى لون بناء على اصلكم ـ[*] المعتزلة ـ في قياس الغائب على الشاهد

٣ ـ ان انكار رؤية الله تعالى بالنسبة الى قياس الغائب على الشاهد ،لازمه مثله في العلم ، فيجب عليهم والحالة هذه أن ينفوا علمهم بالله تعالى لانه غير ذى لون .

يقول الامام ابن جرير " هل علمتم موصوفا بالتدبير سوى صانعكم الاماسا لكم أو مباينا ، فان زعموا أن يعلمون ذلك كلفوا تبيينه ، ولا سبيل الى ذلك ، وان قالوا لا نعلم ذلك ، قيل لهم أو ليس قد علمتموه لا مماسالكم ولا مباينا وهو موصوف بالتدبير والفعل ، ولم يجب عندكم اذ كنتم لم تعلموا موصوفا بالتدبير والفعل غيره الامماسالكم أو مباينا أن يكون مستحيلا العلم به ، وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مماس ولا مباين فان قالوا ذلك كذلك قيل لهم فما تنكرون أن تكون الابصار كذلك لا ترى الامابإينها وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه ، وهو غير مباين لها ، ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء كما لا تعلم القلوب موصوفا بالتدبير الامماسا لها أو مباينا ،وقد علمته عندكم لا كذلك وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفا بالتدبير والفعل معلوما لا مماسا للعالم به او مباينا ، وأجاز أن يكون موصوفا برؤية الابصار ولا مماسا لها ولا مباينا فرق ، ثم يسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا في شيء من ذلك قولا الا الزموا فى الاخر مثله .

" وكذلك يسألون فيما اعتلوا به في ذلك . ان من شأن الابصار ادراك الألوان كما أن من شأن الاسماع ادراك الأصوات ، ومن شأن المتنسم درك الاعراف ، فمن الوجه الذى فسد أن يقتضى السمع لغير درك الاصوات فسد أن تقتضى الابصار

لغيرد رك الألوان ، فيقال لهم الستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفا بالتدبير والفصل الا ذالون ، وقد علمتوه موصوفا بالتدبير لا ذالون ، فان قالوا نعم ، لايجدوا من الاقرار بذلك بدا الا أن يكذبوا ، فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفا بالتدبير والفصل غير ذى لون ، فيكلفوا بيان ذلك ، ولا سبيل اليه ، فيقال لهم فاذا كان ذلك كذلك فما انكرتم أن تكون الابصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك الا الألوان كما لم تجدوا انفسكم تعلم موصوفا بالتدبير الا ذا لون ، وقد وجدتموها علمته موصوفا بالتدبير غير ذى لون ثم يسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا فى أحدهما شيئا الا ـ الزموا فى الآخر مثله " (١)

هذا وقد بين الامام ابن جرير أن للمعتزلة ادلة اخرى على نفى الرؤية فيها تلبيس كثير كره ذكرها لذلك من جهة ،وخوفا من اطالة الكتاب بذكرها والجواب عنها من جهة اخرى ، لأن غرضه من التفسير هو بيان معنى آى القرآن ، وليس الكشف عن تمويهاتهم ، ثم بين أن المعتزلة لايرجعون من قولهم الا الى ما لبس عليهم الشيطان ،والذى جعل الله امركشفه وبيان فساده على اهل الحق سهلا ميسورا كما بين أن المعتزلة لا يرجعون فى قولهم لا الى أية من التنزيل محكمة ، ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة ، فهم فى الظلمات يخبطون وفى العمياء يترددون (٢) .

هذا وبعد أن فرغ الامام ابن جرير من مناقشة أدلة المعتزلة العقلية توجه بالنقد الى أدلتهم السمعية بصورة غير مباشرة ، واستأنس برأى بعض علماء السلف فى توجيه تلك الادلة وفيما يلي بيان ذلك :ـ

بين الامام ابن جرير أن الصواب من القول فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة فى الأخرة هو أن أهل الجنة يرونه بأبصارهم وذلك لصحة الأخبار الواردة

---

(١) المصدر نفسه حـ ٧ ص ٣٠٣

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ٧ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤

فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن هذا القول هو قول أهل السنة والجماعة الذين ادركهم يقولون به . يدل على ذلك قوله فى بيان معتقده فى الرؤية حيث يقول : (واما الصواب من القول فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة فى الآخرة ، ودينا الذى ندين به ، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١) وذكر حديثا يتعلق بالرؤية رواه بسنده ، سوف نأتى على ذكره فى مكانه المناسب من البحث باذن الله تعالى .

(١) هذا وقد خالف المعتزلة فى تفسير قوله تعالى : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) وذكر أن الصواب من القول فى ذلك هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب (٢) فالمؤمنون يرونه والكافرون عنه يومئذ محجوبون ، كما قال جل ثناؤه " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٣) .

ونحن نلاحظ أن الامام ابن جرير اعتبر قوله تعالى " لا تدركه الابصار " دليلا على اثبات الرؤية للمؤمنين يوم القيامة ، بخلاف المعتزلة الذين اعتبروا هذه الاية دليلا على نفى الرؤية .

هذا وقد ذكر الامام ابن جرير فى معرض تفسيره لهذه الأية ماقالوا لا تتفق فى جملتها مع مذهب السلف فى توجيه معنى الأية ، فقد ذهب بعضهم الى أن المقصود بهذه الأية هو أن أهل الجنة ينظرون الى الله سبحانه وتعالى بأبصارهم يوم القيامة ، ولا يدركونه بها تصديقا لله عز وجل فى كلا الخبرين . وذهب بعضهم الى أن المقصود بهذه الأية هو أن معنى " لاتدركه

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ٦٤

(٢) سنأتى على تخريج هذا الحديث بتمامه فى ثنايا البحث ان شاء الله تعالى .

(٣) سورة المطففين آيه ١٥ ، جامع البيان حـ ٧ ص ٣٠٢

الابصار " أى ابصار الخلائق فى الدنيا واما فى الآخرة فانها تدركه .
لأن معنى الادراك فى هذا الموضع الرؤية ، وقالوا الأية على الخصوص
الا أنه جائز أن يكون معناها لاتدركه ابصار الظالمين فى الدنيا والأخرة
وتدركه ابصار المؤمنين وأولياء الله . وقالوا وجائز أن يكون معناها لاتدركه
الابصار بالنهاية والاحاطة ، واما بالرؤية فبلى ، وقالوا وجائز أن يكون معناها
لا تدركه الابصار فى الدنيا وتدركه فى الأخرة ، وجائز أن يكون معناها
لاتدركه ابصار من يراه بالمعنى الذى يدرك به القديم (١) أبصار خلقه
فيكون الذى نفى عن خلقه من ادراك ابصارهم اياه هو الذى اثبته لنفسه اذ
كانت ابصارهم ضعيفة لا تنفذ الا فيما قواها الله تبارك وتعالى على النفوذ فيه
وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شيء ، قالوا ولا شك فى خصوص
قوله تعالى " لا تدركه الابصار " وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامه بابصارهم
غير أنا لاندرى اى معاني الخصوص الأربعة اريد بالاية " (٢) .

ونحن نلاحظ أن المثبتين للرؤية احتجوا على النفاة بهذه الأية
حيث بينوا أن المقصود من الأية هو نفي الادراك دون الرؤية والادراك هو
الاحاطة بالمرئى دون الرؤية ، فالله سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك ، كما
يعلم ولا يحاط به علما ، وممن ذهب الى هذا المعنى من المثبتين من علماء
السلف وغيرهم الرازى من الاشاعرة ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم

---

(١) لم يرد الاذن الشرعي باطلاق هذا الاسم على الله سبحانه وتعالى ، وانما اطلقه المتكلمون ، والأولى أن نطلق اسم الاول بدل القديم ، لان الاذن الشرعي ورد باطلاقه ، وهو اصح من اسم القديم لغة وشرعا ، والله سبحانه وتعالى له الاسماء الحسنى لا الحسنة ، انظر شرح الطحاويه ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) انظر جامع البيان حـ ٧ ص ٣٠٢ ، الابانة ص ٢٠ ، اللمع ص ٢٥ الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٦٨ ، الانصاف ١٨٣

يقول المراغي في تقرير وجـه الدلالة في هذه الآية (لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل التمدح بقوله " لا تدركه الابصار ") الا ترى أن المعدوم لا تصح رؤيته ، والعلوم والقدرة والارادة والروائح والطعوم لا يصح رؤيـــة شيء منها ، ولا مدح لشيء منها في كونها بحيث لا تصح رؤيتها ، فثبـــت أن قولـه " لا تدركه الابصار " يفيد المدح ، وثبت أن ذلك يفيد المدح لو كــان صحيح الرؤية ، وهذا يدل على أن قوله تعالى " لا تدركه الابصار " يفيد كونه تعالى جائز الرؤية ، وتمام التحقيق فيه أن الشيء اذا كان في نفسه بحيـث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم للشيء ، اما اذا كان في نفسه جائز الرؤية ، ثم انـــه قدر على حجب الأبصار عن رؤيته وعـــن ادراكه كانت هذه القدرة الكاملة دالة على المدح والعظمة ، فثبت أن هــذه الآية دالة على انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاتــه " (١) .

ويقول ابن القيم مبينا دلالة الاثبات في هذه الأية ، وأن هذا هـــو الذي ذهب اليه شيخه ابن تيمية (والاستدلال بهذه الأية على جواز الرؤية اعجب فانها من أدلة النفاة ، وقد قرر شيخنا وجـه الاستدلال بها أحســن تقرير والطفه وقال : أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية او حديث صحيح علـــى باطله الا في ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله ، فمنها هذه الآيــــة ، وهي على جواز الرؤية ادل منها على امتناعها ، فان الله سبحانه وتعالـــى انما ذكرها في سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح انما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ، ولا يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم الا اذا تضمن امرا وجوديا كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيوميـــــة .

---

(١) تفسير الفخر الرازي حـ ١٣ ص ١٢٥

فقوله " لا تدركه الابصار " يدل على غاية عظيمة ، وأنه اكبر من كل شيء ، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث لا يحاط به ، فان الادراك هو الاحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى " فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون ، قال كلا) (١) فقوله " لا تدركه الابصار " من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك " (٢) .

(٢) وخالف الامام ابن جرير المعتزلة في تفسير قوله تعالى :

" قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني ، ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين " (٣) حيث ذهبوا الى أن رؤيته سبحانه وتعالى مستحيلة ، لأنه علقها على أمر وجد ضده ، اذ علق وقوع الرؤية على استقرار الجبل ثم بين سبحانه وتعالى انتفاء الاستقرار بأن جعل الجبل دكا واستقرار الجبل حالة أن جعله الله تعالى دكا محال لما فيه من اجتماع الضدين ، وما دام الله سبحانه وتعالى علق رؤيته على محال فهي مستحيلة ، وهذه الآية من أقوى الأدلة في نظر المعتزلة على نفي الرؤية (٤) وقد أخذ المعتزلة من سؤال موسى عليه السلام الرؤية ، وجواب الله سبحانه وتعالى له بقوله (لن تراني) على أن رؤية الله سبحانه وتعالى مستحيلة ، فقالوا : ان حرف لن موضوع لتأبيد النفي فقوله "لن تراني " يدل بظاهره على أنه لا يراه أحد أبدا (٥) ولما كان

---

(١) سورة الشعراء ٦١

(٢) حادي الارواح ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ وانظر منهاج السنة حـ ١ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ شرح الطحاويه ص ٢٠٨

(٣) سورة الاعراف ١٤٣

(٤) انظر المغني للقاضي عبد الجبار حـ ٤ ص ١٦١ ـ ١٦٢ ، الأمالي حـ ٢ ص ٢٢١

(٥) انظر المغني حـ ٤ ص ١٦٩ ، شرح الاصول الخمسة ص ٢٦٤

الله سبحانه وتعالى نفي الرؤية على التأبيد في حق موسى عليه السلام فانه يلزم نفيها في حق غيره ، اذ لا قائل بالفرق ، وتكون رؤيته سبحانه وتعالى مستحيلة في كل وقت بالنسبة لجميع الخلق .

يقول القاضي عبد الجبار في ذلك :" اذا ثبت أن ظاهره يدل على أن موسى لن يراه على وجه ، فيجب أن يكون غيره لا يراه من الانبياء والمؤمنين ، لأنه قد ثبت بالاجماع انه ان صح أن يراه بعضهم رآه سائرهم (١)

أما الامام ابن جرير فقد خالف المعتزلة فيما ذهبوا اليه من القول باستحالة الرؤية ، وبين أن المقصود من هذه الآية هو نفي رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا فقط ولم ينف رؤيته في الآخرة ، لأن من يرى الله في الدنيا فانه يهلك ، اما الرؤية في الأخرة فلايترتب عليها هلاك لأن الأخرة دار قرار .

يقول الامام ابن جرير في ذلك : " فلما ثاب الى موسى عليه السلام فهمه من غشيته ، وذلك هو الافاقة من الصعقة التي خر لها موسى صلى الله عليه وسلم قال " سبحانك " تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش ، تبت اليك من مسألتي اياك ما سألتك من الرؤية ، وأنا أول المؤمنين بك من قومي أن لايراك في الدنيا أحد الا هلك " (٢) .

ونضيف الى رد الامام ابن جرير على المعتزلة في أن الرؤية المنفية بهذه الآية هي رؤيته في الدنيا فقط مايلي :-

---

(١) المغني حـ ٤ ص ١٧٠

(٢) جامع البيان حـ ٩ ص ٥٥ ، وانظر الرد على الجهمية والزنادقة للامام أحمد ضمن عقائد السلف ص ٦٠

١ ـ ان موسى عليه السلام سأل ربه الرؤية ، فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها ، لأنه حينئذ اما أن يعلم امتناعها أو لا يعلم ، فان كان يعلم امتناعها لانها مستحيلة ثم سألها فانه يكون كمن سأل الله تعالى أن يتخذ ولدا أو شريكا وهو يعلم استحالة ذلك عليه ، والعاقل لا يطلب المحال لأنه سفه وطيش فكيف بنبي من الأنبياء . وعلى هذا فسيدنا موسى عليه السلام لا يجوز أن يسأل الله تعالى امرا مستحيلا . وكذلك لا يجوز أن يكون موسي عليه السلام جاهلا حكم هذه المسألة لانها من مسائل اصول الدين ، فلا يجوز أن يكون جاهلا باستحالتها على الله تعالى لأن " الجاهل بما لا يجوز على الله ويمتنع لا يكون نبيا كليما وقد وصفه الله تعالى بذلك ـ بل ينبغي أن لا يصلح للنبوة ، اذ المقصود من البعثة هو الدعوة الى العقائد الحقة والأعمال الصالحة " .

وكذلك لا يجوز أن يكون موسى عليه السلام جاهلا بجواز الرؤية لأنه " ان كان جاهلا بالجواز فهو غير عارف بالله تعالى حق معرفته وليس يليق ذلك بجناب النبوة " واذا كان لا يجوز أن يكون موسى عليه السلام عالما باستحالة الرؤية ، ولا أنه جاهل حكمها ، لم يبق الا أنه كان عالما بأنها جائزة الوقوع ، وأنه سأل ربه الرؤية لعلمه واعتقاده عليه السلام بجوازها ، ولا يخلو موسى عليه السلام حين علم واعتقد جواز الرؤية وسألها من أن يكون مصيبا أو مخطئا ولا يجوز أن يخطئ النبي الكليم في اعتقاده بالله تعالى ، فلم يبق الا أنه أصاب في اعتقاده أن الرؤية جائزة (١) .

---

(١) انظر أصول الدين ص ٩٩ ، الانصاف ص ١٧٧ ، شرح المواقف جـ ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ، شرح المقاصد جـ ٢ ص ٨٢

٢ ـ أ ـ ان حرف لن في هذه الآية للتأكيد وليس للتأبيد ، فقد قال تعالى " انك لن تستطيع معي صبرا " (١) وهذا جائز غير مستحيل

ب ـ ان حرف لن وان كان للتأبيد فهو على تأبيد النفي في الدنيا ولا يقتضي نفي الرؤية في الدنيا والأخرة ، حتى لو قرن بأبد فقد قال تعالى " قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين " ثم قال " ولن يتمنوه أبدا " (٢) يعني الموت ، ولم يقتض ذلك أن لا يتمنوه في الدنيا والآخرة ، لأنه تعالى أخبر أنهم يتمنون الموت في النار فقال تعالى " ونادوا يامالك ليقض علينا ربك "(٣) يمنون الموت ، فاذا كان حرف لن مع اقتران حرف أبد به لا يقتضي النفي في الدنيا والآخرة ، فكيف به اذا لم يقرن بأبد (٤) .

٣ ـ ان الله سبحانه وتعالى علق الرؤية على أمر جائز ، ولو كانت الرؤية مستحيلة لما علقها على أمر يجوز أن يوجد وهو استقرار الجبل فلما كان استقرار الجبل جائز الوقوع دل ذلك على أن الرؤية جائزة وليست مستحيلة (٥) .

٤ ـ ان الله سبحانه وتعالى تجلى للجبل ، وهذا التجلي هو الظهور يقول القرطبي " تجلى أي ظهر من قولك جلوت العروس أي ابرزتها وجلوت السيف ابرزته من الصدأ جلاء فيهما ، وتجلى الشيء انكشف (٦) ويقول الامام ابن جرير " فلما اطلع الرب للجبل جعل الله الجبل دكا " (٧)

---

(١) سورة الكهف آيه ٧٥

(٢) سورة البقرة ٩٤ ـ ٩٥

(٣) سورة الزخرف ٧٧

(٤) انظر الانصاف ص ١٧٩ ، نهاية الاقدام ص ٣٦٨ ، اصول الدين ص ٩٩ ـ ٢٠٠ ، شرح الطحاوية ص ٢٠٧

(٥) انظر الانصاف ١٧٩ ، نهاية الاقدام ٣٦٧ ، تفسير الفخر الرازي حـ ١٤ ص ٢٣١ شرح الطحاوية ص ٢٠٧

(٦) الجامع لاحكام القرآن حـ ٧ ص ٢٧٨

(٧) جامع البيان حـ ٩ ص ٥٢

والمقصود من ذلك هو اعلام موسى عليه السلام أن الانسان لا يطيق روءية الله سبحانه وتعالى ، حيث أن الجبل مع قوته وصلابته لم يصمد حين تجلى الرب له فاندك وساخ وتفرقت اجزاؤه .

وحيث جاز تجلى الله سبحانه وتعالى للجبل ورؤيته له وهو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه . فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ، ويريهم نفسه ، ان ذلك بعيد جدا (١)

٥ — ان من جاز عليه التكلم والتكليم ، وان يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز وكليم الله موسى — وهو اعرف الناس به فى زمانه ، لما سمع كلام الله ومناجاته له من غير واسطة اشتاقت نفسه الى رؤيته لعلمه بعدم التفريق بين الرؤية والكلام ، لذلك فلا يتم انكار الروءية الا بانكار التكليم . (٢)

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير اتخذ موقفا شديدا من أدلة المعتزلة العقلية والنقلية فى نفي الرؤية ، ووجه اليهم الزامات عقلية لا مناص لهم من التسليم لها ، والقول بوقوع الرؤية ونلاحظ كذلك أن أدلة المعتزلة السمعية على نفي الرؤية ، وتوجيههم لها — يأتيها الاعتراض من كل جانب ، وأنها لا تخدمهم فيما ذهبوا اليه ، ولا تصلح للاحتجاج بها على نفي الرؤية ، لأنها أدل على اثبات الروءية منها على نفيها .

بعد بيان هذا نأتى على بيان معتقد الامام ابن جرير فى الرؤية وأهم الأدلة التى ساقها للاستدلال بها على وقوعها فنقول وبالله التوفيق .

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٢٠٧ وابن حزم وموقفه من الالهيات ص ٤١٨

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٢٠٧

بينا فيما سبق أن الامام ابن جرير يعتقد بوقوع روءية الله يوم القيامة للموءمنين ، وهذا الاعتقاد هو دين يدين الله به عليه وذلك لتظاهر الأخبار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على القول بوقوع الرؤية ، واد راكه طائفة كبيرة من علماء أهل السنة والجماعة على القول بذلك ، فهو ملتزم بمنهجهم في الاثبات وسائر خلفهم في مخالفة أهل البدع والأهواء .

وقد استدل الامام ابن جرير لبيان صحة معتقده في اثبات الرؤية ببعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية . وبعض الآثار المروية عن الصحابة والتابعين وكان من بين الأدلة التي استخدمها في اثبات الرؤية قوله تعالى " لا تدركه الابصار " حيث اعتبر أولى الاقوال بالصواب في تفسير الآية هو القول بوقوع الرؤية ، ودعم رأيه بحديث نبوي شريف يثبت وقوع الرؤية كما بينا ذلك سابقا .

أما الآية الثانية التي استدل بها على وقوع الرؤية ، فقد رأينا سابقا أنه قصر نفي الرؤية في قوله تعالى " لن تراني " على الرؤية في الدنيا فقط ونضيف الى الأدلة السابقة ايضا بعض الأدلة التي فسرها في اثبات الرؤية كذلك ، وفيما يلي بيان ذلك .

(١) استدل الامام ابن جرير على وقوع الرؤية بقوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة " (١) .

حيث قال في تفسير هذه الآية بعد أن ذكر أقوال المختلفين في معنى الحسنى والزيادة في هذه الآية : " وأولى الا قوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة ، وان تبيض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على ادخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر اليه ،

---

(١) سورة يونس آية ٢٦

وأن يعطيهم غرفا من لألؤ ، وأن يزيد هم غفرانا ورضوانا ، كل ذلك زيادات عطاء الله اياهم على الحسنى التى جعلها الله لأهل جناته وعم ربنا جل ثناؤه بقوله " وزيادة " الزيادات على الحسنى ، فلم يخصص منها شيئا دون شيء ، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله ، فأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره " (١) .

ووجه الاستدلال فى كلام ابن جرير هو فى اعتبار النظر الى وجه الله الكريم جزءا من الزيادة التى وعد الله بها المحسنين يوم القيامة .

(٢) واستدل على وقوع الرؤية ايضا بقول الله عز وجل " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٢) فقال فى تفسير هذه الآية بعد أن ذكر اختلاف المختلفين فيها من التابعين " (٣) وأولى القولين عندنا فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن الحسن وعكرمة من أن معنى ذلك تنظر الى خالقها . وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٤) وذكر الحديث .
وهذا كلام واضح جدا فى اثبات الرؤية لايحتاج الى مزيد بيان .

(٣) واستدل على وقوع الرؤية كذلك بقوله عز وجل " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٥) فقال فى تفسير هذه الآية مستدلا بها على أن الكفار محجوبون عن رؤية الله سبحانه وتعالى " وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته

---

(١) جامع البيان حـ ١١ ص ١٠٨

(٢) سورة القيامة آيه ٢٢ــ٢٣

(٣) خالف فى ذلك مجاهد فقال تنتظر الثواب من ربها انظر جامع البيان حـ ٢٩ ص ١٩٢ وقد بينا فى مسألة الاقعاد على العرش أن السلف انكروا عليه هذا القول وكذا القول باقعاد محمد صلى الله عليه وسلم - على العرش .

(٤) المصدر نفسه حـ ٢٩ ص ١٩٣

(٥) سورة المطففين ١٥

محجوبون ، ويحتمل أن يكون مرادا الحجاب عن كرامته ، وأن يكون مرادا به الحجاب عن ذلك كله ، ولا دلالة في الآية تدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى دون معنى ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت حجته ، والصواب أن يقال هم محجوبون عن رؤيته ، وعن كرامته اذ كان الخبر عاما لا دلالة على خصوصه " (١) ووجه الاستدلال في كلام الامام ابن جرير على وقوع الرؤية هو في اعتبار حجبهم عن رؤية الله عز وجل جزءا من معنى الآية لان الخبر عام في حجبهم عن ربهم . وبناء على ذلك نستطيع القول بأن هذه الآية حجة على وقوع الرؤية للمؤمنين بالمفهوم المخالف لأنه ما دام أن الكفار محجوبون عن رؤيته تعالى ، فان المؤمنين غير محجوبين ولو لم يكن ذلك كذلك لما كان هناك فرق ولم يكن لذكر حجب الكفار عن رؤيته فائدة تذكر اذا كان الكل يراه (٢) هذا وقد كان الامام ابن جرير في تفسيره للآيات السابقة يعتمد في ترجيحه للأقوال المثبتة للرؤية على الاحاديث النبوية الشريفة واقوال الصحابة والتابعين ، فقد روى في تفسيره مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة والآثار المروية عن الصحابة والتابعين في اثبات وقوع رؤية المؤمنين لخالقهم عز وجل يوم القيامة ، ومن بين هذه الأحاديث والآثار التي رواها بسنده ، نذكر ما يلي :ـ

أ ـ روى بسنده ، عن جرير بن عبد الله قال " كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم راؤن ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طوع الشمس

---

(١) المصدر نفسه حـ ٣٠ ص ١٠٠ ـ ١٠١

(٢) انظر حادى الارواح ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، روح المعانى حـ ٣ ص ٧٣ ، تفسير النسفى حـ ٤ ص ٣٤٠ ، تفسير الخازن حـ ٧ ص ١٨٤ ، العقائد السلفية بادلتها العقلية والنقلية ص ١٨٧

وقبل غروبها فافعلوا ، ثم تلا " وسبح بحمد ربك قبل طلـــــوع الشمس وقبل الغروب " (١) ولفظ الحديث كحديث مجاهد ، قـــال مجاهد قال يزيد من كذب هذا الحديث فهو برئ من الله ورسولـه حلف غير مرة وأنا أقول صدق رسول الله ، وصدق يزيد وقال الحق (٢)

ب — وروى بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال " قال الناس يارسـول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضامون في الشمـــس ليس دونها سحاب ، قالوا لا يارسول الله ، قال هل تضارون فـي القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ، قالوا لا يارسول الله ، قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك . يجمع الله الناس فيقول من كان يعبـــد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد القمر ، القمـــر ، ومن كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هـذه الأمـة فيها منافقوها ، فيأتيهم ربهم في صورة ويضرب جسر على جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ، ودعوة الرسـل يومئذ اللهم سلم سلم اللهم سلم ، وبها كلاليب كشوك السعدان . هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله ، قال فانهـــا مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم أحد قدر عظمها الا اللـــه ، ويخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثـم ينجو (٣) ثم ذكر الحديث بطوله " .

---

(١) سورة ق ٣٩ ، اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره حـ ١٦ ص ٢٣٣ وعقيدته ل ١٦٥ والبخاري في صحيحه حـ ٤ ص ٢٠٠ وابن خزيمة في التوحيد ص ١٦٨ واللالكائي في السنن حـ٣ ص ٤٥٨ .

(٢) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٥

(٣) اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره ٢٥ ص ١٥٥ والبخاري في صحيحه حـ٤ ص ٢٠٠ـ ٢٠١ ومسلم في صحيحه حـ ١ ص ١٦٣ ، ١٧١ ، البيهقي في الاعتقاد ص ٥١ ، والدارمي في الرد على الجهمية ضمن عقائد السلف ص ٢٩٩ وابن خزيمة في التوحيد ص ١٧٤ .

(٣) وروى بسنده عن ابن عمر قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه الفي سنة ، وان أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله كل يوم مرتين ، قال ثم تلا " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال بالبياض والصفاء ، قال " الى ربها ناظرة " قال تنظر كل يوم في وجه الله " (١) .

(٤) وروى بسنده عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم ، ان الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن " . (٢)

(٥) وروى بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى " (٣)

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره حـ ٢٩ ص ١٩٣ وفيه ثوير بن أبي فاختة وهو ضعيف انظر فتح الباري حـ ١٣ ص ٤٢٨ ، واخرجه احمد من طريق عبد الملك بن أبجر حـ ٢ ص ١٣ ، والآجري في الشريعة ٣٦٩ والدارقطني في الرؤية ل ١١٨/ب واللالكائي في السنن حـ٣ ص ٤٧١

(٢) اخرجه الامام ابن جرير مرفوعا من طريق ابان حـ ١١ ص ١٠٥ والدارقطني في الرؤية بعدة أسانيد من طريق ابان كذلك ل ٤٨/ب/ ٤٩/أ واللالكائي في السنن حـ٣ ص ٤٤٤ . والحديث بهذا الاسناد الذي رواه الامام ابن جرير ضعيف وعلته ابان بن عياش ، قال أحمد وابن معين والفلاس والنسائي وغيرهم متروك الحديث انظر تهذيب التهذيب حـ ١ ص ٩٧ / ١٠١ .

(٣) اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره حـ ١١ ص ١٠٧ وعبدالله بن احمد في السنة ص٥٣ واللالكائي في السنن حـ ٣ ص ٤٤٤ ، وسنده ضعيف وعلته ابراهيم بن المختار عن ابن حميد ، وقد بينا في صفة المجيء والاتيان الحديث عن ابراهيم بن المختار وقول أهل العلم في رواية ابن حميد عنه .

(٦) وروى بسنده عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن (١). أما الآثار التى رواها باسناده عن بعض الصحابة والتابعين فى اثبات وقوع الرؤية للمؤمنين يوم القيامة فهي كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

أ ـ روى بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه فسر الزيادة بالنظر الى وجه الله عز وجل (٢).

ب ـ وروى بسنده كذلك عن حذيفة رضي الله عنه أنه فسر الزيادة بالنظر الى وجه الله عز وجل كذلك (٣).

ج ـ وروى بسنده عن عبد الرحمن بن ابي ليلي ، والحسن ، وقتادة وغيرهم من التابعين أنهم فسروا الزيادة بالنظر الى وجه الله عز وجل (٤)

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره حـ ١١ ص ١٠٧ ، واللالكائى فى السنن حـ ٣ ص ٤٤٣ وسنده ضعيف ،وعلته جهالة الراوى عن أبي العالية .

(٢) اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره حـ ١١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ والدارمي في الرد على الجهمية ضمن عقائد السلف ص ٣٠٣ ،والدارقطنى فى (الرؤية ل ١٢١/ب ١٢٢/أ ،وفيه سعيد بن نمران مجهول انظر الميزان حـ ٢ ص ١٦١ .

(٣) اخرجه الامام ابن جرير فى تفسيره حـ ١١ ص ١٠٥ ، وعبد الله بن احمد فى السنة ص ٥١ ـ ٥٢ والدارمي فى الرد على الجهمية ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، والاجرى فى الشريعة ص ٢٥٧ ، والدارقطنى فى الرؤية ل ١٢١/ب ـ ١٢٢أ وابن ابي عاصم فى السنة ح ٤٧٣ والتوحيد لابن خزيمة ص ١٨٣ واللالكائى فى السنن حـ ٣ ص ٤٤٥ ،ورجاله ثقات .

(٤) انظر جامع البيان حـ ١١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ، السنن حـ ٣ ص ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، الرؤية للدارقطنى ل ١٢٣/ب ـ ١٢٥ ب ، التوحيد لابن خزيمة ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

د ــ وروى بسنده عن عكرمة والحسن ، وعطية العوفي أنهم فسروا قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " أن الوجوه الناضرة يوم القيامة تنظر الى خالقها سبحانه وتعالى .

من خلال ما تقدم نلاحظ أن دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف في الرؤية قام على الأسس التاليـة :ـ

(١) تعرض لأدلة المعتزلة العقلية بصورة مباشرة ، وأورد عليهم الزامات عقلية تؤدي بالنهاية الى القول باثبات الرؤية .

(٢) بين خطأ المعتزلة في نفي الرؤية واعتمادهم على الأدلة العقلية وترك الأدلة السمعية ، من الكتاب والسنة ، والاثار المروية عن الصحابة والتابعين في اثبات الرؤيـة ، وبين أنهم لا يرجعون في قولهم الا الى ما لبس الشيطان عليهم .

(٣) عارض الأدلة السمعية التي استشهدوا بها على نفي الرؤية بصورة غير مباشرة ، وبين أنها لا تحقق الهدف الذي أرادوا الوصول اليه .

(٤) استدل على اثبات الرؤية بالأدلة السمعية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، واستشهد لصحة ما ذهب اليه بأقوال الصحابة والتابعين جريا على طريقة السلف في الاثبات .

ولا ريب أن اعتماد الامام ابن جرير على الادلة السمعية في اثبات الرؤية ومخالفة النفاة فيما ذهبوا اليه ، والاستشهاد على صحة معتقدة بالاحاديث النبوية الصحيحة واقوال الصحابة والتابعين هو امتداد لمنهج السلف في تقرير مسائل العقيدة ، ودفاع عن عقيدتهم في آن واحد .

---

(١) انظر جامع البيان حـ ٢٩ ص ١٩٢ ، السنة لعبد الله بن احمد ص ٥٣ ، ١٤٣ ، والتوحيد ص ١٨١ ــ ١٨٤ الرد على الجهمية للدارمي ص ٣٠٥ والشريعة للاجري ص ٢٥٧ ، وصحح ابن حجر طريق الامام ابن جرير عن عكرمة ، الفتح حـ ١٣ ص ٤٢٤ ــ ٤٢٥ .

هذا وقد ذهب الامام أحمد ومن وافقه من ائمة السلف وعلمائهم وطائفة كبيرة من علماء الاشاعرة الى أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بالابصار ،واستدلوا لذلك بأدلة كثيرة من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،واقوال الصحابة والتابعين ، ذكر معظمها الامام ابن جرير : لا حاجة بنا لاعادتها مرة أخرى ،وقد ردوا على الجهمية والمعتزلة ، ومن وافقهم من الشيعة وغيرهم في نفي الرؤية بردود كثيرة ، ذكرنا طرفا منها في بداية حديثنا عن أدلة المعتزلة السمعية ،ونذكر بعضا منها فيما يلي :

أ ـ في قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال النفاة انما هي .. تنتظر الثواب من ربها ، قيل لهم انها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها فقالوا ان الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة واستشهدوا بقوله عز وجل " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " قيل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف معنى قوله عز وجل " لا تدركه الابصار " وقال " انكم سترون ربكم " وقال لموسى " لن تراني " ، ولم يقل لن أرى ، فأيهما أولى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال " انكم سترون ربكم " أو قولكم حين قلتم لا ترون ربكم " ،والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلفون فيها " (١)

ب ـ حصر المثبتون للرؤية معاني النظر في اللغة ، وقالوا انه يرد لمعان كثيرة مختلفة • فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار وفي لسان العرب : النظر والانتظار ، يقال نظرت فلانا وانتظرته بمعنى واحد ، فاذا قلت انتظرت فلم يجاوزك فعلك ، وقفت وتمهلت ، وقال الزجاج معنى انظرونا انتظرونا ومنه قول عمرو بن كلثوم •

ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

---

(١) انظر الرد على الزنادقة والجهمية للامام احمد ص ٨٥ ـ ٨٦

وقال الفراء تقول أنظرني أى انتظرنى قليلا ، ويقول المتكلم لمن يعجلـــه انظرنى ابتلع ريقى أى امهلنى (١) .

واذا عدى باللام كان بمعنى الانعام أى الرأفة والتعطف ، مثل أن يقال نظر السلطان لفلان ، أى رأف به وتعطف عليه ، واذا عدى بفى كان بمعنـــى التفكر والاعتبار ، كقوله تعالى " أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض " (٢) وكما تقول نظرت فى الأمر لفلان اى نظرت فيه واعتبرت (٣) واذا عـــــدى بالى احتمل الرؤية وغيرها ولكنه اذا عدى بالى واضيف الى الوجه الـــذى هو محل البصر فلا يحتمل الا الرؤية بالاعين ، وهذا هو الذى وردت به الآية الكريمة " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " فهو نص فى الرؤية ولا يحتمل غيرها ، يقول الامام ابو الحسن الاشعرى " ولا يجوز أن يكون عنى " الله " نظر الانتظار ، لأن النظر اذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينيـــن اللتين فى الوجه " (٤)

وقال الباقلاني : واذا قرن النظر بذكر الوجه وعدى بحرف الجر ولـــم يضف الوجه الى قبيلة وعشيرة كان الوجه الجارحة التى توصف بالنضارة التى تختص بالوجه الذى فيه العينان فمعناه رؤية الابصار " (٥)

فعلى هذا فالنظر الوارد فى الآية يكون بمعنى الرؤية ، لأن اللـــه تعالى وصف الوجوه التى هى الجوارح بأنها تنظر اليه ، وقد وصفها بمـــا لا يجوز أن يوصف به الا جارحة حيث قال " وجوه يومئذ ناضرة الى ربهـــا ناظرة " والنضارة لا تكون الا فى الجارحة التى هي الوجه (٦) .

---

(١) لسان العرب حـ ٧ ص ٧٣ ـ ٧٤ وانظر شرح الطحاويه ص ٢٠٥

(٢) سورة الاعراف ١٨٤

(٣) انظر حادى الارواح ص ٢٣٠ ، شرح الطحاوية ص ٢٠٥ شرح المواقف ص ٢١١ لسان العرب حـ ٧ ص ٧٤ التمهيد للباقلانى ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، نهاية الاقدام ص ٣٦٩ ، الاعتقاد ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٤) الابانة ص ١٣

(٥) التمهيد ص ٢٧٤ ، وانظر حادى الارواح ص ٢٣١

(٦) انظر التمهيد ص ٢٧٧

جـ — وقال بعض المثبتين للرؤية : لا يجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى عنى بقوله " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " نظر التفكر والاعتبار . لأن الأخرة ليست بدار استدلال واعتبار وانما هي دار اضطرار ، كما لا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار لانه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار ، لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ، لأهل الجنة فيما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولا يجوز كذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى اراد نظر التعطف والرحمة ، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم (١) .

ولا ريب أن ما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين في اثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل ، فيها الكفاية لمن وفقه الله لفهمها والتسليم لها ، كما قال الامام ابن جرير ، (والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره) وقوله (وليس لأحد مع قوله — صلى الله عليه وسلم الذى يصح عنه قول) لأنه صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق بما انزل الله سبحانه وتعالى عليه .

يقول الامام الدارمى في ذلك : (وقد صحت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن بعده من أهل العلم ، وكتاب الله الناطق به ، فاذا اجتمع الكتاب ، وقول الرسول ، واجماع الامة لم يبق لمتأول عندها تأول الا لمكابر او جاحد) (٢) .

---

(١) انظر الابانة ص ١٣ ، الاعتقاد ص ٤٥ — ٤٦ ، شرح المواقف ص ٢١٢ — ٢١٣ الاربعين فى اصول الدين ص ٢٠٩ — ٢١٠

(٢) الرد على الجهمية ص ٥٤

ويقول أيضا : (فهذه الاحاديث كلها واكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والايمان بها ادراكنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ، ويؤمنون بها لا يستنكرونها ولا ينكرونها ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه الى الضلال ، بل كان من اكبر رجائهم ، واجزل ثواب الله في أنفسهم النظر الى وجه خالقهم حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة " (١) .

وفي ختام هذا المبحث لا بد من بيان مسألة مهمة تتعلق به وهي مسألة الجهة . فالسلف رضوان الله عليهم حين اثبتوا الرؤية اثبتوا الجهة بمعنى العلو والفوقية ، لأنها لازمة لها ، وقد سبق الحديث عن الجهة عند الكلام على الاستواء وبينا أن ثبوت الجهة بمعنى العلو والفوقية ثابت شرعا وعقلا وفطرة .

يقول الامام ابن القيم : (فلا يجتمع الاقرار بالرؤية ، وانكار الفوقية والمباينة ولهذا فان الجهمية ، تنكر علوه على خلقه ، ورؤية المؤمنين له في الأخرة ، ومخانيثهم يقولون بالرؤية ، وينكرون العلو ، وقد ضحك العقلاء من القائلين بأن الرؤية تحصل من غير مواجهة المرئي ومباينته وهذا رد . لما هو مركوز في الفطر والعقول) (٢) .

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٣ ـ ٥٤

(٢) مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ٢٨١

الفصـــل السادس

====

دفاعه عن عقيدة السلف في مسألة خلـــق الله لأفعال العباد

=====

الفصل السادس

دفاعة عن عقيدة السلف في خلق الله تعالى لأفعال العباد

تعتبر مسألة خلق الله لأفعال العباد من أهم القضايا التي تناولها العلماء العلماء بالبحث والتمحيص قديما وحديثا ، وأولوها عناية فائقة ، حتى أن بعضهم ، أفردها بالتأليف في كتاب مستقل كما فعل الامام البخاري رحمة الله عليه حين الف فيها كتابه النفيس خلق افعال العباد . وقد أدلى الامام ابن جرير بدلوه في بحث هذه المسألة الشائكة ، ودافع عن عقيدة السلف دفاعا مجيدا ، وشدد النكير على المعتزلة أو القدرية كما كان يسميهم أحيانا ، واتهمهم بالغباء ، والجهل وفساد القول ، والتأويل المستكر ـ كما سنرى ذلك في ثنايا البحث باذن الله تعالى .

وقد بين أن الخلاف في هذه المسألة قديم جدا ، يعود الى عصر الصحابة والتابعين . الذين شددوا النكير على أصحابها حين بلغتهم مقالتهم الفاسدة وتبرأوا منهم .

يقول الامام ابن جرير : " فكان من قديم الحادثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحوادث التي تنازعت فيها امته اختلافها في أفضلهم بعده صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالامامة وأولاهم بالخلافة ، ثم القول في اعمال العباد طاعتها ومعاصيها ، وهل هي بقضاء الله وقدره ، أم الأمر اليهم مفوض في ذلك " (١).

وذكر البيهقي عن يحى بن يعمر انه قال : (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقنا حاجا أنا وحميد بن عبد الرحمن ، فلما قدمنا قلنا : لولقينا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء القوم

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٣

في القدر قال فوافقنا عبد الله بن عمر في المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، قال يحيى : فظننت أن صاحبي يكل الكلام الي فقلت : يا أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ، ويعرفون العلم ويزعمون أن لا قدر وانما الأمر أنف ، فقال عبد الله ، فاذا لقيتم أولئك فأخبروهم أني بريء منهم وهم مني براء ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبله الله عز وجل منه حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره ." (١)

وقد اشتهرت هذه المقالة الباطلة عن معبد الجهني الذي يعتبر أول مبتدع لها ، وتابعه عليها غيلان الدمشقي ، الذي سال في الحديث عنها سيل الماء حتى قتله الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ هـ حين استفحل شره بالدعوة اليها جهارا (٢) ، غير أن هذه البدعة لم تنته بموت صاحبها ، بل احتضنتها المعتزلة ، الذين انكروا القدر ، وأسندوا أفعال العباد الى قدرهم ، موافقين في ذلك رأي معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، حتى اشتهر تلقيبهم بالقدرية لذلك (٣) .

وقد تصدى الامام ابن جرير لرأي القدرية في مسألة خلق الله لافعال العباد وتوجه بالنقد الى رأيهم فيها بصورة مباشرة ، وأورد عليهم جملة اعتراضات تعتمد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان احيانا يستعين في معرض الفهم والرد بأسلوب اللغة العربية ، وتفسير أهل العلم من الصحابة والتابعين . الا أننا نحب أن نعطي فكرة موجزة عن الأراء المخالفة لمذهب السلف في مسألة خلق الله لافعال العباد ، قبل أن نوضح دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف ومناقشته لرأي القدرية في هذه المسألة ، وفيما يلي بيان ذلك :ـ

---

(١) اخرجه البيهقي في الاعتقاد ص ٥٤ ، والامام احمد في المسند جـ ١ ص ٥٢ ، ٥٣ وعبد الله بن احمد في السنة ص ١٢٢ ، واللالكائي في السنن جـ ٤ ص ٦٥٠

(٢) انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي ص ٧٣

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٧١

(١) زعمت الجبرية ورئيسها الجهم بن صفوان أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تبارك وتعالى ، وافعالهم كلها اضطرارية كحركات المرتعش والعروق النابضة ، وحركات الاشجار ،واضافتها الى العبد مجاز ، وهي على حسب ما يضاف الشيء الى محله دون ما يضاف الى محصله (١) .

(٢) واما قدرية المعتزلة فقالوا ان جميع الافعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها لا تعلق لها بخلق الله تعالى (٢) . وقد اتفقوا على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهاتهم وأن الله سبحانه وتعالى أقدرهم على ذلك ، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم ، وأن من قال ان الله سبحانه وتعالى خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه (٣) وقد فرقوا بين الافعال الاضطرارية والافعال الاختيارية في نسبتها الى العباد ، أما الافعال الاضطرارية كرعشة اليد ، وضربة القلب ، وجميع الافعال التي تتم دون تدخل ارادة الانسان فيها فانهم قالوا انها ليست من فعل العبد ، وليس له فيها حرية واختيار وانما هي من خلق الله تعالى .

واما الافعال الاختيارية ، أي تلك الافعال التي يقف الانسان فيها امام الفعل والترك ويحس ازاءها بالحرية والاختيار فانهم قالوا ا ن للانسان حيال هذه الافعال قدرة على الفعل وعلى ضده ، وهذه القدرة لها تأثير في الايجاد والاحداث والخلق كذلك يقول امام الحرمين : " اتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الأهواء على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم ، واتفقوا أيضا على أن الرب ـ تعالى ـ عن قولهم ـ لا يتصف بالاقتدار على مقدور العباد ، كما لا يتصف العباد بالاقتدار على مقدور الرب ـ تعالى ـ .

(١) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٣٣٨ ، شرح الطحاوية ص ٤٩٣ .
(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٤٩٣
(٣) انظر المغني حـ ٨ ص ٣ .

" ثم المتقدمون كانوا يمتنعون عن تسمية العبد خالقا لقرب عهدهم باجماع السلف على أنه لا خالق الا الله تعالى ، ثم تجرأ المتأخرون منهم وسموا العبد خالقا على الحقيقة " (١) .

وقد ذهب المعتزلة الى القول بأن العباد هم الخالقون لأفعالهم ، وأن الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يكون خالقا لافعالهم تمشيا مع مذهبهم في العدل . والعدل كما هو معلوم الاصل الثاني من أصول المعتزلة الخمسة التي اتفقوا جميعا عليها ، والتي يقوم مذهبهم عليها بلا خلاف . حتى أنهم سموا انفسهم أهل التوحيد والعدل .

ومن العدل عندهم وجوب الحرية للانسان على أن يفعل أو أن لا يفعل كما يشاء ويريد حتى يصح التكليف والثواب والعقاب ، ولأن التعذيب مع الجبر ظلم ، فوضعوا مبدأ العدل للرد على من قال بوقوع الظلم من الله تعالى عن ذلك (٢) يقول المسعودى مصورا مذهبهم في العدل :

" وأما القول بالعدل ـ وهو الاصل الثاني ـ فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق افعال العباد بل يفعلون ما امروا به ونهوا عنه ، بالقدرة التي جعلها الله لهم . وركبها فيهم وأنه لم يأمر الا بما أراد ، ولم ينه الا عما كره ، وأنه ولي كل حسنة أمر بها ، برئ من كل سيئة نهى عنها .

" ثم لا يكلفهم مالا يطيقونه ، ولا أراد منهم مالا يقدرون عليه ، وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة من الله تعالى اعطاهم اياها ، وهو المالك لها دونهم يغنيها اذا شاء . ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ، ومنعهم اضطرارا عن معصيته ، ولكان على ذلك قادرا ، غير أنه لا يفعل اذ كان في ذلك رفع للمحنة وازالة للبلوى " (٣) .

---

(١) الارشاد ص ١٨٧
(٢) انظر مسائل العقيدة الاسلامية بين التفويض والتأويل ص ٥٣٥
(٣) مروج الذهب جـ ٢ ص ١٧٤

ويقول الشهرستاني : " واتفقوا على أن العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها ،مستحق على ما يفعله ثوابا أو عقابا ، والرب تعالى منزه عن أن يضاف اليه شر أو ظلم ،وفعل هو كفر أو معصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا " (١) والعدل عندهم هو (ما يقتضيه العقل من الحكمة ، وهو اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة " (٢) واذا قيل عن الله سبحانه وتعالى عادل (فالمراد به أن أفعاله كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح ،ولا يخل بما هو واجب" (٣)

وقد استدلوا لمذهبهم بأدلة من العقل واستدلوا كذلك بأدلة من السمع لا للاحتجاج بها ، وانما ذكروها لاثبات أن أدلة القرآن الكريم موافقة لادلة العقل ومقررة له (٤) ، كما أولوا كثيرا من الأيات القرآنية التي تخالف مذهبهم . لا حاجة بنا للتعرض لها .

بعد بيان المذاهب في افعال العباد نبين موقف الامام ابن جرير من تلك الاقوال ،ورأيه في افعال العباد . فنقول وبالله التوفيق .

يرى الامام ابن جرير أن الصواب من القول في اختلافهم في افعال العباد أن جميع أفعالهم مخلوقة لله عز وجل ،لأنه لا يكون شيء الا باذنه ولا يحدث شيء الا بمشيئته له الخلق والأمر ، واستدل على رأيه بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى فيه الايمان عن كل من لا يؤمن بالقدر خيره وشره .

---

(١) الملل والنحل حـ ١ ص ٤٩ ـ ٥٠ ،وانظر شرح الاصول الخمسة ص ٣٤٥

(٢) المصدر نفسه حـ ١ ص ٤٨

(٣) شرح الاصول الخمسة ص ١٣٢

(٤) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٣٥٥

يقول الامام ابن جرير في ذلك : " واما الصواب من القول لدينا فيما اختلف فيه من أفعال العباد ، وحسناتهم وسيئاتهم ، فان جميع ذلك من عند الله تعالى والله سبحانه مقدره ومدبره ، لا يكون شيء الا باذنه ، ولا يحدث شيء الا بمشيئته له الخلق والامر " (١) وروى في ذلك حديثا بسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه " (٢)

ونحن نلاحظ في كلام الامام ابن جرير مخالفة صريحة للمعتزلة ، حيث ذهب الى القول بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق افعال العباد وحسناتهم وسيئاتهم وهو سبحانه وتعالى مقدرها ومدبرها فلا يكون شيء الا باذنه ولا يحدث شيء الا بمشيئته .

وقد ناقش المعتزلة مناقشة صريحة عند تفسيره لقوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (٣) واتهمهم بالغباء ، والجهل بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه ، وبين خطأهم في فهم الأية ، وأنها لا تصلح أن تكون حجة لهم ، بل هي حجة عليهم ، واثبت أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد ، وأن العباد فاعلون حقيقة لافعالهم .

يقول الامام ابن جرير : " وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن في وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله " ولا الضالين " واضافته الضلال اليهم دون اضافة اضلالهم الى نفسه وتركه وصفهم بأنهم المضلون كالذي وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم دلالة واضحة على صحة ما قاله اخوانه من جهلة القدرية . جهلا

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٥

(٢) اخرجه الامام ابن جرير في عقيدته ل ١٦٥ واللالكائي في السنن موقوفا على جابر حـ ٤ ص ٦٥٦ ، وسنده ضعيف وعلته عبد الله بن ميمون القداح ، قال الترمذي منكر الحديث وقال الحاكم : روى عن عبيد الله بن عمر احاديث موضوعة " انظر تهذيب التهذيب حـ ٦ ص ٤٩

(٣) سورة الفاتحة ٧

منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه . ولو كان الأمر على ما ظن الغبي الذى وصفنا شأنه لوجب أن يكون شأن كل موصوف بصفة أو مضاف اليه ، لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره ، وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب . فالحق فيه أن يكون مضافا الى مسببه ولو وجب ذلك ، لوجب أن يكون خطأ قول القائل تحركت الشجرة اذا حركتها الرياح ، واضطربت الارض اذا حركتها الزلزلة ،وما أشبه ذلك من الكلام الذى يطول باحصائه الكتاب .

وفى قول الله تعالى " حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم " (١) باضافة الجرى الى الفلك ، وان كان جريها باجراء غيرها اياها ما يدل على خطأ التأويل الذى تأوله من وصفنا فى قوله (ولا الضالين) وادعائه أن فى نسبة الله جل ثناؤه الضلالة الى من نسبها اليه من النصارى تصحيحا لما أدعى المنكرون أن يكون لله جل ثناؤه فى افعال خلقه سبب من أجله وجدت أفعالهم ، مع ابانة الله عز ذكره نصا فى أى كثيرة من تنزيله أنه المضل الهادى ، فمن ذلك قوله (أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) (٢) ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ما قد قدمنا البيان عنه فى أول الكتاب ، ومن شأن العرب اضافة الفعل الى من وجد منه ، وان كان مسببه غير الذى وجد منه احيانا وأحيانا الى مسببه ، وان كان الذى وجد منه الفعل غيره . فكيف بالفعل الذى يكتسبه العبد كسبا ،ويوجده الله جل ثناؤه عينا منشأة ، بل ذلك أحرى أن يضاف الى مكتسبه كسبا له بالقوة منه عليه ، والاختيار منه له ، والى الله جل ثناؤه بايجاد عينه وانشائها تدبيرا ." (٣)

وقد استدل بقوله تعالى " وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى " (٤) على اثبات أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد ، واعتبرها من أدل الادلة

---

(١) سورة يونس ٢٢

(٢) سورة الجاثية ٢٣

(٣) جامع البيان حـ ١ ص ٨٤ ــ ٨٥

(٤) سورة الانفال ١٧

على فساد قول المعتزلة الذين انكروا أن يكون لله في افعال خلق صنع به وصلوا اليها .

يقول الامام ابن جرير في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل اعداء دينه معه من كفار قريش ، فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ، ولكن الله قتلهم ، واضاف جل ثناؤه ، قتلهم الى نفسه ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين ، اذ كان جل ثناؤه ، هو مسبب قتلهم ، وعن أمره كان قتال المؤمنين اياهم ، ففي ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في افعال خلقه صنع به وصلوا اليها ، وكذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فأضاف الرمي الى نبي الله ، ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي ، اذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به الى الذين رموا به من المشركين ، والمسبب الرمية لرسوله ، فيقال للمسلمين ما ذكرنا قد علمتم اضافة الله رمي نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين الى نفسه ، بعد وصفه نبيه به ، واضافته اليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والارسال فما تنكرون أن يكون كذلك سائر افعال الخلق المكتسبة من الله الانشاء والانجاز بالتسبيب ، ومن الخلق الاكتساب بالقوى ، فلن يقولوا في احدهما قولا الا الزموا في الاخر مثله " (١) .

واستدل كذلك بقوله تعالى " والله خلقكم وما تعملون " (٢) على اثبات أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد . يقول في تفسير هذه الآية (وفي قوله : (وما تعملون) وجهان أحدهما أن يكون قوله (ما) بمعنى المصدر فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم ، والاخر أن يكون بمعنى الذى ، فيكون معنى الكلام عند ذلك والله خلقكم والذى تعملونه ، أي والذى تعملون منه الاصنام ، وهو الخشب والاشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم . وهذا المعنى الثاني قصد ان شاء الله قتادة بقوله (والله خلقكم وما تعملون) بأيديكم .) (٣)

---

(١) المصدر نفسه جـ ٩ ص ٢٠٤

(٢) سورة الصافات ٩٦

(٣) المصدر نفسه جـ ٢٣ ص ٧٥

وواضح من ذلك أن الامام ابن جرير يرجح القول الثاني ويقول بـه بدليل قوله " وهذا المعنى الثاني قصد ان شاء الله قتادة " .

اما القول بأن ما مصدرية ، فان سياق الاية يأباه . لان ابراهيم عليه السلام انما انكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت ، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى ، وهو ما صار منحوتا الا بفعلهم ، فيكون ما هو من أثار فعلهم مخلوقا لله تعالى ، ولو لم يكن النحت مخلوقا لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقا له ، بل الخشب أو الحجر لاغير .)(١) .

وبناء على ما تقدم ذكره نقول ما يلي :ـ

(١) اثبت الامام ابن جرير أن الله سبحانه وتعالى هو خالق العباد وأعمالهم وأن العباد فاعلون لأعمالهم حقيقة ، وأن لهم قدرة وتأثيرا على افعالهم الاختيارية ، وأن السبب الذى يتوصل به الى الايمان غير السبب الذى به يتوصل الى الكفر ، وأن كلا السببين من عند الله تعالى ، وقد استدل لصحة مذهبه في افعال العباد بالأدلة الشرعية . والأدلة العقلية المستنبطة من الأدلة الشرعية ، واسلوب العرب في الخطاب بينهم .

(٢) خالف المعتزلة فيما ذهبوا اليه في تفسير كثير من الايات القرآنية التي اعتبروها حجة لمذهبهم في افعال العباد ، وفسرها تفسيرا يوافق مذهب السلف ويؤيده .

(٣) بين خطأ القدرية في فهم نصوص القرآن الكريم وجهلهم بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه .

(٤) أورد عليهم مجموعة من الالزامات العقلية تؤدى بهم الى القول في النهاية بأن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل ، وأن الله سبحانه وتعالى خالق العباد وأعمالهم .

ولا ريب أن هذا الموقف الشديد الذى اتخذه الامام ابن جرير من القدرية

---

(١) انظر شرح الطحاويه ص ٤٩٦

والادلة الكثيرة التي ساقها للاستدلال بها على أن افعال العباد مخلوقه لله عز وجل ،وأن العباد فاعلون لاعمالهم حقيقة ولهم قدرة وتأثير على اعمالهم والله سبحانه وتعالى خالقهم ، وخالق اعمالهم • هو امتداد لمنهج السلف في رد البدع ، والتشهير باصحابها ،وتأييد وتأكيد من جديد لصحة مذهب السلف ودفاع عن،قيد تهم في ذلك •

ونزيد دفاع الامام ابن جرير وضوحا وتاكيدا فنقول وبالله التوفيق ان ما ذهب اليه الامام ابن جرير من القول بأن افعال العباد مخلوقة لله تعالى هو امتداد لمذهب السلف بلا ريب ، اذ أن القول بأن افعال العباد مخلوقة محل اتفاق بين سلف الامة وائمتها • يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " افعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وائمتها ،كما نص على ذلك سائر ائمة الاسلام الامام أحمد ومن قبله ومن بعده ، حتى قال بعضهم : من قال ان افعال العباد غير مخلوقة ، فهو بمنزلة من قال ان السماء والارض غير مخلوقة " (١) •

ومعظم العلماء نصوا على أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لافعال العباد ومن اشهر هؤلاء العلماء الامام البخارى (٢) والبيهقى (٣)وابو يعلى (٤) وابو منصور الماتريدى (٥) وشيخ الاسلام ابن تيمية (٦) وابن القيم (٧) وغيرهم •

---

(١) مجموع الفتاوى حـ ٨ ص ٤٠٦

(٢) انظر كتاب خلق افعال العباد ص ١٧

(٣) انظر الاعتقاد ص ٥٩

(٤) انظر المعتمد في اصول الدين ص ١٢٦ وما بعدها •

(٥) انظر تأويلات أهل السنة حـ ١ ص ٢٨١

(٦) انظر مجموع الفتاوى حـ ٨ ص ٢٢٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٤٠٦ ، ٤٦١ ـ ٤٦٢

(٧) انظر شفاء العليل ص ٢٣٤ ـ ٢٥٥

ونضيف الى الأدلة التي قدمها الامام ابن جرير فنقول :ـ

اذا قيل عن فعل ما انه فعل الله تعالى أوفعل العبد ، فيجب أن نعرف المقصود من هذا لأن في القول اجمال ،فإنه قد يراد الفعل نفسه وقد يراد مسمى المصدر فاذا أريد بالفعل الذى هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه وما أشبه ذلك ، ـ فالفعل هنا هو المفعول ، وهذا لا يقال عنه انه فعل الله سبحانه وتعالى باتفاق المسلمين ، وصريح العقل قال الله تبارك وتعالى : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات " (١) فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ، ومن هذا الباب قوله تعالى " والله خلقكم وما تعملون " فانه في أصح القولين أن ما بمعنى الذى والمراد به ما تنحتونه من الاصنام ، كما قال عز وجل " اتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون " (٢) أي والله خلقكم وخلق الاصنام التى تنحتونها ، فالعمل عملهم ، والله خالق الجميع ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه " ان الله خالق كل صانع وصنعته " (٣) وتكون فعل الله عز وجل اذا أريد بها كونها مفعولة مخلوقة كسائر المخلوقات (٤) ، يوضح ذلك أن الانسان اذا كتب بالقلم هل يكون القلم شريكا له ، أم يضاف اليه شيء من نفس الفعل وصفاته ، أم هل يصلح أن يلغى اثره ويقطع خبره ، ويجعل وجوده كعدمه أم يقال به كتب ، والله سبحانه وتعالى له المثل الاعلى ـ فان الاسباب بيد العبد ليست

(١) سورة سبأ ١٣

(٢) سورة الصافات ٩٥ ـ ٩٦

(٣) اخرجه البخارى فى خلق أفعال العباد ص ٤٦ وابن ابي عاصم فى السنة حـ ١ ص ١٥٨ وقال شيخنا الالبانى اسناده جيد ، واخرجه الحاكم فى المستدرك حـ ١ ص ٣١ ـ ٣٢ والبيهقى فى الاسماء والصفات ص ٢٦٠ كلهم من طريق ابى مالك الاشجعى عن ربعى بن حراش عن حذيفة مرفوعا ، واورده القرطبى فى التفسير حـ ١٥ ص ٩٦ ،ونسبه الى البيهقى ،وكذا السيوطى فى الدر المنثور حـ ٥ ص ٢٧٩ ونسبه الى البيهقى والحاكم والبخارى وذكره الثعلبى فى تفسيره من حديث ابى هريره انظر القرطبى حـ ١٥ ص ٩٦

(٤) انظر رسالة الارادة والامر ضمن المجموعة الكبرى حـ ١ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠

من فعله وهو محتاج اليها لا يتمكن الا بها ، والله سبحانه خلق الاسباب ومسبباتها وجعل خلق البعض شرطا وسببا في خلق غيره وهو مع ذلك غني عن الاشتراط والتسبب ونظم بعضها ببعض ، الا أن الحكمة تتعلق بالاسباب وتعود اليها (١) ، وبناء على ذلك فان مشيئة العبد موجودة في الخير والشر ، والله سبحانه وتعالى خالق ذلك كله وهو ربه ومليكه لا خالق غيره ، ولا رب سواه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، وقد اثبت سبحانه وتعالى مشيئته ، ومشيئة العبد ، وبين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئته سبحانه وتعالى . ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما) (٢) وقوله (ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) (٣) وقد نطق القرآن الكريم باثبات فعل العبد في كثير من الآيات الكريمة (يعملون ، يفعلون يؤمنون ، يكفرون ، يتفكرون ، يحافظون ، يتقون ..

فمذهب السلف أن فعل العبد فعل له حقيقة ، وهو مخلوق لله ، ومفعول له سبحانه وتعالى ، وليس هو فعل الله نفسه ، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق (٤)

ونظرا لصراحة الادلة على اثبات أن العبد فاعل ، وله مشيئة واختيار انكر السلف وعلماء أهل السنة على الجبرية قولهم ، ان الافعال الصادرة من الخلق كلها نوع واحد ، يصدر الفعل عنها من غير ارادة ولا مشيئة ، كحركة الاشجار بهبوب الرياح ، وحركة المرتعش ونبضات القلب وما اشبه ذلك وعلماء السنة يقسمون الافعال الى نوعين :ـ

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٨ ص ٣٩١

(٢) سورة الانسان ٣٠

(٣) سورة التكوير ٢٧ ـ ٢٩

(٤) انظر مجموع الفتاوى حـ ٨ ص ٢٣٨ ، ص ٣٩٣ ، شرح الطحاوية ص ٥٠٢

النوع الأول اضطراري لا اختيار فيه ، ولا يجد الانسان من نفسه القدرة على منعه أو التحكم فيه كحركة الارتعاش ، ونبضات القلب .

النوع الثاني : اختياري وهو الذي يجد الانسان من نفسه القدرة على التحكم فيه ، فقد يريده ، وتتعلق قدرته به فيفعله ، وقد لا يريده ، فلا تتعلق قدرته به فلا يفعله (١) .

ولأجل هذا الاثبات كره السلف اطلاق لفظ " الجبر " لما فيه من معنى الاكراه ، يقال : اجبر الاب ابنته على النكاح اذا اكرهها . ومن جعل مريدا للفعل مختارا محبا له راضيا به لا يقال عنه انه مجبر .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (فان الله أعلى وأجل قدرا من أن يجبر احدا ، وانما يجبر غيره العاجز عن أن يجعله مريدا للفعل مختارا له محبا له راضيا به والله سبحانه قادر على ذلك . فهو الذي جعل المريد للفعل المحب له الراضي به مريدا له محبا له راضيا به ، فكيف يقال أجبره واكرهه كما يجبر المخلوق المخلوق) (٢)

ولعدم صلاحية هذا المعنى في الجبر بالنسبة للقادر على كل شيء قالوا ان الله تعالى جبل فلانا على كذا . وقد وردت السنة بذلك . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشبج عبد القيس ان فيك لخلقين يحبهما الله فقال أخلقين تخلقت بهما ، أم خلقين جبلت عليهما ، فقال بل خلقين جبلت عليهما ، فقال الحمد لله الذي جبلني على ما يحب) (٣)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٨ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤

(٢) المصدر نفسه حـ ٨ ص ٤٦٣

(٣) هذا الحديث أخرجه الامام مسلم حـ ١ ص ٤٨ غير أنه لم يذكر فيه الجهل واخرجه الترمذي حـ ٤ ص ٣٦٦ من حديث ابن عباس ، واحمد عن ابي بكرة حـ ٤ ص ٢٠٥ ، وابن ماجه حـ ٢ ص ١٤٠١ من طريق عمارة بن أبي هارون العبدي وهو ضعيف ثنا ابو سعيد ، واخرجه ابو داود في الادب جـ ٤ ص ٣٥٧ عن ام ابان بنت زارع عن جدها زارع . والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٥٩ .

فى هذا الحديث نلاحظ أن تلك الصفتين فى أشج عبد القيس ليستا من فعله ، وانما هما مما جبله الله تعالى عليهما (١) .

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٨ ص ٤٦٢ ورسالة الارادة والامر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى حـ ١ ص ٣٤٤ ، ٣٤٥

مسألة الهدى والاضـــلال

بعد أن بينا رأى الامام ابن جرير ودفاعه عن عقيدة السلف فى مسألة خلـق الله لأفعال عباده ، وابطال رأى القدرية والجبرية فى ذلك . سنتعرض لمسألـــة لها ارتباط وثيق بهذا البحث ، تعرض الامام ابن جرير لرأى القدرية بالنقد الشديد وذلك عند تفسيره لبعض الايات القرآنية الكريمة التى تحدثت عن مسألة الهدى والضلال .

فالقدرية يرون أن الهداية على معنى التسمية والحكم (١) أو الارشـــاد وابانة الحق والدعاء اليه ، وليس المراد بها خلق الهداية فى القلوب (٢) .

ويرى القاضى عبد الجبار أن هناك هداية عامة ، وهداية خاصة ،يقـــول فى بيان ذلك : (انه تعالى هدى الخلق بالأدلة والبيان ، ويهدى من آمن بالثواب خاصة) (٣) واما الاضلال ، فقد أولوه على عدة معان فقال بعضهم أضل عبدا اذا سماه ضالا أو أخبر أنه ضال ، أو حكم بأنه ضال ، واذا قيل ان الله تعالى أضلهم فان معنى ذلك أنه سماهم ضالين أو حكم بأنهم ضالون أو اخبر بأنهم ضالون (٤) .

وقال بعضهم اذا قيل أضل الله عبدا فان معنى ذلك جازاه على ضلالته (٥)

يقول القاضى عبد الجبار : " ولا نقول انه يضل عن الدين بأن يخلق الضلال فيهـــم ولا أنه يريده ، ولا أنه يدعوهم اليه ،لأن ذلك هو الذى يليق بالشياطين والفراعنـــة وانما قال " يضل به كثيرا " (٦) وأراد يعاقب بالكفر به ، " ويهدى به كثيرا " اى يثيب بالايمان به كثيرا " (٧) .

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٢٦٠ ، شفاء العليل ص ٨٢

(٢) انظر اصول الدين ص ١٤١ ،الارشاد ص ٢١١ ــ ٢١٢ مسائل العقيدة بيـــن التفويض والاثبات ص ٥٥٠

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٠

(٤) انظر اصول الدين ص ١٤١ الفصل فى الملل والنحل حـ ٣ ص ٤٩

(٥) انظر اصول الدين ص ١٤١

(٦) سورة البقرة ٢٦

(٧) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٠

وقد وجه علماء السلف وأهل السنة نقدا شديدا الى المعتزلة وبينوا خطأهم في تأويلهم من طريق اللغة ومن طريق المعنى .

اما من طريق اللغة فلأن من سمى غيره ضالا ، أو نسبه الى الضلال فانما يقال فيه : انه ضلله بالتشديد ، ولا يقال أضله يقول الامام ابو الحسن الاشعري : (ويقال لهم ما معنى قول الله عز وجل (ويضل الله الظالمين) (١) فان قالو معنى ذلك يسميهم ضالين ويحكم عليهم بالضلال قيل لهم ... فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال أضل فلان فلانا أي سماه ضالا فان قالوا : وجدنا القائل يقول اذا قال رجل لرجل ضال قد ضللته ، قيل لهم قد وجدنا العرب يقولون ضلل فلان فلانا اذا سماه ضالا ، ولم نجدهم يقولون : أضل فلان فلانا بهذا المعنى ، فلما قال الله عز وجل . (ويضل الظالمين) لم يجز أن يكون ذلك معنى ذلك الاسم والحكم ، واذا لم يجز في لسان العرب أن يقال : أضل فلان فلانا اذا سماه ضالا بطل تأويله اذ كان خلاف لسان العرب " (٢) .

ويقول الامام ابن القيم (وليس في لغة أمة من الامم ، فضلا عن أفصح اللغات واكملها هداه سماه مهتديا ، وأضله سماه ضالا ، وهل يصح أن يقال علمه اذا سماه عالما وفهمه اذا سماه فهما " (٣)

واما من جهة المعنى : فلو كان الاضلال من الله سبحانه وتعالى على معنى التسمية والحكم لوجب أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أضل الكفرة لانه سماهم ضالين ، وحكم بضلالتهم ، ويجب أن يقال : ان الكفرة والشياطين قد أضلوا المؤمنين والانبياء لأنهم سموهم ضالين ، واذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى (يضل الله الظالمين) الحكم والتسمية (٤).

---

(١) سورة ابراهيم ٢٧

(٢) الابانة ٦٦ ـ ٦٧

(٣) شفاء العليل ص ٨٢

(٤) انظر الابانة ص ٦٧ ، اصول الدين ص ١٤٢

وكذلك لو كان الاضلال من الله سبحانه وتعالى بمعنى العقاب على الضلالة لكان كل من أقام الحد على الزاني والسارق والقاتل والقاذف ، وشارب الخمر قد اضلهم ، لأنه جازاهم على ضلالتهم وفقهم (١) .

اما الامام ابن جرير فقد خالف المعتزلة في تفسيرهم للهداية والاضلال وبين أن الهداية نوعان .

هداية دلالة وبيان ، وهداية توفيق واعانة ، وبين أن السبب الذى يتوصل به الى الايمان غير السبب الذى يتوصل به الى الكفر ، وأن كلا السببين من عند الله عز وجل ، وبين أن الله سبحانه وتعالى هدى قوما فاهتدوا ، ولم يهد أخرين فلم يهتدوا ، فهدى الناس كلهم هداية الدلالة ببيان الطريق لهم . طريق الخير وطريق الشر ، وهدى من اهتدى بأن وفقه وأعانه على الخير ويسر له سبله وجعل له القبول في نفسه ، وأضل من شاء من خلقه بأن جعل صدورهم ضيقة حرجة ، وجعل على قلوبهم اكنة تحول بينهم وبين تفهم القرآن ، وتفهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وختم على قلوبهم وطبع عليها ، فامتنعوا بذلك من وصول الهدى الى قلوبهم . واستدل بأدلة كثيرة على أن الله سبحانه وتعالى هو المضل الهادى وفيما يلي بيان ذلك :

استدل الامام ابن جرير بقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون) (٢) على أن الله سبحانه وتعالى له صنع في أفعال خلقه ، ورد على القدرية الذين زعموا أن الله سبحانه وتعالى فوض الأمور الى خلقه في أعمالهم ، فلا صنع له فيها ، وأنه قد سوى بين جميع عباده في الاسباب التى بها يصلون الى الطاعة والمعصية ، يقول الامام ابن جرير في تفسير هذه الاية :

" يقول تعالى ذكره : كما خذلت هذا الكافر الذى يجادلكم أيها المؤمنون بالله

---

(١) انظر اصول الدين ص ١٤٢

(٢) سورة الانعام ١٢٢

ورسوله فى اكل ما حرمت عليكم من المطاعم عن الحق ، فزينت له سوء عمله فرآه حسنـــا ليستحق به ما اعددت له من اليم المقاب ، كذلك زينت لغيره ممن كان على مثـــل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصي الله ليستوجبوا بذلـــك من فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال ، وفى هذا أوضح البيان على تكذيب اللـــه الزاعمين أن الله فوض الأمور الى خلقه فى اعمالهم فلا صنع له فى افعالهم ، وأنـــه قد سوى بين جميعهم فى الاسباب التى بها يصلون الى الطاعة والمعصية ، لان ذلـك لو كان كما قالوا لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زين من ذلـك لاعدائه ، وأهل الكفر به ، وزين لاهل الكفر به من الايمان به نظير الذى زين منـــه لا نبيائه وأوليائـــه وفى اخباره جل ثناؤ ه انه زين لكل عامل منهم عمله ، ما ينبىء عـــن تزيين الكفـر والفسوق والعصيان ، وخص اعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهـــم والفسوق والعصيان ، وكره اليهم الايمان به والطاعة " (١) .

واستدل كذلك بقوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء " (٢) على أن ـ السبب الذى يتوصل به الى الايمان غير السبب الذى يتوصل به الى الكفر والمعصيـــة وأن كلا السببين من عند الله سبحانه وتعالى .

يقول فى تفسير هذه الآية : (وفى هذه الاية أبين البيان لمن وفق لفهمهـا عن أن السبب الذى به توصل الى الطاعة غير السبب الذى به توصل الى الكفـــــر والمعصية ، وأن كلا السببين من عند الله وذلك أن الله جل ثناؤ ه أخبر عن نفســه انه يشرح صدر من أراد هدايته للاسلام ، ويجعل صدر من أراد اضلاله ضيقـــا عن الاسلام حرجا ،كأنما يصعد فى السماء ، ومعلوم أن شرح الصدر للايمان خـلاف تضييقه له ، وأنه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الايمان اليه ، لم يكن بين تضييقـــه وبين شرحه له فرق ، ولكان من ضيق صدره عن الايمان قد شرح صدره له ، ومن شـــرح

---

(١) المصدر نفسه حـ ٨ ص ٢٣ ـ ٢٤

(٢) سورة الانعام ١٢٥

صدره له فقد ضيق عنه ، اذ كان موصولا بكل واحد منهما اعنى من التضييق والشرح الى ما يوصل به الى الاخر ، ولو كان ذلك كذلك وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبى جهل للايمان به ، وضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وهذا القول من أعظم الكفر بالله ، وفى فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذى به أمن المؤمنون بالله ورسله واطاعه المطيعون غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله ، وعصاه العاصون وأن كلا السببين من عند الله وبيده ، لانه أخبر جل ثناؤه انه هو الذى يشرح صدر هذا المؤمن به للايمان اذا أراد هدايته ويضيق صدر هذا الكافر عنه اذا أراد اضلاله •) (١)

وبين خطأ القدرية فى قولهم ان السبب الذى به يصل المؤمن الى الايمان هو السبب الذى به يصل الكافر الى الكفر وذلك فى تفسيره لقوله تعالى (فيما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم " (٢) حيث يقول فى تفسير هذه الاية (وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى المجازاة ، كأن معناه عنده ، فلانك أغويتنى أو فبأنك اغويتنى لا قعدن لهم صراطك المستقيم ، وفى هذا بيان واضح على فساد ما يقوله القدرية من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله اسباب ذلك اليه ، وأن السبب الذى به يصل المؤمن الى الايمان هو السبب الذى به يصل الكافر الى الكفر ، وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا لكان الخبيث قد قال بقوله (فبما أغويتنى) فبما أصلحتنى •

اذ كان سبب الاغواء وهو سبب الاصلاح ، وكان فى اخباره عن الاغواء اخبار عن الاصلاح ، ولكن لما كان سبباهما مختلفين ، وكان السبب الذى به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك اليه ، فقال " فبما اغويتنى " (٣) •

وكذلك قال محمد بن كعب القرظى " وروى بسنده عن محمد بن كعب القرظى أنه قال " قاتل الله القدرية ، لأبليس أعلم بالله منهم " (٤) •

---

(١) المصدر نفسه حـ ٨ ص ٣٠

(٢) سورة الاعراف حـ ٨ ص ٣٠

(٣) المصدر نفسه حـ ٨ ص ١٣٤

(٤) المصدر نفسه حـ ٨ ص ١٣٤

واستدل بقوله تعالى (الــر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد " (١) على صحة معتقد السلف فى افعال العباد ، وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله صنع فى أفعال خلقه ، يقول فى تفسير هذه الاية : (هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد يعنى القرآن لتخرج الناس من الظلمات الى النور يقول لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر الى نور الايمان وضيائه ، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبيل الرشاد والهدى بتوفيق ربهم به لهم بذلك ولطفه بهم ، الى طريق الله المستقيم ، وهو دينه الذى ارتضاه وشرعه لخلقه ..

" وأضاف تعالى ذكره اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم لهم بذلك الى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الهادى خلقه ، والموفق من أحب منهم للايمان ، اذ كان منه دعاؤهم اليه ، وتعريفهم مالهم فيه وعليهم . فبين بذلك صحة قول أهل الاثبات الذين اضافوا أفعال العباد اليهم كسبا ، والى الله جل ثناؤه انشاء وتدبيرا ، وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله فى ذلك صنع)(٢)

واستدل كذلك بقوله تعالى (قل الله خالق كل شىء) (٣) على اثبات أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد . يقول فى تفسير هذه الاية : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين اذا أقروا لك أن أوثانهم التى أشركوها فى عبادة الله لا تخلق شيئا ، فالله خالقكم وخالق أوثانكم وخلق كل شيء ، فما وجه اشراككم مالا تخلق ولا تضر) (٤).

---

(١) سورة ابراهيم : ١

(٢) المصدر نفسه جـ ١٣ ص ١٧٩

(٣) سورة الرعد ١٦

(٤) المصدر نفسه جـ ١٣ ص ١٣٣ ـ ١٣٤

يقول ابن تيمية في ذلك : (ان كل ما في الوجود فهو مخلوق له ، خلقه بمشيئته وقدرته ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذى يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويعز ويذل ، ويغني ويفقر ، ويضل ويهدى ، ويسعد ويشقى ويولى الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويشرح صدر من يشاء للاسلام ، ويجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد في السماء • وهو الذى جعل المسلم مسلما والمصلى مصليا ، قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) (١) وقال (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) (٢) • وهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ، وله فيما خلقه حكمة بالغة ، ونعمة سابغة ورحمة خاصة وعامة وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لا لمجرد قدرته وقهره ، بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته) (٣)

---

(١) سوره البقرة ١٢٨

(٢) سورة ابراهيم ٤٠

(٣) مجموع الفتاوى جـ ٨ ص ٧٨ ـ ٧٩

مسألة الاستطاعة والتكليف بما لايطاق

توجه الامام ابن جرير بالنقد الى رأى المعتزلة فى مسألة الاستطاعة والتكليف بما لايطاق (١) وذلك من خلال تفسيره لكثير من الآيات القرآنية ، فقد ذهب المعتزلة الى أن القدرة لا تكون الا قبل الفعل ، حيث ذهبوا الى أن الله سبحانه وتعالى اعطى القدرة لجميع عباده دون تفريق بين مؤمن وكافر ، وبر وفاجر بل كلهم فى ذلك سواء ،وانكروا أن يكون الله عز وجل خص المؤمن المطيع باعانة حصل بها الايمان ، بل هذا رجح الطاعة بنفسه ، وذاك رجح المعصية بنفسه ، كالوالد الذى أعطى كل واحد من بنيه سيفا فواحد جاهد به فى سبيل الله والاخر قطع به الطريق (٢) .

يقول أبو الحسن الاشعرى : (واجمعت المعتزلة على أن الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة عليه وعلى ضدة وهي غير موجبة للفعل ، وانكروا باجمعهم أن يكلف الله عبدا مالايقدر عليه) (٣) .

وقد توجه الامام ابن جرير بالنقد الى رأى القدرية فى الاستطاعة مباشرة، واعتبر قولهم الذى احالوا فيه أن يأمر الله أحدا من عبيده ، بأمر أو يكلفه فرض على الابعد اعطائه المعونة على فعله وعلى تركه فاسدا لانه يترتب عليه ابطال الرغبة الى الله فى المعونة على طاعته ، يقول الامام ابن جرير فى ذلك (وفى أمر الله جل ثناؤه عباده أن يقولوا (اياك نعبد واياك نستعين) (٤) بمعنى مسألتهم اياه المعونة على

---

(١) لم يرد فى الشريعة التكليف بمالايطاق ، وقد اعتبر شيخ الاسلام القول بالتكليف بمالايطاق من البدع الحادثة فى الاسلام . انظر موافقة صريح المعقول المطبوع بهامش منهاج السنه حـ ١ ص ٤٣ .

(٢) انظر شرح الطحاويه ص ٤٨٨ ، ٤٩٠ ،الفصل حـ ٣ ص ٢٤

(٣) مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٣٠٠ وانظر شرح الاصول الخمسة ص ٣٩٠

(٤) سورة الفاتحه : ٥

العبادة أدل الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر الذين أحالوا أن يأمر الله أحدا من عبيده بأمر أو يكلفه فرض عمل الا بعد اعطائه المعونة على فعله وعلى تركه • ولو كان الذى قالوا من ذلك كما قالوا لبطلت الرغبة الى الله فى المعونة على طاعته ، اذ كان على قولهم مع وجود الامر والنهي والتكليف حقا واجبا على الله للعبد اعطاؤه المعونة عليه ، سأله عبده ذلك ، أو ترك مسألة ذلك بل ترك اعطائه ذلك عندهم جور ، ولو كان الامر فى ذلك على ما قالوا لكان القائل (اياك نعبد واياك نستعين) انما يسأل ربه أن لا يجور وفى اجماع أهل الاسلام جميعا على تصويب قول القائل اللهم انا نستعينك وتخطئتهم قول القائل اللهم لا تجر علينا ، دليل واضح على خطأ ما قال الذين وصفت قولهم ، اذ كان تأويل قول القائل عندهم اللهم انا نستعينك ، اللهم لا تترك معونتنا التى تركها جور منك) (١) •

وبين رحمة الله عليه أن طاعة الله عز وجل لا ينالها المطيعون الا بانعام الله بها عليهم وتوفيقه له • وقد جاء ذلك فى معرض تفسيره لقوله تعالى (صراط الذين انعمت عليهم) حيث يقول فى تفسير هذه الاية (وفى هذه الاية دليل واضح على أن طاعة الله جل ثناؤه لا ينالها المطيعون الا بانعام الله عليهم وتوفيقه اياهم لها ، أولا يسمعونه يقول (صراط الذين انعمت عليهم) فأضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة الى أنه انعام منه عليهم) (٢)

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير يعتمد على الادلة الشرعية فى رده على رأى القدرية فى مسألة الاستطاعة على الفعل ووجوب اعطاء الله الاستطاعة للعبد لامكان القيام بما كلفه الله سبحانه وتعالى بـه •

ويذهب فى هذا الى ما يدين به السلف وعامة أهل السنة مخالفا بذلك المعتزلة ، ودافعا لادلتهم بما تدل عليه نصوص القرآن الكريم . ويتصل بهذا المبحث فكرة التكليف

---

(١) جامع البيان حـ ١ ص ٧٠

(٢) المصدر نفسه حـ ١ ص ٧٦

بما لا يطاق ، وهو مبحث عرض له الاصوليون في ابحاثهم في الاصول، لصلته بمسألة التكليف التي أولوها عنايتهم من ابحاث تحدد مكان الشريعة من الانسان المتدين بها، والملتزم لما تقضي به ، وسنرى أن الامام ابن جرير لا يخرج عن قول السلف في ذلك، فهو يرى أن التكليف بما لا يطاق جائز ، وأن نصوص القرآن الكريم صريحة في اثباته، وأن الذين ينكرونه انما يصادمون نصوص القرآن، ويعطلون مدلولاته، وهم بذلك ليسوا من أهل التفسير الذين صحت مذاهبهم، ودقت في الفهم نظرياتهم ، ونستطيع أن نجد من صنيع الامام ابن جرير في تفسيره شواهد كثيرة على ذلك، فقد خالف المعتزلة في هذه المسألة مخالفة جذرية، وتعرض بالنقد لرأيهم بصورة مباشرة ، واتهمهم بالجهل والغباء ،

يقول الامام ابن جرير في تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (١) (وهذه الآية من أدل دليل على فساد قول من زعم ان تكليف ما لا يطاق الا بمعونة الله غير جائز الا بعد اعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه ، وذلك أن الله أمر من وصفنا بعبادته والتوبة من كفره بعد اخباره عنهم أنهم لا يؤمنون ، وأنهم عن ضلالتهم لا يرجعون) (٢) فهذا النص يدل على رأي الامام ابن جرير في هذه المسالة ، وأن التكليف بما لا يطاق مع عدم اعطاء الاستطاعة على الفعل جائز غير مردود ، وأن النصوص القرآنية صريحة في الدلالة عليه وهي بذلك عنده لا تحتمل تأويلا ، ولا صرفا لها عن ظاهر ما تدل عليه، ولا يزال الامام ابن جرير يكرر الدعوة الى ما يذهب اليه في هذه المسألة ، اعتمادا منه على النصوص القرآنية التي هي مناط التشريع ، وفهم نصوص العقيدة ، رادا بذلك على المخالفين من المعتزلة ، الذين انفردوا بمذاهب معينة في هذه المسائل ، ووجهوا هممهم ، وثقافتهم وما ورثوه من ثقافة اليونان العقلية وغيرهم الى تأويل هذه النصوص الى

---

(١) سورة البقرة ٢١

(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٦١

غير ما يذهب اليه سلف الأمة ،ومن سار على نهجهم من العلماء والمحققين والفقهاء والمحدثين .

يقول الامام ابن جرير في تفسير قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) (١) (ويقال القائلي القول الثاني الزاعمين أن معنى قوله جل ثناؤه (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) و هو وصفهم بالاستكبار والاعراض عن الذى دعوا اليه من الاقرار بالحق تكبرا ،أخبرونا عن استكبار الذين وصفهم الله جل ثناؤه بهذه الصفة واعراضهم عن الاقرار بما دعوا اليه من الايمان ، وسائر المعاني اللواحق به ، أفعل منهم ،أم فعل من الله تعالى ذكره بهم ، فان زعموا أن ذلك فعل منهم وذلك قولهم ،قيل لهم فان الله تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذى ختم على قلوبهم وسمعهم ، وكيف يجوز أن يكون اعراض الكافر عن الايمان ، وتكبره عن الاقرار به ، وهو فعله عندكم ختما من الله على قلبه وسمعه ، وختمه على قلبه وسمعه فعل الله عز وجل دون فعل الكافر ، فان زعموا أن ذلك جائزا أن يكون كذلك ، لان تكبره واعراضه كانا عن ختم الله على قلبه وسمعه ، فلما كان الختم سببا لذلك جاز أن يسمى مسببه به تركوا قولهم ، وأوجبوا أن الختم من الله على قلوب الكفار واسماعهم معنى غير كفر الكافر ، وغير تكبره واعراضه عن قبول الايمان والاقرار به ، وذلك دخول فيما انكروه .

" وهذه الاية من أوضح الادلة على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق الا بمعونة الله ، لأن الله جل ثناؤه ختم على قلوب صنف من كفار عباده ، واسماعهم ، ثم لم يسقط التكليف عنهم ، ولم يضع عن أحد منهم فرائضه ، ولم يعذره في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه ، بل أخبر أن لجميعهم منه عذابا عظيما على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده ، وفرائضه مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك بأنهم لا يؤمنون) (٢) .

---

(١) سورة البقرة ٧

(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ١١٣

وقال في تفسير قوله تعالى : (لا تكلف نفس الا وسعها) (١) (هـــو ما وصفت من أنها لا تكلف الا ما يتسع لها بذل ما كلفت بذله ، فلا يضيق عليها ولا يجهدها ، لا ما ظنه جهلة أهل القدر من أن معناه لا تكلف نفس الا ما قد اعطيت عليه القــدرة من الطاعات، لان ذلك لو كان كما زعمت لكان قوله تعالى ذكره (انظر كيف ضربـــوا الله الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) (٢) اذا كان دالا على أنهم غيـــر مستطيعي السبيل الى ما كلفوه واجبا أن يكون القوم في حال واحدة قد اعطوا الاستطاعة على ما منعوها عليه . وذلك من قائله ان قاله احالة في كلامه ، ودعوى باطل لا يخيل بطوله واذ كان بينا فساد هذا القول ، فمعلوم أن الذي اخبر تعالى ذكره أنه كلـــف النفوس من وسعها غير الذي أخبر أنه كلفها مما لا تستطيع اليه السبيل .) (٣) ممـــا تقدم نلاحظ أن الامام ابن جرير أيد مذهب السلف في مسألة الاستطاعة ، والتكليـــف بما لا يطاق ، وخالف المعتزلة في ذلك واورد عليهم جملة اعتراضات تنقض مذهبهـــم ، الا أن كلام الامام بن جرير كان مجملا ، وهو بحاجة الى توضيح وتفسير ،حيث تعـــرض للرد على المعتزلة في الاستطاعة بشكل مجمل ، وكذلك فعل في مسألة التكليـــــف بما لا يطاق ، غير أنه ورد في كلامه اشارات خفيفة نستشف منها أن الامام ابن جريـــر لا يريد بالاستطاعة في هذا المقام استطاعة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الالات .

وكذلك التكليف بما لا يطاق فانه لم يرد به التكليف بما لا يطاق للعجـــز عنه لان هذا لم يكلف الله به أحدا ،وزيادة في توضيح رأي الامام ابن جرير نبين مقصـــود السلف بالاستطاعة وتكليف مالا يطاق . فنقول وبالله التوفيـــق .

تنقسم الاستطاعة والقدرة والطاقة والوسع ــ وهي الفاظ متقاربة عند السلف واهل السنة الى قسمين .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٣

(٢) سورة الاسراء ٤٨

(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٤٩٦

(١) استطاعة قبل الفعل ، وهي القدرة التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات ، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) (١) فأوجب سبحانه وتعالى الحج على المستطيع ، فلو لم يستطع الا من حج لم يكن الحج قد وجب الا على من حج ، ولم يعاقب البارى أحدا على ترك الحج ، وهذا خلاف ما هو معلوم بالضرورة من دين الاسلام . وكذلك قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) (٢) فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة ، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى ، لم يكن قد أوجب التقوى الا على من اتقى ولم يعاقب من لم يتق وهذا معلوم الفساد ، والشواهد على هذا النوع من كتاب الله عز وجل كثيرة ، والمقصود بها استطاعة الالات والاسباب ، وهذه الاستطاعة لولا وجودها لم يثبت التكليف لانها مناط الامر والنهي .

(٢) استطاعة مقارنة للفعل ، وهي الاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذى لا يجوز أن يوصف المخلوق به ، وهذه هي التي يتعلق بها الامر والنهي ، وتحصل للمطيع والعاصي ، وامر الله سبحانه وتعالى مشروط بهذه الاستطاعة فلا يكلف الله من ليس معه هذه الاستطاعة .

والاستطاعة المشروطة في الشرع اخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها فان الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وان لم يعجز عنه ، فالله سبحانه وتعالى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، ولم يجعل على عباده في الدين من حرج ، فالمريض مثلا ، قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر شفائه فهذا في الشرع غير مستطيع لاجل حصول الضرر عليه ، وان كان قد يسمى مستطيعا ، فالشارع الحكيم لا ينظر في الاستطاعة الشرعية الى مجرد امكان الفعل ، بل ينظر الى لوازم ذلك

---

(١) سورة آل عمران ٩٧

(٢) سورة التغابن ١٦

فان كان الفعل ممكنا مع المفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية كالذى يقدر على الحج مع ضرر يلحقه فى بدنه أو ماله ، أو يصلى قائما مع زيادة مرضه ونحو ذلك . فاذا كان الشارع قد اعتبر فى المكنة عدم المفسدة الراجحة ، فكيف يكلف مع العجز ؟ ولكن هذه الاستطاعة ــ مع بقائها الى حين الفعل ــ لا تكفى فى وجود الفعل ، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل ، بل لابد من احداث اعانة اخرى تقارن مثل جعل الفاعل مريدا ، فان الفعل لا يتم الا بقدرة وارادة ، والاستطاعة المقارنة تدخل فيها الارادة الجازمة ، بخلاف المشروطة فى التكليف فانه لا يشترط فيها الارادة ، فالله تبارك وتعالى يأمر بالفعل من لا يريده ، لكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه ، ومثال ذلك ــ ولله المثل الاعلى ــ الانسان قد يأمر خادمه بما لا يريده الخادم لكن لا يأمره بما يعجز عنه ، واذا اجتمعت الارادة الجازمة والقدرة التامة لزم وجود الفعل ، وبناء على هذا الاساس ينبنى تكليف ما لا يطاق ، وما لا يطاق يفسر بأمرين ، الامر الأول بما لا يطاق للعجز عنه ، وهذا النوع لم يكلف الله به احدا من خلقه ، والامر الثانى بما لا يطاق للاشتغال بضده ، وهذا هو الذى وقع فيه التكليف كما فى امر العباد بعضهم بعضا فانهم يفرقون بين الامرين فلا يأمر السيد عبده الاعمى بنقط المصحف ، ويأمره اذا كان قاعدا أن يقوم ويعلم الفرق بين الامرين بالضرورة (١) .

يقول ابن القيم فى ذلك : (فان قيل : فهل يكون الفعل مقدورا للعبد فى حال عدم مشيئة الله له أن يفعله ؟ قيل ان اريد بكونه مقدورا سلامة آلة العبد التى يتمكن بها من الفعل ، وصحة اعضائه ، ووجود قواه وتمكينه من أسباب الفعل وتهيئة طريق فعله ، وفتح الطريق له ، فنعم هو مقدور بهذا الاعتبار ، وان اريد

---

(١) انظر شرح الطحاويه ص ٤٨٨ ــ ٤٩٣ موافقة صريح المعقول المطبوع بهامش منهاج السنة حـ ١ ص ٣٩ ــ ٤٣ ، الفصل فى الملل والاهواء والنحل حـ ٣ ص ٢٥ ــ ٣٣

بكونه مقدورا القدرة المقارنة للفعل وهي الموجبة له التي اذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل فليس بمقدور بهذا الاعتبار " وتقرير ذلك أن القدرة نوعان ، قدرة مصححة وهي قدرة الاسباب والشروط وسلامة الآلة وهي مناط التكليف وهذه متقدمة على الفعل غير موجبه له ، وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له ، لا يتخلف الفعل عنها ، وهذه ليست شرطا في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها ،فايمان من لم يشأ الله ايمانه ،وطاعة من لم يشأ الله طاعته مقدور بالاعتبار الاول غير مقدور بالاعتبار الثانى ، وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف مالا يطاق) (١) .

---

(١) شفاء العليل ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣

مسألــة اللطـــف

ويتصل بالفكرة السابقة قول المعتزلة في اللطف ، حيث ذهب جمهورهم الى أنه ليس في مقدور الله سبحانه وتعالى لطف لو فعله بمن علم أنه لا يؤمن آمن عنده ، وأنه لا لطف عنده لو فعله بهم لامنوا ، فيقال يقدر على ذلك ولا يقدر عليه ، وانه لا يفعل بالعباد كلهم الا ما هو أصلح لهم في دينهم ، وأدعى لهم الى العمل بما أمرهم به ، وانه لا يدخر عنهم شيئا يعلم أنهم يحتاجون اليه في أداء ما كلفهم أداء، اذا فعل بهم أتوا بالطاعة التي يستحقون عليها ثوابه الذي وعدهم) (١)

وهذه الفكرة متعلقة بقول المعتزلة بوجوب الاصلح على الله سبحانه وتعالى وأنه يجب عليه تعالى أن يفعل ذلك بخلقه .

وقد عارض الامام ابن جرير رأي المعتزلة في اللطف والاصلح ، وبين أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء الا ما أوجبه سبحانه وتعالى على نفسه فالله سبحانه وتعالى هو الخالق المطلق ، وهو خالق العباد وافعالهم ، وفعله سبحانه وتعالى كله عدل وحق وحكمة ، وافعاله لا تجرى على الحكمة المعهودة بين الناس لان في ذلك تشبيه له سبحانه وتعالى بخلقه ، وهو سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، فلو شاء لهدى الناس أجمعين ، ولكن لم يشأ ذلك لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى ، وبين كذلك أن عند الله سبحانه وتعالى لطائف لمن شاء من خلقه يلطف بها له حتى يهتدى للحق ، وينقاد الى الرشاد .

يقول في معرض رده على الذين نفوا استهزاء الله بالمنافقين :

(واما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره (الله يستهزئ بهم) انما هو على وجه الجواب ، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة فنافون عن الله عز وجل ما قد أثبته لنفسه وأوجبه لها) (٢) .

---

(١) مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٣١٢ ، وانظر شرح الاصول الخمسة ٥٢٣ ، وانظر الفصل حـ ٣ ص ١٢٠ .

(٢) جامع البيان حـ ١ ص ١٣٤

وواضح جدا أن الامام ابن جرير يقصد من هذا القول أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يثبت لنفسه ما يشاء من الصفات ويوجب عليها ما يشاء من الاعمال ، لأنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته ولا افعاله .

اما رده على القدرية في مسألة اللطف فقد جاء في معرض تفسيره لقوله تعالى : (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (١) .

حيث يقول في تفسير هذه الاية : (وفي هذا الخبر من الله تعالى الدلالة الواضحة على خطأ ما قال أهل التفويض من القدرية المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه يلطف بها له حتى يهتدي للحق فينقاد له ، وينيب الى الرشاد فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله وذلك ، أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء الهداية لجميع من كفر به حتى يجتمعوا على الهدى فعل ، ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالا ، وهم لو كانوا مهتدين كان لا شك أن كونهم مهتدين كان خيرا لهم ، وفي تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ترك منه أن يفعل بهم في دينهم بعض ما هو خير لهم فيه مما هو قادر على فعله بهم ، وقد ترك فعله بهم ، وفي تركه فعل ذلك بهم أوضح الدليل على أنه لم يعطهم كل الاسباب التي يصلون بها الى الهداية ويتسببون بها الى الايمان) (٢)

وهذا تصريح واضح من الامام ابن جرير في رفض رأي المعتزلة في مسألة اللطف والصلاح والاصلح ، لان في هذا الرأي مصادمة لنصوص القرآن الصريحة في نفيه ، ويكرر الامام ابن جرير القول في كثير من المواضع ، وينكر على المعتزلة موقفهم من هذه المسألة خصوصا ، ومسألة خلق أفعال العباد عموما ، ويندد بمسلكهم في فهم النصوص القرآنية ، فيقول مثلا في تفسير قوله تعالى : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) (٣) .

---

(١) سورة الانعام ٣٥

(٢) المصدر نفسه جـ ٧ ص ١٨٥

(٣) سورة آل عمران ٨

" وفى مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم اليه في أن لا يزيغ قلوبهم ، وأن يعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحق ، الذى هم عليه مقيمون ما أبان عن خطأ قول الجهلة من القدرية ، ان ازاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته ، وامالته لها عنه جور ، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) بالذم أولى منهم بالمدح ، لأن القول لو كان كما قالوا لكان القوم انما سألوا ربهم مسألتهم اياه أن لا يزيغ قلوبهم أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم ، وذلك من السائل جهل ، لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ولا يجور عليهم ، وقد اعلم عباده ذلك ونفاه عن نفسه بقوله (وما ربك بظلام للعبيد) (١) ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التى قد أخبرهم انه بها ، وفى فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح على أن عدلا من الله عز وجل ازاغة من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته ، فلذلك استحق المدح من رغّب اليه فى أن لا يزيغه لتوجيهه الرغبة الى أهلها ، ووضعه مسألته موضعها مع تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته الى ربه فى ذلك مع محله منه وكرامته عليه) (٢) .

وهذا المذهب الذى ذهب اليه الامام ابن جرير هو امتداد لمذهب السلف فى مسألة خلق الله لافعال العباد ، وهو فى الوقت نفسه تقرير لمذهبهم وتأييد له ، وهو المذهب الحق الذى لا ينبغى مخالفته ، لأنه يتمشى مع الادلة الشرعية الواردة باثبات أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف المطلق فى ملكه يفعل ما يشاء وهو الحكيم الخبير ، وأنه لا يجب عليه لاحد شيئا الا ما اوجبه سبحانه وتعالى على نفسه ، وأن افعاله جل وعلا كلها حكمة وعدل على ما يليق بكماله وجلاله لا على ما هو معهود بين الخلق ، فلو شاء لهدى الناس اجمعين ، وعمهم فضلا منه ، ولو شاء لعذبهم اجمعين عدلا منه ، سبحانه وتعالى ، وعلى هذا القول أهل السنة والجماعة) (٣) .

---

(١) سورة فصلت ٤٦

(٢) المصدر نفسه حـ ٣ ص ١٨٧

(٣) انظر منهاج السنة حـ ١ ص ١٦٨ ، الابانة ص ٤٦ ، المعتمد لابى يعلى ص ١١١ ـ ١١٨ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ الفصل حـ ٣ ص ١٢٠ ـ ١٣٧

لكن ياقوتا الحموى ياخذ على الامام ابن جرير أن ما ذهب اليه فى خلق افعال العباد ، والتفرقة بين اسباب الايمان ، واسباب الكفر ، وأن الله ختم على قلوب من كفروا به مجازاة لهم على كفرهم ، ليس من مذاهب أهل السنة والجماعة وانما هو من اقوال الروافض والمعتزلة يقول فى ذلك : (وكان ابو جعفر يزعم أن ما فى العالم من أفعال العباد فخلق الله ، وأن ما من الله به على أهل الايمان من الاستطاعة التى وفقهم لها غير ما اعطاه لأهل الكفر من الدار والعقل ، وأن الله ختم على قلوب من كفر به مجازاة لهم على كفرهم . قلت وهذا الفصل ردىء جدا لانه ان كان ختم قبل الكفر فقد ظلم ، وان كان بعده فقد ختم على مختوم ، وهذا لم يقل به أحد من أهل السنة والجماعة ، انما هو من أقوال الروافض والمعتزلة قبحهم الله) (١)

والواقع أن ما يأخذه ياقوت على الامام ابن جرير لا يستند الى أساس علمى صحيح لان رأيه فى هذه المسائل التى أخذها عليه ياقوت موافق لرأى السلف كما بينا ويخالف رأى المعتزلة مخالفة جذرية كما وضحنا ذلك سابقا . اضف الى ذلك أن صنيع الامام ابن جرير فى تفسيره يدل بجملته على أنه كان يلتزم منهج السلف فى العقيدة ، ويدافع عنها فى كل فرصة سانحة له ، حين كان يتعرض لشبه المخالفين لمذهب السلف .

هذا وقد ذهب المستشرق جولد تسيهر الى قول قريب من رأى ياقوت واتهم الامام ابن جرير باتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة ، سببها ضيق الفهم ، أو التحامل الذى لا مبرر له . يقول جولد تسيهر فى معرض حديثه عن الامام ابن جرير (كذلك فى المسألة : هل العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية أو هو مجبر يقضى الله عليه بما يريد ، يستعمل الطبرى صيغة تتفق مع الجواب ، سترى أن أهل السنة عارضوه ، وكلما ورد فى القرآن ما يفيد أن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

---

(١) معجم الادباء جـ ١٨ ص ٨٢

لا يفتأ الطبرى يستعمل عبارات ملتوية يتبين منها انه لا يرى أن أعمال العبـــاد غير صادرة عن حرية واختيار ، بل يرى أنه ينبغى أن يفهم من هداية الله رحمته لعباده باللطف والتوفيق للعمل الصالح الذى يريده العبد حرا مختارا ، ومن اضلال اللـــه خذلانه للعباد على طبق ما ذكره ،وهو يذكر ذلك فى جميع المواضع المناسبة له فـــى قالب مختصر أو مفسر له أو باسط له . ولا يمكن أن تأخذنا الدهشة اذا كان قـــد أخذ على هذه الوجوه من التفسير أنها تشعر اشعارا تاما بالميل الى الاعتـــزال، ويبدو أن الطبرى نفسه لم يكن شاعرا بذلك لانه فى جميع الاستطرادات العقديـــة التى اشتمل عليها تفسيره يحتفظ بالقصد الى التصريح فى اتجاه سنى دقيق ، بأنـه خصم لجميع المذاهب فى العقيدة التى تخالف مذهب السلف ، ويبدو على وجـــه الخصوص أنه فى مسألة حرية الكسب والاختيار على الرغم مما أقمنا الدليل عليه آنفـــا من ميله الى الاعتراف بحرية الارادة كان حريصا على محاربة المذهب المشهور باسـم القدريين، ورفض النتائج التى استنبطها هذا المذهب من القرآن عن طريق التفسير، وكذلك يحطم فى حسم وتصميم اسوار اتجاهات عقدية اخرى ترمى الى اضعاف أهـــل السنة المحافظين) (١)

والجواب على هذا اللغو الذى يدل على سطحية فى الفهم اضافة الى ما فيه من تناقض واضطراب لا يحتاج الى كبير عناء ، فالامام ابن جرير فى رأيه السلفى الحازم فى مسألة خلق الله لافعال العباد والمباحث المتعلقة بها كالهدى والاضلال ، والاستطاعة والتكليف ، واللطف ، وغيرها من المباحث التى لم نتعرض لها ،كـــان واضحا كل الوضوح ،بعيدا كل البعد عن الالتواء والغموض ، صريحـا فى رده على المعتزلة فى المسائل التى أثرناها ، بما لا يدع مجالا للشك فى أنه مؤيد للسلــف فيما ذهبوا اليه ومدافع عن عقيدتهم فى ابطال دعاوى المعتزلة وغيرهم .

(وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) (٢) .

---

(١) مذاهب التفسير الاسلامى ١١٦ ـ ١١٧

(٢) سورة الانبياء ١١٢

الفصـل السابـــع

======

دفاعه عن عقيدة السلف في الايمـان والوعيـد ويشتمل على خمسة مباحث

======

المبحث الاول : حقيقة الايمـــــان .

المبحث الثاني : زيادة الايمان ونقصـــه .

المبحث الثالث: الاستثناء في الايمـــــان .

المبحث الرابع: علاقة الاسلام بالايمـــان .

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيـــرة .

=========

المبحث الاول

حقيقة الايمان

يعتبر الكلام في حقيقة الايمان من اول المسائل التي وقع فيهما النزاع بين الطوائف المختلفة ، وكان للاحداث السياسية التي جرت في عهد عثمان رضي الله عنه وادت الى قتله ظلما ، وكذلك الحروب التي دارت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما اثر كبير في ظهور ذلك النزاع، وكان الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد مسالة التحكيم اول من اثار الكلام في هذه المسالة التي صارت فيما بعد مجالا للنزاع بين اصحاب المقالات من مرجئة وقدرية وجهمية وكرامية واشعرية ونحوهم .

وقد خص الامام ابن جرير كعادته في كل المسائل ذات الخطر على العقيدة هذه المسالة بعناية فائقة ، واولاها اهتماما كبيرا . فقد ذكر ان الخلاف في حقيقة الايمان من الامور الحادثة التي تنازعت فيهما الامة الاسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الامام ابن جرير في ذلك :

" فكان من قديم الحادثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحوادث التي تنازعت فيها امته اختلافها في افضلهم بعده صلى الله عليه وسلم . واحقهم بالامامة ، واولاهم بالخلافة .... الى ان يقول ثم القول في الايمان هل هو قول وعمل ، ام هو قول بغير عمل ؟ وهل يزيد وينقص ام لا زيادة ولا نقصان ؟ " (١) .

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٣ .

وقد ادلى الامام ابن جرير بدلوه فى الدفاع عن عقيدة السلف فى هذه المسالة المهمة من قضايا العقيدة ، وتوجه بالنقد الى بعض الفرق المخالفة لمذهب السلف بصورة مباشرة ، واكتفى عن مناقشة الباقين بالقول بانه سيفرد كتابا للرد فيه على اخطائهم فى هذه المسالة . غير ان هذا الكتاب لم يصل الينا ، ويبدو انه لم يتمكن من كتابته لان احدا من الذين ترجموا لحياته لم يشر الى هذا الكتاب ولم يذكر عنه شيئا .

يقول الامام ابن جرير فى هذا الشان :

" واما الذين قالوا ان الاقرار والعمل هو الايمان دون المعرفة بالقلب ، والذين قالوا ان المعرفة بالقلب هى الايمان دون الاقرار باللسان والعمل بالجوارح (١) .

والذين قالوا ان الايمان هو الاقرار دون المعرفة والعمل (٢) فان للبيان عن خطا قولهم كتابا يفرد ان شاء الله ، اذ كان كتابنا هذا مخصوصا بالبيان

---

(١) هذا القول هو راى الجهمية اصحاب الجهم بن صفوان الذين ذهبوا الى ان الايمان بالله هو المعرفة بالله وبرسوله ، وبجميع ما جاء من عند الله فقط واما ما سوى المعرفة من الاقرار باللسان ، واعمال القلب من المحبة والخضوع والتعظيم ، والعمل بالجوارح فليس من الايمان ، وزعموا ان الكفر هو الجهل بالله ، والانسان اذا اتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لا يكفر بجحده ، لان المعرفة والعلم لا يزولان بالجحد انظر مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ . الفرق بين الفرق ص ٢١١ الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٣٠ ، وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان مذهب جهم فى الايمان هو تصديق القلب وعلمه ، اما اعمال القلوب فليست من الايمان . انظر الايمان ص ١٧٨ .

(٢) اما الراى الاخير فهو راى الكرامية الذين ذهبوا الى ان الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال ، وقد عدهم كثير من المؤلفين فى الفرق من فرق المرجئة . انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ٢ ص ٢٢ مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٢٣ ، شرح الطحاوية ص ٣٧٣ .

عن اثار رسول الله صلى الله عليه وسلم على مذاهب السلف من اهل النقل دون اقوال اهل الجدل ، وكانت هذه المذاهب الثلاثة الاخر من مذاهب اهل الجدل "(١)٠

وقد توجه الامام ابن جرير الى راى الجهمية فى الايمان بالنقد الشديد بصورة مباشرة٠ وصرح باسمهم لاول مرة على غير عادته ، واستخدم الادلة النقلية والعقلية فى ابطال شبهتهم فى الايمان٠ فقد تعرض لرأيهم بصورة مباشرة فى معرض تفسيره لقوله تعالى : " ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين "(٢) واثبت ان هذه الاية دلالة واضحة على بطلان ما زعمته الجهمية من ان الايمان هو التصديق بالقول دون سائر المعانى غيره ، لان الله سبحانه وتعالى اخبر عن المنافقين انهم قالوا بالسنتهم " امنا بالله وباليوم الاخر " ثم نفى عنهم ان يكونوا مؤمنين٠

لان اعتقادهم غير مصدق قولهم٠

يقول الامام ابن جرير فى ذلك

" واما تاويل قوله " وما هم بمؤمنين " ونفيه عنهم جل ذكره اسم الايمان ، وقد اخبر عنهم انهم قالوا بالسنتهم امنا بالله وباليوم الاخره فان ذلك من الله جل وعز تكذيب لهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث٠ واعلام منه نبيه صلى الله عليه وسلم ، ان الذى يبدونه له بافواههم خلاف ما فى ضمائر قلوبهم ، وضد ما فى عزائم نفوسهم ، وفى هذه الاية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من ان الايمان هو التصديق بالقول دون سائر المعانى غيره٠ و قد اخبر الله جل ثناؤه

---

(١) تهذيب الاثار جـ ٢ ص١٩٩٠

(٢) سورة البقرة ٨٠

عن الذين ذكرهم فى كتابه من اهل النفاق انهم قالوا بالسنتهم" امنا بالله وباليوم الاخر" ثم نفى عنهم ان يكونوا مؤمنين اذا كان اعتقادهم غير مصدق قيلهم ذلك ، وقوله " وما هم بمؤمنين " يعنى بمصدقين فيما يزعمون انهم به مصدقون "(١) .

ونلاحظ ان الامام ابن جرير استعان باسلوب القران الكريم نفسه ووجه تفسير الاية توجيها سلفيا لخدمة غرضه الذى رام الوصول اليه ، وهو ابطال راى الجهمية فى حقيقة الايمان ، وتكذيبهم فيما زعموا من ان الايمان هو التصديق بالقول دون سائر المعانى غيره . واثبت ان هذا القول مناقض لما نصت عليه الاية صراحة من ان الايمان بالقول وحده لا يعتبر ايمانا ما لم يقترن به اعتقاد القلب وعمل الجوارح .

وقد استخدم الامام ابن جرير الادلة العقلية كما ذكرنا بجوار الادلة السمعية فى معرض رده على الجهمية ، فاورد عليهم الزامات عقلية لا مناص لهم من التسليم لها ، وكان من اهم هذه الالزامات العقلية ما يلى :

(١) ان كان من القائلين ان التصديق بالقول هو الايمان ، فيقال ان صدق وهو غير عارف بحقيقة ما صدق يلزمه ان يوجب اسم الايمان لكل من لا يعرف ربه بقلبه ، ولكل من اعتقد بقلبه ان الله ثالث ثلاثة بالاطلاق على الحقيقة ، وهذا مخالف لنص حكم الله سبحانه وتعالى فى خلقه ، لان الله سبحانه وتعالى سمى من قال بلسانه مثل قول المؤمنين بالسنتهم وهو معتقد بقلبه خلافه منافقا ، ونفى عنهم حقيقة الايمان ، وكذبهم فى دعواهم ، لان قلوبهم منطوية على خلاف

---

(١) جامع البيان جـ ١ ص ١١٧ ــ ١١٨ .

ما اظهرتـــه السنتهـــم •

(ب) اما ان قال انه لا يكون مؤمنا حتى يصدق بالقول ما هو معتقد حقيقة بقلبه ، فان لا زمه ان يتخلى عن قوله ان الايمان هو التصديق بالقـــول والاقرار باللسان ، وخالف دعواه فى قول الله عز وجل " وما انت بمؤ من لـ لنا ولو كنا صادقين " (١) • بان الايمان هو التصديق فقط •

(جـ) واخيرا يبرز رأيه السلفى الواضح فى هذه الالـزامات من اجل تقريـــر ان العمل جزء من الايمان، حيث يوجه الالزام التالى •

ما دمت قد اعترفت بان التصديق بالقلب ومعرفة الرب بـه مـــن الايمان الذى لا يستحق احد عندك اسم الايمان الا باتيانه بهمـــا ، والمعرفة لا شك انها من معنى الاقرار باللسان بمعزل ، فلمـــاذا تنكر ان يكون العمل بسائر الجوارح الذى هو طاعة لله من الايمـان الذى لا يستحق احد التسمية بانه مؤمن الا باتيانه به مع التصديـــق باللسان ، والمعرفة بالقلب ، ثم هل هناك فرق بينك وبين من قـــال ان الايمان هو الاقرار باللسان والعمل بالجوارح دون المعرفة بالقلب • ام بين من قال انه العمل بالجوارح والمعرفة بالقلب دون الاقـــرا ر باللسان فرق ، فلن تقول فى شيء من ذلك قولا الا الزمت فى الاخـر مثلـــه ،

يقول ابن جرير فى ذلـــك : " فان قال قائل فانا لا نزعم ان العمل من الايمان فيجعله من شرائطه التى لا يستحق المؤمن ان يسمى مؤمنا الا بهما ، قيل له : ان كان من القائلين ان الايمان قول ـ ولا سلـــم لك ان القول من الايمان فيجعله من شرائطه التى لا يستحق ان يسمى المؤمـن مؤمنا الا بهمـــا ، فان قال ان ذلك وان كان كذلـــــك

---

(١) سورة يـــوسف ١٧ •

فان العرب لا تعرف فى منطقها الايمان الا بالتصديق ، واستشهد لقيله ذلك بقول الله تعالى ذكره مخبرا عن قول اخوة يوسف لابيهم يعقوب صلوات الله عليهم " وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " وما اشبه ذلك من الشواهد . قيل له : فان كان التصديق هو الايمان : افرايتم ان صدق وهو غير عارف بحقيقة صحة ما صدق امؤمن هو بالاطلاق ، فان قال نعم اوجب اسم الايمان لكل من لا يعرف ربه بقلبه ، ولكل من اعتقد بقلبه ان الله ثالث ثلاثة باطلاق على الحقيقة ، وذلك خلاف نص حكم الله فى خلقه ، وذلك أن الله تبارك وتعالى سمى من قال بلسانه مثل قول المؤمنين بالسنتهم وهو معتقد بقلبه خلافه منافقا ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم " اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون " (١) . فكذبهم الله جل ثناؤه فى دعواهم ، وما ادعوا انهم يشهدون ، اذ كانت قلوبهم منطوية على خلاف ما ابدته السنتهم ، وان قال : بل هو غير مؤمن حتى يصدق بالقول ما هو معتقد حقيقة بقلبه قيل : فقد تركت قولك ان الايمان هو التصديق بالقول ، والاقرار باللسان ، وخالفت ما ادعيت فى قوله تعالى ذكره " وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " من التاويل . وقيل له : فاذا كان التصديق بالقلب ومعرفة الرب به من الايمان الذى لا يستحق احد عندك اسم الايمان الا باتيانه بهما ، والمعرفة لا شك انها من معنى الاقرار باللسان بمعزل ، فما انكرت ان يكون العمل بسائر الجوارح الذى هو لله طاعة من معانى الايمان التى

---

(١) سورة المنافقون ١ .

لا يستحق احد التسمية بانه مؤمن الا باتيانه به مع التصديق باللسان والمعرفة بالقلب ، وهل بينك وبين من قال انما الايمان الاقرار باللسان والعمل بالجوارح دون المعرفة بالقلب ، ام قال : انه العمل بالجوارح والمعرفة بالقلب دون الاقرار باللسان فرق ، فلن يقول في شيء من ذلك قولا الا الزم في الاخر مثله " (١) .

وقد لفت انتباهي في هذا المقام جعل الامام ابن جرير القول بأن الايمان هو التصديق بالقول دون سائر المعاني غيره قولا للجهمية ، وهذا القول هو قول المرجئة بلا خلاف بين كتاب المقالات ويبدو لي والله اعلم — ان الامام ابن جرير جعل المرجئة في عداد الجهمية وقد قدمنا القول ان بعض الكتاب جعل الجهمية فرقة من فرق المرجئة ، ولعل الامام ابن جرير غلب الجهمية على المرجئة ، لان اقوال الجهمية في مسائل العقيدة كانت محور النقاش والرد عليها من قبل علماء السلف في عصره .
ويؤكد ذلك ان الامام ابن جرير تعرض لتعريف المرجئة والارجاء وبين السبب الذى من اجله سموا مرجئة ، وكان من بين الاسباب التي ذكرها في سبب تسميتهم بالمرجئة قولهم في الايمان انه التصديق بالقول دون العمل المصدق بوجوبه ، وهو القول الذى نسبه الى الجهمية .

يقول الامام ابن جرير في ذلك :

" ان قال لنا قائل ، ومن المرجئة وما صفتهم؟ ، قيل ان المرجئة هم قوم موصوفون بارجاء امر مختلف فيما ذلك الامر : فاما ارجاؤه فتاخيره ، وهو من قول العرب ارجا فلان هذا الامر فهو يرجئة ارجاء ، وهو مرجئة بهمزة

---

(١) تهذيب الاثار جـ ٢ ص ١٩٨ — ١٩٩ .

وارجاه فلان يرجيه ارجا بغير همز فهو مرجيه ، ومنه قول الله تعالى ذكره " واخرون مرجون لامر الله " (١) يقرا بالهمز وغير الهمز (٢) بمعنى مؤخرون لامر الله ، وقوله مخبرا عن الملامن قوم فرعون " ارجه واخاه " (٣) فهمز ارجه وبغير الهمز (٤) . فاما الامر الذى بتاخيره سميت المرجئة مرجئة فان ابن عيينه كان يقول فيه .. الارجاء على وجهين ، قوم ارجوا امر علي وعثمان ، فقد مضى اولئك ، فاما المرجئة اليوم فهو قوم يقولون الايمان قول بلا عمل ، فلا تجالسوهم ، ولا تؤاكلوهم ، ولا تشاربوهم ولا تصلوا معهم ، ولا تصلوا عليهم ... ويقول الفضيل بن عياض اهل الارجاء يقولون الايمان قول بلا عمل ، وتقول الجهمية الايمان المعرفة بلا قول ولا عمل . ويقول اهل السنة الايمان المعرفة والقول والعمل .

ـ ويقول وكيع : ليس بين كلام الجهمية والمرجئة كبير فرق ، قالت الجهمية الايمان المعرفة بالقلب ، وقالت المرجئة الاقرار باللسان (٥) .

---

(١) انظر الصحاح جـ ٦ ص ٢٣٥٢ .

(٢) سورة التوبة ١٠٦ .

(٣) قراها الكسائى ونافع وحمزة وحفص بغير همزة والباقون بالهمزة انظر حجة القراءات ٣٢٣ ، زاد المسير جـ ٣ ص ٤٩٧ .

(٤) سورة الاعراف ١١١ .

قراها ابن كثير وهشام عن ابن عامر ، وابو عمرو بالهمز ، وقراها عاصم وحمزة من دون همز انظر حجة القراءات ص ٢٩٨ ـ ٢٩٠ ، زاد المسير جـ ٣ ص ٢٣٩ ، وقال الامام ابن جرير فى التفسير " اختلفت القراء فى ذلك ، فقراته عامة قراء المدينة وبعض العراقيين ارجه بغير الهمز وجر الهاء ، وقراءه بعض الكوفيين بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء فى المكنى فى الوصل اذا تحرك ما قبلها .. وقرا بعض البصريين ارجئه بالهمز وضم الهاء " جامع البيان جـ ٩ ص ١٧ .

(٥) انظر الابانة الكبرى ك ١٤٦ ، الشريعة للاجرى ص ١٤٥ .

" والصواب من القول فى المعنى الذى من اجله سميت المرجئة ان يقال : ان الارجاء معناه ما بينا قبل من تاخير الشيء ، فمؤخر امر علي وعثمان رضى الله عنهما الى ربهما ، وتارك ولايتهما والبراءة منهما مرجوء امرهما فهو مرجىء ، ومؤخر العمل والطاعة عن الايمان مرجئهما عنه فهو مرجىء غير ان الاغلب من استعمال اهل المعرفة بمذاهب المختلفين فى الديانات فى دهرنا هذا ، هذا الاسم فيمن كان من قوله الايمان قول بلا عمل ، وفيمن كان من مذهبه ان الشرائع من الايمان ، وان الايمان هو التصديق بالقول دون العمل المصدق بوجوبه " (١) .

ويمكننا ان نضيف الى دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف فى حقيقة الايمان بعض الاعتراضات التى وجهها بعض علماء السلف الى المرجئة فى رايهم بحقيقة الايمان ، فنقول وبالله التوفيق .

لقد اثر مذهب المرجئة الهدام فى المجتمع الاسلامى تاثيرا كبيرا ، وكان معول هدم للقواعد الشرعية والمبادىء الخلقية ، حيث حمل الناس على الاستهانة بعمل الطاعات ، وجرأهم على ارتكاب المعاصى والمخالفات ووجد فيه كل مستهتر مفسد ما يرضى شهوته ، فاعلنه له خلة ، واتخذه طريقا ومذهبا يستتر وراءه ، ويبرر به مفاسده واثامه ، وكان هذا مثار غيرة ونقمة من اهل الغيرة والصلاح على المرجئة الذين اطمعوا الفساق فى عفو الله عز وجل .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمة الله عليه : " ان السلف والائمة اشتد انكارهم على هؤلاء وتبديعهم ، وتغليظ القول فيهم ، ولم اعلم احدا

---

(١) تهذيب الاثار جـ ٢ ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

نطق بتكفيرهم ، بل هم متفقون على انهم لا يكفرون بذلك. وقد نص احمد وغيره من الائمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة ، والمحفوظ عن احمد وامثاله من الائمة انما هو تكفير الجهمية والمشبهة ، وامثال هؤلاء ، واما المرجئة فلا يختلف قولهم فى عدم تكفيرهم " (١) .

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية فساد قول الجهمية ومن وافقهم فى حقيقة الايمان من عدة وجوه.

(أ) انهم اخرجوا ما فى القلوب من حب الله وخشيته ونحو ذلك ان يكون من نفس الايمان.

(٢) جعلوا ما علم ان صاحبه كافر مثل ابليس وفرعون واليهود وابى طالب وغيرهم — انه انما كان كافرا ، لان ذلك مستلزم لعدم تصديقه فى الباطن وهذا مكابرة للعقل والحس ، وكذلك جعلوا من يبغض الرسول ويحسده كراهة دينه مستلزما لعدم العلم بانه صادق ونحو ذلك.

(٣) انهم جعلوا ما يوجد من التكلم بالكفر من سب الله ورسوله والتثليث وغير ذلك قد يكون مجامعا لحقيقة الايمان الذى فى القلب، ويكون صاحب ذلك مؤمنا عند الله حقيقة سعيدا فى الدار الاخرة، وهذا يعلم فساده بالاضطرار من دين الاسلام.

(٤) انهم جعلوا من لا يتكلم بالايمان قط مع قدرته على ذلك ، ولا اطاع الله طاعة ظاهرة مع وجوب ذلك عليه وقدرته يكون مؤمنا بالله

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٧ ص ٥٠٧.

تام الايمان سعيدا في الدار الاخرة ، وهذه الفضائح تختص بهـــا الجهمية دون المرجئة من الفقهـــاء .

(٥) وهو يلزمهم ويلزم المرجئة انهم قالوا ان العبد قد يكون مؤمنا تـــام الايمان ، ايمانه مثل ايمان الانبياء والصديقين ، ولو لم يعمـــل خيرا لا صلاة ولا صلة ، ولا صدق حديث ، ولم يدع كبيرة الا ركبهـــا ، فيكون الرجل عندهم اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان ، وهو مصر على دوام الكذب والخيانة ، ونقض العهود ولا يسجد لله سجـــدة ، ولا يحسن الى احد حسنة ، ولا يؤدى امانـــة ، ولا يدع ما يقدر عليه من كذب وظلم وفاحشة ، وهو مع ذلك مؤمـــن تام الايمان ، ايمانه مثل ايمان الانبياء ، وهذا يلزم كل من لـــم يقل ان الاعمال الظاهرة من لوازم الايمان الباطن ، فاذا قال انها من لوازمه ، وان الايمان الباطن يستلزم عملا صالحا ظاهرا كان بعد ذلك قوله أن تلك الاعمال لازمة لمسمى الايمان او جزءا منه ، (نزاعا لفظيا كما تقدم) .

(٦) يلزمهم أن من سجد للصليب والاوثان طوعا ، والقى المصحـــف في الحش عمدا ، وقتل النفس بغير حق ، وقتل كل من راه يصلـــى وسفك دم كل من يراه يحج البيت ، وفعل ما فعلته القرامـــطة بالمسلمين يجوز ان يكون مع ذلك مؤمنا وليا لله ، ايمانه مثل ايمـــان النبيـــين والصديقيـــن لان الايمان الباطن اما ان يكون منافيا لهـــذه الامور ، واما ان لا يكون منافيا ، فان لم يكن منافيا امكن وجودهـــا معه فلا يكون وجودها الا مع عدم الايمان الباطن ، وان كان منافيـــا للايمان الباطن كان ترك هذه من موجب الايمان ومقتضاه ولازمـــه ،

فلا يكون مؤمنا فى الباطن الايمان الواجب الا من ترك هذه الاموره فمن لم يتركها دل ذلك على فساد ايمانه الباطن ، واذا كانت الاعمال والتروك الظاهرة لازمة للايمان الباطن كانت من موجبه ومقتضاه، وكان من المعلوم انها تقوى بقوته ، وتزيد بزيادته ، وتنقص بنقصانه، فان الشيء المعلول لا يزيد الا بزيادة موجبه ومقتضيه ، ولا ينقص الا بنقصان ذلك ، فاذا جعل العمل الظاهر موجب الباطن ومقتضاه لزم أن تكون زيادته لزيادة الباطن فيكون دليلا على زيادة الايمان الباطن ، ونقصة لنقص الباطن فيكون نقصه دليلا على نقص الباطن، وهو المطلوب .(١)

وهذه الامور كلها اذا تدبرها المؤمن بعقلة تبين له ان مذهب السلف هو المذهب الحق الذى لا عدول عنه ، وان قول من خالفهم لزمه فساد معلوم بصريح المعقول ، وصحيح المنقول كسائر ما يلزم الاقوال المخالفة لقول السلف والائمة .

وقد ذهب سلف الامة وائمتها ـ ومن بينهم الامام ابن جرير ـ الى ان الايمان قول وعمل . وقال بعضهم قول وعمل ونية ، وقال بعضهم قول وعمل ونية واتباع سنة ، وقال بعضهم : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان ـ بالجوارح ـ .

وهذه العبارات المنقولة عن ائمة السلف ، " فى حقيقة الايمان لا تدل على انهم مختلفون فى ذلك ، لانهم متفقون على ان التصديق جزء من الايمان وهذه التعريفات وان لم تتعرض صراحة للتصديق فهى متضمنة له قطعا .

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٧ ص ٥٨٢ ـ ٥٨٥ .

اما لانه اطلق العمل فيتناول عمل القلب وعمل الجوارح اولان القـــول لا يصح ان يكون جزءا من الايمان ومخبرا عنه الا اذا كان مدلوله حاصـلا فى قلب القائل . اولان القول يتناول قول اللسان وقول القلب .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " والماثور عن الصحابة وائمة التابعـين وجمهور السلف ، وهو مذهب اهل الحديث ، وهو المنسوب الى اهـل السنة ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وانه يجوز الاستثناء فيه ... فهذه الالفاظ الماثورة عن جمهورهم ، وربمـا قال بعضهم وكثير من المتاخرين : قول وعمل ونية واتباع السنة . وربمـا قال قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان اى بالجوارح ... وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوى ، ولكن القول المطلق والعمل المطلق فى كلام السلف يتناول قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح ، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين ، وهذا لا يسمى قـولا الا بالتقييد كقوله تعالى " يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم " وكذلـك عمل الجوارح بدون اعمال القلوب هى من اعمال المنافقين التى لا يتقبلهـا الله . فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر ، لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية فى ذلك قال بعضهم ونية . ثم بيـن اخرون ان مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولا الا بموافقة السنة " (١) .

اما الامام ابن جرير فقد ايد مذهب السلف فى الايمان ، واعتبـره اولى الاقوال بالصواب ، يقول الامام ابن جرير : " واما القول فى الايمان هل هو قول وعمل وهل يزيد وينقص ام لا زيادة فيه ولا نقصان ، فان الصواب

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٧ ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ ، وانظر ص ١٧٠ ـ ١٧١ من المصدر نفسه ، الشريعة ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، الايمان لابي عبيد ضمن كنوز السنة ص ٥٣ ـ ٥٤ ، فتح البارى جـ ١ ص٤٦ .

فيه قول من قـــال هو قول وعمل ويزيد وينقص وبه جاء الخبر عن جماعـــة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه مضى اهل الدين والفضل "(١) وذكر ان الاوزاعى ومـــالك بن انس وسعيد بن عبد العزيز ينكرون قول من يقول ان الايمان اقرار بلا عمل ويقولون لايمان الا بعمل ، ولا عمـــــــل الا بايمـــان • (٢)

وقد استدل ائمة السلف وعلماؤهم بمجموعة من الايات القرانيـــــــة والاحاديث النبوية الشريفة على دخول الاعمال فى الايمان نذكر منها ما يلى :

(١) استدلوا بقوله تعالى : " وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالنـاس لرؤوف رحيم " (٣) ووجه الاستدلال بهذه الاية ان الله سبحانـــه وتعالى سمى الصلاة ايمانا ، لان هذه الاية نزلت فى الذيـــــــن ماتوا من الصحابة وهم على الصلاة الى بيت المقدس ، فسئل رســول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فنزلت هذه الاية • (٤) •

(٢) استدل ابو عبيد القاسم بن سلام بقوله تعالى : " أحسب النـــاس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذى من قبلهـــم فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين " (٥) •

وبقوله تعالى " ومن الناس من يقول امنا بالله ، فاذا اوذى فى اللـه جعل فتنة الناس كعذاب الله " (٦) على ان العمل من الايمـــان

---

(١) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٦ •
(٢) انظر المصدر نفسه ل ١٦٦ •
(٣) سورة البقرة ١٤٣ •
(٤) انظر جامع البيان جـ ٢ ص ١٦ ـــ ١٨ ، فتح البارى حـ ١ ص ٩٥ ، الايمان لابن منده ل ٢٥٧ •
(٥) سورة العنكبـــوت ٢ ـــ ٣ •
(٦) سورة العنكبـــوت ١٠ •

فقال ما نصه : "أفلست تراه تبارك وتعالى قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل ، ولم يرض منهم بالاقرار دون العمل حتى جعل احدهما من الاخر فاي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والامامة؟(١)

(٣) واستدل السلف بحديث وفد عبد القيس على ان الاعمال جزء من الايمان ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى الايمان اعمالا ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للوفد : امركم بالايمان بالله وحده ، اتدرون ما الايمان بالله؟ قالوا الله ورسوله اعلم ، قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وان تؤدوا خمس ما غنمتم" (٢)

وعلق شارح الطحاوية على هذا الحديث بقوله : " ومعلوم انه لم يرد ان هذه الاعمال تكون ايمانا بالله بدون ايمان القلب ، لما قد اخبر في مواضع انه لا بد من ايمان القلب ، فعلم ان هذه مع ايمان القلب هو الايمان ، واي دليل على أن الاعمال داخلة في مسمى الايمان فوق هذا الدليل ، فانه فسر الايمان بالاعمال ، ولم يذكر التصديق للعلم بان هذه الاعمال لا تفيد مع الجحود " (٣)

(٤) ومن ابرز الادلة التي استدل بها السلف على دخول الاعمال في الايمان كذلك حديث الشعب ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول

---

(١) الايمان ص ٦٥ ــ ٦٦ .

(٢) اخرجه البخاري فتح الباري جـ ٢ ص ٧ ، جـ ٦ ص ٢٠٨ ، ومسلم جـ ١ ص ٤٦ ــ ٤٧

(٣) شرح الطحاوية ص ٣٨٩ .

لا اله الا الله ، وادناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان " (١) .

قال ابن مندة : " فجعل الايمان شعبا بعضها باللسان والشفتين ، وبعضها بالقلب ، وبعضها بسائر الجوارح ، فشهادة ان لا اله الا الله فعل اللسان تقول : شهدت شهادة ، والشهادة فعل القلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك ، والحياء فى القلب ، واماطة الاذى عن الطريق فعل لسائر الجوارح " (٢) .

وقد استدل شيخ الاسلام ابن تيمية بحديث الشعب على دخول الاعمال فى الايمان فقال " واذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام والاعمال الصالحة ، كقوله فى حديث الشعب " (٣) وذكر الحديث.

وهناك ادلة كثيرة من الكتاب والسنة استدل بها ائمة وعلماء السلف على دخول الاعمال فى الايمان لا حاجة بنا لذكرها ، وفيما ذكرنا كفاية فى بيان ما اردنا .

---

(١) اخرجه البخارى جـ ١ ص ٥١ ، بلفظ بضع وستون ، ومسلم حـ ١ ص ٦٣ ، والنسائى حـ ٦ ص ٩٦ ، وابن مندة فى كتاب الايمان حـ ١ ص ٢٤٩ بلفظ مسلم ، وقال هذا حديث مجمع على صحته ، والاجرى فى الشريعة ص ١١٠ .

(٢) الايمان ل ٢٦٢ .

(٣) الايمان ص ١١ .

المبحث الثاني

زيادة الايمان ونقصه

يرى الامام ابن جرير ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، مؤيدا في ذلك ومؤكدا ما ذهب اليه ائمة السلف ، وقد جاء ذلك في بيان معتقده في الايمان وترجيحه لاولى الاقوال بالصواب فيه ، حيث اعتبر القول بزيادة الايمان ونقصه اولى الاقوال بالصواب عنده.

يقول الامام ابن جرير في ذلك :

" واما القول في الايمان هل هو قول وعمل ، وهل يزيد وينقص ام لا زيادة فيه ولا نقصان . فان الصواب فيه قول من قال هو قول وعمل ويزيد وينقص ، وبه جاء الخبر عن جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مضى اهل العلم والفضل " (٢).

وقد كرر القول بزيادة الايمان ونقصه في مواطن كثيرة من تفسيره ، فمن ذلك مثلا قوله في تفسير قوله تعالى : " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون " (٣).

" يقول تعالى ذكره ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ، ويترك اتباع ما انزله اليه في كتابه من حدوده وفرائضه ، والانقياد لحكمه ، ولكن المؤمن

---

(١) الايمان ص ١١.

(٢) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٦.

(٣) سورة الانفال ٢.

هو الذى اذا ذكر الله وجل قلبه ، وانقاد لامره ، وخضع لذكره خوفا منه وفرقا من عقابه ، واذا قرئت عليه ايات كتابه صدق بها ، وايقن انها من عند الله فازداد بتصديقه بذلك الى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا ، وذلك هو زيادة ما تلي عليهم من ايات الله أياهم ايمانا " (١) •

وقوله فى تفسير قوله تعالى : " فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون (٢) " يقول تعالى ذكره • واذا انزل الله سورة من سور القران على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول ايها الناس ايكم زادته هذه السورة ايمانا ، يقول تصديقا بالله وباياته ، يقول الله ، فاما الذين امنوا من الذين قيل لهم ذلك ، فزادتهم السورة التى انزلت ايمانا وهم يفرحون بما اعطاهم الله من الايمان واليقين •

" فان قال قائل ، اوليس الايمان فى كلام العرب التصديق والاقرار؟ قيل بلى فان قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقا واقرارا ؟ قيل زادتهم ايمانا حين نزلت لانهم قبل ان تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الاقرار بها ، والعمل بها بعينها الا فى جملة ايمانهم بان كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحق ، فلما انزل الله السورة لزمهم فرض الاقرار بانها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الايمان بما فيها من احكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التى زادهم نزول السورة حين نزلت من الايمان والتصديق بها " (٣) •

وقوله فى تفسير قوله تعالى " ويزداد الذين امنوا ايمانا " (٤) •

---

(١) جامع البيان حـ ٩ ص١٧٨ •   (٢) سورة التوبة : ١٢٤

(٣) المصدر نفسه حـ ١١ ص ٧٢ •

(٤) سورة المدثر ٣١ •

" يقول تعالى ذكره ، وليزداد الذين امنوا بالله تصديقا الى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدة خزنـــه جهـنم" (١) .

وذكر الامام ابن جرير ان الامام احمد سئل عن الايمان فى معـــنى الزيادة والنقصان فاجابهم بقول عمر بن حبيب الخـطمى حيث قال الايمـــان يزيد وينقص ، فقيل وما زيادته ، وما نقصانه ، فقال اذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه فتلك زيادته ، وان غفلنا ونسينا فذلك نقصانه " (٢) .

الا ان الامام ابن جرير لم يتعرض لراى المخالفين فى زيادة الايمـــان ونقصه واكتفى بتاييد مذهب السلف فى زيادة الايمان ونقصه .
ولا ريب ان ما ذهب اليه الامام ابن جرير فى زيادة الايمان ونقصه هو امتداد لمنهج السلف فى تقرير مسائل العقيدة .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان القول بزيادة الايمان ونقصـــه ، هو الماثور عن الصحابة والتابعين وجمهور السلف ، وهو مذهب المحدثيـــن وهو المنسوب الى اهل السنة :
يقول الامام ابن تيمية فى ذلك : "والماثور عن الصحابة والتابعـــين ، وجمهور السلف ، وهو مذهب اهل الحديث ، وهو المنسوب الى اهل السنـة ان الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصيـــة ، وانه يجوز الاستثناء فيه " (٣)
وذكر قول عمر بن حبيب الخطمى الذى ذكرناه سابقا .

---

(١) المصـــدر نفسه جـ ٢٩ ص ١٦١ .
(٢) اخرجه الامام ابن جرير فى عقيدته ل ١٦٦ ، والاجرى فى الشريعـــة ص ١١١ .
(٣) مجموع الفتاوى جـ٧ ص ٥٠٥ .

المبحث الثالث

الاستثناء في الايمان

انقسم الناس في مسالة الاستثناء في الايمان الى ثلاثة اقسام طرفان ووسط ، منهم من يوجبه ، ومنهم من يحرمه ، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار.

اما الذين اوجبوه فلهم ماخذان ،

الاول : ان الايمان هو ما مات الانسان عليه ، والانسان انما يكون عند الله مؤمنا باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله سبحانه وتعالى انه يكون عليه ، وما قبل ذلك لا عبرة به.

وقالوا : والايمان الذى يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا بايمان ، كالصلاة التى افسدها صاحبها قبل الكمال ، والصيام الذى يفطر صاحبه قبل غروب الشمس ، وهذا مأخذ الكلابية وغيرهم ، وعند هؤلاء ان الله سبحانه وتعالى يحب في الازل من كان كافرا اذا علم منه انه يموت مؤمنا . فالصحابه رضوان الله عليهم ما زالوا محبوبين قبل اسلامهم ، وابليس لعنة الله عليه ومن تبعه على دينه ما زال الله يبغضه وان كان لم يكفر بعد ، ولا ريب ان هذا القول بعيد جدا عن قول السلف ، ولا كان يقول بهذا القول من كان يستثنى من السلف في ايمانه.

وهذا القول فاسد ، لان الله سبحانه وتعالى اخبر انه يحبهم ان اتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم شرط المحبة ، والمشروط متاخر عن الشرطه يقول الله

عز وجل " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" (١) ثم صار الى ذلك القول الفاسد طائفة غلوا فيه ، حتى صار الواحد منهم يستثني في الاعمال الصالحة ،

فيقول صليت ان شاء الله ونحو ذلك يعني القبول ، ثم صار كثير منهم يستثني في كل شيء ، فيقول احدهم هذا ثوب ان شاء الله ، هذا حبل ان شاء الله ، فاذا قيل لهم هذا لا شك فيه يقولون نعم لكن اذا شاء الله ان يغيره غيره . (٢)

الثاني : ان الايمان المطلق يتضمن فعل ما امر الله سبحانه وتعالى به عبده كله ، وترك ما نهاه عنه كله ، فاذا قال الرجل انا مؤمن بهذا الاعتبار ، فقد شهد لنفسه انه من الابرار المتقين القائمين بجميع ما امروا به ، وترك كل مانهوا عنه فيكون من اولياء الله المقربين . وهذا من تزكية الانسان لنفسه ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة ، لكان ينبغي ان يشهد لنفسه بالجنة ان مات على هذه الحال (٣) ، وهذا ماخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون ، وان جوزوا ترك الاستثناء بمعنى اخر كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى .

ويحتجون ايضا بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه ، كما قال الله سبحانه وتعالى " لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين " (٤) .

---

(١) سورة ال عمران ٣١ .

(٢) انظر الايمان ص ٤١٠ ـ ٤٤٣ ، شرح الطحاوية ص ٩٥ ـ ٩٦ .

(٣) انظر الايمان ٤٢٦ ، شرح الطحاوية ص ٣٩٦ .

(٤) سورة الفتح ٢٧ .

وقوله صلى الله عليه وسلم " انى لا رجو ان أكون اخشاكم لله " (١) ونظائر هذا (٢) .

واما الذين يحرمون الاستثناء فى الايمان فهم الجهمية والمرجئة ، وقد استدلوا على ذلك بان احدهم يعلم من نفسه انه مؤمن كما يعلم انه تكلم بالشهادتين ، وكما يعلم انه يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من الامور الحاضرة التى يعلمها ويقطع بها . وكما انه لايجوز ان يقال انه قرا الفاتحة ان شاء الله ، فكذلك لا يقول انه مؤمن ان شاء الله ، لكن اذا كان يشك فى ذلك فيقول فعلته ان شاء الله " قالوا فمن استثنى فى ايمانه فهو شاك فيه ، وسموا الذين يستثنون فى ايمانهم الشكاكة ، واجابوا عن الاستثناء الذى فى قوله تعالى " لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين " بانه يعود الى الامن والخوف ، فاما الدخول فلا شك فيه ، وقيل لتدخلن جميعكم او بعضكم ، لانه علم ان بعضهم يموت (٣) ، وهم فى كلا الجوابين وقعوا فيما فروا منه ، فاما الامن والخوف ، فقد اخبر الله سبحانه وتعالى انهم يدخلون المسجد الحرام امنين مع علمه بذلك ، فلا شك فى الدخول ولا فى الامن ،
ولا فى دخول جميعهم او بعضهم ، فان الله سبحانه وتعالى قد علم من يدخل فلا شك فيه كذلك ، فكان قوله تعالى " ان شاء الله " هنا تحقيقا للدخول ، كما يقول الرجل فيما عزم على شئ ان يفعله

---

(١) اخرجه البخارى ج ٩ ص ١٠٤ ، مسلم ج ٢ ص ٧٧٩ ـ ٧٨١ ، والامام احمد فى المسند ج ٦ ص ٦٧ ، ١٢٢ ، ١٥٦

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٣٩٦ .

(٣) انظر الايمان ص ٤١٠ ، ٤٣٥ ، شرح الطحاوية ص ٣٩٧ .

لا محاله " والله لا فعلن كذا ان شاء الله لا يقولها لشك فى ارادته وعزمه ، ولكن انما لا يحنث الحالف فى مثل هذه اليمين لانه لا يجزم بحصول مراده • (١)

واما من يجوز الاستثناء وتركه فهم اسعد بالدليل من الفريقين لان خير الامور الوسط ، فان اراد المستثنى الشك فى اصل ايمانه منع من الاستثناء ، وهذا لا خلاف فيه ، وان اراد انه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله فى قوله " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، اولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم "(٢) وفى قوله تعالى " انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون "(٣) فالاستثناء حينئذ جائز ، وكذلك من استثنى واراد عدم علمه بعاقبة امره وكذلك من استثنى تعليقا للامر بمشيئة الله سبحانه وتعالى لاشكا فى ايمانه • (٤)

اما الامام ابن جرير فقد ايد مذهب السلف فى مسالة الاستثناء فى الايمان ، واعتبر قول القائلين بالاستثناء اولى بالصواب من قول غيرهم ، ودعم ذلك بالادلة النقلية والعقلية التى تشهد لصحة ما ذهب اليه من ترجيح •

يقول الامام ابن جرير فى ذلك :

" فان قال قائل فما الدلالة على ان قول القائلين بما ذكرت من انكارهم قول القائل : انى مؤمن بغير وصل باستثناء ولا تقييد بشرط

---

(١) انظر الايمان ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ـ شرح الطحاوية ٣٩٧

(٢) سورة الانفال : ٢ ـ ٤

(٣) سورة الحجرات : ١٥

(٤) شرح الطحاوية ص ٣٩٨ •

اولى بالصواب من قول من خالفهم فى ذلك غير الخبر الذى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانا قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا بخلافه ، وقد قلت لنا ان القول اذا تنازع فيه العلماء كان اولى ذلك بالصواب ما قامت حجته وثبتت فى المقول صحته .

" قيل اما الدلالة على صحة قولهم من كتاب الله تعالى ذكره ، فقوله تبارك وتعالى " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا " فاخبر جل ثناؤه ان المؤمن انما هو من كانت هذه الصفة صفته دون من قال ولم يعمل ، ولكنه ضيع ما امر به وفرط .

واما من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد روى بسنده مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم " الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وتصديق بالعمل " (١) وعلق على الاحاديث التى رواها بقوله : " فاخبر صلى الله عليه وسلم ان اسم الايمان المطلق انما هو للمعرفة بالقلب والاقرار باللسان

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار حـ ٢ ص١٩٦ ، والخطيب فى تاريخه حـ ١ ص٢٥٥ ، حـ ٩ ص٣٨٦ ، وابن بطة فى الابانة الكبرى ل ٧٣ .

وانظر التعليق على تهذيب الاثار حـ ٢ ص١٩٦ وروى عن عائشة وقال الالبانى موضوع اخرجه الشيرازى فى الالقاب انظر ضعيف الجامع الصغير حـ ٢ ص٢٨٣ .

والعمل بالجوارح دون ذلك .

" واما من النظر فمالا يدفع صحته ذو فطرة صحيحة ، وذلك الشهادة لقول قائل قولا ، او وعده عدة ، ثم انجز وعده ، وحقق بالفعل قوله ، صدق فلان قوله بفعله ، ولا يدفع مع ذلك ذو معرفة بكلام العرب صحة القول بان الايمان التصديق ، فاذا كان الايمان فى كلامها التصديق ، والتصديق يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح ، وكان تصديق القلب العزم والاذعان ، وتصديق اللسان الاقرار ، وتصديق الجوارح السعى والعمل ، وكان المعنى الذى به يستحق العبد المدح والولاية من المؤمنين هو اتيانه بهذه المعانى الثلاثة ، وذلك انه لا خلاف بين الجميع لو اقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه انه لا يستحق اسم مؤمن ، وانه لو عرف وعلم وجحد بلسانه وكذب وانكر ما عرف من توحيد ربه انه غير متسحق اسم مؤمن ، فاذا كان كذلك وكان صحيحا انه غير مستحق العارف غير المقر اسم مؤمن ، ولا المقر غير العارف مستحق ذلك ، كان كذلك غير مستحق ذلك بالاطلاق العارف المقر غير العامل ، اذ كان ذلك احد معانى الايمان التى بوجود جميعها فى الانسان يستحق اسم مؤمن بالاطلاق " (١) .

من خلال ما تقدم نلاحظ ان الامام ابن جرير يجيز الاستثناء فى الايمان فيما يتعلق بالاعمال، لان الانسان لا يستحق اسم مؤمن بالاطلاق فى نظرة الا اذا اتى بجميع معانى الايمان ، التى بوجود جميعها فيه

---

(١) تهذيب الاثار جـ ٢ ص ١٩٦ ـ ١٩٨ .

يستحق اسم مؤمن بالاطـــلاق ، لانه لا يستطيع احد ان يزعم انـــه اتـى بجميع اعمال الايمان كلها ، ولاجل ذلك كان الاستثناء فى الايمان جائـــزا •

وقد روى مجموعة من الاثار عن السلف الذين كانوا يستثنون فـــى الايمان ، فمن ذلك مثلا ـ ما رواه بسنده عن علقمة عن عبد اللـــــه " يعنى ابن مسعود " ان رجلا قال عنده انى مؤمن قال فقل انـى فى الجنـــة "(١) •

وروى بسنده ان رجلا قال لعلقمة " امؤمن انت ، قال ارجـــو ان شاء الله "(٢)

وروى بسنده عن ابن سيرين قوله : " اذا سئل احدكم امؤمـــن انت ، فليقل امنت بالله وملائكتـــه وكتبـــه ورسله "(٣) وغير ذلـــك من الاثار المروية عن السلف فى الاستثناء فى الايمان لا حاجه لذكرهـــا كلهـــا ،

وقد علق على تلك الاثار بقوله " فهؤلاء الذين حضرنا ذكرهم ممـــن روى عنه انكار قول القائل انا مؤمن بغير وصل بالاستثناء او تقييـــد بشرط وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتاييد قولهم فى ذلـــك"(٤)

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار حـ ٢ ص١٨٧ ، ابوعبيد فـــى كتاب الايمان ص ٦٧ ـ ٦٨ واسناده على شرط الشيخيـــن ، والهيثمـــى فى مجمع الزوائد جـ ١ ص ٥٥ ، والطبرانى فى الكبير ورواته ثقـــات ، وابن حجر فى المطالب العالية عن احمد بن منيع حـ ٣ ص ٩٧ ، انظـــر التعليق على تهذيب الاثار حـ ٢ ص ١٨٧ •

(٢) اخرجه الامام ابن جريرفى تهذيب الاثار حـ ٢ ص١٨٨ ، وابن ابى شيبه فـــى الايمان ص٩ ، وابو عبيد فى الايمان ص٦٨ ، وابن بطة فى الابانة ل ١٦٧ ، ١٦٨

(٣) اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار حـ ٢ ص ١٩٣ ، وابو عبيد فى كتاب الايمان ص ٦٨ مع بعض الاختلاف فى اللفظ ، وابن بطة فى الابانة ل ١٧٣ ، والاجرى فى الشريعة ص ١٤١ •

(٤) تهذيب الآثار حـ٢ ص ١٩٤

" وروى بسنده عن عامر بن سعد عن سعد قال " قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسمة فاعطى رجالا ولم يعط اخر ، فقيل يا رسول الله اعطيت فلانا وهو مؤمن ، وتركت فلانا وهو مؤمن ، قال انى لاعطى اقواما وادع اقواما مخافة ان يكبهم الله على وجوههم فى النار" (١)

وقد روى بسنده مجموعه من الاثار عن بعض السلف فى عدم الاستثناء فى الايمان وطق عليها بقوله " .. قيل ان لكل من ذكرت عنه من السلف ما ذكرت عنه من قولهم انهم مؤمنون بغير وصل ذلك باستثناء ولا شرط من اشكالهم مخالفين فيما قالوا من ذلك " (٢) . وكان رحمة الله عليه بامكانه ان يجمع بين اقوال السلف القائلين بجواز الاستثناء وبين اقوال القائلين بعدم الاستثناء ، وذلك بان يوجه قول القائلين بمنع الاستثناء فى الايمان الى منعه فى التصديق والاقرار ، وقول القائلين بجواز الاستثناء الى جوازه فى العمل .

هذا وقد ذهب علماء السلف فى مسالة الاستثناء فى الايمان الى رايين .

الراى الاول :

سلم اصحابه ان الاستثناء يفيد الشك ، والايمان قطعا لا يقبل الشك ، فكيف لا يمنعون الاستثناء فى الايمان .

قال اصحاب هذا الراى ان الايمان فيه شطران : الشطر الاول التصديق والاقرار ، والشطر الثانى العمل . اما الشطر الاول ، فانه جزم ويقين

---

(١) اخرجه البخارى فى الصحيح باب الايمان ٢٧ ، وابن ابى شيبه فى كتاب الايمان بالفاظ متقاربه ص ١١ ـ ١٢ ، وابن بطة فى الابانة ل ١٦٣ .

(٢) تهذيب الاثار جـ ٢ ص ١٨٦ .

فلا يصح ان يتوجه اليه الشك فى حال ما • واما العمل فانه يحتمل ان يكون مقبولا ويحتمل ان لا يكون مقبولا فاذا استثنينا فى الايمان وقد جوزنا ذلك •

فهذا الاستثناء مع ما يحمله من الشك انما يرجع الى الشطر الثانى من الايمان دون الاول • ومن اصحاب هذا الرأى حماد بن زيد • والفضيل بن عياض، والامام احمد بن حنبل •

روى الامام ابن جرير بسنده عن الفضيل بن عياض انه كان يقول " يا سفيه ما اجهلك لا ترضى ان تقول انا مؤمن حتى تقول انا مستكمل الايمان • لا والله لا يستكمل العبد الايمان حتى يؤدى ما افترض الله عليه • ويجتنب ما حرم الله عليه • ويرضى بما قسم الله له • ثم يخاف مع ذلك الا يتقبل منه " (١) •

وكتب الامام احمد الى احمد بن ابى شريح فى مسالة الاستثناء فى الايمان " ان الايمان قول وعمل • فجئنا بالقول • ولم نجىء بالعمل • فنحن نستثنى فى العمل " (٢)

اما اصحاب الرأى الثانى فانهم ينكرون أن الاستثناء يفيد الشك ويجعلون الاستثناء راجعا الى الايمان • ومن هؤلاء الاوزاعى والثورى • وفى رواية اخرى عن الامام احمد • وهؤلاء يستثنون على اليقين لا على الشك • ودليلهم فى ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد استثنى فى امور يواكبها اليقين • وقد اشرنا اليها فيما سبق •

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار جـ ٢ ص ١٩٣ • وابو نعيم فى الحلية جـ ٨ ص ١٠١ • والامام احمد فى السنة ص ٨٧ •

(٢) الايمان لابن تيمية ص ٤٢٧ •

وعلى كل حال ، فان تقييد الايمان بالاستثناء هو مذهب أكثر علماء السلف ، يؤيد هذا قول شيخ الاسلام ابن تيمية " واما مذهب سلف اصحاب الحديث ، كابن مسعود واصحابه ، والثوري وابن عيينة ، واكثر علماء الكوفة ، ويحي بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء اهل البصرة ، واحمد بن حنبل وغيره من ائمة السنة ، فكانوا يستثنون في الايمان ، وهذا متواتر عنهم " (١) .

---

(١) الايمان ص ٤١٩ .

المبحث الرابع

علاقة الاسلام بالايمان

لم يتعرض الامام ابن جرير للاراء التى قيلت فى العلاقة بين الاسلام والايمان .الا اننا لمسنا فى كلامه انه يرى التفريق بين الايمان والاسلام ، فالاسلام عنده الكلمة ، والايمان العمل • وقد جاء رايه هذا فى معرض تفسيره لقوله تعالى " قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا "(١) حيث رجح راى الزهرى القائل بان الاسلام الكلمة ، والايمان العمل .

يقول الامام ابن جرير فى ذلك :

" واولى الاقوال بالصواب فى تاويل ذلك القول الذى ذكرناه عن الزهرى ، وهو أن الله تقدم الى هؤلاء الاعراب الذين دخلوا فى الملة اقرار امنهم بالقول ، ولم يحققوا قولهم بعملهم ان يقولوا بالاطلاق امنا دون تقييد قولهم بان يقولوا امنا بالله ورسوله ولكن امرهم ان يقولوا القول الذى لا يشكل على سامعية والذى قائله فيه محق وهو ان يقولوا اسلمنا بمعنى دخلنا فى الملة "(٢) •

ونلمس فى هذا النص ان الامام ابن جرير يمنع اطلاق القول بالايمان المطلق على من لم يحقق قوله بعمله ، غير ان هذا الراى الذى ذهب اليه الامام ابن جرير متابعا فيه الزهرى يحتاج الى توضيح فان كان مراده

---

(١) سورة الحجرات ١٤ •

(٢) جامع البيان حـ ٢٦ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ •

بذلك انه بالكلمة يدخل فى الاسلام ، ولم يات بتمام الاسلام فهذا قريب ، والظاهر من كلام الامام ابن جرير هذا ، وان كان مراده انه اتى بجميع الاسلام فهذا غلط قطعا ، بل قد انكر الامام احمد هذا الجواب ، على الرغم من انه قال بقول الزهرى الاسلام الكلمة والايمان العمل – لان من زعم ان الاسلام هو الاقرار ، وان العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة (١) ، لان النصوص كلها تدل على ان الاعمال من الاسلام ، الا ان الامام ابن جرير ، يرى ان الاعمال داخلة فى الايمان كما بينا سابقا ، والاسلام جزء من الايمان ،والايمان اكمل من الاسلام .

والصواب فى ذلك ان نجيب بما اجاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث فسر الاسلام بالاعمال الظاهرة ، والايمان بالاصول الخمسة ، وعلى ذلك فان الاسلام اعم من الايمان ، والايمان اخص من الاسلام ، كالرسالة والنبوة ، فالنبوة داخلة فى الرسالة ، والرسالة أعم من جهة نفسها ، واخص من جهة اهلها ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا " (٢) .

---

(١) انظر الايمان لابن تيمية ص ٣٥٣ ، ٣٦٢ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٣٩٠ – ٣٩١ ، مجموع الفتاوى جـ ٧ ص ١٠ .

المبحـــث الخامـــــس

حـــكم مرتكــب الكبيـــــرة

استعرض الامام ابن جرير راى بعض الفرق الاسلامية فى ايمان صاحب الكبيرة وذلك فى معرض حديثه عن حقيقة الايمان ، وشرحه للاحاديـــث المتعلقة به ، فقد عرض راى القائلين بان مرتكب الكبيرة ينزع منه الايمـــان ويزول عنه اسم المدح الذى يسمى به اولياءه من المؤمنين ، والذى يمدحون به ، ويستحقون به اسم الذم الذى يسمى به المنافقون فيذمون فيقال منافق فاســـق (١) . وذكر ادلتهم التى استندوا اليها فى ذلك .

يقول الامام ابن جرير :

"بعد ان ذكر رايهم فى معنى النفاق فى اللغة "... قالـــوا فاذا كان ذلك معنى النفاق ، وكان الايمان عندنا قولا باللسان بما يحقن بـه المرء دمه ، وعملا بالجوارح بما يستوجب بالعمل به حقيقة اسم الايمان ، وكان من ذلك العمل الذى به يستوجب مع القول بما ذكرنا حقيقة اسم الايمـــان اجتناب الكبائر ، ثم رايناه غير مجتنب ركوب ما حرم الله عليه من الفـــواحش ولا مقصر فيما نهاه الله عنه من المآثم علمنا ان اظهاره ما اظهـــر بلسانه من القول الذى هو سبب لحقن دمه ، انما اظهره خداعا للمؤمنين به من استحلال قتله واستيفاء ماله ، وذلك هو النفاق الذى وصفنا صفتـــه ، وان من كان ذلك صفته فهو منافق فاسق لا مؤمن ، قالوا فلا اسم له هو اولى به مما سميناه به ، قالوا والاخبار بعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلـــم متظاهرة انه قال " ثلاث من علامات المنافق ، اذا حدث كذب ، واذا وعـــد

---

(١) انظر تهذيب الاثار جـ ٢ ص ١٧٠ .

أخلف وإذا اؤتمن خان "[1]. قالوا والزنا والسرق وشرب الخمر اعظم في الدلالة على نفاق المنافق من أخلاف الوعد وخيانة الامانة والكذب في الحديث ، قالوا وفي ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحة تسميتنا الزاني والسارق والشارب الخمر ، والمنتهب النهبة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم منافقا بغيره " (٢) .

وقد ذكر السعد في مقاصده ان الحسن البصري يرى ان مرتكب الكبيرة منافق (٣) غير ان الامام ابن جرير روى بسنده عن الحسن ان النفاق نفاقان ، نفاق تكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم فذاك لا يغفر ، ونفاق خطايا وذنوب يرجى لصاحبه (٤) .

كما ذكر الامام ابن جرير رأى من قال ان مرتكب الكبيرة كافر خارج من الايمان ، وبين ادلتهم التي استندوا اليها في هذا القول .

يقول الامام ابن جرير :

" ... قالوا ومن نزع منه الايمان فهو كافر لانه لا منزلة بين الايمان والكفر

قالوا ومن لم يكن من المكلفين مؤمنا فهو كافر ، كما ان من لم يكن منهم كافرا فهو مؤمن ، قالوا فان زاعم زعم انه جائز ان يكون شخص واحد من اهل التكليف لا مؤمنا ولا كافرا ، قلنا لهم افتجيزون ان يكون لا عاصيا ولا مطيعا مع قيام الحجة عليه ، وارتفاع الموانع ولزوم الامر والنهي اياه ،

(١) أخرجه مسلم انظر شرح النووي حـ ٢ ص ٤٦ ، (٢) المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٧٢ ـ ١٧٣
(٣) انظر شرح المقاصد حـ ٢ ص ٢٥٧ .

(٤) انظر تهذيب الاثار حـ ٢ ص ١٧٠ ، والابانه لابن بطة ل ١١٩/ب عن ابي الاشهب عن الحسن بلفظ نفاق بالتكذيب ، ونفاق بالعمل .

قالوا فان اجازوا ذلك خرجوا من معقول اهل العقل ، وان قال ذلك محال ، لان من قامت عليه حجة الله تعالى ذكره بامره ونهيه فغير جائز ان يكون خارجا من احدى الصفتين اما تصديق او تكذيب وطاعة باجتنابه او معصية باقدامه عليه اذا كانت الموانع عنه زائلة ،قلنا له ، وكذلك كل من قامت عليه حجة الله تعالى ذكره بوحدانيته وشرائعه فانه غير خارج مع قيام الحجة عليه بها من الايمان او الكفر ، وقالوا وفى اخبار النبى صلى الله عليه وسلم ان الايمان ينزع من الزانى والسارق وشارب الخمر والمنتهب النهبة التى وصفها حتى يتوب البيان البين انه قد اوجب له الكفر حتى يتوب اذ كان محالا ان يكون ماموراً منهيا غير كافر ولا مؤمن ، قالوا وفى مفارقة الايمان اياه وجوب الكفر له" (١) .

وهذا الراى الذى ذكره الامام ابن جرير هو صريح مذهب الخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة . (٢)

كما ذكر الراى القائل بان مرتكب الكبيرة مؤمن ما لم يغش كبيرة ، فاذا غشيها نزع منه الايمان ، فاذا فارقها عاد اليه الايمان (٣) .

وبين علة قائلى هذا القول بان " الايمان هو التصديق ، غير ان التصديق معنيان احدهما قول والاخر عمل ، هو اجتناب الكبائر ، فاذا ركب المصدق كبيرة فارقه الايمان ، وزال عنه الاسم الذى كان له قبل ركوبه اياها ، كما يقال للاثنين اذا اجتمعا اثنان ، فاذا افترقا فانفرد كل واحد منهما على حدة لم يقل لواحد منهما الا واحد ، وزال عنهما الاسم الذى كان لهما فى حال اجتماعهما ، وكما يقال للرجل وزوجته زوجان ، فاذا فارقها زال عن

---

(١) المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٧٤ .

(٢) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ١٦٨ ، والفرق بين الفرق ص ٧٣ .

(٣) انظر تهذيب الاثار حـ ٢ ص ١٧٥ .

كل واحد منهما الاسم الذى كان لهما فى حال الاجتماع ، قالوا فكذلك القول فى الايمان ، انما هو للتصديق الذى معناه ما ذكرنا من الاقرار والعمل الذى هو اجتناب الكبائر ، فاذا واقع المقر كبيرة زال عنه اسم الايمان فى حال مواقعته اياها ، فاذا كف عنها عاد له الاسم الذى كان له قبل المواقعة لانه فى حال كفه عن غشيان الكبيرة لها مجتنب وباللسان مصدق ، وذلك هو معنى الايمان عندهم ، وغير جائز ان يكون للايمان فاعلا وهو بخلافه موصوفا ، لان الصفات موجبة لاهلها الوصف بها " (١) .

وذكر قولا لاخرين مفاده ان من ارتكب كبيرة وهو معتقد تحريمها فهو مؤمن وان فعلها وهو غير معتقد تحريمها فهو غير مؤمن . (٢)

وقد روى بسنده بعض الاحاديث والاثار المروية عن الصحابة والتابعين بتاييد هذين القولين (٣) .

غير انه اختار الراى القائل بزوال الاسم الذى هو معنى المدح ، الى الاسم الذى هو بمعنى الذم ، فيقال له فاسق فاجر زان سارق ، وبين ان اسم الايمان المطلق يزول عنه ، ويثبت له ايمانا بالصلة والتقييد ، فيقول مؤمن بالله ورسوله مصدق قولا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول مطلقا هو مؤمن .

يقول الامام ابن جرير فى ذلك :

" والصواب من القول فى ذلك عندنا فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق حين

---

(١) المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٧٦ .

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٦٠ .

(٣) انظر المصدر نفسه حـ ٢ ص ١٦١ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ـ ١٧٦ .

يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن "(١) قول من قال يزول الاسم الذى هو معنى المدح الى الاسم الذى هو بمعنى الذم فيقال له فاسق فاجر زان سارق ، وذلك انه لا خلاف بين جميع علمـــا ء الامة ان ذلك من اسمائه ما لم يظهر منه خشوع التوبه فيما ركب من المعصية، فذلك اسمه عندنا حتى يزول عنه بظهور التوبه مما ركب من الكبيرة .

" فان قال لنا قائل أفيزيل عنه اسم الايمان بركوبه ذلك ، قيل لـــه يزيله عنه بالاطلاق ، ويثبته له بالصلة والتقييد . فان قال وكيف يزيله عنـــه بالاطلاق ويثبته له بصلة والتقييد ؟ قيل يقول مؤمن بالله ورسوله مصـــدق قولا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يقول مطلقا هو مؤمـــن اذ كان الايمان عندنا معرفة وقولا وعملا ، فالعارف المقر المخالف عمـــلا ما هو به مقر قولا غير مستحق اسم الايمان اذ لم يات بالمعانى الـــتى يستوجب بها ذلك ، ولكنه قد اتى بمعان تستحق التسمية به موصولا فى كلام العرب ونسميه بالذى تسمية به العرب فى كلامها ، ويمنعه الاخر الذى يمنعه دلالة كتاب الله ، واثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطرة العقل "(٢) .

وواضح جدا ان راى الامام ابن جرير فى مرتكب الكبيرة انه مؤمـــن ناقص الايمان ، فهو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ولا يعطى اسم الايمـــان

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار وصححه حـ ٢ ص ١٥٠ ، واخرجه النسائى فى الرجم فى سننه الكبرى عن قتيبة عن جنيد عن ابى اسامـــة ذكر ذلك المزى فى تحفه الاشراف جـ ٥ ص ١٣٥ ، وقد روى هـــذا الحديث من عدة طرق ذكرها الامام ابن جرير .
انظر تهذيب الاثار حـ ٢ ص ١٥٠ ـ ١٥٩ .

(٢) تهذيب الاثـــار حـ ٢ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

المطلق ، وهذا الراى الذى اختاره ابن جرير وصوبه هو الراى الذى اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية ورجحه ، حيث يقول فى ذلك .

" والتحقيق ان يقال انه مؤمن ناقص الايمان ، مؤمن بايمانه ، فاسق بكبيرته ، ولا يعطى اسم الايمان المطلق ، فان الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق " (١) .

غير ان الامام ابن جرير لم يناقش راى الخوارج فى تكفير مرتكب الكبيرة واكتفى بالقول بان لهم شبها كثيرة لبّس عليهم الشيطان بها ، وان كتابه هذا لم يكن مقصودا به قصد الابانة عن مذاهب المخالفين ، ونقض علل المتعلين بما لبّس عليهم الشيطان ، بل قصد فيه ذكر الصحيح من اثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والبيان عن معانية على ما شرطنا من ذلك فى مبتدئه " (٢) .

وواضح جدا من هذا الكلام انه لا يقر الخوارج على تكفير مرتكب الكبيرة .
هذا وقد سلك ائمة السلف وعلماؤهم فى الرد على الخوارج فى تكفيرهم مرتكب الكبيرة مسلك المعارضة التى تنفى بالادلة القاطعة كفر مرتكب الكبيرة وكان ابو عبيد القاسم بن سلام من بين العلماء الذين عارضوا راى الخوارج بشده ، واورد عليهم جملة اعتراضات قوية تعتمد على الادلة النقلية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو رحمة الله عليه بعد ان تعرض لاوصافهم ، وذكر بعض اخبارهم شرع فى الرد عليهم قائلا " ثم قد وجدنا الله تبارك وتعالى يكذب مقالتهم ، وذلك انه حكم فى السارق بقطع اليد ، وفى الزانى والقاذف بالجلد ، ولو كان الذنب يكفر

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٧ ص ٢٤١ .
(٢) انظر تهذيب الاثار جـ ١ ص ١٧٥ .

صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء الا القتل ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من بدل دينه فاقتلوه " (١) افلا ترى انهم لو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد " (٢) .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : عن الخوارج : " ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة ، فان الله سبحانه امر بقطع يد السارق دون قتله ، ولو كان كافرا مرتدا لوجب قتله لان النبي صلى الله عليه وسلم قال " من بدل دينه فاقتلوه " ...
وامر سبحانه ان يجلد الزاني والزانية مائة جلده ، ولو كانا كافرين لامر بقتلهما ، وامر سبحانه بان يجلد قاذف المحصنه ثمانين جلدة ، ولو كان كافرا لامر بقتله " (٣) .
وقد رد الامام ابن جرير على القائلين بخلود اهل الكبائر في النار(٤) وبين ان الخلود في النار انما هو لاهل الشرك ، وقد جاء رده عليهم في معرض تفسيره لقوله تعالى " بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " (٥) حيث يقول في تفسير هذه الاية بعد ان بين ان السيئة في هذا الموضع الشرك " وانما قلنا : ان السيئة التي ذكر الله جل ثناؤه ان من كسبها ، واحاطت به خطيئته فهو من اهل النار المخلدين فيها في هذا الموضع ، انما عنى الله بها

---

(١) اخرجه البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا في الجهاد باب ١٤٧ ، والامام احمد في المسند حـ ٥ ص ٢٣١ من حديث معاذ واسناده صحيح على شرط الشيخين انظر تعليق الشيخ الالباني على الحديث الايمان ص ٨٩ .
(٢) الايمان ص ٨٨ ـ ٨٩ .
(٣) مجموع الفتاوى حـ ٧ ص ٤٨٢ .
(٤) القائلون بخلود اهل الكبائر في النار هم الخوارج والمعتزلة ، والمعتزلة خالفوا الخوارج في الاسم ووافقوهم في الحكم ، فقالوا لا نقول مؤمن ، ولا نقول كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين ، وهو مخلد يوم القيامة في النار .
(٥) سورة البقرة ٨١ .

بعض السيئات دون بعض ، وان كان ظاهرها فى التلاوة عاما ، لان الله قضى على اهلها بالخلود فى النار ، والخلود فى النار لاهل الكفر بالله دون أهل الايمان به لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان أهل الايمان لا يخلدون فيها ، وان الخلود فى النار لاهل الكفر بالله دون اهل الايمان به ، فان الله جل ثناؤه قد قرن بقولة " بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " قوله " والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون "(١) فكان معلوما بذلك ان الذين لهم الخلود فى النار من اهل السيئات غير الذين لهم الخلود فى الجنة من اهل الايمان .

" فان ظن ظان ان الذين لهم الخلود فى الجنة من الذين امنوا هم الذين عملوا الصالحات دون الذين عملوا السيئات ، فان فى اخبار الله انه مكفر باجتنابنا كبائر ما ننهى عنه سيئاتنا ومدخلنا المدخل الكريم ما ينبئ عن صحة ما قلنا فى تاويل قوله " بلى من كسب سيئة " بان ذلك على خاص من السيئات دون عامها .

" فان قال لنا قائل : فان الله جل ثناؤه انما ضمن لنا تكفير سيئاتنا باجتنابنا كبائر ما ننهى عنه فما الدلالة على ان الكبائر غير داخلة فى قوله " بلى من كسب سيئة " قيل : لما صح من ان الصغائر غير داخلة فيه ، وان المعنى بالاية خاص دون عام ، ثبت وصح ان القضاء والحكم بها غير جائز لاحد على احد الا من وقفه الله عليه بدلالة من خبر قاطع عذر من بلغه وقد ثبت وصح ان الله تعالى ذكره قد عنى بذلك اهل الشرك والكفر به ، بشهادة جميع الامة ، فوجب بذلك القضاء على ان اهل الشرك والكفر ممن عناه الله بالاية ، فاما اهل الكبائر فان الاخبار القاطعة

---

(١) سورة البقرة ٨٢ .

عذر من بلغته قد تظاهرت عندنا بانهم غير معنيين بها ، فمن انكر ذلك من دافع حجة الاخبار المستفيضة ، والانباء المتظاهرة ، فاللازم له ترك قطع الشهادة على اهل الكبائر بالخلود فى النار بهذه الاية ونظائرها التى جاءت بعمومهم فى الوعيد ، اذ كان تاويل القران غير مدرك الا ببيان من جعل الله اليه بيان القران ، وكانت الاية تاتى عاما فى صنف ظاهرها ، وهى خاص فى ذلك الصنف باطنها ، ويسئل مدافعو الخبر بان اهل الكبائر من اهل الاستثناء سؤالنا منكر رجم الزانى المحصن ، وزوال فرض الصلاة عن الحائض فى حال الحيض ، فان السؤال عليهم نظير السؤال على هؤلاء سواء " (١) .

ويكرر راية فى ان اهل الكبائر غير مخلدين فى النار عند تفسيره لقوله تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه ، واعد له عذابا عظيما " (٢) حيث يقول فى تفسير هذه الاية : " واولى القول فى ذلك بالصواب قول من قال معناه ، ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه ان جزاه جهنم خالدا فيها ، لكنه يعفو او يتفضل على اهل الايمان به وبرسوله ، فلا يجازيهم بالخلود فيها ، ولكنه عز ذكره اما ان يعفو بفضله فلا يدخله النار ، واما ان يدخله اياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته لما سلف عنده من وعده عبادة المؤمنين بقوله " يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا " (٣) .

---

(١) جامع البيان جـ ١ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .
(٢) سورة النساء ٩٣ .
(٣) سورة الزمر ٥٣ .

فان ظن ظان ان القاتل ان وجب ان يكون داخلا فى هذه الاية ، فقد يجب ان يكون المشرك داخلا فيها ، لان الشرك من الذنوب فان الله عز ذكره قد اخبر انه غير غافر الشرك لاحد بقوله " ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (١) والقتل دون الشرك " (٢) .

ويقول فى تفسير قوله تعالى " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " " وقد ابانت هذه الاية ان كل صاحب كبيرة ففى مشيئة الله ان شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه عليه ، ما لم تكن كبيرة شركا بالله" (٣)

فالامام ابن جرير فى هذه النصوص يصور مذهبه فى تخليد اهل الكبائر فى النار وينكر ذلك على المعتزلة والخوارج الذين يعتمدون على عموم ايات الوعيد ، ويرى انه لا بد من تخصيص هذه النصوص ، ويعتمد فى ذلك على اصول مختلفه اهمها النصوص المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اهل الكبائر لا يخلدون فى النار ، وانما الذين يخلدون فيها هم اهل الشرك ، وبناء على ذلك ينبغى ان يكون ظاهر الايات عاما وتفسيرها خاصا ، وان السيئة وان كانت شاملة للكبائر جميعا الا ان المراد بها هنا هو الكفر والشرك فقط بدليل عجز الاية وهو الحكم عليهم بالتخليد فى النار ، ثم بدليل اقتران جزاء الذين امنوا وعملوا الصالحات وانه الجنة بهذه الاية ، ونلاحظ ان الامام ابن جرير يرد تفسير هذه الاية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، لانها من القسم الذى ذكره

---

(١) سورة النساء ٤٨ .

(٢) المصدر نفسه جـ ٥ ص ٢٢١ .

(٣) المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٢٦ .

فى صدر مقدمته فى التفسير الذى لا يصح القول فى تاويله الا ببيان من اليه البيان عن ذلك وهو الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه•

ونلاحظ ان الامام ابن جرير فى بيان مسائل العقيدة وبيان نصوصها وتفسيرها انما يعنى عناية خاصة بالنص القرانى ، واسلوب القران نفسه ، ثم محاولة وصل الايات بعضها ببعض فى هذا الفهم ، ليستطيع المفسر ان يصل الى وجه الحق فى تفسيرها ، وليتم له الفهم الدقيق للنص القرانى ، كما يعنى بالاثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقوال اهل العلم من الصحابة والتابعين وائمة وعلماء السلف •

وقد روى بسنده مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة مفادها ان اهل الكبائر غير مخلدين فى النار ، ومن هذه الاحاديث ما رواه بسنده عن المعرور بن سويد قال سمعت ابا ذر يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتانى جبريل فبشرنى انه من مات من امتى لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت وان زنى وان سرق ، قال وان زنى وان سرق "(١)•

ولا ريب ان ما ذهب اليه الامام ابن جرير فى حكم مرتكب الكبيرة ، وعدم تخليده فى النار هو امتداد لمذهب السلف ، وتاييد لهم فيما ذهبوا اليه من تقرير مسائل العقيدة ، ودفاع عن عقيدتهم ضد شبه خصومهم•

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار حـ ٢ ص ١٦٨ ، البخارى فى التوحيد حـ ١٣ ص ٤٦١ ، ومسلم فى الايمان حـ ١ ص ٩٤ ، وابن مندة فى الايمان حـ ١ ص ١٢٨ بعدة طرق عن المعرور•

يقول الطحاوى : " واهل الكبائر من امة محمد صلى الله عليه وسلم فى النار لا يخلدون اذا ماتوا وهم موحدون ، وان لم يكونوا تائبين بعد ان لقوا الله عارفين (١) ، وهم فى مشيئته وحكمه ان شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر الله عز وجل فى كتابه " ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " وان شاء عذبهم فى النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته ، وشفاعة الشافعين من اهل طاعته ثم يبعثهم الله الى جلته " (٢) .

---

(١) لو قال مؤمنين بدل عارفين لكان افضل واولى ، لان من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر ، وجهم بن صفوان هو الذى اكتفى بالمعرفة وقوله باطل . انظر شرح الطحاوية ص ٤١٩ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٤١٦ ـ ٤١٧ .

الفصل الثامـــــن

====

دفاعه عن عقيدة السلف في النبوات

=============

ويشتمل على مبحثين

======

المبحث الاول : عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

المبحث الثاني : معجزات النبي صلى الله عليه وسلـــم.

==========
=======

تمهيـــد :

تعرض الامام ابن جرير فى تفسيره لكثير من المباحث المتعلقة بالنبـوات كصفـة الرسل (١) ، والفرق بين علومهم وعلوم الكهـان (٢) ، وكذب من ادعى النبوة بغير وحي (٣) ، وأولو العزم من الرسل (٤) ، وصفة الوحي (٥) ، وتكلم عـن دعوة الانبياء ، وبين أن دعوتهم واحدة (٦) ، وغير ذلك من المباحث المتعلقـة بالنبوات ، وقد كان فى هذه المباحث موافقا لمذهب السلف ومؤيدا لهم فيمـا ذهبوا اليه ، الا أنه لم يتعرض لذكر أراء الفرق المخالفة ، ومناقشتها الا فى مسألتيـن من مباحث النبوات هما :ـ

عصمة الانبياء : ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم . لذلك فانـي ساقتصر الحديث على دفاعه عن عقيدة السلف فى النبوات على هاتين المسألتين نظـرا لانه لم يتعرض لاراء المخالفين لمذهب السلف فى غيرهما من الابحاث المتعلقـة بالنبوات ، ولم يتوجـه بالنقد الى أرائهم وتفنيد شبهاتهم .

---

(١) انظر جامع البيان حـ ١٣ ص ٨٠ ، ١٦٥ ، حـ ١٥ ص ١٦٤

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ٣ ص ٢٧٨

(٣) انظر المصدر نفسه حـ ٧ ص ٢٧٤

(٤) انظر المصدر نفسه حـ ٢٦ ص ٣٧

(٥) انظر المصدر نفسه حـ ٢٥ ص ٤٥

(٦) انظر المصدر نفسه حـ ٢٥ ص ١٤ ـ ١٦ ، حـ ٣ ص ٢٨٨ ، حـ ١٣ ص ٧٩ ـ ٨٠ ، حـ ١٧ ص ١٥ .

المبحث الاول

عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

توجه الامام ابن جرير بالنقد الى أراء بعض المخالفين لمذهب السلف في عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وذلك في تفسيره لبعض الايات القرآنية التي تحدثت عن وقوع بعض الذنوب والاخطاء من بعض الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، فقد توجه رحمة الله عليه بالنقد الى تحريفاتهم الباطلة لبعض النصوص الشرعية لكي توافق ما ذهبوا اليه من القول في عصمة الانبياء من كل صغيرة وكبيرة وحملهم تنزيه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم على مخالفة كتاب الله عز وجل وتأويل بعض آياته التي تحدثت عن وقوع بعض الخطايا من الانبياء تأويلا مستنكرا ، ملتمسين لالفاظها مخارج بعيدة عن الصواب ، بواسطة الحيل الضعيفة وقبل بيان دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف في عصمة الانبياء وبيان رده على المخالفين لمذهبهم احب أن اشير الى أن الناس اختلفوا في عصمة الانبياء الى اقوال متعددة ، وفرق متباينة فمنهم من يرى جواز وقوع الكبائر بل والكفر من الانبياء عليهم السلام ، وهم الفضيلية من الخوارج ، وبعض المرجئة وبعض الاشعرية ، ونزهوهم عن الكذب في التبليغ الا أن بعض المرجئة اجاز عليهم الكذب في التبليغ (١) ومنهم من يرى وجوب العصمة للانبياء من الكبائر والصغائر بعد النبوة مطلقا ، وهم اكثر المتكلمين من معتزلة واشاعرة وشيعة ، الا أن الشيعة يجوزن المعصية من الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقية (٢) .

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٢٣١ ، الفصل حـ ٤ ص ٢٩

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ اصول الدين ص ١٦٨ ، التحفة الاثنا عشرية ص ١٠٥ منهاج الكرامه ص ٩٣ ، عقائد الامامية ٣٢ ــ ٣٣ .

وفريق آخر يرون أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر والكبائر وفي كل ما يتعلق بالتبليغ ، وصغائر الخسة كسرقة لقمة ،ويجوزون ماعدا ذلك من السهو والنسيان ، غير أنهم لا يقرون على خطأ ،واذا وقع منهم ذنب فانهم يتوبون منه ويحصل لهم بالتوبة خير كثير ، وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة (١) .

هذا وقد انتقد الامام ابن جرير القائلين بوجوب عصمة الانبياء مطلقا واتهمهم بمخالفة أقوال السلف ، وتأويل القرآن بآرائهم وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى (ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه) (٢) حيث يقول (واما آخرون ممن خالف أقوال السلف ،وتأولوا القرآن بآرائهم فانهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة ، فقال بعضهم : معناه ولقد همت المرأة بيوسف، وهم بها أن يضربها أو ينالها بمكروه لهمّ به ، مما أرادته من المكروة لولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفه عن ذلك عما همّ به من آذاها لا أنها ارتدعت من قبل نفسها ، قالوا والشاهد على صحة ذلك قوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) (٣) قالوا فالسوء هو ما كان همّ به من آذاها ، وهو غير الفحشاء ، وقال آخرون منهم : معنى الكلام ، ولقد همّت به ، فتناهى الخبر عنها ، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف فقيل وهمّ بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهمّ بها ، كما قيل (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان الا قليلا) (٤) .

واعترض على هذين القولين بأن الثاني مخالف لاسلوب العرب في الخطاب لانهم لا يقدمون جواب لولا قبلها وأنهما مخالفان لاقوال جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله .

---

(١) انظر الفصل حـ ٤ ص ٢٩ ـ ٣٠ ، الشفا للقاضي عياض حـ ٢ ص ٣٢٧ ، عصمة الانبياء ص ١٢١ ،صحيح مسلم بشرح النووي حـ ٣ ص ٥٣ ، منهاج السنة حـ ١ ص ١٧٤ .

(٢) سورة يوسف ٢٤

(٣) سورة يوسف ٢٤

(٤) سورة النساء ٨٣ ، جامع البيان حـ ١٢ ص ١٨٥

يقول الامام ابن جرير في ذلك (ويفسد هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها ، لا تقول لقد قمت لولا زيد ، وهي تريد لولا زيد لقد قمت ، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله) (١) .

وواضح جدا أن الامام ابن جرير يعيب على أصحاب هذين القولين انكارهم لهم يوسف عليه السلام با مرأة العزيز ، تنزيها له من الوقوع في المعصية ، وتأويلهم على خلاف قول أهل العلم من الصحابة والتابعين الذين ذكروا أن كل واحد منهما هم بصاحبه (٢) ثم بين أن الصواب في ذلك أن كل واحد منهما هم بصاحبه ، كما أخبر الله جل ثناؤه بذلك . لولا أن رأى يوسف برهان ربه .

يقول الامام ابن جرير في ذلك : (وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات ربه زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة .... والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى ، والايمان به ، وترك ما عدا ذلك الى عالمه) (٣) وواضح جدا أن الامام ابن جرير يجوز وقوع صغائر الذنوب كالهم ونحوه على الانبياء بدليل قوله (لولا أن رأى يوسف برهان ربه وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة) ، وختم رأيه كما لاحظنا بكلام جميل وضح منهجه الذي يسير عليه، وهو أن يقال في مثل هذه الامور ما قاله الله تعالى ، وعدم تأويلها عن حقيقتها ، والايمان بها ، وترك ما عدا ذلك الى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) المصدر نفسه حـ ١٢ ص ١٨٥

(٢) ذكر الامام ابن جرير بسنده طائفة كثيرة من اقوالهم في هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بالاخر فقد ذكر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة انظر المصدر نفسه حـ ١٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٥

(٣) المصدر نفسه حـ ١٢ ص ١٩١

ويؤكد ما ذهب اليه من همّ يوسف عليه السلام بالمعصية تفسيره لقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) (١)

يقول في تفسير هذه الاية : (يقول يوسف صلوات الله عليه (وما أبرىء نفسي) من الخطأ والزلل فأزكيها ، " ان النفس لأمارة بالسوء " يقول ان النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه ، وان كان هواها في غير ما فيه رضا الله الا أن يرحم ربي من شاء من خلقه ، فينجيه من اتباع هواها ، وطاعته فيما تأمره به من السوء ، ..... ان الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، بتركه عقوبته عليها ، وفضيحته بها ، رحيم به بعد توبته أن يعذبه عليها " (٢) .

وينفي الامام ابن جرير عن الانبياء الكفر ، وقد جاء ذلك في معرض رده على الذين زعموا أن معنى قول الله تعالى حكاية عن يونس عليه السلام " فظن أن لن نقدر عليه " (٣) ان ربه يعجز عما أراد به ، ولا يقدر عليه .

يقول الامام ابن جرير في رده على القائلين بهذا القول : (وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة ، لانه لا يجوز أن ينسب الى الكفر ، وقد اختاره لنبوته ، ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ، ولا يقدر عليه ، وصف له بأنه جهل قدرة الله وذلك وصف له بالكفر ، وغير جائز لاحد وصفه بذلك) (٤)

واختار الرأى القائل بأن يونس عليه السلام غاضب ربه فعاقبه بالحبس وضيق عليه عقوبة له على مغاضبته .

---

(١) سورة يوسف ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه جـ ١٣ ص ١

(٣) سورة الانبياء ٨٧

(٤) المصدر نفسه جـ ١٧ ص ٧٩

يقول الامام ابن جرير في ذلك : (وأولى هذه الاقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب قول من قال عني به فظن يونس ان لن نحبسه ونضيق عليه ، عقوبة على مغاضبته ربه) (١) .

وقد روى هذا التفسير عن ابن عباس، ومجاهد وقتادة والضحاك (٢) ونلاحظ ان ما ذهب اليه الامام ابن جرير في جواز المعصية على الانبياء هو امتداد لمذهب السلف ، وتأييد لهم حيث اعتبر قولهم هو أولى الاقوال بالصواب .

ورد على الذين نفوا أن يغاضب نبي ربه بقوله (بعد أن بين وجه الصواب في تفسير الاية : (وهذا القول أعني قول من قال ذهب عن قومه مغاضبا لربه أشبه بتأويل الاية ، وذلك لدلالة قوله (فظن أن لن نقدر عليه) على ذلك ، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك الى أنه ذهب مغاضبا لقومه ، انما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبي من الانبياء ربه واستعظاما له ،وهم بقيلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر اعظم مما انكروا ، وذلك أن الذين قالوا ذهب مغاضبا لربه اختلفوا في سبب ذهابه ايضا ، فقال بعضهم انما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم ، واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى دفع به عنهم البلاء ، وقال بعض من قال هذا القول كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب ، فلم ينزل ما وعدهم من ذلك .

وقال آخرون انما غاضب ربه من أجل أنه امر بالمصير الى قوم لينذرهم بأسه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم ، فقيل له الامر أسرع من ذلك ، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر ليأخذ نعلا ليلبسها ، فقيل له نحو القول الاول ، وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا) (٣) وذكر أن هذا القول مروى عن الحسن البصرى (٤) ويعلق على هذين القولين بأنهما دون من وصفه بأنه

---

(١) المصدر نفسه حـ ١٧ ص ٧٩

(٢) انظر المصدر نفسه حـ ١٧ ص ٧٨ ـ ٧٩

(٣) المصدر نفسه حـ ١٧ ص ٧٧

(٤) انظر المصدر نفسه حـ ١٧ ص ٧٨

ذهب مغاضبا لقومه يقول في ذلك : (وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء الا وهو دون ما وصفه به الذين قالوا ذهب مغاضبا لقومه لان ذهابه عن قومه مغاضبا لهم ، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ليبلغهم رسالته ، ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الايمان به والعمل بطاعته ، لا شك أن فيه ما فيه ، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بالخطيئة لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ، ويصفه بالصفة التي وصفه بها ، فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) (١) .

وتحدث عن معصية أدم لربه في تفسيره لقوله تعالى (وعصى أدم ربه فغوى) (٢) واثبت أن أدم وقعت منه المعصية بمخالفته امر ربه .

يقول الامام ابن جرير في تفسير هذه الاية (وخالف أمر ربه فتعدى الى ما لم يكن له أن يتعدى عليه من الاكل من الشجرة التى نهاه عن الاكل منها ، ثم اصطفاه ربه من بعد معصيته اياه ، فرزقه الرجوع الى ما يرضى عنه ، والعمل بطاعته وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه وهداه للتوبة فوفقه لها) (٣) .

وهناك امثلة كثيرة على وقوع الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذكرها الامام ابن جرير في تفسيره لا حاجة بنا لذكرها .

والقصد من ذلك أن الامام ابن جرير ، يقر بعصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ويجوز وقوع الذنوب منهم لورود ذلك في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتحرج من اطلاق ما أطلقه الله سبحانه وتعالى على بعض أنبيائه من الخطأ والعصيان كما يفعل بعض أهل التأويل الذين وصل بهم

---

(١) سورة القلم ٤٨ ، المصدر نفسه جـ ١٧ ص ٧٨

(٢) سورة طه ١٢١

(٣) المصدر نفسه جـ ١٦ ص ٢٢٤

الغلو فى العصمة الى انكار ما ثبت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة من وقوع بعض الذنوب من الانبياء والتماس المخارج الهزيلة التى تناقض كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تصح فى معقول ولا لغة ، يؤكد ذلك ما ذكرناه عن موقفه من أهل التأويل الذين أولوا همّ يوسف عليه السلام ، والذين أولوا مغاضبة يونس عليه السلام لربه •

ولا ريب أن موقف الامام ابن جرير من المؤولين فى عصمة الانبياء ، واتباعه لائمة وعلماء السلف كما رأينا فى العصمة ، هو دفاع عن عقيدة السلف من جهة ، وامتداد وتأكيد لمذهبهم من جهة أخرى •

ونزيد هذا الامر وضوحا فنقول : أن ما يعتقده الامام ابن جرير فى عصمة الانبياء هو ما يعتقده جمهور السلف الصالح ، وهو امتداد لمذهبهم، يقول ابن قتيبة فى معرض انتقاده بعض أهل الكلام الذين حرفوا النصوص الشرعية لكي توافق مذهبهم فى عصمة الانبياء من كل صغيرة وكبيرة على الاطلاق (يستوحش كثير من الناس أن يلحقوا بالانبياء ذنوبا ويحملهم التنزيه لهم صلوات الله عليهم على مخالفة كتاب الله جل ذكره واستكراه التأويل ، وعلى أن يلتمسوا لالفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة) (١) وذكر كثيراً من تحريفاتهم ، ورد عليهم ردا بليغا (٢) •

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (والقول بأن الانبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول اكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف حتى انه قول اكثر اهل الكلام كما ذكر ابو الحسن الامدى أن هذا قول اكثر الاشعرية وهو أيضا قول اكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء • بل هو لم ينقل عن السلف والائمة والصحابه والتابعين وتابعيهم الا مايوافق هذا القول) (٣) ويقول فى موطن آخر : (واما ما نقله

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٤٠٢

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٤٠٢ ، ٤٠٥ تأويل مختلف الحديث ص ١٨٠ ــ ١٨١

(٣) مجموع الفتاوى حـ ٤ ص ٣١٩

عنهم أن الانبياء غير معصومين فهذا الاطلاق نقل باطل عنهم ، فانهم متفقون ـ اى السلف ـ على أن الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى وهذا هو مقصود الرسالة فان الرسول هو الذى يبلغ عن الله أمره ونهيه وغيره ، وهم معصومون فى تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين بحيث لا يجوز أن يستقر فى ذلك شيء من الخطأ ..... وأما قوله قد يقع منهم الخطأ فيقال له هم متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ فى الدين اصلا ، ولا على فسق ، ولا كذب ففى الجملة كل ما يقدح فى نبوتهم وتبليغهم عن الله تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه ، وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون انهم معصومون من الاقرار عليها فلا يصدر عنهم ما يضرهم) (١) .

---

(١) منهاج السنة جـ ١ ص ١٧٤

المبحث الثاني

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

تكلم الامام ابن جرير في تفسيره على كثير من معجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، وخص بعض معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالبيان والتفصيل ، غير انه لم يتعرض لاراء المخالفين لمذهب السلف الا في معجزة الاسراء والمعراج ، فقد تعقب قولهم ان الاسراء كان بالروح دون الجسد ، بالنقد الشديد ، واورد عليهم مجموعة من الاعتراضات النقلية والعقلية ، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير " (١) .

يقول الامام ابن جرير :

" والصواب من القول في ذلك عندنا ان يقال : ان الله اسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ـ كما اخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله حمله على البراق حين اتاه به ، وصلى هنالك بمن صلى من الانبياء والرسل ، فاراه الله ما اراه من الايات ، ولا معنى لقول من قال اسرى بروحه دون جسده ،

لان ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب ان يكون ذلك دليلا على نبوته ، ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذين انكروا حقيقة ذلك من اهل الشرك ، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، اذ لم يكن منكرا عندهم

---

(١) سورة الاسراء ١ .

ولا عند احد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني ادم ان يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو اقل ؟ وبعد فان الله انما اخبر في كتابه انه اسرى بعبده ، ولم يخبرنا انه اسرى بروح عبده ، وليس جائز لاحد ان يتعدى ما قال الله الى غيره ، فان ظن ظان ان ذلك جائز اذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها ، كما قال قائلهم :

حسبت بغام راحلتي عناقا(1) ** وما هي ويب غيرك بالعناق

يعني حسبت بغام راحلتي صوت عناق ، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق فان العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام فاما فيما لا دلالة عليه الا بظهوره ، ولا يوصل الى معرفة المتكلم الا ببيانه ، فانها لا تحذف ذلك ، ولا دلالة تدل على ان مراد الله من قوله " اسرى بعبده " اسرى بروح عبده ، بل الادلة الواضحة ، والاخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اسرى به على دابة يقال لها البراق ، ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محموله على البراق اذ كانت الدواب لا تحمل الا الاجسام ، الا ان يقول قائل ان معنى قولنا اسرى بروحه . راى في المنام انه اسرى بجسده على البراق ، فيكذب حينئذ بمعنى الاخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل حمله على البراق ، لان ذلك اذا كان مناما على قول قائل هذا القول ، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب ، ولم يحمل على البراق جسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على قوله حمل على البراق لا جسمه ولا شيء منه ، وصار الامر عنده كبعض احلام النائمين ،

---

(1) العناق الانثى من المعز .

وذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تتابعت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الاثار عن الائمة من الصحابة والتابعين " (١) .

ورد على ادلة القائلين بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل بالانبياء في بيت المقدس ، وان مسراه صلى الله عليه وسلم كان بروحه دون جسده وان الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من اخباره عما عاين من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، ورأى من العجائب في السموات ، ووحى الله اليه ما اوحى اليه في تلك الليلة ، وافتراضه ما افترض عليه فيها من الصلوات المكتوبات ، انما كان ذلك كله رؤيا نوم لا رؤيا يقظة ، رد على هؤلاء جميعا بقوله " اما ما روى عن حذيفة اليمان من قوله : ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل في المسجد الاقصى ليلة اسرى به (١) ، ولا نزل البراق حتى عاين من عظيم قدرة الله عز وجل ما عاين ، ثم رجع الى المسجد الحرام فقول منه قاله تاولا منه ظاهر ما في التلاوة ، وذلك انه لا ذكر في القران ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الاقصى ، فقال في ذلك بحسب ما كان عنده من علم ذلك ولعله الا يكون كان سمع من النبى صلى الله عليه وسلم اخباره عن نفسه انه صلى في المسجد الاقصى تلك الليلة ، او ان يكون سمعه يخبر بذلك ثم نسيه ، فالصواب كان له ان يقول من القول في ذلك وغيره ما هو الصحيح عنده ، وليس انكاره ما انكر من ذلك ان كان صحيحا عنه ما روى في ذلك بدافع شهادة من شهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمعه يخبر عن نفسه انه صلى في المسجد الاقصى ليلة اسرى به ، وان الانبياء جمعوا له هنالك فصلى بهم ، وذلك ان العدل اذا شهد بشهادة على مشهود عليه

---

(١) حديث حذيفة اخرجه الامام ابن جرير في تفسيره حـ ١٥ ص١٥ ــ ١٦ ، تهذيب الاثار حـ ٢ ص ٧٩ ، والحاكم في المستدرك حـ ٢ ص٣٥٩ ، والامام احمد في المسند باختلاف يسير حـ ٥ ص ٣٨٧ .

لم تبطل شهادته عند احد من علماء الامة ، يقول قائل ، لا صحة لهذه الشهادة ، أولا حقيقة لها اذا لم يكن لقائل ذلك حجة غير قوله لا صحة لها ولا حقيقة ، فحذيفة رحمة الله عليه انما احتج بقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في المسجد الاقصى ليلة اسرى به على من انكر قوله بان الله تعالى ذكره لم يذكر في كتابه انه صلى فيه ، وانما ذكر فيه اسراءه به فقال " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا " وليس للقائل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل فيه تلك الليلة في ذلك من الحجة الا وفيه لمن قال انه صلى فيه مثلها ، وذلك انه لا خبر فيه من الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم على انه صلى فيه ، ولا انه لم يصل فيه ، ولا انه نزل عن البراق ، ولا انه لم ينزل عنه ، ولا انه ربطه ، ولا انه لم يربطه ، وانما فيه الخبر عن انه اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ليريه من اياته ، وانما قال من قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الاقصى تلك الليلة رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبرا عنه انه قال : صليت فيه ، وليس في خبره عن نفسه بذلك خلاف لشيء من اخبار الله عنه الذى ذكره في قوله " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله " بل ان يكون ذلك تحقيقا لما في هذه الاية اشبه من ان يكون له خلافا ، وذلك ان الله

تعالى ذكره اخبر فيها انه اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى بارك حوله ليريه من اياته ، ومن عظيم اياته ان يكون

جمع له من خلقه من قد مات قبل ذلك بالاف اعوام احياء فصلى بهم وخاطبوه وخاطبهم ، وكلموه وكلمهم ، فاعظم بها اية واجلل بها عبرة ، ويمضى

في ردوده بعد ان اورد مجموعة من الاحاديث تشهد لصحة ما ذهب اليه من ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس بالانبياء (١) ، قائلا " واما ما روى عمن روى عنه انه ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من اسراء الله عز وجل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما ذكر عنه انه عاين هنالك ، وفي السموات السبع من عظيم قدرته انما كان ذلك كله رؤيا نوم لا رؤيا يقظة ، فقول ظاهر الكتاب على خلافه دال ، والتنزيل على فساده شاهد ، والاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغيره متظاهرة ، والروايات ببطوله واردة .

فاما دليل ظاهر كتاب الله على خلافه فقوله " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا " فاخبر تبارك وتعالى انه اسرى بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى معلما بذلك خلقه قدرته على ما فعل به مما لا سبيل لاحد من خلقه الى مثله الا لمن مكنه من ذلك مثل الذى مكن منه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ودالا بذلك من فعله به على صدقه وحقيقة نبوته ، اذ كان ذلك من المعجزات التي لا يقدر من البشر عليه احد الا من خصه الله بمثل ما خصه به ولو كان ذلك رؤيا نوم لم يكن في ذلك على حقيقة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم دلالة ، ولا على من احتج عليه به من مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسوله حجة ، ولا كان لانكار من انكر من المشركين مسراه من مكة الى المسجد الاقصى ورجوعه اليها في ليلة واحدة وجه معقول ، اذ كان معقولا عند كل ذى فطرة صحيحة ان الانسان قد يرى في منامة في الساعة ما على مسيرة سنة من موضع منامه من البلاد او اكثر ... وفي تظاهر الاخبار عن مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر تهذيب الاثار حـ ٢ ص ٨٣ ـ ٨٥

وسلم بانكارهم ما اخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم

من مسراه من المسجد الحرام الى

المسجد الاقصى اوضح البرهان ، وابين البيان ان ذلك كان منهم لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم من الخبر بما كان ممتنعا عندهم فعله على من كان بمثل خلقتهم وبنيتهم ، من جميع البشر ، فاما ما كان جائزا وجوده ، وممكنا كونه من كل من كان بمثل هيئتهم ومفطورا على فطرتهم فغير جائز منه التكذيب به ، ومستحيل من رسول رب العالمين ان يكون احتج عليهم به ، ولا شك ان النائم قد يرى في نومه مما هو ابعد من مسافة ما بين مكة وبيت المقدس انه به ، وانه يعاني به امورا ويقضي به اوطارا ، والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا تحتج على من ارسلت اليه لصدقها فيما ينكره المرسلون اليهم من نبوتها الا بما يعجز عن مثله جميع البشر ، الا من ايده الله جل ثناؤه بمثل ما أيدهم به من الاعلام والادلة .

واما الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمتظاهرة بانه قال " اتاني جبريل بالبراق فحملني عليه ، فسار بي حتى اتينا بيت المقدس " (١) ولا شك ان الارواح لا تحمل على الدواب ، وانما تحمل عليها الاجسام ذوات الارواح وغير ذوات الارواح ، وفي اخباره صلى الله عليه وسلم انه حمل على البراق الا بانه عن خطا قول من قال ان خبر الله تعالى ذكره عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه اسرى به ليلا من المسجد الاقصى ، انما هو خبر منه عن انه اسرى بروحه دون جسمه ، مع ان في

---

(١) اخرج الطبري نحوه في تهذيب الاثار حـ ٢ ص ٥٨ ، والتفسير حـ ١٥ ص ٥ ـ ٦ ، والبخاري في مناقب الانصار حـ ٧ ص ١٩٦ ، ولم نذكر حديث الاسراء بتمامه لشهرته وطوله .

خبر شداد بن أوس عن ابى بكر الصديق رحمة الله عليه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة اسرى به " طلبتك البارحة فى مظانك فلم اصبك " (١) . واجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه بان جبريل حملة فى تلك الليلة الى بيت المقدس ، البيان الواضح انه سار بنفسه تلك الليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، والابانة عن خطا قول من قال انما كان ذلك رؤيا منام ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك تتابعت الاخبار عن عامة السلف (٢) .

وروى بسنده عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى " وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس " (٣) قال هى رؤيا عين اريها رسول الله سلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به وليست رؤيا منام " (٤) وروى بنحوه عن طائفة من علماء التابعين كالحسن البصرى ، وابن جريج ، وقتادة ، وسعيد ابن جبير وغيرهم . (٥)

من خلال ما تقدم نستطيع ان نلخص دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف فى معجزة الاسراء والمعراج بالنقاط التالية :

---

(١) حديث شداد بن اوس اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار حـ ٢ ص ٨٢ ـ ٨٤ ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد حـ ١ ص ٧٣ وعزاه للبزار والطبرانى فى الكبير ، وذكره ابن كثير فى تفسيره حـ ٣ ص ١٣ ـ ١٤ . وعزاه للبيهقى ، واخرجه البيهقى فى الدلائل حـ ٢ ص ١٠٩ وانظر تعليق محقق تهذيب الاثار حـ ٢ ص ٨٤ .

(٢) تهذيب الاثار حـ ٢ مقتطفات من ص ٨١ ـ ٨٧ .

(٣) سورة الاسراء ٦٠ .

(٤) اخرجه الامام ابن جرير فى تهذيب الاثار حـ ٢ ص ٨٧ ، والتفسير حـ ١٥ ص ١١٠ ، والبخارى حـ ٧ ص ٢٠٣ ، حـ ١١ ص ٥٠٤ .

(٥) جامع البيان جـ ١٥ ص ١١٠ ـ ١١٢ .

(١) يرفض الامام ابن جرير الراى القائل ان الاسراء كان بالروح فقـــط، والقول بأن الرؤية التى راها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت رؤيا منام لا يقظــة.

(٢) بنى رأية فى ذلك على اعتبارات كثيرة منها الصنيع القرانى نفســه ، لانه لو كان الاسراء بالروح لجاء القران صريحا بذلك.

وكذلك تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمله علــى البراق ، لان الروح لا تحمل على الدواب ، والدواب لا تحمـــل الا الاجسام ، وكذلك اجماع الحجة من السلف على ان مسراه صلــى الله عليه وسلم كان بالروح والجسد ، وان الرؤية التى راها كانـــت رؤية يقظة لا رؤية نــوم.

(٣) استدل على صحة راية بدلالة الايـــة القرانيـــة ، والاحاديـــث النبوية الشريفة ، واقوال الصحابة والتابعين الذين سمعوا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يحدث انه اسرى به من المسجد الحرام الـــى المسجد الاقصى ، وصلى بالنبيين هناك ، وبقول ابى بكر الصديق رضـى الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم طلبتك البارحة فى مظانـــك فلـــم اصبـــك.

(٤) واستدل لصحـــة رأيه وبطلان الراى الاخر كذلك بدليل اشتقـــه من اصل معنى المعجزة ، لان الاسراء بالروح ليس فيه من الاعجـــاز شيء ، ولم يكن دافعا قريشا الى تكذيبه ، اذ انه لا يفترق فى هـــذه الحالـــة عن الرؤيا التى يراها النائم مما لا يضر معه التكذيـــب ، ولا يفيد به التصديق شيئـــا.

(٥) رد على الادلة التي استند اليها المخالفون بان حذيفة كان انكاره لصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس بنـاء على فهمة للاية ، او انه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يحـدث بحديث الاسراء ونسيه ، والاية لا تفيد انه صلى بالانبياء في بيـت المقدس ، فلا حجة في راى حذيفة لان الاخبار جاءت عن صلاتـه بالانبياء في بيت المقدس من طريق حديث رسول الله صلى اللـه عليه وسلم عن نفسه ، وهذا لم يتطرق اليه حذيفة رضي الله عنـه ، اما الادلة التي اعتمدوا عليها في ان الرؤية التي راها ليلة الاسراء كانت رؤيا منـام فانه اعتبرها مخالفة للقران والنصوص الكثيرة عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصحابه والتابعين وعلماء السلف التي تفيد انها رؤيا يقظة لا رؤيا منام ، ولانها كذلك تخالف معنى الاعجاز الذي دعا قريشا الى تكذيبه صلوات الله وسلامة عليـه ،

هذا وقد تعرض الامام ابن جرير للحديث عن معجزة انشقاق القمر ، واثبت هذه المعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك في تفسيـره لقوله تعالى " اقتربت الساعة وانشق القمـر " (١) حيث يقول في تفسير هذه الاية : " يقول جل ثناؤه : وانفلق القمر ، وكان ذلك فيما ذكـر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة ، وذلك ان كفار اهل مكة سألوه اية فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر اية حجة على صدق قوله ، وحقيقة نبوته ، فلما أراهم اعرضوا وكذبوا ، وقالوا سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم " (٢) وذكر مجموعة من الاثار عن الصحابـه

---

(١) سورة القمـر ١ .

(٢) جامع البيان جـ ٢٧ ص ٨٤ .

والتابعين تؤيد ما ذهب اليه من اثبات معجزة انشقاق القمر فلقتين حجة واية على صدق قوله صلى الله عليه وسلم وحقيقة نبوته٠(١)

وتحدث كذلك عن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخالدة ، وهى معجزة القران الكريم بحديث جميل موجز وذلك فى تفسيره لقوله تعالى " ام يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله أن كنتم صادقين "(٢) حيث يقول فى تفسير هذه الاية " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله وسلم كفاك حجة على حقيقة ما اتيتهم به ودلالة على صحة نبوتك هذا القران من سائر الايات غيره ، اذا كانت الايات انما تكون لمن اعطيها دلالة على صدقة لعجز جميع الخلق عن ان ياتوا بمثلها ، وهذا القران جميع الخلق عجزت عن ان ياتوا بمثله فان هم قالوا افتريته : أى أختلقته وتكذبته ٠٠ فقل لهم ياتوا بعشر سور مثل هذا القران مفتريات يعنى مفتعلات مختلفات ان كان ما اتيتكم به من هذا القران مفترى ، وليس باية معجزة كسائر ما سئلته من الايات كالكنز الذى قلتم : هلا انزل عليه ، او الملك الذى قلتم هلا جاء معه نذيرا له مصدقا ، فانكم قومى ، وانتم من اهل لسانى ، وانا رجل منكم ، ومحال ان اقدر اخلق وحدى مئة سورة واربع عشرة سورة ولا تقدروا باجمعكم ان تفسروا وتختلقوا عشر سور مثلها ، ولا سيما اذا استعنتم فى ذلك بمن شئتم من الخلق ، يقول جل ثناؤه قل لهم وادعوا من استطعتم ان تدعوهم من دون الله ، يعنى سوى الله لافتراء ذلك واختلاقه من الالهة ، فان انتم لم تقدروا على ان تفتروا عشر سور مثله نقد تبين لكم انكم كذبة فى قولكم

---

(١) انظر المصدر نفسه جـ ٢٧ ص ٨٤ ــ ٨٧٠

(٢) سورة هـود ١٣

افتراء وصحت عندكم حقيقة ما اتيتكم به انه من عند الله ، ولم يكن لكم ان تتخيروا الايات على ربكم ، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذبون به انه من عند الله مثل الذى تسألون من الحجة ، وترغبون انكم تصدقون بمجيئها " (١)

وما يعتقده الامام ابن جرير فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم هو امتداد لمعتقد السلف الصالح ، وتاييد لعقيدتهم ، ودفاع عنها ، يقول الامام ابن قتيبة فى معرض رده على الذين قالوا بان اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالروح دون الجسد " وكيف يكون ذلك كما تاولوا والله جل وعز يقول " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا .." وهذا لايجوز ان يتأول فيه هذا التأويل ونحن نعوذ بالله ان نتعسف فنتأول فيما جعله الله فضيلة لمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن نسلم للحديث ونحمله على ظاهره " (٢) .

ويقول الحافظ ابن كثير فى ذلك : " والحق انه عليه السلام اسرى به يقظة لا مناما من مكة الى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ثم اتى المعراج فصعد فيه الى السماء الدنيا ثم الى بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم عليه الانبياء الذين فى السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم فى السادسة ، وابراهيم الخليل فى السابعة ، ثم جاوز منزلتهما صلى الله عليه

---

(١) المصدر نفسه جـ ١٢ ص ٩ ـ ١٠ .

(٢) تاويل مختلف الحديث ص ٢٧١ .

وسلم وعلى سائر الانبياء حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام ..

" واختلف الناس هل كان الاسراء ببدنه او بروحه فقط على قولين فالاكثرون من العلماء على انه اسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما ولا ينكر ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناما ثم رآه بعده يقظة لانه عليه السلام كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله " سبحان الذى اسرى بعبده " فالتسبيح انما يكون عند الامور العظام ، ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظما ، ولما بادرت كفار قريش الى تكذيبه ، ولما ارتد جماعة ممن كان قد اسلم ، وايضا فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال " اسرى بعبده " وقد قال تعالى " وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس " . قال ابن عباس هى رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخارى (١) ، وقال تعالى " ما زاغ البصر وما طغى " (٢) والبصر من الات الذات لا الروح ، وايضا فانه حمل على البراق ، وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان ، وانما يكون هذا للبدن لا للروح لانها لا تحتاج فى حركتها الى مركب تركب عليه " (٣) .

ويقول القاضى عياض : " اخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضى واعراض الكفرة عن آياته ، واجمع المفسرون ، واهل السنة على وقوعه ، وقد روى انشقاق القمر من الصحابة ابن مسعود ، وانس وابن عباس ، وابن عمر ، وحذيفة ، وعلى بن ابى طالب ، وجبير بن مطعم " (٤) .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة النجم ١٧ .

(٣) تفسير ابن كثير حـ ٥ ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٤) الشفا حـ ١ ص ٥٤٣ .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " ونبينا صلى الله عليه وسلم لما اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى انما اسرى به ليرى من ايات ربه الكبرى وهذا هو الذى كان من خصائصه ان مسراه كان هذا كما قال تعالى " افتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى " (١) وقال تعالى " وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس " قال ابن عباس هى رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به ، فهذا الذى كان من خصائصه ، ومن اعلام نبوته ، واما مجرد قطع تلك المسافة فهذا يكون لمن تحمله الجن ، وقد قال العفريت لسليمان (انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك " (٢) وحمل العرش من القصر من اليمن الى الشام ابلغ من ذلك " قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك "(٣) فهذا ابلغ من قطع المسافة التى بين المسجدين فى ليلة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم افضل من الذى عنده علم الكتاب ومن سليمان ، فكان الذى خصه الله به افضل من ذلك وهو انه اسرى به فى ليلة ليريه من اياته " (٤) .

---

(١) سورة النجم ١٢ ــ ١٥ .

(٢) سورة النمل ٣٩ .　　(٣) سورة النمل ٤٠

(٤) النبوات ص ١١٧ .

~~(٣) سورة النمل ٤٠~~

الفصـــل التاســـــع

=======

دفاعه عن عقيدة السلف في السمعيات

==============

تمهيـــد :

اثبت الامام ابن جرير فى تفسيره كثيرا من الأمور الغيبية التى وردت بطريق السمع ، سواء اكان القرآن الكريم مصدرها أم السنة المطهرة . وقـــد سلك رحمة الله عليه طريق السلف فى اثبات هذه المسائل ،والتزم منهجهم ولم يخرج عن رأيهم .

فقد اثبت عذاب القبر ونعيمه (١) ، وسؤال الملكين (٢) ، وحيــاة البرزخ (٣) والحساب (٤) ، والصراط (٥) ، واللوح المحفــوظ (٦) والعرش (٧) ، والصور (٨) ، والملائكة (٩) ، والجن (١٠) ، والشياطين (١١) ، والجنة ونعيمها (١٢) ، والنار وجحيمها (١٣) ، ونزول عيسى عليه السلام (١٤) ، وغير ذلك من أمور الغيب التى مصدرها السمع وحده . وقد كانت سلفيته فى هذه المسائل وغيرها من القضايــا

---

(١) انظر جامع البيان حـ ١٦ ص ٢٢٨ ،حـ ٣٠ ص ٢٨٤ ، حـ ٢ ص ٣٩ .

(٢) انظر حـ ١٣ ص ٢١٨ ، حـ ١٦ ص ٥٨ .

(٣) انظر حـ ١٨ ص ٥٣

(٤) انظر حـ ٣٠ ص ١١٥ـ١١٦ .

(٥) انظر حـ ١٦ ص ١١٢

(٦) انظر حـ ٣٠ص ١٤٠ .

(٧) انظر حـ ٢٤ ص ٣٧

(٨) انظرحـ ٢٤ ص ٣٠ ،حـ ٧ ص ٢٤١

(٩) انظر حـ ١ ص ١٩٧ ـ ١٩٨

(١٠) انظر حـ ١ ص ٢٢٧ ، حـ ١٤ ص ٣٠

(١١) انظر حـ ١ ص ٤٩ .

(١٢) انظر حـ ٢٥ ص ٩٥ ـ ٩٦ ، حـ ٣٠ ص ١٧ ـ ٢٠

(١٣) انظر حـ ٣٠ ص ١٢ ـ ١٧ ، حـ ١ ص ١٦٨

(١٤) انظرحـ ٣ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ ، حـ ٦ ص ٢٣

السمعية واضحة كل الوضوح ، فقد أيد السلف فيما ذهبوا اليه من الاثبات ، واستدل على صحة ذلك بالادلة السمعية من الكتاب والسنة ، ودعم رأيه في ذلك بأقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين . غير أنه لم يتوجه بالنقد الى آراء الفرق المخالفة لمذهب السلف ، ولم يتعرض لذكر شبههم وتفنيدها الا في مسألة الميزان . لذلك فاني ساقتصر الحديث على دفاعه عن عقيدة السلف في السمعيات على الميزان كمثال على دفاعه عن عقيدة السلف في ذلك . مكتفيا بما اشرت اليه سابقا من أنه كان سلفيا في بقية المسائل ، وموافقا للسلف ومؤيدا لهم فيما ذهبوا اليه من الاثبات .

الميــــزان

====

توجه الامام ابن جرير في تفسيره بالنقد الى رأي بعض الفرق المخالفة لمذهب السلف في اثبات الميزان . وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى " والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون " (١) .

حيث أورد عليهم مجموعة من الاعتراضات العقلية والنقلية تبطل ما ذهبوا اليه من انكار للميزان . وثبت أن الميزان يوم القيامة هو الميزان الذي يتعارفه الناس .

ويبدو أن الامام ابن جرير يقصد بعض المعتزلة الذين انكروا أن يكون الميزان يوم القيامة بالصفة المتعارف عليها بين الناس فقد انكر بعضهم الميزان المعروف الذي له كفتان ولسان ، وقالوا ان الاعمال اعراض ، وهي لا توصف بالخفة والثقل ولا يمكن وزنها فكيف بها اذا تلاشت ، وقالوا ان الوزن للعلم بمقدارها ، وهي معلومة لله تعالى بلا وزن ، فلا فائدة فيه ، فيكون قبيحا ، تنزه الرب تعالى عنه (٢) ثم

---

(١) سورة الاعراف : ٨

(٢) انظر شرح المواقف جـ ٨ ص ٣٢١ ، بحر الكلام ص ٧٩ ، مسائل العقيدة بين التفويض والتأويل ص ٦١٨ .

أولوا الميزان الوارد في النص فقالوا انما هو العدل الثابت في كل شيء ولذا ذكر بلفظ الجمع ، وأما الميزان المعروف فواحد (١) ، وقالوا ان المراد من قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) (٢) هو (ارصاد الحساب السوى ، والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة ، من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة ، فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات " (٣) .

غير أن القاضي عبد الجبار رفض تأويل الميزان ، وقال بوجوب حمله على حقيقته وظاهره ، وأن الله سبحانه وتعالى لم يرد به الا المعقول المتعارف فيما بيننا دون العدل ، يقول القاضي عبد الجبار في ذلك : (ان الميزان وان ورد بمعنى العدل في قوله تعالى (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) (٤) فذلك على طريق التوسع والمجاز ، وكلام الله تعالى مهما امكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه الى المجاز ، فلو كان الميزان هو العدل لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى ، فدل على أن المراد به هو الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا " (٥) .

وقد ارتضى الزمخشري هذا الرأي دون القول بأنه العدل ، وقال ان الله تعالى يضع الموازين الحقيقية يوم القيامة ويزن بها الاعمال ، وأورد عن الحسن أنه قال " ميزان له كفتان ولسان " (٦) ولكن كيف يتم الوزن مع أن الاعمال عندهم اعراض ؟ قيل توزن صحائف الاعمال التي فيها ذكر الحسنات ، وقيل يجعل الله

---

(١) انظر شرح المقاصد حـ ٢ ص ٢٢٣

(٢) سورة الانبياء ٤٧

(٣) الكشاف حـ ٣ ص ٩٥

(٤) سورة الحديد ٢٥

(٥) شرح الاصول الخمسة ص ٧٣٥

(٦) انظر الكشاف حـ ٣ ص ٩٥

سبحانه وتعالى في احدى الكفتين جواهر بيض مشرقة فتكون علامة الثواب ، وفي الكفة الاخرى جواهر سود مظلمة فتكون علامة العقاب (١) .

وقد اورد الامام ابن جرير على المنكرين للميزان الاعتراضات التالية :ـ

(١) أن ألله سبحانه وتعالى اخبرنا انه يثقل موازين قوم في القيامة ، ويخفف موازين أخرين ، وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك .

(٢) ما هو الموجب لكم لانكار الميزان بالمعنى الذى يتعارفه الناس أحجة عقل ؟ فان الحجة ممنا لانه ليس في وزن الله سبحانه وتعالى خلقه وكتب اعمالهم ، لتعريفهم اثقل القسمين منها خروج من حكمة ولا دخول في جور قضية ، فما الذى احال ذلك عندكم من حجة أو عقل أو خبر ، اذ كان لا سبيل الى حقيقة القول بافساد مالا يدفعه العقل الا من أحد الوجهين ، اللذين ذكرت ، ولا سبيل الى ذلك .

(٣) ان عدم برهانكم على صحة دعواكم من هذين الوجهين ، وضوح فساد قولكم وصحة ما قله أهل الحق في ذلك .

يقول الامام ابن جرير : (ويسئل من انكر ذلك ، فيقال له : ان الله اخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة ، ويخفف موازين آخرين ، وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك فما الذى أوجب لك انكار الميزان ، أن يكون هو الميزان الذى وصفنا صفته ، الذى يتعارفه الناس . أحجة عقل ؟ فقد يقال وجه صحته من جهة العقل ، وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب اعمالهم لتعريفهم اثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمة ، ولا دخول في جور في قضية ، فما الذى احال ذلك عندك من حجة أو عقل أو خبر ، اذ كان لا سبيل الى حقيقة القول بافساد مالا يدفعه العقل الا من أحد الوجهين وضوح فساد قوله ، وصحة

(١) انظرالمصدر نفسه جـ ٣ ص ٩٥ ، تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٦٤

ما قاله أهل الحق في ذلك ، وليس هذا من مواضع الاكثار في هذا المعنى على من انكر الميزان الذي وصفنا صفته اذ كان قصدنا في هذا الكتاب البيان عن تأويل أي القرآن دون غيره ، ولولا ذلك لقرنا الى ما ذكرنا نظائره ، وفي الذى ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه ان شاء الله " (١) ونلاحظ بوضوح تام تأييد الامام ابن جرير لمذهب السلف في اثبات الميزان والرد على المنكرين . هذا وقد استدل الامام ابن جرير على اثبات الميزان بالمعنى المتعارف عليه بقوله تعالى : (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) حيث يقول في تفسير هذه الاية : (والصواب من القول في ذلك عندى هو القول الذى ذكرنا ، عن عمرو بن دينار من أن ذلك هو الميزان المعروف الذى يوزن به ، وأن الله جل ثناؤ ، يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات ، كما قال جل ثناؤ ، (فمن ثقلت موازينه) موازين عمله الصالح (.. فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وادركوا الفوز بالطليقات والخلود والبقاء في الجنات . لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ما وضع في الميزان شيء أثقل من حسن الخلق) (٢) ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان يوزن به الاعمال على ما وصفت . فان انكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته ، وقال أو بالله حاجة الى وزن الاشياء ، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه اياه وبعده ، وفي كل حال . أو قال كيف توزن الاعمال والاعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة ، وانما توزن الاشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها ، وذلك لا يجوز على الاشياء التي توصف بالثقل ، والخفة والكثرة والقلة ، قيل له في قوله ، وما وجه وزن الله الاعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها ، وزن ذلك نظير اثباته اياه في ام الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من

---

(١) جامع البيان جـ ٨ ص ١٢٤

(٢) اخرجه الترمذى ج ٤ ص ٣٦٣ عن أبي الدرداء والامام احمد في المسند ٦/ ص ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ .

غير حاجة به اليه ، ومن غير خوف من نسيانه ، وهو العالم بكل ذلك في كل حال وقت قبل كونه ، وبعد وجوده بل ليكون ذلك حجة على خلقه ، كما قال جل ثناؤه في تنزيله " كل أمة تدعى الى كتابها ، اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) (١) الاية ، فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم ، اما بالتقصير في طاعته ، والتضييع ، واما بالتكميل والتتميم .

" واما وجه جواز ذلك فكما حدثني موسى بن محمد المسروقي بسنده ، عن ابن عمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة الى الميزان ، فيوضع في الكفة ، فيخرج له تسعة وتسعون سجلا فيها خطاياه وذنوبه ، قال ثم يخرج له كتاب مثل الانملة فيها شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فتوضع في الكفة فترجح بخطاياه وذنوبه " (٢) فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان ، وكتب سيئاته في الكفة الاخرى ، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلا وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى احتجاجا من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم استشهادا بذلك عليهم ، وما اشبه ذلك من حججه " (٣) .

ونلاحظ أن الامام ابن جرير استشهد بالاحاديث النبوية والاثار المروية عن الصحابة والتابعين في اثبات الميزان ، كما نلاحظ انه رد على الذين انكروا وزن الاعمال بحجة أن الله ليس له حاجة في ذلك وهو العالم بالاشياء ومقاديرها

---

(١) سورة الجاثية ٢٨ــ٢٩

(٢) اخرجه الامام ابن جرير في التفسير حـ ٨ ص ١٢٤ من طريق عبد الرحمن ابن زياد الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن ابن زياد ضعيف انظر التقريب حـ ١ ص ٤٨٠ ولكن الحديث اخرجه الامام احمد في المسند حـ٢ ص ٢١٣ ، والترمذي حـ ٥ فص ٢٤ ــ ٢٥ وابن ماجه حـ ٢ ص ١٤٣٧ عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا بنحوه .

(٣) جامع البيان حـ ٨ ص ١٢٣ ــ ١٢٤

وابطل قولهم بايراد أدلة شرعية اثبتت أن الله سبحانه وتعالى وان كان ليس له في وزن اعمال العباد حاجة الا أنه يزنها لهم لتكون حجة له عليهم وتكون كذلك حجة للخلق أو عليهم . وذلك نظير اثباته اياها في ام الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب ومن غير حاجة به اليه .

ونلاحظ كذلك أنه رد على الذين زعموا أن الاعمال اعراض بأن الله سبحانه وتعالى يقلب الاعراض اجساما فتوزن الحسنات في كفة والسيئات في كفة ولا شك أن ما ذهب اليه الامام ابن جرير في اثبات الميزان ، والرد على شبه المنكرين له هو امتداد لمذهب السلف ، فقد قال بقول عمرو بن دينار ، ومجاهد ، وعبيد ابن عمير وغيرهم (١) وتابعه في ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية حيث يقول في معرض توضيحه لعقيدة السلف (ومن الايمان باليوم الاخر الايمان بكل ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون بعد الموت ـ وذكر بعض الغيبيات ثم قال ـ فتنصب الموازين ، فتوزن بها اعمال العباد " (٢) ويقول ايضا : (ان الله سبحانه وتعالى يزن الحسنات والسيئات ، وعلى هذا دل الكتاب والسنة ، وهو معنى الوزن) (٣) .

ويقول الهراس : (وهناك تنصب الموازين فتوزن بها اعمال العباد وهي موازين حقيقية ، كل ميزان منها له لسان وكفتان ، ويقلب الله أعمال العباد (وهي اعراض) أجساما لها ثقل فتوضع الحسنات في كفه والسيئات في كفة " (٤) .

وقد اثبت أئمة وعلماء السلف الميزان ونصوصهم في ذلك كثيرة وفيرة ، قلما تجد كتابا في العقيدة يخلو منها .

وقد وافق الاشاعرة السلف في اثبات الميزان ، وقالوا ان الميزان حق ، وقد دلت عليه قواطع الشرع ، وهو ممكن وجائز في العقل فوجب التصديق والاقرار به (٥)

---

(١) انظر المصدر نفسه حـ ٨ ص ١٢٢ـ١٢٣

(٢) شرح الواسطيه ص ١٢٠ ـ ١٢٢

(٣) مجموع الفتاوى حـ ١٤ ص ٤٩

(٤) شرح الواسطية ص ١٢٣

(٥) انظر الارشاد ص ٣٧٩ ، الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٨٤

الفصل العاشر

=======

دفاعه عن عقيدة السلف في الامامة

=================

ويشتمل على تمهيد ومبحثين

====

المبحث الاول : أفضل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

المبحث الثاني : أحق الصحابة بالامامة وأولاهم بالخلافة

=========

تمهيـد : كيـف بدأ الاختلاف في الامامة :

ذكر الامام ابن جرير أن الاختلاف في مسألة الامامة بدأ فـي مرحلـــة مبكرة من تاريخ الامة الاسلامية • فقد ظهر الخلاف في مسألة الامامة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الامر حول الشخص الذى سيكون خليفـــة لرسول الله صلى الله عليه وسلم • هل هو من قريش أم من آل البيت ؟ أم مـــن الانصار (١) ، كما ذكر كذلك أن الامة اختلفت ايضا في أفضل أصحاب رسول اللــه صلى الله عليه وسلم الا أنه لم يذكر لنا شيئا عن هذا الخلاف ، ومتى بدأ ولم يذكـر لنا شيئا عن رأى الفرق المنتسبة للاسلام في موضوع الخلافة ، وأفضل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين •

يقول الامام ابن جرير : (فكان من قديم الحادثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحوادث التي تنازعت فيها أمته اختلافها في أفضلهم بعده صلى اللـه عليه وسلم وأحقهم بالامامة وأولاهم بالخلافة •" (٢)

وموجز الحديث في هذه المسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك بعـــد التحاقه بالرفيق الاعلى فراغا كبيرا في حياة المسلمين ، وقد شعروا منذ اللحظـــة الاولى بضرورة وجود خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حفظا للدين والدولة المسلمة الفتية ، وجمعا لكلمة الامة الاسلامية ، فلذلك سارع الانصار الى سقيفـــة بني ساعدة ليبحثوا هذا الامر ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يزل على فراش الموت وما أن علم ابو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وابو عبيدة عامر بن الجـــراح رضى الله عنهم بهذا الاجتماع حتى سارعوا الى مكان انعقاده ، خوفا من أن ينفـــرد الانصار في هذا الامر الذى يتعلق بمستقبل الامة الاسلامية (٣) •

---

(١) انظر تاريخ الطبرى حـ ٣ ص ٢٢٠ ، حـ ٤ ص ٤٥٨

(٢) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٣

(٣) انظر تاريخ الطبرى حـ ٣ ص ٢١٨ ـ ٢٢٢ ، البداية والنهاية جـ ٥ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، الفرق بين الفرق ص ١٥

ووقع الخلاف بين الصحابة الذين حضروا الاجتماع حول من سيكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وثار الخلاف في بداية الامر بين المهاجرين والانصار ، فكان رأى الانصار أن يكون الخليفة منهم ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو أهلها الى الاسلام ، وينشر الدين بين ظهرانيهم ، الا أن معظمهم قاوموا دعوته ، وآذوه وطردوه صلى الله عليه وسلم وتآمروا على قتله ، الا أن الله سبحانه وتعالى عصمه منهم ــ فلم يؤ من معه من أهل مكة وقومه الا القليل فهاجر الى المدينة المنورة بلد الانصار الذين آمنوا به ، ونصروه ، ومنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وجاهدوا معه الكفرة والمشركين ، لذلك رأوا أنهم أحق والناس بالخلافة من غيرهم .

أما المهاجرون فقد رأوا أنهم أهل النبي صلى الله عليه وسلم وعشيرته ، وأنهم أول من آمن ، وتعرض للاذى وصبر عليه ، وأن قريشا صاحبة الزعامة في جزيرة العرب ، ولا يدين الناس بالطاعة الا لهم ، فهم أولى الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وظهر في السقيفة رأى ثالث ، وهو أن يكون من الانصار أمير ومن المهاجرين أمير ، الا ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه حسم الخلاف بين المهاجرين والانصار عندما بين أن الخلافة لا تكون الا في قريش ، فما كان من عمربن الخطاب رضي الله عنه الا أن بايعه بالخلافة ، وتتابع الناس من بعده على المبايعة ، ثم تلقى الصديق رضى الله عنه البيعة العامة في المسجد واصبح بذلك خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واماما للمسلمين ، وبهذا قطع الخلاف في مسألة الامامة العظمى ولو الى حين (١).

---

(١) انظر البداية والنهاية حـ ٥ ص ٢٤٦ ، مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٣٩ ــ ٤٢ تعليق الشيخ محمد محي الدين على المقالات حـ ١ ص ٤٢ ــ ٤٤ .

قضى الله سبحانه وتعالى على الخلاف بين المسلمين في مسألة الامامة في بداية الامر ، واجمع المسلمون على بيعة الصديق رضى الله عنه بالخلافة ، فبادر رضي الله عنه الى الاهتمام بأدارة شئون الدولة المسلمة ، وسارع الى حرب المرتدين، وارسل الجيوش خارج الجزيرة لنشر الدين الاسلامي الحنيف في البلدان المجاورة، واخضاعها لحكم الله تبارك وتعالى ، وساس الناس بالعدل تحت ظل حكم الله عز وجل ، وما أن أحس بدنو أجله حتى سارع الى كتابة وصية عهد فيها بالخلافة من بعده الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وشاء الله أن يستلم عمر رضى الله عنه الخلافة بعد الصديق رضي الله عنه ، وكان عمر رضي الله عنه معروفا بحزمه وعزمه فسار بهما سيرة حسمت مادة الخلاف بين المسلمين في هذا الامر ، ~~فقد كان يحتفظ بكبار الصحابة معه في المدينة لينتفع بهم في الرأي والمشورة وخوفا من أن يفتنوا أو يفتتن الناس بهم اذا انتشروا في الامصار الاسلامية ، لما لهم من شهرة في العلم والدين~~ ، أضف الى ذلك أن الاجناس الاخرى من البلاد المفتوحة لم يختلطوا بالعرب اختلاطا كبيرا في عهد عمر رضي الله عنه ، ولم يكن الوضع يسمح لاحد من هؤلاء الناس أن يكون مثار فتنة وخلاف بين المسلمين، ولم يختلف العهد العمري عن عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضوان الله عليه ، زهدا وتقشفا في الحياة الخاصة والعامة ، وانطلاقا من ذلك ، كان الوضع الاجتماعي الذي ساد عهد عمر رضي الله عنه امتدادا طبيعيا للوضع الاجتماعي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه كذلك ، ولم يحدث في عهد عمر رضي الله عنه أي خلاف بين الصحابة حول مسألة الامامة ، الى أن ظهرت احداث الفتنة الكبرى في عهد عثمان رضي الله عنه وقد كان رضوان الله عليه معروفا بتقواه وكرمه وحلمه وحيائه ، وسماحته ومروءته ، سار بالناس سيرة حسنة على نهج صاحبيه، وظل الحال في عهده على ما هو عليه في عهد صاحبيه الى ست سنوات من خلافته حتى وقعت احداث الفتنة الكبرى ، واستشهد عثمان رضي الله عنه .

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يستلم الخلافة بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبايعه الناس بالخلافة ويسير بالناس على نهج الراشدين من قبله ، يسوسهم بشرع الله وينشر العدل بين صفوفهم.
بيد أن الخلاف في مسألة الامامة برز الى حيز الوجود من جديد بعد احداث الفتنة الكبرى وظهرت نتيجة لذلك بعض الفرق المنتسبة الى الاسلام كالخوارج والشيعة ونحوهم ، وبدأت هذه الفرق بنشر آرائها المتطرفة الباطلة بين صفوف المسلمين، فالشيعة يرون أن الامامة في بني هاشم ، بل في بيت من بيوت بنى هاشم هو بيت أبي طالب متمثلا في ولده علي رضي الله عنه ، والخوارج وجمهور المعتزلة ، وبعض المرجئة يرون أن الامامة للمسلمين جميعا لافرق بين قرشي وغيره وللمسلمين أن يختاروا من يشاؤون حتى لو كان الذى يختارونه أعجميا ، ويرى عامة المسلمين جعل الخلافة في قريش (١).

بعد أن تحدثنا بشكل موجز عن بداية ظهور الخلاف في مسألة الامامة وكيفيته نعرض فيما يلى أهم الاراء التى قيلت في افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هو أولاهم بالامامة واحقهم بالخلافة ورأي الامام ابن جرير في ذلك كله باذن الله تعالى ـ.

---

(١) انظر الفصل في الملل والنحل حـ ٤ ص ١٠٨ اصول الدين ٢٧٥ ـ ٢٧٦

المبحث الأول

أفضل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين

ابتلي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبخاصة الخلفاء الراشدون الاربعة بمعاداة بعض الفرق المنتسبة للاسلام .

حيث لعنوا كثيراً من الصحابة ، وكفروا كثيرا منهم ، فالرافضة فضلوا علي بن ابي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة ، وأبغضوا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وبعضهم كفرهما ولعنهما دون غيرهم من الطوائف . والرافضة والشيعة وبعض الزيدية والخوارج ، أبغضوا عثمان بن عفان رضي الله عنه وسبوه وكفره بعضهم .

أما الخوارج والنواصب ، وكثير من شيعة بني امية فانهم ابغضوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسبوه ، وكفره بعضهم .

وقد ذهبت الشيعة وبعض المعتزلة وبعض أهل السنة الى تفضيل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وذهبت الخوارج كلها ومعظم أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة الى تفضيل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذهب ابن حزم الى تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسبقه في هذا الرأي غيره (١) على حد معلوماتي الا أن الامام ابن جرير لم يتعرض لذكر هذه الخلافات التي دارت حول افضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واكتفى بالقول بأن هذا الامر من الامور الحادثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اسلفنا سابقا .

هذا وقد انتصر الامام ابن جرير لمذهب السلف في هذه المسألة المهمة وايد مذهبهم ، واعتبر أولى الاقوال بالصواب عنده قول من قال ان أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٤ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦ مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٦٥ ، الفصل في الملل والنحل حـ ٤ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ اصول الدين ص ٢٨٦ .

عفان ثم علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين مواستدل بحديث رواه بسنده يشهد لصحة ما ذهب اليه .

يقول الامام ابن جرير " وأما الحق من اختلافهم في أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عنه صلى الله عليه وسلم الخبر ، وتتابع على القول به السلف ، سـ عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله جل وعلا اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، واختار من أصحابي أربعة : أبا بكر ، وعمر وعثمان وعليا رضوان الله عليهم فجعلهم خير أصحابي ، وفي اصحابي كلهم خير ، واختار امتي على سائر الامم واختار من أمتي أربعة قرون من بعد أصحابي القرن الاول والثاني والثالث تترى ، والقرن الرابع فردا) (١) وكذلك نقول فأفضل أصحابه الصديق ابو بكر ، ثم الفاروق بعده عمر بن الخطاب ، ثم ذو النورين عثمان بن عفان ، ثم أمير المؤمنين وامام المتقين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ورحمته) (٢) .

ولا ريب أن التفضيل الذي ذكره الامام بن جرير هو الحق الذي تشهد له النصوص من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه سار سلف الامة من الصحابة والتابعين ، ومن سار على نهجهم من العلماء والمحدثين قديما وحديثا . فهو امتداد لمذهب السلف من جهة ، ودفاع عن اعتقادهم من جهة اخرى. فالسلف تتابعوا على القول بأفضلية الصحابة على الترتيب الذي ذكره الامام ابن جرير ، وهو تابع لهم فيما ذهبوا اليه وقرروه في هذه المسألة المهمة من مسائل العقيدة .

وقد ذهب شيخ الاسلام ابن تيمية الى هذا الرأي الذي ذهب اليه الامام ابن جرير ومن قبله ائمة السلف . وذكر أن تفضيل الصديق وعمر وعثمان وعلى أمر متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالامامة في العلم والدين من الصحابة والتابعين

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير في عقيدته ل ١٦٥ ـ ١٦٦ والهيثمي في مجمع الزوائد حـ ١٠ ص ١٦ وقال رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف ولم يرد في الحديث الذي ذكر الهيثمي لفظه تترى ولا فردا .

(٢) عقيدة الامام ابن جرير ل ١٦٦ .

وتابعيهم ، كما أنه مذهب مالك وأهل المدينة ، والليث بن سعد وأهل مصر ، والاوزاعي وأهل الشام ، وسفيان الثوري وابي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وامثالهم من أهل العراق ، وهو مذهب الشافعي وأحمد واسحاق وابي عبيدة وغير هؤلاء من أئمة الاسلام الذين لهم لسان صدق في الامة . وحكى مالك اجماع أهل المدينة على ذلك فقال ما أدركت أحدا ممن اقتدى به يشك في تقديم أبي بكر وعمر (١) .

وهذا مستفيض عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وفي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية أنه قال لابيه علي بن ابي طالب : يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال يا بني أوما تعرف ؟ قلت لا ، قال : ابو بكر قلت ثم من ؟ قال : عمر) (٢) ويروى هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجها ، وأنه كان يقوله على منبر الكوفة . بل قال (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر الا جلدته حد المفترى " (٣) فمن فضله على ابي بكر وعمر جلد بمقتضى قوله ــ رضى الله عنه ــ ثمانين سوطا) (٤) .

وكان سفيان يقول : (من فضل عليا على ابي بكر فقد أزرى بالمهاجرين وما أرى انه يصعد له الى الله عمل ــ وهو مقيم على ذلك " (٥) .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى حـ ٤ ص ٤٢١

(٢) اخرجه البخاري حـ ٧ ص ٢٠ ، وابو داود حـ ٤ ص ٢٠٦ من طريق سفيان الثوري عن جامع بن ابي راشد عن محمد بن الحنفية عن علي وابن تيمية في مجموع الفتاوى حـ ٤ ص ٤٢٤ .

(٣) اخرجه عبد الله بن احمد في زيادات فضائل الصحابه رقم ٤٩ ، وابن أبي عاصم في السنة حـ ٢ ص ٥٧٥ كلاهما من طريق محمد بن طلحة عن ابي عبيدة بن الحكم ، وذكره ابن تيمية في الصارم المسلول ص ٥٨٥ ومجموع الفتاوى حـ ٤ ص ٤٢٤ .

(٤) مجموع الفتاوى حـ ٤ ص ٤٢٤

(٥) اخرجه الفسوى في المعرفة والتاريخ حـ ٣ ص ٤٦٧ والطبراني في المعجم الاوسط انظر (مجمع الزوائد حـ ٩ ص ٥٤) من قول عمار بن ياسر وقال فيه حازم بن جبلة ولم اعرفه .

وأما بالنسبة لتقديم علي بن ابي طالب رضى الله عنه على عثمان بن عفان رضي الله عنه فهذه مسألة دون تلك ، لانه قد حصل فيها نزاع فسفيان الثورى ، وطائفة من أهل الكوفة رجحوا عليا على عثمان ثم رجع سفيان وغيره عن ذلك ، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي ، وهي احدى الروايتين عن مالك ، لكن الرواية الاخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الائمة ، كأبي حنيفة واصحابه والشافعى واحمد بن حنبل واصحابهما ، وغيرهؤلاء من ائمة الاسلام حتى أن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم عليا على عثمان هل يعد من أهل البدعة ؟ علي قولين هما روايتان عن أحمد . وقد قال ايوب السختيانى واحمد بن حنبل والدارقطنى من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والانصار (١) .

فالصحابة رضوان الله عليهم قدموا عثمان على علي فى البيعة فانه وان لم يكن عثمان احق بالتقديم وقد قدموه كانوا اما جاهلين بفضله ، واما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح دينى ، ومن نسبهم الى الجهل والظلم فقد أزرى بهم (٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٤٢٦

(٢) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤٢٨

المبحث الثانــي

أحق الصحابة بالامامة وأولاهم بالخلافــة

اختلف كثير من الفرق المنتسبة للاسلام في أحــق الناس بالامامــة وأولاهم بالخلافة ، فذهبت الرافضة الى أن أولى الناس بالامامة على بن أبى طالب رضي الله عنه ، ورفضوا امامة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقالوا ان عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يكن اماما منذ أن صار خليفة الى أن استشهد ، وهم مجمعــون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبى طالب باسمــه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وزعموا أن أكثر الصحابة ضلوا ٠ (١)

وذهبت الجارودية من الزيدية الى أن النبي صلى الله عليه وسلم نص علــى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالوصف لا بالتسمية ، وكان هو الامام من بعده (٢)

وزعمت طائفة من الراوندية أن الامامة كانت بعد النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وقالت الشيعة بامامة علي بعده ، (٣)

وزعمت الخوارج أن أبا بكر وعمر كانا امامي حق ، وأن عثمان كان على الخلافة ست سنوات ، وادعوا بأنه كفر بعدها بالاحداث التي نقموها منه ، وقالوا ان عليــا كان على الحق الى وقت التحكيم وأنه كفر بعد ذلك (٤) ٠

وزادت الكاملية من الروافض على تكفيرها ابا بكر وعمر وعثمان تكفير علي لتركــه قتال ابي بكر وعمر (٥)

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٨٩ ، حـ ٢ ص ١٤٣ ، عقائد الامامية ص ٦٠ ـ ٦١ ، أصل الشيعة واصولها ص ١٠٤ ٠

(٢) انظر مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ١٤١ ، الفرق بين الفرق ص ٣٠

(٣) انظر اصول الدين ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ الفصل في الملل والنحل حـ ٤ ص ١٠٩

(٤) انظر اصول الدين ص ٢٨٦

(٥) انظر الفرق بين الفرق ص ٥٤ ، اصول الدين ص ٢٨٦

وزعم أصم القدرية أن الامامة لا تنعقد الا بالاجماع على المعقود لـه ، ولا تثبت بالشورى واختيار بعض الامة ، ونتيجة لهذا الزعم طعن في امامة عثمان وعلي رضي الله عنهما . أما عثمان فلأن امامته كانت بعقد بعض أهل الشورى له وهو عبد الرحمن بن عوف ، وأما علي فلان أهل الشام ثبتوا على خلافه الى أن مضى الى سبيله (١).

اما الامام ابن جرير فقد خالف هذه الاراء ، وانتصر لمذهب السلف في هذه المسألة المهمة وكفر كل من كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل شهاداتهم وأفتى بقتل كل من يزعم أن ابا بكر وعمر ليسا امامي عدل وهدى .

يقول عبد العزيز بن محمد الطبري : (وكان ابو جعفر يذهب في الامامة الى امامة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وما عليه أصحاب الحديث في التفضيل ، وكان يكفر من خالفه في كل مذهب اذ كانت أدلة العقول تدفع كالقول في القدر ، وقول من كفر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروافض والخوارج ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم) (٢) وروى ابن عساكر بسنده عن محمد بن علي ابن سهل المعروف بابن الامام صاحب محمد بن جرير الطبري قال سمعت ابا جعفر محمد بن جرير الطبري الفقيه وهو يتكلم مع ابن صالح الاعلم وجرى ذكر علي بن أبي طالب فجرى خطاب ، فقال له محمد بن جرير من قال ان ابا بكر وعمر ليسا بامامي هدى ايش هو ، قال مبتدع ، فقال له الطبري انكارا عليه مبتدع ، مبتدع هذا يقتل من قال ان ابا بكر وعمر ليسا امامي هدى يقتل يقتل " (٣) وسأل ابو بكر بن كامل الامام ابن جرير عمن سبقه الى تكفير اهل الاهواء فقال : (اماما عدل . عبد الرحمن ابن مهدي ، ويحي بن سعيد القطان) (٤).

---

(١) انظر اصول الدين ص ٢٨٧ ، مقالات الاسلاميين حـ ٢ ص ١٤٥

(٢) معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨٣

(٣) تاريخ ابن عساكر حـ ١٠ ل ٤٨٠

(٤) معجم الادباء حـ ١٨ ص ٨٤

هذا وقد ذهب الامام ابن جرير الى أن أولى الناس بالامامة واحقهم بالخلافة ابو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وأن ترتيبهم في الامامة كترتيبهم في الفضل ، واستشهد على صحة ما ذهب اليه بحديث يؤيد معتقده ، واعتبر قول القائلين بهذا القول هو أولى الاقوال بالصواب .

يقول الامام ابن جرير في ذلك : (وأما أولى الاقوال بالصواب عندنا فيما اختلفوا من أولى الاصحاب بالامامة فنقول من قال بما حدثني به محمد بن عمر الاسدى وذكر بقية السند ــ عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم من بعد ذلك ملك قال لي سفينة أمسك ، خلافة أبي بكر ، خلافة عمر ، وخلافة عثمان ، وخلافة علي فوجدتهما ثلاثين سنة) (١) .

هذا الرأي الذي ذهب اليه الامام ابن جرير في احق الناس بالخلافة وأولاهم بالامامة هو الحق الذي تشهد لصحته النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واقوال الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء والمحدثين .

فقد اتفق الصحابة رضوان الله عليهم في سقيفة بني ساعدة على خلافة أبي بكر فصحت خلافته ، ثم اتفقوا على خلافة عمر بعد أن عينه ابو بكر فصحت خلافته ، ثم اتفقوا بعد الشورى على عثمان فصحت خلافته ، ثم اتفقوا بعد استشهاد عثمان على علي بن أبي طالب فصحت خلافته ، والاربعة رضوان الله عليهم مترتبون في الفضل

---

(١) اخرجه الامام ابن جرير في عقيدته ل ١٦٦ وابو داود حـ ٤ ص ٢١١ ، الترمذي حـ ٤ ص ٥٠٣ والنسائي في السنن الكبرى (تحفة الاشراف حـ ٤ ص ٢٢) وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن ص ٣٦٩). وعند ابي داود زيادة : قال سعيد بن جمهان قلت لسفينة ان هؤلاء يزعمون أن عليا لم يكن خليفة ،قال كذبت استاه بني الزرقاء يعني بني مروان واخرجه ابو داود الطيالسي في منحة المعبود حـ ٢ ص ١٦٣

على ترتيبهم في الامامة (١) •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه أنه قال : " خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما " (٢) واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة عثمان بعد عمر رضي الله عنهما ، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا) وقال (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة) (٣) وكان امير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين ، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء ، والعباد ، والامراء والاجناد على أن يقولوا ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضي الله عنهم ، ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه) (٤) •

واستشهد بعض علماء الكلام الموافقين فى هذه المسألة لقول السلف على صحة خلافة ابى بكر وعمر وعثمان بقوله تعالى : (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما) (٥) فقالوا لا يجوز أن يكون

---

(١) انظر تعليق محمد محي الدين عبد الحميد على مقالات الاسلاميين حـ ١ ص ٥٦

(٢) اخرجه الامام احمد من عدة طرق عن علي المسند حـ ١ ص ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٧ وابن ماجه حـ ١ ص ٣٩ ، والطبراني في الكبير حـ ١ ص ٦٤

(٣) اخرجه الترمذى حـ ٥ ص ١٦ وابو داود حـ ٤ ص ٢٠٠ وابن ماجه حـ ١ ص ١٦ كلهم من حديث العرباض بن سارية •

(٤) الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى حـ ١ ص ٣٠٢

(٥) سورة الفتح ١٦

الداعي لهم الى قتال أولي البأس الشديد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانـــــه قال لهم (لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا) (١) فوجب أن يكـــون الداعي لهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال اولي البأس الشديد ابا بكـــر وعمر وايهما كان دلت الاية على وجوب طاعته ، وقد اختلفوا في اولي البأس الشديد ، فمنهم من قال هم أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب ، ومنهم من قال هم الروم ومنهم من قال هم الفرس ، ومنهم من قال الفرس والروم والترك ، فان كان المراد بأولـــي البأس اصحاب مسيلمة فان الداعي الى قتالهم ابو بكر الصديق ،وان كان المـــــراد بهم الروم فان ابا بكر هو الذى جهز الجيوش اليهم ،وان كان المراد بهم الفـــرس فان أبا بكر هو الذى جهز لهم الجيوش كذلك ، وقد قاتل ابو بكر الفرس والروم واصحاب مسيلمة فوجبت طاعته ، وقاتل عمر الروم والفرس فوجبت طاعته ، وقاتل عثمان الـــروم والفرس والترك فوجبت طاعته ، وقالوا لا يجوز تأويل أولي البأس الشديد على أهـــل صفين والجمل الذين دعا علي الى قتالهم لان الله قال (تقاتلونهم أو يسلمـــون) وما قاتل علي أهل صفين والجمل ليسلموا وانما لانهم بغوا عليه (٢) .

واختلف أهل السنة في ثبوت خلافة ابي بكر ،هل كانت بالنص أو بالاختيار ، فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث الى أنها ثبتت بالنص الخفي والاشارة ، وقالت طائفة نص رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاً جليا على استخلاف ابي بكـــر نصا جليا ، والى هذا ذهب ابن حزم وقال آخرون : ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا ، واستشهدوا بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضـــي الله عنهما أنه قال (ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني ابا بكـــر وان لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة التوبة ٨٣

(٢) انظر الفصل في الملل والنحل حـ ٤ ص ١٢٦ روح المعاني حـ ٢٦ ص ١٠٤ ، الابانة للاشعري ص ٧٧ ،اصول الدين ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

قال عبد الله فعرفت أنه حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستخلف (١)

وبناء على ذلك فان الخلافة عند اصحاب هذا القول صحت بالاختيار لا بالنص ، والى هذا الرأى ذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والاشاعرة، الا أن الصواب فى هذه المسألة - والله أعلم - هو أن خلافة الصديق رضي الله عنه انعقدت باختيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أشار بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضى بها ، وأنه دل الأمة وارشدها على استخلاف ابى بكر الصديق رضي الله عنه بامور كثيرة بأقواله وأفعاله (٢) وفضائل الصديق وبقية الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين أشهر من أن تذكر واكثر من ان تذكر .

وبناء على ما تقدم نقول : ان رأى الامام ابن جرير فى الامامة وأفضل الصحابة هو امتداد لمذهب السلف فى العقيدة وتأييد لهم ، ودفاع عن عقيدتهم . والله الهادى الى سواء السبيل .

---

(١) اخرجه ابن سعد في الطبقات حـ ٣ ص ٣٤٣ ، واخرجه من طريق ابن عباس عن عمر أيضا انظر حـ ٣ ص ٣٥٣

(٢) انظر مجموع الفتاوى حـ ٣٥ ص ٤٨ ، الفصل حـ ٤ ص ١٢٥ - ١٢٦ مناقب الشافعي للبيهقي حـ ١ ص ٤٣٢ شرح الطحاوية ص ٥٣٣ - ٥٣٦ .

الخاتمـــــة

الخاتمة

بعد أن من الله عز وجل علي بتوفيقه فاتممت الحديث عن الامام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف . أبين أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث فأقول وبالله التوفيق .

(١) توصلت من خلال البحث الى أن الامام ابن جرير ولد في خلافة المعتصم ، وتوفي في خلافة المقتدر ، وأنه عاش في عصر كان يعرف بعصر نفوذ الاتراك، وكان العصر الذي عاش فيه عصر اضطرابات سياسية ، وفتن داخلية ، تمكن فيه الاتراك من السيطرة على الخلفاء ، والتحكم في شئون الدولة ، مما أدى الى اضعافها ، نتيجة للأخطاء التي وقع فيها العباسيون، والتي لم يأخذوا العبرة فيها من غيرهم .

أما الحالة الاجتماعية ، فقد كان المجتمع منقسما الى ثلاث طبقات ، طبقة مترفة تعيش حياة بذخ وترف واسراف لا حدود له ، وطبقة متوسطة ، وطبقة فقيرة تعيش في فقر مدقع . وعلى الرغم من كثرة مظاهر الترف بين أوساط الطبقة الحاكمة ، الا أن احكام الله لم تعطل ، والجهاد في سبيل الله قائم ، اما النصوص التي صورت حياة بني العباس فقد توصلت الى أنها كتبت من قبل اعدائهم تارة ، وكتبت من قبل اتباعهم تارة أخرى ، وان تصويرهم بالفجور تارة ، وبالتقى تارة اخرى يحتاج الى تحقيق علمي ، واعادة نظر في هذه النصوص ، وبيان الحق فيها .

اما الحالة العلمية ، فقد توصلت الى أن العصر الذي عاش فيه يعتبر من أزهى عصور العلم والمعرفة ، واحفلها بالعلماء والدارسين . فقد كثرت فيه المصنفات العلمية ، نتيجة لصناعة الورق ، وكثرت المكتبات العامة والخاصة والمناظرات العلمية في المساجد ، ومجالس الخلفاء والوزراء . وازدهرت

علوم القرآن الكريم والسنة والفقه وعلوم اللغة ، والطب والفلسفة ، وترجمت الكتب الكثيرة من تراث الحضارات الوثنية الجاهلية ، كعلوم اليونان والهند والرومان وغيرهم ، وكان اكثر الكتب المترجمة يحمل الضرر والاذى الكبير للمسلمين في دينهم وعقيدتهم ، وظهرت شنارات الشر في بداية العصر وقويت شوكة المعتزلة بعد أن مكن لها الحكام ، ووقف علماء السلف بصلابة امام افكارهم المنحرفة عن منهج سلف الامة الصالح ، وردوا على شبههم ودافعوا عن العقيدة ، معتمدين على الأدلة النقلية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين ، والفوا في ذلك كثيرا من المؤلفات العلمية النافعة .

(٢) تحدثت عن اسمه ، وكنيته ، والخلاف في اسم ما بعد جده يزيد ، وعن نسبته وبيئته ، وسنة ولادته ، وسبب الشك فيها ، وعن اقليم طبرستان وسبب تسميته بهذا الاسم ، وتحدثت عن اخلاقه التي اشتهر بها، وتوصلت الى أنه كان عفيفا نظيفا ، زاهدا ورعا تقيا ، ولانزكيه على الله ــ عزيز النفس جريئا في قول الحق ، متواضعا أبيا ، رفض القضاء ، وقبول الهدايا من الحكام ، وكان حسن السمت ، حسن المظهر، نظيفا في مأكله ومشربه ، وكان حسن القيام على نفسه ، حسن الصوت يقصده الناس من كل مكان لسماع صوته وهو يقرأ القرآن .

وتحدثت عن سنة وفاته ، والسن التي مات عنها ، واليوم الذى دفن فيه ، والوقت الذى دفن فيه ، والخلاف في ذلك كله . وذكرت بعض الاشعار التي قيلت في رثائه .

(٣) تحدثت عن رحلاته العلمية ، وبينت السن التي رحل فيها ، والبلدان التي رحل اليها ، والشيوخ والعلماء الذين التقى بهم . وتوصلت الى أنه شغف بالرحلة منذ نعومة اظفاره ، وأنه التقى بمئات العلماء في شتى فنون العلم والمعرفة ، وكان معظم شيوخه من شيوخ البخاري ومسلم لا يتهمون في عدالتهم

وقد ترجمت لطائفة كبيرة منهم ، وذكرت أهم تلاميذه الذين أخذوا العلم عنه ، وترجمت لأشهرهم . كما تحدثت عن تأثره بالسابقين عليه ، وتأثيره باللاحقين له .

(٤) تحدثت عن ثقافته وألوانها ، وعن نبوغة في كثير من فروع العلم ، وبخاصة في التفسير والحديث ، والقراءات والفقه ، والتاريخ وعلوم اللغة العربية ، وغيرها من العلوم الزاهية في عصره،كما بينت أنه كون مذهبا مستقلا به عرف بالمذهب الجريري ، وكان له اتباع وتلاميذ ، الا أنهم انقرضوا بعد القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وتحدثت عن موء لفاته العديدة الموجود منها والمفقود ، وتوصلت الى أن كتاب مختصر الجامع في القراءات العشر المخطوط بمكتبة الازهر لا يمت اليه بصلة ، وأن هناك كتبا نسبت اليه بطريق الخطأ وبينت الصواب في ذلك كله .

(٥) تحدثت عن تهمة التشيع التي رمي بها ، وبدأت الحديث عن أهم الفئات التي اتهمته بالتشيع ، والاسباب التي اعتمدوا عليها ، وتوصلت الى أن اتهامه بالتشيع كان نتيجة للتعصب المذهبي تارة ، والطائفي تارة أخرى، والطعن في الاسلام وعلمائه تارة ثالثة ، اما الاسباب التي ادت الى اتهامه بالتشيع فقد توصلت بالدليل القاطع الى بطلانها وزيفها ، لانها لا تستند الى أساس علمي صحيح ، وكثيرا منها قائم على الظن والوهم والاحتمال . وتأييدا لابطال تهمة التشيع من أساسها عقدت مقارنة بين أراء الامام ابن جرير وبين آراء الشيعة في بعض المسائل المهمة ، كالنسخ والبداء ، وزواج المتعة والتقية ، وعصمة الائمة ، وتبين لي مخالفة الامام ابن جرير الجذرية لهم كما توصلت الى أن الامام ابن جرير ، لا يقبل شهادة الشيعة ولا أخبارهم وأنه يحكم بتكفير كثير منهم ، ويرى قتل من يرى أن ابا بكر وعمر ليسا بامامي عدل . وتوصلت الى أن الامام ابن جرير يحب الصحابة ويثني عليهم ، وبخاصة على الخلفاء الراشدين مما اكد لنا بطلان اتهامه بالتشيع .

اما قصته مع الحنابلة ، فقد توصلت الى انها غير ثابتة علميا ، لعدة اسباب وتبين لي أن الهدف من ورائها هو تشويه سمعة الحنابلة واتهامهم بالتعصب، كما تبين لي أن قصة دفنه ليلا غير صحيحة ايضا ، لأن الناس اجتمعوا على قبره ، وصلوا عليه ، وبقي الناس شهورا يترددون على قبره ، يصلون عليه ويدعون له ، وتوصلت الى أن كثيرا من العلماء اثنوا على عقيدته السلفية وأخلاقه وورعه ودينه ، وموء لفاته ، ومكانته العلمية .

(٦) توصلت الى أن ظهور البدع ، وازدياد شوكة اصحابها وقوتهم كانت سببا مهما في يقظة المذهب السلفي ، ونشاط علمائه للكتابة في الرد على المبتدعة والدفاع عن عقيدة السلف ، وتبين لي أن المنهج الذى ساروا عليه في الدفاع عن العقيدة ، وتقرير مسائلها ، قد قام على أمرين :ـ

الأمر الاول : عرض شبه الخصوم بشكل مختصر ، ومناقشتها والاستدلال على صحة مذهب السلف بالادلة النقلية والادلة العقلية التي لا تتعارض مع الادلة النقلية ، الامر الثاني : عرض نصوص العقيدة دون تعرض لشبه الخصوم خوفا من افتتان الناس بها .

(٧) توصلت الى أن الامام ابن جرير وافق السلف في اثبات مسائل العقيدة والدفاع عنها وجمع بين المنهجين، وبينت أنه سلفي في العقيدة ، وأنه أصاب أجرا واحدا في بعض المسائل التي أخطأ فيها اجتهادا لا اعتزالا . وابديت بعض الملاحظات في ذلك، وبينت وجه الحق فيها .

(٨) توصلت الى أن الامام ابن جرير دافع عن عقيدة السلف في الوحدانية دفاعا مجيدا فقد خالف المتكلمين في اقتصارهم على توحيد الافعال ، وأيد السلف فيما ذهبوا اليه في معنى التوحيد ، وتبين لي موافقته للسلف في مفهوم التوحيد . واثبات الوحدانية لله عز وجل .

(٩) تبين لى أن الامام ابن جرير يرى أن القرآن الكريم والسنة المطهرة همـــا المصدر الوحيد لاثبات اسماء الله الحسنى ، وأن الحديث فى الاسم والمسمى بدعة ، حادثة لم تكن معروفة على عهد الصحابة والتابعين ، وأن الخـــوض فيها شين ، والصمت فيها زين .

وقد تحدثت عن مسلك الامام ابن جرير فى اثبات اسماء الله الحسنى وعددها، وتوصلت الى أن منهج الامام ابن جرير يفيدنا بأنها غير محصورة فى عـــــدد معين . وتبين لى رفض الامام ابن جرير لرأى القائلين بأن الاسم هو المسمى واختياره لمذهب السلف القائل بأن الاسم للمسمى، والذى رجحه شيخ الاســلام ابن تيمية . وتحدثت عن العلاقة بين الاسماء والصفات ، وتبين لى أن الامام ابن جرير يرى وجود علاقه بين الاسماء والصفات وأن رأيه فى ذلك موافق لسلف الأمة .

(١٠) تحدثت عن دفاع الامام ابن جرير عن عقيدة السلف في صفات الله عز وجـل واقتصرت الحديث على تسع صفات،وتبين لي أن الامام ابن جريـر خالـــف المتكلمين مخالفة جذرية فيما ذهبوا اليه من نفي الصفات أو تأويلهـــــا ووافق السلف في الاثبات . فقد دافع عن عقيدة السلف في اثبات صفـة الحياة ، واثبت أن الله سبحانه وتعالى حـي بحياة هي صفة من صفات ذاته المقدسة . وبينت أن القول باثبات الصفات لا يستلزم التجسيم ولا التشبيــه ولا يؤدى الى تعدد القدماء ، وابطلت أدلة القائلين بأن اثبات الصفـــات يستلزم التجسيم والتشبيه وتعدد القدماء،وبينت أن القول بحلول الحـــوادث أو قيام الافعال الاختيارية بذات الله عز وجـل هو مذهب سلـف الأمـــة . وتبين لي أن الامام ابن جرير كفر المعتزلة القائلين بخلق القرآن ، واثبت أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

وخالفهم فى اثبات صفة الكلام لله عز وجـل . وأثبت أن الله سبحانه وتعالـــى

متكلم حقيقة بكلام مسموع ، بحرف وصوت وأن كلامه سبحانه وتعالى قديم النوع حادث الاحاد ، بمعنى أنه يتكلم متى شاء ، كيف شاء اذا شاء وأنه كلم أنبياء ، ورسله ، وسيكلم عباده ، يوم القيامة ، ليس بينهم ترجمان ، وتبين لي أن السلف يكفرون الاقوال ، ولا يكفرون الاعيان ، وتبين لى أن رأيه فى مسألة الفاظ العباد بالقرآن موافق لرأى الامام أحمد الذى اعتبر القول فيها بدعة ، وابرزت دفاعه عن عقيدة السلف فى صفة اليد ، وموافقته للسلف فى الاثبات وتبين لي أنه يثبت لله عز وجل يدا حقيقية من غير تشبيه ولا تكييف ، ويثبت كذلك اليمين ، والاصابع والكف والقبضة ، مخالفا فى ذلك المؤولين والمعطلين ، وتبين لي أن الادلة النقلية هي ادلته فى الاثبات والرد ، وأنه كان يستعين بأسلوب العرب فى التخاطب فيما بينهم ، والشواهد النحوية والشعرية فى معرض الفهم والرد ، وكان يستخدم الادلة العقلية المستمدة من الادلة الشرعية وبخاصة طريق الاولى ، فى اثبات الصفات لله عز وجل ، وتبين لي أن الامام ابن جرير رفض تأويلات المؤولين للصفات ، وبخاصة فى الاستواء والاتيان والمجيء والاستهزاء والرضا والغضب ، وأثبتها لله عز وجل على الحقيقة ، ودافع بشدة عن عقيدة السلف فى ذلك ، ورد على تأويلات المؤولين تارة بصورة مباشرة كما فعل فى الاستواء والاستهزاء ، وتارة بسرد الادلة النقلية التى تثبت الصفات كما فعل فى صفة اليد ، والرضا والغضب ، والاتيان والمجيء ، وقد تبين لي من خلال البحث كذلك أن كثيرا من الكتاب اتخذوا من الالزامات العقلية التى ساقها الامام ابن جرير على الفراء فى تأويل الاستواء ذريعة للقول بأن الامام ابن جرير اول الاستواء بعلو الملك والسلطان ، وتبين لي أن الامام ابن جرير كان فى معرض الالزام وليس الالتزام ، وأنه سلفى فى اثبات الاستواء حيث أثبت الاستواء لله عز وجل حقيقة بلا تكييف والاستواء عنده ، بمعنى العلو والارتفاع ، وأثبت

أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه في السماء السابعة ، وهو مع خلقه بعلمه . وقد أيدت رأيه في الاستواء بمناقشة السلف للمؤولين وتبين لنا بطلان ما ذهبوا اليه من تأويل الاستواء بالاستيلاء وغيره من التأويلات الباطلة . وبينت غرض السلف من اطلاق لفظة الجهة والمكان احيانا ، وأن هذه الالفاظ مجملة تحتاج الى تفسير . ورددت على اتهام السلف بالتشبيه وبينت بطلان هذا الاتهام،ثم تحدثت عن دفاعه عن عقيدة السلف في الروءية ، وابرزت أدلته العقلية والنقلية التي ساقها على المنكرين للروءية ، وتبين لي أن الادلة النقلية هي الاساس الذي اعتمد عليه في الرد والاثبات ، وايدت دفاعه عن عقيدة السلف في الروءية ببعض الادلة العقلية والنقلية التي تبطل حجة المعتزلة ومن وافقهم في انكار الروءية .

(١١) ابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في مسألة خلق الله لافعال العباد .وتبين لي أن الامام ابن جرير خالف القدرية في ذلك ، واتهمهم بالغباء والجهل وفساد القول ، والتأويل المستنكر ، واثبت أن العباد وأفعالهم مخلوقون لله عز وجل ، والعباد فاعلون حقيقة لافعالهم . وأن السبب الذي يتوصل به الى الايمان غير السبب الذي يتوصل به الى الكفر، وأن كلا السببين من عند الله عز وجل، وقد بينت معنى الاستطاعة عند السلف ، وأن التكليف بما لا يطاق جائز، وأن الله سبحانه وتعالى عند لطائف يخص بها من يشاء من عباده ، فهو سبحانه وتعالى الهادي المضل .

(١٢) ابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في الايمان ، وتبين لي أنه خالف الجهمية والمرجئة في حقيقة الايمان . وأورد عليهم اعتراضات عقلية وشرعية تبطل ما ذهبوا اليه من القول في حقيقة الايمان ، وتوءيد مذهب السلف، كما تبين لي أنه يقول بزيادة الايمان ونقصه ، ويرى جواز الاستثناء في الايمان

مقتفيا في ذلك اثر السلف ، وتبين لي كذلك أنه يرى وجود علاقة بين الاسلام والايمان ، وانه تابع الزهري في القول بأن الاسلام الكلمة والايمان العمل، وبينت أن هذا القول مجمل ، وأن الصواب أن يقال ان بينهما عموم وخصوص فالاسلام أعم ،والايمان اخص ، اذ أن كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا ، كما ابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في حكم مرتكب الكبيرة ، وتبين لي أنه يرى أن مرتكب الكبيرة فاسق بكبيرته ، مؤمن باقراره واعتقاده ، لا يخلد في النار وان لم يتب من كبيرته ، فهو في مشيئة الله ان شاء عذبه ابتداء عدلا منه ، وان شاء عفا عنه فضلا منه ، خلافا للخوارج والمعتزلة الذين حكموا بخلوده في النار .

(١٣) ابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في النبوات ، وتبين لي أنه يقول بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، الا أنهم قد يقعون في بعض المعاصي. وتبين لي أنه لا يتحرج من اطلاق ما أطلق الله على أنبيائه ، خلافا لاهل التأويل والتعطيل. وتبين لي كذلك أنه ينكر على القائلين بأن معجزة الاسراء والمعراج كانت بالروح دون الجسد ، وأورد عليهم مجموعة من الاعتراضات العقلية والنقلية تبطل ما ذهبوا اليه ، وتؤيد رأى السلف الذي تبناه في ذلك وهو القول بأن الاسراء كان بالروح والجسد معا . كما تبين لي أنه يثبت انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم . وتبين لي كذلك أنه يعتبر القرآن الكريم اعظم معجزة تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم البلغاء والفصحاء من قومه ،وهذه المعجزة خالدة حتى تقوم الساعة .

(١٤) ابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في السمعيات ، وتبين لي أنه خالف المعتزلة في تأويل الميزان،واثبت ميزانا حقيقيا توزن به الاعمال يوم القيامه،واستدل لصحة مذهبه بأدلة السمع والعقل .

(١٥) ابرزت دفاعه عن عقيدة السلف في الامامة ، وتوصلت الى أن الامام ابن جرير أيد مذهب السلف في ذلك، واثبت أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأولاهم بالامامة، واحقهم بالخلافة ابو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين ، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الامامة ، وهو بذلك يؤيد مذهب السلف ، ويؤكد صحته ويخالف المبتدعة ويبين ضلالهم ، ويكشف للناس عوارهم وانحرافهم عن منهج الله القويم .

هذا ولا يسعني وقد اكرمني الله سبحانه وتعالى بتوفيقه من اتمام هذا البحث الا أن أتوجه اليه سبحانه وتعالى بالحمد على ما انعم به علي ، وبالشكر على عنايته بي ، فله الحمد والمنة دائما وابدا ، ولا أزعم لنفس العصمة من الزلل ، ولا الكمال الذي لا يداخله خلل، الا انني بذلت جهدا كبيرا ، وقضيت وقتا طويلا في البحث والتنقيب ، وترددت كثيرا على المشائخ والعلماء أسألهم عن كثير من الامور الغامضة في البحث لاجل الحصول على فائدة علمية أضمها الى بحثي ، ولم أدخر جهدا في الرجوع الى كل ما له مساس بالموضوع التماسا لايفائه حقه من البحث والتمحيص، حتى وصل الى هذه الصوره التي أرجو له بها القبول من الله عز وجل، فكما قال العماد الاصفهاني (اني رأيت أنه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده ، لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو الدليل على استيلاء النقص على جملة البشر) . فسبحان من تفرد بالكمال ، وتنزه عن النقص والنسيان .

وانني وأنا أقدم هذا البحث لا أمل أن اكون وفيته حقه ، وأتيت فيه بجديد ، فان انا أحسنت فمن الله عز وجل ، وان أسأت فمني ومن الشيطان واستغفر الله العظيم . وهذا غاية امكاني ، ولا يكلف الله نفسا فوق طاقتها .

وفى الختام أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، ويرجح حسناتي يوم الدين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم (١)

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

---

(١) سورة الشعراء ٨٨ ـ ٨٩

المراجع والمصادر

حرف الالف

(١) القرآن الكريم .

(٢) الابانة الكبرى : ابو عبد الله عبيد الله بن بطة ، مخطوط بمركز البحث العلمي وقد قام أحد طلبة جامعة أم القرى بتحقيقه ، وكذلك الابانة الصغرى للمؤلف نفسه .

(٣) الابانة عن أصول الديانة : أبو الحسن الأشعري ، نشره قصي محب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٥هـ .

(٤) الابانة عن معاني القراءات : مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث ١٣٩٩هـ .

(٥) ابن حزم وموقفه من الالهيات : أحمد الناصر الحمد ، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الشريعة ، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ .

(٦) ابن الرومي : عباس محمود العقاد ، الطبعة السادسة ، المكتبة التجارية بمصر .

(٧) ابن قتيبة : الدكتور محمد زغلول سلام ، رقم ١٨ من سلسلة نوابغ الفكر العربي ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

(٨) ابن قتيبة الناقد الأديب : الدكتور عبد الحميد الجندى ، رقم ٢٢ من سلسلة أعلام العرب ، طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر .

(٩) ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف : على العلياني ، رسالة ماجستير كلية الشريعة ، مكة المكرمة ، ١٤٠١هـ .

(١٠) ابو جعفر الطبرى جمال الدين العياشي ، طبعة فانزى تونس .

(١١) ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : الدكتور أحمد مكي الانصارى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، نشر الرسائل الجامعية .

(١٢) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية : محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، دار المعرفة .

(١٣) احكام القرآن ، ابو بكر بن العربي ، مطبعة عيسى الحلبي .

(١٤) اختلاف الفقهاء : محمد بن جرير الطبري ، تحقيق الدكتور فريد ريك كرن ، الطبعة الثانية ، نشر محمد أمين دمج .

(١٥) الاختلاف في اللفظ : ابو عبد الله ابن قتيبة ، نشر ضمن عقائد السلف تحقيق الدكتور علي سامي النشار ، والدكتور عمار جمعة طالبي ، نشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١م .

(١٦) الاربعين في اصول الدين : محمد بن عمر الرازي ، الطبعة الاولى مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ١٣٥٣هـ .

(١٧) الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد : ابو المعالي عبد الملك الجويني ، تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ، علي عبد المنعم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٩٩هـ .

(١٨) ارواء الغليل : محمد ناصر الدين الالباني ، المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ .

(١٩) اساس التقديس : محمد بن عمر الرازي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٤هـ .

(٢٠) الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية : عبد العزيز السلمان الطبعة الخامسة ، مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٤هـ .

(٢١) أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الاثير الجزري ، كتاب الشعب ، وكذلك طبعة المكتبة الاسلامية .

(٢٢) أسماء الله الحسنى ، المسمى لوامع البينات : محمد بن عمر الرازي تعليق طه عبد الرؤوف ، نشر مكتبة الكليات الازهرية ١٣٩١هـ .

(٢٣) الاسماء والصفات : ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٢٤) أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، الطبعـــة الخامسة عشرة ، المطبعة الحيدرية بالنجف ، ١٣٨٩هـ .

(٢٥) أصول الدين : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الطبعة الثانيـــة ، مصورة عن الطبعة التركية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ .

(٢٦) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، محمد الامين الشنقيطي ،الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

(٢٧) الاعتصام : ابو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي ، وبه تعريف السيـــد رشيد رضا ـ المكتبة التجارية بمصـــر .

(٢٨) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد : احمد بن الحسين البيهقـــــي تصحيح احمد مرسي ـ القاهرة ١٣٨٠هـ .

(٢٩) اعراب القرآن : ابو جعفر النحاس ، تحقيق غازي زاهد ، مطبعة العاني بغداد ١٩٧٧م .

(٣٠) الاعلام : خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثـــة .

(٣١) اعلام الموقعين عن رب العالمين : ابن القيم الجوزية ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، مطبعة السعادة ١٣٨٩هـ .

(٣٢) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : ابن القيم الجوزية ، تحقيق محمـــد سيد الكيلاني ، شركة مصطفى الحلبي ١٣٨١هـ .

(٣٣) أقاويل الثقات في تأويل آيات الصفات : مرعي بن يوسف المقدسي ، مخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى ، وقد قام أحد الطلبة بتحقيقه .

(٣٤) الاقتصاد في الاعتقاد : أبو حامد الغزالي ، تحقيق الشيخ محمد مصطفـــى أبو العلا ، مكتبة الجندي .

(٣٥) الاقوال في اتهام الطبري بالتشيع ، والتحقق من ذلك من خلال كتابه التفسير الدكتور الحبر يوسف نور الدايم ، رسالة دكتوراه باللغة الانجليزيه جامعـــة أدنبرة لندن ١٩٦٨م .

(٣٦) الاكليـل : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى دار احياء التراث العربي بيروت .

(٣٧) الجام العوام عن علم الكلام : أبو حامد الغزالي ، المطبعة المنيريـــة القاهره ١٣٥١هـ .

(٣٨) الامام محمد بن جرير الطبري ومنهجه في التفسير : محمود محمد شبكـــة رسالة دكتوراه كلية أصول الدين جامعة الأزهـر .

(٣٩) انباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين ابو الحسين علي بن يوسـف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ، مطبعـة دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ .

(٤٠) الانساب : ابو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني ، اعتنى بنشرة المستشرق د . س مرجليوث ، طباعة ، بالأوفست ، مكتبة المثنى بغداد ١٩٧٠م . وكذلك الجزء المحقق منه ، بتحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٥هـ .

(٤١) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به :أبو بكر بن الطيـــب الباقلاني تحقيق محمد زاهد الكوثري الطبعة الثانية موء سسة الخانجـي بمصر ١٣٨٢هـ .

(٤٢) ايثار الحق على الخلق : ابو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤٣) الايمان : احمد عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق الالباني الطبعة الثانيـــة المكتب الاسلامي ١٣٩٢هـ .

(٤٤) الايمان : ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق الالبانـــي ضمن كنوز السنة ، توزيع دار الارقم ، الكويت .

(٤٥) الايمان : أبو عبيد القاسم بن سلام تحقيق الالباني ، ضمن كنوز السنة توزيع دار الارقم الكويت .

(٤٦) الايمان : محمد بن اسحاق ابن مندة ، مخطوط بمكتبة جامعة ام القرى وقد حققه الدكتور على بن ناصر الفقيهي ، وطبعته الجامعة الاسلاميـــة سنة ١٤٠١هـ ٠

"حـرف البـــاء"
======

(٤٧) بحر الكلام : ابو المعين النسفي ، الطبعة الاولى ، مطبعة كردستان ــ العلمية ، مصر ١٣٢٩هـ ٠

(٤٨) بدائع الفوائد : ابن القيم الجوزية ، دار الكتاب العربى بيروت ٠

(٤٩) البداية والنهاية : عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثيـــر مطبعة السعادة ٠

(٥٠) البيهقى وموقفه من الالـهيات : أحمد بن عطية الغامدى ، رسالة دكتوراه كلية الشريعة ، مكة المكرمة ١٤٠٠هـ ٠

" حـرف التاء "
=====

(٥١) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدى ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ٠

(٥٢) تاريخ الادب العربى : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار دار المعارف ١٩٦٩م ٠

(٥٣) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى : الدكتور حســـن ابراهيم حسن ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م ٠

(٥٤) التاريخ الاسلامى العام : الدكتور على ابراهيم حسن ، مكتبة النهضـــة المصرية ٠

(٥٥) تاريخ الامم الاسلامية : محاضرات للشيخ محمد الخضرى بك ، الطبعـــة الرابعة مطبعة الاستقامة ١٣٥٣هـ ٠

(٥٦) تاريخ بغداد : ابو بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت .

(٥٧) تاريخ التراث العربي : الدكتور فؤاد سزكين ، ترجمة الدكتور محمود فهمي حجازي ، والدكتور فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

(٥٨) تاريخ الجهمية والمعتزلة : جمال الدين القاسمي ، الطبعة الاولى ، مطابع مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩هـ .

(٥٩) تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧١هـ .

(٦٠) تاريخ دمشق : ابن عساكر ، مخطوط ، صورته بالمكتبة المركزية جامعة أم القرى رقم ٢٢٣٨ .

(٦١) تاريخ الرسل والملوك : محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .

(٦٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية : الدكتور يوسف العش ، تحقيق محمد ابو الفرج العش ، دار الكتاب

(٦٣) التاريخ الكبير : محمد بن اسماعيل البخاري ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٦٠هـ .

(٦٤) تاريخ المذاهب الاسلامية محمد ابو زهرة دار الفكر العربي .

(٦٥) تأويلات أهل السنة ، أو تفسير الماتريدي : أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي تحقيق الدكتور ابراهيم عوضين ، والسيد عوضين ، مطابع الاهرام التجاريه القاهرة ١٣٩١هـ .

(٦٦) تأويل مختلف الحديث : ابو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة ، تصحيح محمد زهري النجار ، دار الجيل بيروت ١٣٩٣هـ .

(٦٧) تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر الطبعة الثانية دار التراث القاهرة ١٣٩٣هـ .

(٦٨) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين : خرج احاديثه الكوثري وقدمه الدكتور محمد محمود الخضيري ، الطبعة الاولى ، مطبعة الانوار ١٣٥٩هـ .

(٦٩) تجارب الامم : أبو علي أحمد بن مسكويه ، اعتنى بتصحيحه هـ . ف . أمدروز مطبعة شركة التمدن بمصر ، ١٣٣٢هـ .

(٧٠) تحذير الخواص من اكاذيب القصاص ، جلال الدين السيوطي تحقيق محمد الصباغ ، المكتب الاسلامي ١٣٩٢هـ .

(٧١) التحفة الاثنا عشرية : شاه عبد العزيز غلام الدهلوى ، الطبعة الثانية المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٧هـ .

(٧٢) تحفة الاشراف : جمال الدين المزى ، الدار القيمة ، الهند ، ١٣٨٤هـ

(٧٣) تذكرة الحفاظ : ابو عبد الله شمس الدين الذهبي ، الطبعة الثالثة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٧٦هـ .

(٧٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك : للقاضي عياض ، تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود ، منشورات مكتبة الحياة بيروت ، ومكتبة الفكر طرابلس ليبيا .

(٧٥) تفسير الاسماء والصفات : ابو سليمان الخطابي : مخطوط بالخزانة العامة بالمغرب ، تحت رقم ١١٤٢ .

(٧٦) تفسير ابن الفرات : ابن الفرات .

(٧٧) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، وبهامشه تفسير البغوى المكتبة التجاريه مصر .

(٧٨) تفسير سورة الاخلاص : ابن تيمية ، تصحيح طه يوسف شاهين ، مكتبة انصار السنة المحمديه .

(٧٩) تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية لبنان ١٣٩٨هـ .

(٨٠) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، طبع دار احياء الكتب العربيــة .

(٨١) التفسير القيم : ابن القيم الجوزية : تحقيق محمد حامد الفقى ، جمع محمد الندوى لجنة التراث العربى ، بيروت .

(٨٢) التفسير الكبير : محمد بن عمر الرازى ، المطبعة البهية ، ميدان الازهر .

(٨٣) تفسير مجاهد : مجاهد بن جبر المكي ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر مطابع الدوحة الحديثة قطر .

(٨٤) تفسير النسفي : أبو حفص عمر بن محمد النسفي ، دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه .

(٨٥) تقريب التهذيب : ابن حجر العسقلانى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٥هـ .

(٨٦) تلبيس ابليس : ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى : تحقيق خير الدين على دار الوعى بيروت .

(٨٧) التمهيد : ابو بكر الباقلانى : تحقيق ريتشارد يوسف مكارثي المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧م .

(٨٨) التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع : ابو الحسين محمد بن أحمد الملطى ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، مكتبة المثنى بغداد ١٣٨٨هـ .

(٨٩) تنزيه القرآن عن المطاعن : القاضى عبد الجبار بن أحمد ، دار النهضة الحديثه ، بيروت .

(٩٠) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار : محمد بن جرير الطبري تحقيق الدكتور ناصر الرشيد ، وعبد القيوم عبد رب النبي ، مطابع الصفا مكة المكرمة ١٤٠٣هـ .

(٩١) تهذيب الاسماء واللغات : ابو زكريا محي الدين بن شرف النووي دار الكتب العلمية بيروت .

(٩٢) تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الاولى ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ تصوير دار صادر بيروت .

(٩٣) تهذيب الكمال : الحافظ جمال الدين المزي ، تقديم عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث ، نسخة مصورة عن النسخة الخطية بدار الكتب المصرية .

(٩٤) تهذيب اللغة : ابو منصور محمد بن أحمد الازهري ، تحقيق علي حسن الهلالي مراجعة محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٩٥) التوحيد : سعيد بن محمد النيسابوري ، تحقيق الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

(٩٦) التوحيد : ابو جعفر محمد بن علي القمي ، تصحيح وتقديم هاشم الحسيني الطهراني ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

(٩٧) التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل : محمد بن اسحاق بن خزيمة تعليق محمد خليل الهراس ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ وطبعة الكليات الازهرية ١٣٧٨هـ .

"حرف الجيـــم"

(٩٨) جامع الاصول فى أحاديث الرسول : ابن الاثير الجزرى ، تحقيـــق عبد القادر الارناؤوط ط ١٣٨٩هـ

(٩٩) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : محمد بن جرير الطبرى ، الطبعـــة الثالثة ، طبعة البابى الحلبى ١٣٨٨هـ ، وكذلك طبعة دار المعـــارف تحقيق احمد شاكر ، ومحمود شاكر .

(١٠٠) الجامع لاحكام القرآن : ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبـــي مصورة عن طبعة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ .

(١٠١) الجامع لشعب الايمان : البيهقى بمكتبة المتحف باستنبول رقم ٢٦٦٧ ـ ٢٦٦٩ .

(١٠٢) الجامع الصحيح : محمد بن اسماعيل البخـارى ، المكتبة الاسلاميـــة محمد أوزدمير استانبول ـ تركيـا .

(١٠٣) الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن أبى حاتم ، طبعة حيد آباد الدكن ١٣٧٢هـ .

"حـرف الحاء"

(١٠٤) حادى الارواح الى بلاد الافراح : ابن القيم الجوزية ، تصحيح محمـــود حسن ربيع الطبعة الرابعة ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٨١هـ .

(١٠٥) حاشية الصاوى على الجلالين : أحمد الصاوى المالكي ، نشر عبد الحميد احمد حنفي

(١٠٦) الحجة فى بيان المحجة : ابو اسماعيل الاصفهانى التميمى مخطوط ويقـوم أحد الطلبه بجامعة أم القرى بتحقيقه .

(١٠٧) حجة القراءات : ابوزرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة تحقيق سعيـــد الافغانى . الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ .

(١٠٨) حديث الهميان : محمد بن جرير الطبرى ، مخطوط بدار الكتب القومية رقم ٢٥٥٤٧/ب

(١٠٩) حسن المحاضرة : جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية ١٣٨٧هـ .

(١١٠) حلية الاولياء : أبو نعيم الاصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧هـ .

(١١١) الحياة الادبية في العصر العباسي : محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الاولى دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ١٩٥٤م .

" حرف الخاء "

(١١٢) خصائص علي بن أبي طالب : أحمد بن شعيب النسائي

(١١٣) خطط المقريزى : تقي الدين أحمد بن علي المقريزى ، دار التحرير للطباعة والنشر عن طبعة بولاق ١٩٦٧م .

(١١٤) خلق أفعال العباد ، محمد بن اسماعيل البخارى : تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الثانية ، دار عكاظ ، وكذلك المنشور ضمن عقائد السلف .

"حرف الدال"

(١١٥) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم مطبعة دار الكتب ١٩٧١م .

(١١٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، الناشر محمد أمين دمج .

(١١٧) الدرر السنية في الاجوبة النجدية : جمع عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الثانية المكتب الاسلامي ، بيروت .

(١١٨) دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام : أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي ، تحقيق آصف بن علي اصغر فيضي ، الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر ١٣٨٩هـ .

(١١٩) دعوة التوحيد : محمد خليل الهراس ، الطبعة الثانية : يطلب من مكتبة الحاج ابراهيم مصطفى تاج وولده ، طنطا .

(١٢٠) دلائل النبوة : أحمد بن الحسين البيهقي ، المطبعة السلفية المدينة المنورة .

(١٢١) دولة بني العباس : الدكتور شاكر مصطفى ، الطبعة الاولى ، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣م .

(١٢٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : ابن فرحون المالكي تحقيق الدكتور محمد الاحمدي ابو النور دار التراث مصر ١٣٩٤هـ .

(١٢٣) ديوان علي بن الجهم : الشاعر علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بيك الطبعة الثانية : لجنة التراث العربي ، بيروت .

" حرف الذال "

(١٢٤) ذيل المذيل : محمد بن جرير الطبري ، طبع مع المجلد الاخير من تاريخ الطبري باسم المنتخب من ذيل المذيل ، الطبعة الاولى ، المطبعة الحسينية المصرية

" حرف الراء "

(١٢٥) الرد على بشر المريسي : أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الطبعة الاولى ، مطبعة انصار السنة المحمدية وكذلك المنشور ضمن عقائد السلف .

(١٢٦) الرد على الجهمية :ابو سعيد الدارمي ، منشور عن النسخة الخطية في مكتبة كوبرلي باستنبول ، نشرها لاول مرة مع مقدمة وتعليقات بالالمانية جوستافيتسنام ، مكتبة ليدن ١٩٦٠م وكذلك المنشور ضمن عقائد السلف.

(١٢٧) الرد على الجهمية : ابو عبدالله محمد بن اسحاق بن مندة تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

(١٢٨) الرد على الزنادقة والجهمية : الامام أحمد بن حنبل ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٣هـ. وكذلك المنشور ضمن عقائد السلف .

(١٢٩) رسالة الارادة والامر : ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى دار احياء التراث العربي بيروت .

(١٣٠) الرسالة التدمرية : ابن تيمية تصحيح محمد زهري النجار مطبعة الامام بمصر ١٣٨٦هـ وكذلك المنشورة ضمن مجموعة نفائس الطبعة الثالثة مطبعة السنة المحمدية .

(١٣١) الرسالة التسعينية : ابن تيمية نشرت ضمن الفتاوى الكبرى مطبعة كردستان العلمية ، مصر ١٣٢٩هـ وطبعته بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .

(١٣٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ، تصحيح محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية مطبعة المنار القاهرة ١٣٢٦هـ.

(١٣٣) رسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن : ضمن الجامع الفريد ، تقديم عبد الرزاق عفيفي الطبعة الثانية توزيع رئاسة شئون الحرمين .

(١٣٤) رسالة في اثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن ابو محمد الجويني والد امام الحرمين : نشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ادارة الطباعة المنيريه الناشر محمد أمين دمج بيروت ١٩٧٠م.

(١٣٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني محمود الالوسي ١٣٩٨هـ.

(١٣٦) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، الميرزا محمد الاصبهاني الخوانساري تحقيق اسد الله اسماعيليان الناشر دار الكتاب العربي بيروت .

" حرف الزاي "
======

(١٣٧) زاد المسير في علم التفسير : ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الطبعة الاولى المكتب الاسلامي .

" حرف السين "
=====

(١٣٨) سلسلة الاحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الالباني الطبعة الاولى المكتب الاسلامي .

(١٣٩) سلسلة الاحاديث الضعيفة : الالباني ، المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ .

(١٤٠) السنة : الامام أحمد بن حنبل ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ ضمن مجموعة شذرات البلاتين .

(١٤١) السنة : عبد الله بن أحمد بن حنبل ، المطبعة السلفية مكة المكرمة ١٣٤٩هـ .

(١٤٢) السنة : ابو بكر عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق الالباني ، المكتب الاسلامي وكذلك المصورة الموجودة بمركز البحث العلمي جامعة ام القرى .

(١٤٣) السنة ومكانتها في التشريع : الدكتور مصطفى السباعي الطبعة الثانية مطبعة السعادة ١٣٩٠هـ .

(١٤٤) سنن ابن ماجه : ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسى البابي الحلبي .

(١٤٥) سنن ابو داود : سليمان بن الاشعث السجستاني اعداد وتعليق عزت عبيد دعاس ، نشر وتوزيع محمد علي السيد الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ ودار احياء السنة المحمدية .

(١٤٦) سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق احمد شاكر ، داراحياء التراث العربي بيروت وطبعة المكتبة الاسلامية .

(١٤٧) سنن الدارمي : ابو محمدعبيد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، توزيع دار الباز مكة المكرمه . طبع بعناية محمد احمد دهمان ، نشرته دار احياء السنة المحمدية .

(١٤٨) سير أعلام النبلاء : شمس الدين الذهبي ، مخطوط صورته في المكتبة المركزية بجامعة ام القرى ، رقم ٦٠٣/٦٠٠ .

" حرف الشين "

(١٤٩) الشامل : ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين تحقيق الدكتور علي سامي النشار ورفقاه منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩ م

(١٥٠) شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين : جمع وتحقيق محمد حامد الفقي . مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥هـ .

(١٥١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ابو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ، تحقيق أحمد سعد حمدان ، رسالة دكتوراه جامعة ام القرى ١٤٠١هـ . وسماه بعضهم السنن .

(١٥٢) شرح الاصول الخمسة : القاضي عبد الجبار بن أحمد : تعليق أحمد بن الحسين بن ابي هاشم تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الاولى مكتبة وهبة ١٣٨٤هـ .

(١٥٣) شرح أم البراهين : محمد بن يوسف السنوسي : طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٨هـ . وكذلك طبعة الاستقامة ١٣٥١هـ .

(١٥٤) شرح حديث النزول : ابن تيمية ، الطبعة الخامسة المكتب الاسلامي ١٣٩٧هـ .

(١٥٥) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق الدكتور احسان عباس نشر وزارة الارشاد والابناء الكويت ١٩٦٢م .

(١٥٦) شرح السنة : ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى تحقيق شعيب الارناؤط زهير الشاويش منشورات المكتب الاسلامى •

(١٥٧) شرح العقيدة الاصفهانية :ابن تيمية : ضمن الفتاوى الكبرى طباعة بالاوفست مكتبة المثنى بغداد •

(١٥٨) شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبى العز الحنفى حققها جماعة من العلماء وخرج أحاديثها الالبانى المكتب الاسلامى بيروت •

(١٥٩) شرح العقيدة الواسطية : محمد خليل الهراس الطبعة الثالثة المكتبة السلفية المدينة المنورة •

(١٦٠) شرح المقاصد : سعد الدين التفتازانى طبعة دار الطباعة العامرة ١٣٧٧هـ

(١٦١) شرح المواقف فى علم الكلام : على بن محمد الجرجانى الموقف الخامس فى الالهيات تحقيق الدكتور احمد المهدى مكتبة الازهر دار الحماسي للطباعة وكذلك الطبعة الاولى للمواقف وشرحها مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ •

(١٦٢) شرح نونية ابن القيم : احمد بن ابراهيم بن عيسى الطبعة الثانية المكتب الاسلامى •

(١٦٣) الشريعة : محمد بن عبدالله الاجرى : تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٦٩هـ •

(١٦٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضى عياض بن موسى الاندلسى تحقيق محمد امين قره على ، ومجموعة من العلماء مكتبة الفارابى دمشق •

(١٦٥) شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ابن القيم الجوزية تصحيح محمد بدر الدين ابو فراس النعسانى المطبعة الحسينية المصرية الطبعة الاولى ١٣٢٣هـ وكذلك نشر مكتبة دار التراث القاهرة •

(١٦٦) الشيعة والسنة : احسان الهى ظهير مطبعة المكتبة العلمية لاهور ١٣٩٢هـ •

" حرف الصاد "

(١٦٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : اسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق احمد عبد الغفور عطار الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .

(١٦٨) صحيح الجامع الصغير : محمد ناصر الدين الالباني المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ .

(١٦٩) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ترقيم فوءاد عبد الباقي عيسى البابي الحلبي ١٣٧٤هـ وكذلك شرح النووي على مسلم طبعة دار الفكر بيروت .

" حرف الضاد "

(١٧٠) ضحى الاسلام : أحمد أمين ، الطبعة الثامنة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م

(١٧١) ضعيف الجامع الصغير : محمد ناصر الدين الالباني المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ .

" حرف الطاء "

(١٧٢) الطبري : الدكتور احمد محمد الحوفي .

(١٧٣) الطبري الفقيه : عبد الغني عبد الخالق محاضرات القاها على طلبة الفقه المقارن كلية الشريعة جامعة الازهر .

(١٧٤) الطبري المفسر : الدكتور سيد أحمد خليل رسالة دكتوراه كلية الاداب جامعة القاهرة .

(١٧٥) طبقات الحنابلة : القاضي ابو الحسين محمد بن أبي يعلى ، دار الطباعة للمعرفة والنشر بيروت .

(١٧٦) طبقات الشافعيه الكبرى : تاج الدين السبكي ، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤هـ .

(١٧٧) طبقات المفسرين جلال الدين السيوطي طبعة ليدن ١٩٦٠م .

(١٧٨) طبقات المفسرين : شمس الدين محمد بن على الداودى ، تحقيق على محمد عمر الطبعة الاولى ، مكتبة وهبة ١٣٩٢هـ .

(١٧٩) طريق الهجرتين وباب السعادتين : ابن القيم الجوزية : تحقيق محي الدين الخطيب ، الطبعة الثانية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٩٤هـ .

" حرف الظاء "
====

(١٨٠) ظهر الاسلام : أحمد أمين ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية

" حرف العين "
===

(١٨١) عبد الله بن المبارك الامام القدوة : محمد عثمان جمال الطبعة الثانية دار القلم ، دمشق .

(١٨٢) العصر العباسي الاول : الدكتور شوقي ضيف دار المعارف مصر ١٩٧٢م

(١٨٣) العصر العباسي الثاني : الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف مصر ١٩٧٥م

(١٨٤) عصمة الانبياء والرد على الشبه الموجهة اليهم الدكتور محمد ابو النور الحديدى ، مطبعة الامانة ١٣٩٩هـ .

(١٨٥) العقائد : ابو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير ، مخطوط فى مكتبة جامعة الملك عبد العزيز المركزية بجده ، رقم ٢٣٩/١٦ .

(١٨٦) العقائد الاسلاميه : السيد سابق ، الطبعة الثانية دار النصر للطباعة ١٣٨٧هـ .

(١٨٧) عقائد الامامية : محمد رضا المظفر ، تقديم الدكتور حفنى داود الطبعة الثانية مطبوعات النجاح القاهرة ١٣٨١هـ .

(١٨٨) عقيدة الامام محمد بن جرير الطبرى مخطوط ضمن مجاميع عقائد رقم ٤/١٠٦ دار الكتب القومية القاهرة وكذلك المنشور ضمن المجموعة العلمية السعودية نشرها الشيخ عبد الله بن حميد الطبعة الاولى ، مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

(١٨٩) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي : نشرها الشيخ ابن حميد ضمن المجموعة السعودية

(١٩٠) عقيدة السلف واصحاب الحديث : ابو عثمان الصابوني نشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ادارة الطباعة المنيرية ١٩٧٠م.

(١٩١) العقيدة في الله : عمر سليمان الاشقر ، الطبعة الاولى ، مكتبة الفلاح الكويت ١٩٧٩م.

(١٩٢) عقيدة المؤمن : ابو بكر جابر الجزائري الطبعة الثالثة ، دار الشروق ١٤٠٢هـ

(١٩٣) العقيدة النظامية : أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين تعليق محمد زاهد الكوثري مطبعة الانوار مصر ١٣٦٧هـ.

(١٩٤) العقيدة الواسطية : ابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى .

(١٩٥) علاقة الاثبات والتفويض بصفات رب العالمين : رضا بن نعسان معطي الطبعة الاولى مطبعة التراث ١٤٠٢هـ.

(١٩٦) العلماء العزاب الذين أثروا العلم على الزواج عبد الفتاح ابو غدة مكتب المطبوعات الاسلامية ١٤٠٢هـ.

(١٩٧) العلو للعلي الغفار : شمس الدين الذهبي ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عثمان المطبعة السلفية .

(١٩٨) عمر الفاروق : پرويز ، الناشر ادارة طلوع الاسلام بي ٢٥ كلبرك لاهور .

" حرف الغين "

(١٩٩) غاية المرام في علم الكلام : سيف الدين الامدي تحقيق حسن محمود عبد اللطيف مطابع الاهرام التجارية القاهرة ١٣٩١هـ.

(٢٠٠) غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين محمد الجزري عني بنشره ج . برجستراسر .

(٢٠١) غرر الفوائد ، ودرر القلائد ، المعروف بآمالي المرتضى - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الاولى دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ.

" حرف الفـــاء "

(٢٠٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني تصحيـــح الشيخ عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب ، المطبعة السلفيـــة ١٣٨٠هـ .

(٢٠٣) فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الثانية مطبعة البابـــي الحلبي ١٣٨٣هـ .

(٢٠٤) فتوح البلدان : أحمد بن يحي البلاذري نشر صلاح الدين المنجـــد ، مكتبة النهضة المصرية .

(٢٠٥) الفتوى الحموية : ابن تيمية : نشرها محمد حامد الفقي ضمن مجموعـــة نفائس الطبعة الثالثة مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ وكذلك المنشـــورة ضمن مجموعة الرسائل الكبـــرى .

(٢٠٦) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية : محمد بن علي بـــن طباطبا المعروف بالطقطقا ، دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ .

(٢٠٧) فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الاكوان ، سلامة القضاعي العزامي مطبوع مع الاسماء والصفات للبيهقي ، الناشر دار احياء التراث العربـــي بيروت .

(٢٠٨) الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادي تحقيق محمد محي الديـــن عبد الحميد مطبعة المدني القاهرة .

(٢٠٩) الفصل في الملل والاهواء والنحل : ابن حزم الظاهري ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني مكتبة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة .

(٢١٠) فضائل الصحابة : الامام أحمد بن حنبل : تحقيق الدكتور وصي الله محمـــد عباس رسالة دكتوراه جامعة ام القرى ١٤٠١هـ .

(٢١١) الفهرست : محمد بن اسحاق النديم : تحقيق رضا تجدد ، طبع دانشكاه طهران .

(٢١٢) فهرست المخطوطات المصورة : تصنيف فؤاد سيد ، دار الرياض للطبع والنشر ١٩٥٤م

(٢١٣) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة : محمد بن علي الشوكاني تحقيق عبد الرحمن المعلمي الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٢هـ٠

(٢١٤) في ظلال الوحي : علي فضل الله الحسني ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ٠

(٢١٥) في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة : الدكتور محمود خفاجي الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ٠

" حـرف القاف "

(٢١٦) قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين : محمد عبد الفتاح عليان ـ الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧٠م٠

" حـرف الكاف "
===

(٢١٧) الكامل : عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الاثير دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ٠

(٢١٨) الكتاب المصنف في الاحاديث والاثار : عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الدار السلفية بمباى ١٣٩٩هـ٠

(٢١٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ويذيله أربعة كتب : ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الطبعة الثانية المكتبة التجارية ، مصر ١٣٧٣هـ٠

(٢٢٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، مطبعة استنبول ١٣٦٢هـ٠

(٢٢١) الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة : تقديم وتحقيق الدكتور محمود قاسم الطبعة الثالثة نشر مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ٠

(٢٢٢) الكنى والاسماء : ابو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ١٣٢٢ هـ .

" حرف اللام "
====

(٢٢٣) اللباب في تهذيب الانساب : عز الدين بن الاثير الجزرى ، دار صادر بيروت .

(٢٢٤) لسان العرب : ابو الفضل جمال الدين محمد بن منظور دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٥ هـ وكذلك الطبعة المصوره عن طبعة بولاق .

(٢٢٥) لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني ، الطبعه الثانية ، منشورات الاعلمى للمطبوعات بيروت ١٣٩٠هـ .

(٢٢٦) اللمع : على بن اسماعيل الاشعرى : تصحيح وتقديم الدكتور حمودة غرابة مطبعة مصر ١٩٥٥م .

(٢٢٧) لمع الادلة في عقائد أهل السنة والجماعة : الجوينى امام الحرمين ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود ، الطبعة الاولى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٥هـ .

" حرف الميم "
=====

(٢٢٨) مبحث جليل على آية من التنزيل : محمد الامين الشنقيطى . مؤسسة مكة للطباعة والاعلام توزيع الجامعة الاسلامية .

(٢٢٩) متشابه القرآن : القاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور عدنان الزرزور ، دار النصر للطباعة .

(٢٣٠) مجاز القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى : تحقيق الدكتور فؤاد سزكين الطبعة الاولى الناشر محمد أمين الخانجي مصر ١٣٧٢هـ .

(٢٣١) مجمع الزوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الكتاب بيروت ١٩٦٧م

(٢٣٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدى وولده محمد تصوير الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ .

(٢٣٣) المحلى : ابو محمد علي بن حزم الظاهرى ، دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٧هـ .

(٢٣٤) المحمدون من الشعراء : ابو الحسن علي بن يوسف القفطي تحقيق محمد عبد الستار خان ، الطبعة الاولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٨٥هـ .

(٢٣٥) المحيط بالتكليف : القاضي عبد الجبار ، تحقيق عمر السيد عزمي ، مراجعة الدكتور احمد فؤاد الاهواني : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر .

(٢٣٦) مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازى : الطبعة الاولى دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧م .

(٢٣٧) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : ابن القيم الجوزية اختصره محمد بن الموصلي ، مكتبة الرياض الحديثة .

(٢٣٨) مختصر العلو للعلي الغفار : اختصره وحققه وعلق عليه محمد ناصر الدين الالباني الطبعة الاولى المكتب الاسلامي ١٤٠١هـ .

(٢٣٩) المختصر النافع في فقه الامامية : ابو القاسم نجم الدين الحلي منشورات المكتبة الاهلية بغداد ١٣٨٦هـ .

(٢٤٠) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين : ابن القيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥هـ .

(٢٤١) المدخل الى مذهب الامام احمد : عبد القادر بن أحمد بن بدران قام بتصحيحه ونشره جماعة من العلماء دار الطباعة المنيرية .

(٢٤٢) مذاهب التفسير الاسلامي : أجنتس جولد تسهر ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار مكتبة الخانجي بمصر ، والمثنى ببغداد ١٣٧٤هـ .

(٢٤٣) مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم : ابن تيمية ، ضمن مجموعةالرسائل والمسائل .

(٢٤٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودى دار التحرير للطباعة والنشر .

(٢٤٥) مسائل العقيدة بين التفويض والتأويل وآراء الفرق الاسلامية فيها : عبد العزيز سيف النصر ، رسالة دكتوراه لكلية اصول الدين جامعة الازهر ١٣٩٣هـ .

(٢٤٦) المستدرك على الصحيحين : ابو عبد الله محمد النيسابوري ، المعــــروف بالحاكم ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

(٢٤٧) مسند الامام احمد : الامام احمد بن حنبل ، المكتب الاسلامي دار صادر بيروت .

(٢٤٨) مشكل الحديث : محمد بن الحسن بن فورك . الطبعة الاولى دائــرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٦٢هـ .

(٢٤٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : احمد بن محمد بن على المقرى . تصحيح مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر .

(٢٥٠) المطالب العالية : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي المطبعة المصرية الكويت ـ ١٣٩٠هـ .

(٢٥١) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد حافظ بن احمد حكمي ، المطبعة السلفية .

(٢٥٢) معالم في الطريق : سيد قطب ، دار الشروق .

(٢٥٣) معاني القرآن : ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط تحقيــق الدكتور فائز فارس الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .

(٢٥٤) معاني القرآن : أبو زكريا الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد على النجار الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٠م .

(٢٥٥) المعتمد في اصول الدين : محمد بن الحسين ابو يعلى الحنبلي ، تحقيق الدكتور وديع زيدان حداد ، دار المشرق بيروت .

(٢٥٦) معجم الادباء : ياقوت الحموى ، مكتبة عيسى البابي الحلبي .

(٢٥٧) معجم البلدان : ياقوت الحموى ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر .

(٢٥٨) المعجم الكبير : سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفي ، الدار العربية بغداد ١٩٧٨م .

(٢٥٩) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى الشريف : وضعه جماعة من المستشرقين بمشاركة محمد فوءاد عبد الباقي مطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٥٥م .

(٢٦٠) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت .

(٢٦١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار : شمس الدين الذهبي ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الاولى دار الكتب الحديثة القاهرة .

(٢٦٢) المغني في ابواب التوحيد والعدل : القاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى حلمي والدكتور ابو الوفا الغنيمي باشراف الدكتور طه حسين ، الموءسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٥م .

(٢٦٣) المفاضلة بين الصحابة : ابن حزم الظاهرى : تحقيق سعيد الافغاني دار الفكر ١٣٨٩هـ .

(٢٦٤) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم : احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، تحقيق كامل بكرى وعبد الوهاب ابو النور ، دار الكتب الحديثة .

(٢٦٥) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين : ابو الحسن الاشعري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٩هـ .

(٢٦٦) المقالات والفرق : سعد بن عبد الله بن خلف القمي ، تصحيح الدكتور محمد جواد مشكور ، مطبعة حيدري طهران ١٩٦٣م .

(٢٦٧) مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .

(٢٦٨) الملائكة والايمان بهم : ناجي محمد داود رسالة ماجستير جامعة ام القرى ١٤٠٢هـ .

(٢٦٩) الملل والنحل : ابو الفضل محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران ، مكتبة الانجلو مصرية ، مطبعة مخيمر ١٣٧٥هـ ، وكذلك المطبوع بهامش الفصل لابن حزم

(٢٧٠) مناقب الشافعي : ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق السيد احمد صقر الطبعة الاولى ، مكتبة دار التراث مصر ١٣٩١هـ .

(٢٧١) المنتظم في تاريخ الملوك والامم : عبد الرحمن بن علي الجوزي : الطبعة الاولى دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ .

(٢٧٢) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام اهل الرفض والاعتزال لشيخ الاسلام ابن تيمية اختصره ابو عبد الله شمس الدين الذهبي تحقيق محب الدين الخطيب .

(٢٧٣) منحة المعبود ترتيب مسند الطيالسي أبو داود ، أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي الطبعة المنيرية القاهرة ١٣٧٢هـ .

(٢٧٤) منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية : ابن تيمية مكتبة الرياض الحديثة وكذلك طبعة المدني بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ١٣٨٤هـ .

(٢٧٥) منهاج الكرامة في معرفة الامامة : ابو منصور الحسن بن يوسف المطهر الحلي مطبوع بهامش منهاج السنة بتحقيق الدكتور رشاد سالم .

(٢٧٦) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات : محمد الامين الشنقيطي مؤسسة مكة للطباعة والاعلام توزيع الجامعة الاسلامية المدينة المنورة .

(٢٧٧) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمي تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة المطبعة السلفية مصر .

(٢٧٨) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول : ابن تيمية : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد حامد الفقي ، الطبعة الثانية ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ وكذلك المطبوع بهامش منهاج السنة .

(٢٧٩) موطأ مالك : الامام مالك بن أنس رواية يحي بن يحى الليثي اعداد احمد راتب عرموش دار النفائس ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ وكذلك طبعة الحلبي ١٣٧٠ هـ .

(٢٨٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : شمس الدين الذهبي : تحقيق محمد على البيجاوى الطبعة الاولى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٢ هـ .

" حرف النون "

(٢٨١) النبوات : ابن تيمية ، دار الفكر .

(٢٨٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين يوسف بن تغرى ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

(٢٨٣) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية : الدكتور احمد محمود الصبحي دار المعارف مصر .

(٢٨٤) نقض تأسيس الجهمية : ابن تيمية ، الطبعة الاولى ترتيب محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ١٣٩١ هـ .

(٢٨٥) نقض المنطق : ابن تيمية ، تحقيق سليمان الصنيع محمد عبد الرزاق حمزة ، تصحيح محمد حامد الفقي ، الطبعة الاولى ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ هـ .

(٢٨٦) نهاية الاقدام في علم الكلام : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تصحيح الفرد جيوم مكتبة المثنى بغداد .

(٢٨٧) النهاية في غريب الحديث : مجد الدين ابو السعادات ابن الاثير تحقيق طاهر احمد ، ومحمود الطناحي ، الطبعة الاولى دار احياء الكتب العربية ١٣٨٣هـ .

" حرف الهاء "

(٢٨٨) هداية العارفين في اسماء المؤلفين : اسماعيل باشا البغدادي وكالة المعارف استنبول .

" حرف الواو "

(٢٨٩) الوافي بالوفيات : صلاح الدين : خليل بن ايبك الصفدي الطبعة الثانية ، غير منقحة مباعتناء س . ديدرنغ ، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن ١٣٩٤هـ .

(٢٩٠) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة محمد بن الحسن الحر العاملي تحقيق عبد الرحيم الشيرازي ، الطبعة الرابعة ، دار احياء التراث العربي بيروت ١٣٩١هـ .

(٢٩١) الوصية الكبرى : ابن تيمية : ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، دار احياء التراث العربي .

(٢٩٢) وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان : ابو العباس شمس الدين احمد ابن خلكان تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر بيروت .

الفهـرسـت

الموضـوع	الصفحـة

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

البـاب الثانـــى

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضــــوع	الصفحــة
الفصل الرابع: دفاعه عن عقيدة السلف فى اسماء الله تعالى	٣٣٤ـ٣٥٦
المبحث الاول : طريقة اثبات اسماء الله الحسنى	٣٣٥ـ٣٤٠
القرآن الكريم والسنة هما مصدرا اثبات اسماء الله الحسنى	٣٣٥
الجهمية انكروا ثبوت اسماء الله الحسنى	٣٣٦
تسمية بعض الخلق ببعض اسماء الله لا يقتضى التشبيه	٣٣٨
المثبتون سلكوا مسلكين فى اثبات اسماء الله الحسنى	٣٣٨
مسلك الامام ابن جرير	٣٣٨
قياس المعتزلة لا مجال له عند علماء السلف فى اثبات اسماء الله الحسنى ٠	٣٤٠
المبحث الثاني : عدد أسماء الله الحسنى	٣٤١ ـ ٣٤٣
الاجماع يكاد أن ينحصر على أن العدد الوارد فى الحديث لا يفيد الحصر	٣٤١
لم يخالف فى ذلك سوى ابن حزم	٣٤١
الامام ابن جرير لم يتعرض لمسألة حصر اسماء الله الحسنى فـــى عدد معين	٣٤٢
منهجه يفيد بأنه لا يقف عند الحصر	٣٤٢
الحق فى عدد اسماء الله الحسنى هو ما قرره السلف	٣٤٢
المبحث الثالث : الاسم للمسمى	٣٤٤ـ٣٥٣
الامام ابن جرير يرى أن الكلام فى الاسم والمسمى بدعة	٣٤٤
الكلام فى هذه المسألة دخيل على المسلمين	٣٤٤
يرفض الامام ابن جرير القول بان الاسم هو المسمى أو هو غير المسمى بطريقة غير مباشرة ٠	٣٤٥
اختياره فى التفسير كان القول بأن الاسم للمسمى	٣٤٦
انتقاد القائلين بأن الاسم هو المسمى أو غير المسمى	٣٤٦
أهم الانتقادات التى وجهها اليهم	٣٤٧
تفسيره لبيت لبيـــــد	٣٥١
موافقة ابن تيمية للامام ابن جرير	٣٥٢
مناقشة ابن تيمية للاقوال التى قيلت فى الاسم والمسمى	٣٥٣

الموضـــوع	الصفحـة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـة